

جامعة دمشق
الدراسات العليا

أعمال الرباط والمثاغرة بين بلاد الشام وبيزنطة

/ هـ. 132-232

م. 750-847

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

إعداد

شيرين سليم حمودي

إشراف

أ. د. إكمال إسماعيل

2012م

شكر وتقدير:

بعد الانتهاء من إعداد هذه الأطروحة لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى أستاذتي الفاضلة الدكتورة اكتمال إسماعيل، التي غمرتني برعايتها واهتمامها، فما كان للصعوبات التي اعترضني أن تذلل، وللبحث أن ينجز لولا الرعاية التامة التي لقيتها منها، فقد كان لمنابتها المستمرة وتصويباتها الدائمة، إضافة لما قدمته لي من علم ومعرفة ومعاملة حسنة، أكبر الأثر في إنجاز هذه الأطروحة، فكانت الأستاذة والمربية والمشرقة في وقت واحد، فلها مني أكبر شكر وتقدير.

كما أتقدم بخالصي شكري وتقديري إلى الأستاذ الدكتور سهيل زكار، لما قدمه من مساعدات علمية، من خلال تزويدي بالمصادر والمراجع المهمة التي أغنت هذا البحث، فله مني كل الشكر والتقدير، أمد الله بعمره.

وأشكر أيضاً الأساتذة أعضاء لجنة الحكم لتحملهم عناء قراءة هذه الأطروحة ولما سبقدموه لي من تصويبات وملاحظات ستغني هذا البحث.

وأقدم أيضاً بالشكر والتقدير لأستاذتي في قسم التاريخ بجامعة دمشق والبحث على كل مساعدة وتعاون أمدوني بهما خلال دراستي.

قائمة رموز الأطروحة

نح	-	تحقيق
تر	-	ترجمة
ج	-	جزء
مج	-	مجلد
ط	-	طبعة
ق	-	قسم
م	-	ميلادي
هـ	-	هجري
د.ت	-	دون تاريخ
د.م	-	دون مكان
page- p		

رقم الصفحة	فهرس المحتوى
١	الإهداء
٢	شكر وتقدير
٣	قائمة رموز الأطروحة
٤	المحتوى
١١	تقديم
١٧	تعريف بأهم مصادر ومراجع البحث
٢٤	<u>الفصل الأول: الثغور الإسلامية والقيمات (البنود) البيزنطية، نشأتها، جغرافيتها.</u>
٢٧	<u>أولاً: الثغور الإسلامية دواعي قيامها، نشأتها، جغرافيتها، تنظيمها.</u>
٣١	<u>أ- تقسيم الثغور الإسلامية حسب كتابات الجغرافيين العرب.</u>
٣٤	<u>ب- الثغور الشامية:</u>
٣٤	١- طرسوس.
٣٩	٢- المصيصة.
٤١	٣- أذنة.
٤٢	٤- عين زوبة.
٤٤	٥- الحارونية.
٤٥	٦- الكنيسة السوداء.

٤٥	ج- <u>الثغور الجزرية:</u>
٤٦	١- مرعش.
٤٧	٢- المحدث.
٤٨	٣- ملطية.
٥١	٤- زبطرة.
٥٢	٥- سمساط.
٥٣	٦- كيسوم.
٥٤	٧- حصن منصور.
٥٤	٨- كمخ.
٥٥	د- <u>العواصم تعريفها ، مهمتها ، مدتها.</u>
٥٨	١- منبج .
٥٨	٢- أنطاكية.
٥٩	٣- دلوك.
٥٩	٤- رعبان.
٥٩	٥- نيزين.
٥٩	٦- قورس.
٦٠	هـ - <u>الصوائف والشوائب.</u>
٦١	و- <u>الطرق والدروب التي سلكها المسلمون في غزواتهم.</u>

٦٥	ثانياً: <u>التيّمات (البُود) البيزنطية.</u>
٦٥	أ- <u>نشوء التيم (البند) وتنظيمه.</u>
٦٨	ب- <u>التيّمات البيزنطية زمن العصر العباسي.</u>
٦٩	١- تيم (بند) الأرمنيّ.
٦٩	٢- تيم (بند) الأناطوليّ.
٦٩	٣- تيم (بند) الأيبسيّ.
٦٩	٤- الثغر البحريّ كبير يوت.
	ج- <u>التيّمات (البُود) البيزنطية التي توجه منها البيزنطيون نحو الأراضي العربية</u>
٧١	<u>الإسلامية.</u>
٧١	١- عالديا (كالديا).
٧١	٢- كولونيا.
٧١	٣- عرسبون (عرشنة).
٧١	٤- كبادوكيا (كابادوكيا الصغرى).
٧١	٥- سلوقية.
٧٢	د- <u>التيّمات (البُود) البيزنطية من خلال كتابات الجغرافيين العرب.</u>

الفصل الثاني:

العلاقات العباسية البيزنطية في بداية نشوء الدولة العباسية إلى عهد الخليفة موسى الهادي

٧٧

١٣٢-١٧٠ هـ / ٧٥٠-٧٨٦ م.

- تقدم

٧٨

- نبذة عن العباسيين وكيفية تسلمهم الخلافة.

أولاً: الوضع الداخلي في الدولة العباسية زمن الخليفة السفاح واستغلال هذا الوضع من قبل

٨٣

البيزنطيين ١٣٢-١٣٦ هـ / ٧٥٠-٧٥٥ م.

ثانياً: النشاط العربي الإسلامي العسكري والسياسي زمن الخليفة المنصور ١٣٦-

٩٣

١٥٨ هـ / ٧٥٤-٧٧٥ م.

ثالثاً: النشاط العربي الإسلامي العسكري والسياسي زمن الخليفة محمد المهدي إلى زمن

١٢٠

الخليفة موسى الهادي ١٥٨-١٧٠ هـ / ٧٧٥-٧٨٦ م.

الفصل الثالث:

العلاقات العباسية البيزنطية منذ عهد الخليفة هارون الرشيد إلى زمن الخليفة هارون الواثق

١٥٦

١٧٠-٢٣٢ هـ / ٧٨٦-٨٤٧ م.

- أولاً: العلاقات السياسية والعسكرية زمن الخليفة هارون الرشيد ١٧٠-١٩٣ هـ / ٧٨٦-

١٥٧

٨٠٩ م.

- ثانياً: العلاقات العباسية البيزنطية السياسية والعسكرية زمن الخليفة عبد الله المأمون ١٨٩-

٢١٦

٢١٨ هـ / ٨١٣-٨٣٣ م.

- ثالثاً: العلاقات العباسية البيزنطية السياسية والعسكرية زمن الخليفة المعتصم بالله
٢٤٤ ٥٢١٨ / م٨٣٣
- رابعاً: العلاقات الدبلوماسية بين الطرفين العباسي والبيزنطي ١٣٢-٥٢٣٢ م / ٧٥٠-
٢٧٢ ٨٤٧ م
- أولاً: الاتفاقيات المبرمة بين الطرفين العباسي والبيزنطي في العصر العباسي الأول. ٢٧٣
- ثانياً: فداء الأسرى بين العباسيين والبيزنطيين . ٢٨١
- 1- معنى الأسير و السبي لغة واصطلاحاً. ٢٨١
- ٢- معاملة الأسرى في الأسر. ٢٩٥
- ٣- أنواع الأسرى وكيفية الفداء. ٢٩٦
- الفصل الرابع:
- الحياة الاقتصادية والاجتماعية والدينية والسياسية في مدن الثغور الشامية والجزرية: ٢٩٩
- أولاً: الحياة الاقتصادية في مدن الثغور. ٣٠١
- أولاً: الزراعة. ٣٠١
- ثانياً: الصناعة والحرف. ٣٠٤
- ثالثاً: التجارة. ٣٠٥
- ثانياً: الحياة الدينية في مدن الثغور. ٣١١
- ثالثاً: سياسة توطين السكان وحياتهم الاجتماعية في مدن الثغور الإسلامية زمن الخلافة
العباسية. ٣١٨

٣٢٨	العناصر السكانية:
٣٢٨	أ- بنو وائل.
٣٢٨	ب- بنو تغلب.
٣٢٩	ج- القرم.
٣٣٠	د- الرط.
٣٣١	هـ - البيالقة المراهقة.
٣٣٦	و- المراجعة.
٣٣٨	ز- المتطوعة
٣٤١	رابعاً: دور مدن الثغور في الأحداث الداخلية في الدولة العباسية.
٣٤١	أولاً - ثورة نصر بن شيبث العقيلي في كسوم ١٨٩-٥٢١٠ هـ / ٨١٣-٨٢٥ م.
٣٥١	خامساً : <u>الحركات الانفصالية ودورها في العلاقات العباسية البيزنطية:</u>
٣٥١	أولاً- ثورة توماس الصقلي.
٣٥٦	ثانياً- الحركة الخرمية وعلاقتها بالروم البيزنطيين .
٣٦١	سادساً: دور أرمينية في العلاقات العباسية البيزنطية في العصر العباسي الأول ١٣٢-٥٢٣٢ هـ / ٧٥٠-٨٤٧ م.

٢٧٦	خاتمة.
	الملحق والخرائط.
٢٨٠	ملحق (١) لمحة عن الخلفاء العباسيين الأوائل .
٢٨٥	ملحق (٢) لمحة عن الأباطرة البيزنطيين زمن الخلفاء العباسيين الأوائل
٢٨٨	ملحق الخرائط.
٢٩٥	قائمة المصادر والمراجع العربية والمعرية المستخدمة في البحث .

تقديم:

ليس هناك أفصل وأجل من المتعة التي يجدها القارئ في أحداث العصور السالفة، وهذه المتعة تنأى من حلال استقرائه لأجداد الناس الذين عاشوا في تلك الأيام وحضارتهم .

فالماضي هو التاريخ، والتاريخ هو سير وأخبار أجيال متتالية ومتعلقة أبدعت وأثرت على الحياة الماضية بما أنتجته هذه الأجيال من مخزون اجتماعي واقتصادي وفكري وسياسي، وحقبة العصر العباسي الأول تعد من أهم وأجل وأعنى الحقوب الزمنية التي شهدتها التاريخ .

فقد كان العصر العباسي الأول محط اهتمام القراء والباحثين والدارسين والمهتمين بالعلوم والثقافة والآثار، لما تركه خلفاء هذا العصر من أجداد تداولتها الكتب والمؤلفات سابقاً ، ولا تزال تتداول ويعتخر بها.

فعلى العصر العباسي اكتملت الحضارة العربية الإسلامية وازدهرت وسطعت شمسها في أرجاء العالم، وكان ذلك نتيجة للدور المميز الذي قام به الخلفاء العباسيون في هذا العصر، كما أن حدود الدولة العربية الإسلامية توسعت فوصلت إلى ما وراء النهر شرقاً، والأطلسي غرباً، وبحال أرمينية و طرسوس شمالاً، حتى المحيط الهندي جنوباً.

فما إن انتصرت الثورة العباسية حتى تم الإعلان عن قيام دولة جديدة في التاريخ العربي الإسلامي اتسمت بقوةها، وسرعان ما أصبحت هذه الدولة مرهوبة الجانب وراح يحسب لها حساباً لا مثيل له في أرجاء العالم كله، فما حدث في أثناء الثورة العباسية وفي أعقابها لم يكن حدثاً طارئاً في التاريخ العربي الإسلامي أدى إلى انتقال السلطة من أسرة إلى أسرة أخرى، بل كان من نتائج هذا الحدث، ثورة جذرية أتتحت متغيرات كثيرة في السلطة والمجتمع بأكمله، وكانت الدولة العباسية

ببحارها في ذلك الرمز البعيد رافداً وموضوعاً غنياً لا يزال الباحثون يهلون منه حتى الوقت الحاضر .

وما يؤكد ذلك حديث جواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند الراحل لاهته انديرا غاندي عن الخليفة هارون الرشيد وبعدها عاصمة العباسيين حينما قال لها: " ألا تذكرين بغداد وهارون الرشيد وشهر راد وقصص ألف ليلة وليلة للمتعة؟ إن المدينة التي ازدهرت أيام الخلفاء العباسيين، هي مدينة ألف ليلة وليلة كانت مدينة فسيحة تزخر بالقصور والمحلات العامة والمدارس والأسواق والمتنزهات والحدائق العناء، وكان تجارها يتعاملون مع بلدان الشرق والغرب

فحضارة بغداد عرفت القاصي والداني في تلك الآونة ، وحروب العباسيين مع البيزنطيين كانت تشكل محوراً مهماً في ذلك العصر، فكان من أهم ما يمر العصر العباسي الأول تلك اللقاءات التي تمت بين الدولتين ، الدولة العربية الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية ، وهي لقاءات اتخذت شكل العلاقات المباشرة بين الطرفين والعلاقات غير المباشرة أيضاً، فهذا التواصل لم يسر على وتيرة واحدة، فهالك العديد من المعتمات التي طرأت على هذا التواصل، فهو تارة يأخذ شكل الصراع العسكري، هذا الصراع الذي فرضته طبيعة الحدود الطبيعية المشتركة بينهما ، واختلاف المصالح والطموحات فكل طرف مهما كان يرغب بامتلاك هذه المنطقة الجغرافية الإستراتيجية بلهمة لعرض سيطرته عليها، وتارة كان يمثل هذا التواصل بالاتصال الحصارى بين أرقى حصارتين في ذلك الزمن .

والموضوع الذي تتم دراسته في هذا البحث يعد حلقة من حلقات السلسلة السياسية والعسكرية للمواجهات بين المسلمين والبيزنطيين.

فقد عدُّ المسلمون قضية الجهاد في سبيل الله وحماية حدود دولة الإسلام من أهم مسؤولياتهم، فكل فرد من أفراد المجتمع العباسي كان من الواجب إعدادُه وتجهيزه لحمل رسالة الإسلام، وهذا يعطي للمشاعرة والمرابطة أهميتهما من خلال ارتباطهما بشرعية الجهاد في سبيل الله، وهو دروة مبادئ وقيم الإسلام والوسيلة الفاعلة لنشره والمحافظة على الأراضي العربية الإسلامية ومجتمعاتها. فالإسلام حضٌ على الجهاد في سبيل الله، والقرآن الكريم في آياته حضٌ على الجهاد ومحاربة أعداء الإسلام، قال تعالى في كتابه العزيز:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

"وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْمِيُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِبُوا مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ".^(١)

كما حثَّ الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام على المشاورة في سبيل الله، قال رسول الله (ص):

"إِنْ كَلَّأْتُمْ عَلَى نَعْرِ مَنْ نَعُورَ الْإِسْلَامِ فَاللَّهِ أَنْ يُوْنِي الْإِسْلَامَ مِنْ قَبْلِهِ".

اعتمد البحث على مصادر متنوعة وكان للمهج الذي يقوم على الاستقرار والتحليل والقد والمقارنة بين النصوص هو المهج المنهج، لذلك فقد تضمن البحث أربعة فصول وعنايته:

الفصل الأول يتحدث عن النعور الإسلامية والبيزطية، شأنها وجغرافيتها، ويسلط الضوء على كل مدينة من مدن النعور على حدة، وعلى اهتمام العباسيين بهذه المدن، كما يعرض الإجراءات التي اتخذوها لتحصيتها، ويتناول هذا الفصل أيضاً المدن والحصون التي تم إنشاؤها، وأهم الدروب والمرتات التي سار منها المسلمون باتجاه البيزطة، والصوائف والشوقي، تنظيمها

^١ - القرآن الكريم: سورة الأنفال: الآية ٩٠.

وأوقاتها، كما تحدث الفصل الأول عن الثيمات البيزنطية ، بشوء التيم وتطوره، وأهم الثيمات التي كانت موجودة في العصر العباسي، كما أشار إلى الثيمات البيزنطية من خلال كتابات الجغرافيين العرب.

- أما الفصل الثاني: فينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول : تحدث عن العلاقات العباسية و البيزنطية السياسية والعسكرية في الدولة العباسية ومن الخليفة السعاح .

وتناول القسم الثاني طبيعة النشاط الإسلامي العسكري ومن المصور، وأهم الأعمال التي قام بها هذا الخليفة، لتحسين مناطق الثغور والأوضاع الداخلية في الدولة العباسية والإمبراطورية البيزنطية وتأثيرها على الأحداث العسكرية، والقسم الثالث تحدث عن النشاط الإسلامي ومن الخليفة المهدي، وأهم الغزوات التي توجهت نحو الأراضي وللدن البيزنطية .

- والفصل الثالث: ينقسم إلى أربعة أقسام :

القسم الأول: تحدث عن العلاقات السياسية والعسكرية ومن الخليفة هارون الرشيد وحملاته ذائعة الصيت، وتحديدًا فتحه لخرقة، وكيف تمكن هذا الخليفة من فرض الجزية على أباطرة بيزنطة طوال مدة تسلمه لعرش الخلافة، أما القسم الثاني فقد تناول العلاقات بين الخليفة المأمون وأباطرة البيزنطيين عسكرياً، وتأثير الأوضاع الداخلية للمضطربة على العلاقات بين الطرفين، وركز على حملتي المأمون باتجاه لؤلؤة وعمله على بناء الطوامة ، والعمل على توطيد العرب المسلمين فيها، بينما تناول القسم الثالث حملات المحتصم تجاه بيزنطة وتحديدًا حملة عمورية

بيما ألقى الضوء في القسم الرابع على العلاقات الدبلوماسية بين الطرفين العباسي والبيروني، والتي تضمنت معاهدات الصلح وقضاء الأسرى بين الطرفين، والعرق بين معي الأسير والسبي ومعاملة الأسرى وأنواعهم وكيفية التعامل معهم.

- والفصل الرابع من الرسالة فقد انقسم إلى ستة أقسام:

القسم الأول : تناول الحياة الاقتصادية من زراعة وصناعة وحرف وتجارة ، كما سلط الضوء على الحياة الاقتصادية في الثغور وبين أنها كانت نتيجة حتمية لقيام مجتمع سكاني في تلك المدن، بيما سلط القسم الثاني الضوء على الحياة المدنية في المدن الثغرية ، وركز هذا القسم على أحوال الصاري في تلك المنطقة والإجراءات التي كانت تتخذ بحقهم بين الحين والآخر من قبل الخلفاء العباسيين، أما القسم الثالث فقد تحدث عن سياسة توطين السكان في الثغور، وبين اهتمام الخلفاء العباسيين في توطين العديد من الطوائف السكانية لإعمار هذه المنطقة، كما تحدث عن أهم الطوائف التي وجدت هناك كالفرس والربط والبيالقة المراتقة، وتحدث القسم الرابع عن دور مدن الثغور في الثورات الداخلية ضمن جسد الدولة العباسية كثورة مصر بن شيب العفلي، وتضمن القسم الخامس الحديث عن الحركات الانفصالية في الدولتين وتأثيرها على الدولتين كتنبيهها، كثورة توماس الصقلي في بيزطة وبابك الخرمي في الدولة العباسية، أما القسم السادس فقد تطرق إلى دور أرميا الملم في العلاقات العباسية البيزنطية وعمل كلا الطرفين على كسب ود أمراء أرميا، وأشار البحث إلى عمل الخلفاء والولاة العباسيين في توطين قبائل عربية كثيرة في منطقة أرمية.

وبعد من لكل بحث صعوباته التي لا يستهان بها ، وقد غثلت الصعوبات في هذا البحث في قلة المعلومات التاريخية حول الحياة الاقتصادية والدينية والاجتماعية في مدن الثعور، لذلك كان الاعتماد على الكتب الجغرافية وعلى الاستنتاج والاستقراء والمقارنة في كثير من الأوقات كما أن أغلب المصادر التاريخية كانت تشير بكلمات بسيطة إلى العروات التي كان يقوم بها العرب، فقد كان يتم ذكر اسم قائد الصائفة فقط من دون أن توضح نتائج هذه الصائفة أو الوجهة التي توجهت نحوها، ومما لك نقل كثير من قبل المصادر عن بعضها بعضاً في هذا السياق، كما أن المصادر قد اختلفت فيما بينها حول أسماء القادة، فكان لا بد من إيضاح هذه النقطة والعمل على مقارنة النصوص لاستقراء الفكرة الصحيحة.

ولا بد للبحث من غاية وهدف يطمح الباحث من خلاله إلى الوصول إليهما ، والهدف من هذا البحث كان في إظهار حقيقة مهمة وهي أن مدن الثعور لم تكن مديناً عسكرية بحتة، وإنما تطورت لتصبح مديناً سكانية ذات حياة اجتماعية واقتصادية وتجارية، وكانت مديناً ذات عقلية ناعلة مع غيرها من المناطق، وقد تم التركيز على إبراز دور أرمينيا الناعلة مع هذه المناطق.

والله ولي التوفيق

تعريف بأهم مصادر ومراجع البحث:

شملت كتابة التاريخ مكانة مهمة لدى العرب المسلمين ، فقد جاهدوا لتأريخ الأحداث التي مرت بهم كيلا ينسى ولتبقى مآرة للأجيال المتعاقبة، وقد نال العصر العباسي الأول العناية الفائقة لتأريخه كونه العصر الذهبي للإسلام، فألفت عنه مئات المجلدات من الكتب التاريخية والجغرافية والتراجم والأساب وغيرها ، لذلك كانت المصادر المستخدمة في البحث متنوعة من كتب تاريخ وجغرافية واقتصاد وتراجم ودواوين شعرية وكتب أرمنية وسريانية في محاولة لتغطية فصول الأطروحة بشكل كامل، ومن أهم هذه المصادر من كتب التاريخ العام التي صيغت حسب قدم الوفاء :

ابن عياط (أبو عمر خليفة بن عياط الليثي المصري) توفي ٨٢٤٠ هـ / ١٨٥٣م:

يعد تاريخ خليفة بن عياط أقدم تاريخ حوّل وصل إلى الباحثين، وتظهر أهميته البالغة في دقته وحسن انتقاله لروايته ، فقد قدم كتابه (تاريخ خليفة بن عياط) معلومات مهمة وغنية خاصة فيما يتعلق بالصوائف وقادتها، وفي كثير من الأوقات أشار ابن عياط إلى معلومات م تكن موجودة في غيره من المصادر.

واعتد أيضاً على كتابه الآخر الطبقات في ترجمة بعض أعلام بني العباس.

البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر) توفي عام ٢٧٩ هـ / ٨٩٢م، شأ البلاذري في بعدد وتقرب من الخلفاء العباسيين كالمثوكل والمستعين والمعتز وتوفي في خلافة المعتضد.^(١)

^١ - حلاق (حسن): دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، بيروت، دار النهضة، ١٩٨٩م، ص ١٥٥.

وكان لكتابه (البلدان أحكامها وفتوحها) و (جل من أنساب الأشراف) أهمية كبيرة في فصول الأطلوحة ، فكتابه فتوح البلدان قدم معلومات مفيدة عن مدن الثور الحررية والشامية ، كيفية شأنها وأهم الإصلاحات التي قام بها الخلفاء العباسيون والولاة لتحصيل مدن الثور، وذكر البلاذري بعض العزوات التي توجه بها القادة العباسيون باتجاه الأراضي البيزنطية، أما كتابه أنساب الأشراف فقد قام بترجمة العديد من الشخصيات العباسية.

الطبري (محمد بن جرير) توفي ٢١٠ هـ / ٩٢٢م، ولد بأمل في طبرستان وتوفي في بغداد، تلقى دراسته في التاريخ والعق وتمعن القرآن ، وكان كتابه (تاريخ الرسل والملوك) من أهم مصادر التاريخ العربي الإسلامي، فقد عرض الطبري مواده الإخبارية عرض المصنف الملتزم لطرائق المحدثين من اعتماد السند والمتن، لقد أراد الطبري أن يورخ في كتابه للإسلام خلال قرونه الثلاثة الأولى، ولكن تلك غاية لم يصل إليها على الرغم مما بذله من جهود وما أودعه في كتابه من مواد إخبارية لا توجد في مصنف آخر، كما أنه اعتم بالطرف الشمالي من الخلافة وخاصة بغداد أكثر من اعتمامه بالطرف الغربي.^(١)

لقد كان كتاب الطبري رفيق البحث الرئيس فقد تم الاعتماد عليه في جميع فصول الأطلوحة، وذلك لعي المعلومات التي قدمها ولأهميتها، وعلى الرغم من أن الطبري في بعض الأحيان م يذكر تفاصيل العزوات، لكنه كان مهماً جداً للبحث.

المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسن بن علي ت ٣٤٦ هـ / ٩٨٥م): كان لكتابي للمسعودي (مروج الذهب ومعادن الجوهر) و(التبیه والإشراف) أهمية خاصة، فكتابه مروج الذهب قدم

^١ - ركلر (سهيل): مائة أوائل من ثرائنا ، دمشق، دار إحسان، ط٢، ١٩٨٢م، ص٨٦.

معلومات تاريخية قيمة عن العلاقات العباسية البيزنطية العسكرية، كما قدّم معلومات عن أهم الأعمال التي قام بها أبو العباس في تحصين الثغور، ولذلك كان الاعتماد على كتابه في الفصل الجغرافي بشكل كبير، كما تم الاستعانة به في الفصل الثالث في الحديث عن الأسرى والأفدية في الإسلام. فقد كان كتابه التبيين والإشراف من أهم المصادر التي تحدثت بشكل مفصل عن الأفدية في العصر العباسي.

ابن العديم (كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي حراة توفي ٥٦٠ هـ / ١٢٦٢م) وهو من أهالي حلب توفي في القاهرة، قدم كتابه (بحة الطلب في تاريخ حلب)، معلومات بالغة الأهمية عن جغرافية مدن الثغور الجبلية والشامية، والتغيرات التي أصابها وأهم الحملات التي قادها العباسيون من هذه الثغور ضد البيزنطيين.

كما قدم كتاب (العيون والحدائق في أخبار الحقائق من خلافة الوليد بن عبد الملك إلى خلافة المعتصم) الذي لم يذكر اسم مؤلفه، معلومات مهمة عن غزوات الخلفاء العباسيين، كما ذكر بعض أسماء الأباطرة البيزنطيين ومعلومات عنهم.

كتب الجغرافيين والرحالة العرب والمسلمون :

تم الاعتماد على كتب الجغرافيين بشكل كبير في البحث، فقد كانت هذه المصادر غنية بالمعلومات الجغرافية والاقتصادية التي أغنت الرسالة ومن أهم هذه الكتب:

ابن خردادبة (أبو القاسم عبيد الله بن أحمد) توفي ٥٢٨٠ هـ / ٨٩٣م، مؤرخ وجغرافي من أهل بغداد تولى البريد في عهد المعتز العباسي.^(١)

^١ - الزركلي (عمر الدين): الأعلام، بيروت، د.ت، ج ٤، ص ٣٤٢.

وتم الاعتماد على كتابه (المسالك والممالك) في العصلين الأول والرابع، فقد قدم معلومات وفيرة عن جغرافية مدن الثعور الجزرية والشامية، كما تم الاعتماد عليه في استنتاج الحياة الاقتصادية في مدن الثعور.

«صطحري (أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي) توفي ٨٣٤٦ هـ / ١٩٥٧ م، من أهم الجغرافيين، قدم معلومات مهمة عن جغرافية مدن الثعور والحياة الاقتصادية فيها.

ابن العقبه الحمدي (أبو بكر أحمد بن محمد) توفي ٨٣٦٦ هـ / ١٩٧٦ م ، فقد تم العثور على معظم الكتاب الأساسي ونشر ما عثر عليه ، وقدم كتابه (مختصر تاريخ البلدان) معلومات جغرافية جيدة وثبت الاستمادة منه في العصلين الأول والرابع .

ابن حوقل الصبي (أبو القاسم) توفي ٨٣٦٧ هـ / ١٩٧٧ م، كان لكتاباه (صورة الأرض) أهمية بالغة في التعريف بجغرافية الثعور ومكوناتها، كما قدم معلومات اقتصادية جيدة ، لذلك فقد تم الاعتماد عليه في العصلين الأول والرابع.

الحموي (أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله) توفي ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م، كان رومي الأصل بعددي الدار نال لقبه الحموي من الذي تملكه قبل تحريره.^(١)

وكان لكتاباه (معجم البلدان) فائدة كبيرة في فصول الرسالة ، فقد كان العمود الرئيس للبحث في التعريف بالمدن والأماكن في مدن الثعور وبعض المدن البيزنطية.

أما كتابه الثاني (المختل والبال بين الدور والدارات والديرة) فقد تم الاعتماد عليه بشكل بسيط في العصل الرابع عند الحديث عن الصاري .

^١ - صباغ (بلي): مهجة البحث التاريخي، دمشق، منشورات جامعة دمشق، ١٩٩٣ م، ص ١٣٧.

ابن شداد (عمر الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم بن شداد) من مواليد حلب وتوفي في القاهرة ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م، من أهم المؤرخين وكان لكتابه (الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة) أهمية كبيرة، خاصة وأن ابن شداد قد تحدث بشكل مفصل عن مدد الثغور، كما ذكر غزوات العرب المسلمين في كل عام .

كتب الأنساب:

قدمت كتب الأنساب معلومات مفيدة عن نسب القبائل العربية، ولم نعود وأما في وجودها ونقلها، مثل (جمهرة النسب) لابن الكلبي (هشام أبو النضر بن محمد بن السائب) المتوفى ٢٠٤هـ / ٨١٩م، وكتاب القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي بن محمد بن عبد الله) المتوفى ٨٢١هـ / ١٣٩٩م (نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب)، فقد اعتمد على هذه الكتب في التعريف بالشخصيات التي وردت في الرسالة .

الكتب الأرمنية والسريانية المخرية :

كان لا بد من العودة للمصادر والمراجع السريانية والأرمنية لما قدمته من معلومات مهمة عن موضوع البحث، ومن أهم هذه الكتب (تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير) لميخائيل السرياني، الذي قدم معلومات مفيدة عن الأباطرة البيزنطيين وعلاقاتهم مع الخلفاء العباسيين، وأعطى معلومات جيدة عن المسيحيين في تلك المناطق وأهم الإجراءات التي اتخذت بحقهم.

(تاريخ الرمان) لابن العبري (أبو الفرج جمال الدين) المتوفى ٦٨٥هـ / ١٢٨٧م، الذي قدم معلومات مفيدة أيضاً عن أوضاع الثغور وأحوال أهلها، وأوضاع بيزنطة، بالإضافة إلى كتابه

(تاريخ مختصر الدول) الذي أضاف معلومات جيدة أيضاً. (تاريخ الرهاوي المجهول) للرهاوي المجهول ،الذي تحدث عن أوضاع ييزنطة وعن العلاقات بينها وبين بعض الخلفاء العباسيين، ونحث أيضاً عن الأحوال العامة في تلك المناطق.

(الروقي بلحول) لديسيوس التلمحري، وقدم هذا الكتاب معلومات معيدة عن عدد من المدن مثل مدينة كمخ وكمية نقل السكان إليها.

كما تم الاعتماد على عدد من الكتب الأرمية المعربة والتي أسهمت في إيصال كثير من الأمور عن أرميا وعن علاقتها مع الدولة العباسية ويزنطة، ومن هذه الكتب: كتاب ديرغيمونيان (آرام) (الإمارات العربية في أرميا البقراذوية)، الذي قدم معلومات عن استيطان العرب في أرميا.

جيباشيان (ماتويل) (علاقات الكنيسة بالدولة الأرمية في حقبة الهيمنة العربية). وغيرها من الكتب الأخرى .

الكتب الأجنبية المعربة:

كان للكتب المعربة أهمية كبيرة في هذا البحث ومن أهم هذه الكتب: (العرب والروم) لعارييل ، كان هذا الكتاب من الكتب للهمة ،فقد قدم معلومات معيدة عن حملات الخليفة المأمون والمتصم ، كما قدم معلومات قيمة عن ثورة توماس الصقلي، وعن البيلاقة ،مراطقة والتجائهم للعرب المسلمين وتحالفهم معهم ضد الأباطرة البيزنطيين (الإمبراطورية البيزنطية) لير (نورمان) ، و(الإمبراطورية البيزنطية) لأومان.

- كما تمت العودة إلى العديد من المراجع العربية والمعرية والتي تخص موضوع هذا البحث مثل ربيع (حسين محمد): دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية.
- عبد الله (وديع فتحي): العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامي ١٢٤ هـ / ٧٤١-٨٢٠ م.
- عثمان (فتحي): الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري . العربي (السيد الباز): الدولة البيزنطية ٣٢٣-١٠٨١ م.
- لستريج (غي): بلدان الخلافة الشرقية .
- رستم (أسد): الروم في سياستهم وحضارتهم وديهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب .
- الختروزي (علي عبد السميع): الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية في العصور الوسطى .
- ماجد (عبد المنعم): العصر العباسي الأول.
- لانجر (وليام): موسوعة تاريخ العالم.
- مصطفى (شاكر): في التاريخ العباسي.
- غيم (اسميت): الإمبراطورية البيزنطية وكرمت الإسلامية.
- ساليغاس (رينشارد): وروثة الإمبراطورية الرومانية.
- العشر (يوسف): تاريخ عصر الخلافة العباسية .

الفصل الأول :

الثعور الإسلامية والقيمات (البود) البيزطية نشأتها، جغرافيتها.

أولاً. الثعور الإسلامية دواعي قيامها، نشأتها، جغرافيتها ، تنظيمها.

أ- تقسيم الثعور الإسلامية حسب الجغرافيين العرب.

ب- الثعور الشامية :

١- طرسوس.

٢- المصيصة.

٣- أذنة.

٤- عين زربة.

٥- الحاروبية.

٦- الكنيسة السوداء.

ج- الثعور الجزرية:

١- مرعش.

٢- الحداث.

٣- ملطية.

٤- زبطرة.

٥- سمساط.

٦- كيسوم.

٧- حصص مصور

٨- كمح.

د- العواصم تعريفا ، مهتها ، مدتها.

١- مسيح .

٢- أطاكية.

٣- دلوك.

٤- رعبان.

٥- تيزين.

٦- قورس.

هـ . - الصوائف و الشواقي.

و- الطرق والدروب التي سلكها المسلمون في غزواتهم.

ثانياً: التيمات (البود) البيزنطية.

أ- نشوء التيم (البند) وتنظيمه.

ب- التيمات البيزنطية في العصر العباسي.

١- تيم (بند) الأرمياق.

٢- تيم (بند) الأمانوليك.

٣- تيم (بند) الأبيق.

٤- الثمر البحري كيريوت.

ح - التيمات (البود) البيزطية التي توجه منها البيزطيون نحو الأراضي العربية الإسلامية

١- خالديا.

٢- كولونيا.

٣- خرسيون (عرشة).

٤- كبادوكيا (كبادوكيا الصغرى).

٥- سلوقية.

د- التيمات (البود) البيزطية من خلال كتابات الجغرافيين العرب.

الفصل الأول:

الثغور الإسلامية والثيرمات البيزنطية، نشأتها وجغرافيتها:

مد أن بدأ المسلمون يتوسعون في فتوحاتهم على حساب الممتلكات البيزنطية، ويعملون على نشر دينهم الإسلامي بدأت مرحلة عدائية بين الطرفين العربي المسلم والبيزنطي وأحدث هذه العدائية أشكال الصراع السياسي والعسكري والاقتصادي وغير ذلك. وما كان لزاماً على كلا الطرفين العربي المسلم والبيزنطي العمل على تأمين حدود ما وصلت إليه دولته وحماية أراضيها، خاصة وأن الحدود كانت متصلة بين الدولتين عبر سلسلة جبال طوروس، ولذا اعتم كلا الطرفين بإنشاء الحصون والقلاع العسكرية والعمل على إمدادها بالجنود والمراطين والسلاح، ومن هنا نشأت الثغور والثيرمات.

أولاً: الثغور الإسلامية، دواعي قيامها، نشأتها، جغرافيتها، تنظيمها:

كانت العلاقة بين العرب المسلمين والبيزنطيين علاقة حرب دائمة، لكنها لم تمنع من التعاون والتعاظم في بعض الأحيان، فطبيعة العلاقة بينهما فرضت على كل من الدولتين أحياناً العمل على روال الأخرى، والسيطرة على ممتلكاتها.

ولذلك نظمت كل من الدولة العربية الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية الثغور والمعاصم والبيود، وقامت العداوات والحروب بين الطرفين بشكل مستمر، يتخلل ذلك كله تبادل السفارات والتجارات وتبادل الأسرى أو اختلاؤهم وانتقال الثقافات وتبادلها بين الطرفين.^(١)

^١ - رنسان (سيف): الحضارة البيزنطية، ترجمه عبد العزيز شوقي جابري، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢، ١٩٩٧ م، ص ٥٤.

ومما لا شك فيه أن هدف للمسلمين الدائم والمستمر، كان يكمن في القضاء على العدو المتربص بهم و هذا العدو هو (الدولة البيزنطية)، خاصة وأن الدولة البيزنطية كانت تحاور دولة المسلمين في حدودهم، ولهذا حرص المسلمون على تأمين حدودهم والعمل على جعل هذه الحدود بمنزلة مفتاح الأمان للدولة من الداخل، ومن هنا عمل المسلمون على تطوير نظام عسكري دقيق في مناطق حدودهم مع البيزنطيين عرف هذا النظام بنظام النحور والرباطات، وكان هذا النظام الإداري العسكري له أثر كبير في حماية دولة المسلمين من هجمات الدولة البيزنطية، كما أن دفع الجهاد في سبيل الله كان له الأثر الأكبر أيضاً في توجيه جل اهتمام المسلمين إلى شس الغزوات ضد بلاد الروم، فكانوا كثيراً ما يرددون في أحاديثهم أثناء هجومهم على الدولة البيزنطية "ما لنا تجارة و لا عمل غير الجهاد في أعداء الله"^(٢٢). ولذا تعددت الغزوات ضد بلاد الروم البيزنطيين .

م يكثر المسلمون مواقع نهورهم عن عيث، ولكن كانت لديهم خبرة وغاية في اختيارهم هذه المواقع، مما يدل على ما يمتلكه المسلمون من بعد إستراتيجي وحرري، فقد كان المسلمون يعتمدون إلى إقامة هذه الحصون والقلاع على أبواب الطرق، ولشكون متحركة في أماكن اقتراب العدو، مع مراعاة عدم اقترابها من البحار وأن تكون أقرب إلى البر (كأنهم يحسون القتال في البر أكثر من البحر)، وأن تكون هذه القلاع والمدن والحصون محصنة بموانع طبيعية وصناعية، كثبات

الجزيري (علبة عبد السميع): الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية في العصور الوسطى،

القاهرة، مكتبة الأجلو المصرية، ١٩٧٩م، ص ٢٢.

الدخار ومعطيات الخبال وبالختادق، وذلك لكي تضمن لمواقعهم المنة والحصانة، وهذا ما سيلاحظ في مدن الثعور.^(١)

فما هو الثعر؟ وما تعريفه؟

الظفر: الثعر والثعرة، بالفتح ثم السكون، وراء، كل فرجة في جبل أو بطن أو واد أو طريق مسلوكة. والثعر كل حوية منقحة أو عورة، والثعر الثلمة، والثعر: ما يلي دار الحرب، وهو موضع المخافة من فروج البلدان، وقيل بأن الثعر هو الموضع الذي يكون حداً فاصلاً بين بلاد المسلمين والكفار، وهو موضع المخافة من أطراف البلاد.^(٢) فهو كل موضع قرب من أرض العدو، وسمي ثعراً من ثعرة الخائف أي المرحبة، لأنه يحتاج أن يحفظ لئلا يأتي العدو منه.^(٣)

والرباط اصطلاح اشتق من المراقبة لحماية الشواطئ فالرباطات في البداية كانت بحرية، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالحدود، إلا أن الرباط ليس مجرد بناء عسكري للحيش، ولكنه مؤسسة

- عثمان (فتحي): الحدود الإسلامية البيرونية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، القاهرة، دار الكتاب العربي، د.ت، ج ١، ص ٣٥٧، أحمد (علي): اتصال الرباط والثعرة في التاريخ العربي الإسلامي، (مجلة دراسات تاريخية)، العدد ٧٣-٧٤، دمشق، منشورات مجلة دراسات تاريخية، ٢٠٠١م، ص ١١٣-١١٤، الحارثي: الثعور البرية الإسلامية، ص ٢٩.

^١ - ابن منظور (عبد الله العلامي): لسان العرب، إعداد وتصيف: يوسف عياط، مدم مرعشي، بيروت، دار لسان العرب، د.ت، ج ١، ص ٣٩٠.

^٢ الحسوي (بافوت بن عبد الله الروسي ت ٨٩٢٦ هـ / ١٢٢٩ م): معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ج ٢، ص ١٢٨، ابن عبد الحق البغدادي (صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ت ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨ م) مرصد لاضلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تص: علي محمد البجلوي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٤م، ج ١، ص ٢٩٧، دائرة المعارف الإسلامية، مادة الثعر، مج ٩، ص ٢٠٣-٢٠٤.

دينية للرهاد والمجاهدين الذين بذروا أنفسهم للجهاد في سبيل الله ضد الكفار، فالرباط التزام بين الحياة العسكرية وتذكير بكتب الشريعة الإسلامية .

والرباط اسم لموضع رباط الخيل وملازمة أصحابها الثغر، لخصته من عدو الإسلام، ويقار للشخص الفاعل ذلك مرابط، وأصبحت الرباطات مراكز لخلق فرص جديدة للمجاهدين والمربطين، لإعادة تنقية الحالة الذهنية من خلال التلاوات القرآنية وحياة التقشف، والممارسات التي فرضها الإسلام ، وأول المربطين العلماء الذين آثروا العزلة من مدد السلطة مثل الأوراعي^(١) الذي توجه إلى مدن الثغور طالباً الهدوء والوحدة.^(٢)

- الإمام لأوراعي: هو هو عبد الرحمن بن عمرو الوراعي الفقيه والشرع ، ولد في بعلبك ٥٨٩ هـ / ٧٠٧ م وتوفي في بيروت في عام ١١٥٨ هـ / ٧٧٤ م اشتهر الإمام الأوراعي بالعلم والرهدة وغير بالمرأة لأدبية، كتب عارض الإمام الأوراعي الإمام مالك ولما حنيفة واستكر ما لقراء من تدابير صارمة بحق للشركيز أهل الذمة) حسب رأيهم من قطع أشجارهم وهدم كنائسهم وتحريم بيعهم، أعجب بأفكاره الخليفة المنصور ، بن حنك (أبو الميمس أحمد بن محمد بن أبي بكر ت ٩٨١ هـ / ١٢٨٢ م). وفيات الأعيان وأنباء أبناء هذ الرمان، نج، رحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٧١ م، ج ١، ص ٤٩٣، حتى (فليب): تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، تر، كمال البارجي، إشراف، جبرائيل جبور ، بيروت ، مؤسسة فرانكلين، ١٩٥٩ م ، ص ١٨٣. كهر (كلود) . تاريخ العرب والشعوب الإسلامية مد ظهور الإسلام حتى بداية الإمبراطورية العثمانية، تر، بدر الدين القاسم ، بيروت، دار الحقيقة للطباعة والنشر ، ط ١٩٧٧ م، ص ٦٧.

- ' من تأثير (عز الدين أبو الحسن علي بن محمد ٩٣٠ هـ / ١٢٣٢ م): الباب في تحديق الأسباب، القاهرة، مكتبة نفديسي، ١٣٥٧ هـ ، ص ٤٥٧. الفلفشدي (أحمد بن علي ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) صبح لأعشى في صناعة لإنشاء، نج، محمد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، د ت، ج ٦، ص ٢٧، الرعي (أنور) لإسلام في حصارته ومنظمة الإدارية و السياسية والأدبية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والمية، دمشق، دار الفكر، ١٩٧٣ م، ص ٤٢١ - ٤٢٢.

Lorenzo Padilla, El Ribat institucion ، ص ٤٢١ - ٤٢٢ ، Carmen, Martinez Salvador, 2006, p2-3-8-9, spiritually military, Madrid, 1993, p5-12-23. El Ribat En El mediterraneo Occidenta

وعلى هذا النحو عرّف العرب والروم الثعور والرباطات بأنها منطقة الحصون التي ببيت على تخوم الشام والجزيرة، وذلك لصدّ غزوات الروم البيزنطيين عنها.

أ- تقسيم الثعور الإسلامية حسب الجغرافيين العرب:

اهتمّ العرب المسلمون بالثعور الإسلامية وتمدّتها وقلاعها وحصونها وعملوا على جعلها مبعثاً قوياً في وجه المعتدين، وقسموا هذه الثعور إلى قسمين: القسم الأوّل يضمّ الثعور الشامية، والقسم الثاني يضمّ الثعور الحمرية، وهذا يظهر الخلاف بين الجغرافيين حول تقسيم هذه الثعور، فالجغرافيون الأوائل رفضوا تقسيم الثعور على هذا النحو، أي ثعور شامية وثعور جزرية بمعنى أن الثعور الشامية تعود إلى بلاد الشام والثعور الحمرية تتبع إقليم الجزيرة (أقور) وأكدوا بأنها تعود إلى الشام.

" قد جمعت الثعور إلى الشام، و بعض الثعور تعرف بثعور الشام، و بعضها يعرف بثعور الجزيرة، وكلاهما من الشام، وذلك أن كل ما وراء الفرات من الشام، و إنما سمي من ملطبة إلى مرعش ثعور الجزيرة، لأن أهل الجزيرة بما يرباطون و بما يحزون لا لأنها من الجزيرة ^(١)."

- بن حمد دودة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ٥٢٨٠ هـ / ٩٨٢ م): المسالك والممالك، بلبه بدة من كتاب مخرج وصحة بكاء لأبي المرح هداسة بن جعفر الكاتب البغدادي، بلبدة، مطبعة بريل، ١٨٨٩ م، ص ٥٥، الإصطخري (أبو إسحق إبراهيم بن محمد العلوي ت ٥٢٤٠ هـ / ٩٥١ م): مسالك الممالك، تنج، محمد جابر عبيد الله، حبي، مرجعة، محمد شبيب عربال، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، ١٩٦١ م، ص ٤٣، بن حوقل (أبو القاسم بن حوقل النصيبي ت ٥٢٦٧ هـ / ٩٧٧ م): صورة الأرض، بلبدة، مطبعة بريل، ص ١٦٨.

وكان الحد الفاصل بين الثعور الشامية والثعور الجزرية، هو جبل اللكام، و اللكام جبل داخل بلاد الروم ما يقارب مئتي فرسخ، ويظهر في بلاد الشام بين مرعش والمارونية وعين ربة، ويسمى اللكام ويشرف على أنطاكية والمصيصة و طرسوس.^(١)

والثعور الشامية هي طرسوس، المصيصة، أذنة، عين ربي، المارونية، الكنيسة السوداء، و الثعور الجزرية كانت مرعش، ملطية، ربطرة، المحدث، مسمياط، كيسوم، مسج و غيرها من الحصون. وبالمحصلة كانت هذه الثعور تتركز على أرض الجزيرة من جهة و أرض الشام من جهة أخرى، بالإضافة إلى أنها كانت تتصل بأرمينية من جهة أخرى، و لكن كانت الشام و الجزيرة مثالان مع بعضهما وحدة جغرافية و تاريخية تتمم بعضهما بعضاً، وذلك من حيث ارتباط حصونهما ببعضهما البعض، وتعرضهما لعارات البيزنطيين، وتحملهما مسؤولية الدفاع عن حدود الدولة العربية الإسلامية، وهذه الثعور كانت تشكل قاعدة للحملات العسكرية على بلاد الروم، وعلى الرغم من ذلك فقد كان لكلّ منها مهمة خاصة، فالثعور الجزرية هي ثعور دفاعية مهمتها غالباً

- ابن خردادبة المسالك والممالك، ص ٥٥، الإصحاحي: مسالك الممالك، ص ١٢، ابن حوقل صورة لأرض، ص ١٦٨، ابن العنقبة المسداني (أبو بكر أحمد بن محمد ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م): مختصر كتاب اليفدان، بدون مطبعة برين، ١٣٠٢ هـ، ص ٢٥، ابن عبد الحق اليفدادي: مرآة الاطلاع، ج ٣، ص ١٢٠٧، الحميري (محمد بن عبد معمر ب. ٨٢٠ هـ / ١٤١٧ م): الروص للعطار في غير الأقطار، تج: إحسان عباس، بيروت، دار السراج، مؤسسه ناصر للثقافة، ط ٢، ١٩٨٠ م، ص ٥١٠، يذكر ابن حوقل وصف جبل اللكام ابن حوقل : صورة الأرض ص ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠.

ما كانت تقتصر على حماية الحدود الإسلامية، أما الثغور الشامية فهجومية إذ كانت مهمتها
محموم على أراضي الدولة البيزنطية.^(١)

اهتم المسلمون بحد الثغور منذ عصر الخلفاء الراشدين، و تطور هذا الاعتماد في عصر خلفاء بني
أمية إلى أن وصل عدد المدن المحصنة والحصون التي عمل الخلفاء الأمويون على بنائها وتحصينها
ما يقارب الأربع عشرة مدينة وحصناً.^(٢)

وعندما تسلم العباسيون سلطة الخلافة الإسلامية ساروا على خطا الخلفاء الأمويين في الدفاع عن
حدود دولتهم، إلا أن السياسة العباسية تجاه بيزنطة تحيرت إلى حد ما، فقد اشغل المسلمون
بالأوضاع الداخلية المضطربة نتيجة سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية الناشئة، وما تبع
هذا من نقل للعاصمة إلى بغداد بدلاً من دمشق بعيداً عن الحدود البيزنطية، فعندما كانت دمشق
عاصمة للخلافة كانت بيزنطة تشكو وبشكل دائم من هجمات المسلمين على أراضيها، أما الآن
فقد تغير الوضع، فالدولة العباسية اتبعت سياسة الدفاع عن أراضيها، بينما عادت بيزنطة إلى
سياسة المحوم، ولكن هذا الوضع لم يستمر طويلاً، فبعد أن انتظمت أمور الدولة العباسية
سياسياً، عادت من جديد إلى المحوم على بيزنطة واسترداد ما أخذ منها، ولذلك اتخذ الصراع
العباسي البيزنطي طابعاً ديباً دفاعياً، فقد كان هدف العباسيين الأساسي هو الجهاد في سبيل الله

^١ عثمان الحدود الإسلامية البيزنطية، ج ١ ص ٣٦٦، الجغرافيا للثغور البرية الإسلامية، ص ٢٤

^٢ عثمان الحدود الإسلامية البيزنطية ج ١ ص ٣٧٢، الجغرافيا للثغور البرية الإسلامية، ص ١٧٧، شعبان
(محمد عبد الحفي محمد): صدر الإسلام والدولة الأموية (٦٠٠ - ٧٥٠ م)، ١٣٢ هـ، ص ٥٠، الأهلية للنشر
والطبع، ص ٥، ص ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٦.

والدفاع عن حدود دولتهم من هجمات البيزنطيين، ولهذا عمل الخلفاء العباسيون على إحاطة حدود دولتهم بسلسلة من القلاع والتحصينات، ولذلك أعطوا الثغور اهتماماً خاصاً، وأولوها عناية فائقة.^(١)

وهنا سيتم الحديث عن مدن الثغور الشامية والحزيرية كلّ على حده مع التطرق إلى شأنها الأولى، وكيفية اهتمام الخلفاء العباسيين بهذه المدن، وستكون البداية مع الثغور الشامية.

ب- الثغور الشامية:

١- **طرسوس:** من أهمّ مدن الثغور الشامية، وهي مدينة قديمة ذهبت المصادر القديمة إلى أنّها سميت نسبة إلى طرسوس حفيد سام بن نوح.^(٢)

- عمران (محمود سعيد): معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية (مدخل لدراسة التاريخ السياسي والحربي)، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨١م، ص ١٠٤، سبيو (ل.أ.) تاريخ العرب العام، إمبراطورية العرب (حضارتهم، مدارسهم الفلسفية والعلمية والأدبية، ثر، عادل رعيتر، القاهرة، دار عيسى البابي الحلبي، ٢٠٠٢م، ١٩٦٩م، ص ١٨٩، سالم (عبد المروى). دراسات في تاريخ العرب (المصر العباسي الأول)، الإسكندرية، ١٩٧٧م، ج ٢، ص ٢١٤.

١- ابن النعمان (كمال الدين عمر بن أبي جردة ٨٦٠ هـ / ١٢٦٢م): بغية الطلب في تاريخ حلب، نج، سهيل زكاره، بيروت، دار الفكر، ٥٠٠، ج ١، ص ١٧٧، ابن شداد (عمر الدين محمد بن علي بن إبراهيم ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥م): الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، نج، يحيى زكريا عياره، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩١م، ج ١، ق ٢، ص ١٥٢.

وكانت تسمى قديماً تارسين، ثم عريت إلى طرسوس.^(١)

وطرسوس: مدينة ذات قيمة دينية، فيها قبور عشرة من الأنبياء (لم يتم ذكر أسمائهم في المصادر التي نمت العودة إليها) وفيها أيضاً قبر داكوس ملك أصحاب الكهف.^(٢)
ولها أهمية دينية كبيرة لدى المسيحيين، كونها مسقط رأس القديس بولس.^(٣)
وصفها ابن حوقل بقوله "أما مدينة طرسوس، فكانت للمدينة المشهورة المستعوى بشهرتها عن تحديثها".^(٤)

وكان يعصلها عن بلاد الروم جبل اللكام الذي شكل الحاجز الطبيعي بينها وبين الأراضي البيزنطية.^(٥)

كان لمدينة طرسوس سوران وحندق واسع وعليها ستة أبواب، وكان ينفرد بها نهر اليردان.^{(٦) (٧)}

^١ - ابن العديم: بنية الطلب، ج ١، ص ١٧٧.

^٢ - ابن لشحة (أبو الفضل محمد بن الشحة): الدرر المنتصب في تاريخ مملكة حلب، تقديم: عبد الله محمد الدرويش، دمشق، دار الكتاب العربي عالم التراث، ١٩٨٤ م، ص ٩٩-١٠٠.

^٣ - المجتوري: الثغور البرية الإسلامية، ص ٣٠.

^٤ - ابن حوقل: صورة الأرض، ص ١٨٢.

^٥ - ابن خردادبة: المسالك والممالك، ص ٦٤، الإصطخري: مسالك الممالك، ص ٤٧، ابن حوقل: صورة لأرض، ص ١٨٢.

^٦ - ابن برداد: يطلق عليه أيضاً الغضبان وويهم بطرسوس، ابن القتيبة الممداني: مختصر كتاب البلدان، ص ١١٦.

^٧ - ابن العديم: بنية الطلب، ج ١، ص ١٧٧، ابن شداد: الأعلام الخطيرة، ج ١، ق ٢، ص ٥٢.

لكن هذه المدينة كانت قد خربت على أيدي العرب المسلمين في أثناء فتوحاتهم في صدر الإسلام، وبقيت على حالها هذه إلى زمن الخليفة المهدي الذي أمر ببنائها وعمارتها بعد أن أحرقه قائدده الحسن بن قحطبة^(١) عن أهمية موقع هذه المدينة، وكيف حالها من حراب ودمار، وأشار الحسن على الخليفة المهدي ببنائها وتحصينها لأهميتها، وبالفعل أمر الخليفة المهدي ببناء المدينة وتحصينها.^(٢)

ويبدو أن الخليفة المهدي قد أمر بإزالة الخبوء فيها وتحسين أوصاعهم، وكان ذلك في العام ١٦٢ هـ / ٧٧٨ م، و بقي حال طرسوس على هذا النحو إلى زمن الخليفة هارون الرشيد الذي أمر بتحديد عمارة طرسوس وتحصينها، وكان المكلف بهذه المهمة أبو سليم فرج الخادم التركي، والذي بدأ ببنائها في عام ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م، وقام أبو سليم ببناء سبعة وثلاثين برجاً مستديرة ومربعة، وعلى كل برج عشرون شرفة، وبين كل برجين ست وخمسون شرفة، وكان عرض

- الحسن بن قحطبة. من أهم وأقوى القادة الممكرين في العصر العباسي الأول، تسلم صاحب متعددة من المباسين الخلفاء الأوائل، وكان للحسن أثر كبير في حروب المباسين ضد البيزنطيين ولكرة انتصاراته وقوته أطلق عليه الروم البيزنطيون (الشمس)، الرركلي (بحر النسيم): الأعلام، بيروت، دار العلم، ط ٤، ١٩٧٩ م، ج ٢، ص ٢١٩.

^١ انيلادري (أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م): فتوح البلدان، نج، رصوان محمد رصوان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣ م، ص ١٧٣. ابن شداد: الأعلام، الخطيرة، ج ١، ق ٢، ص ١٥٤.

الشرفة درعين ونصف في ارتفاع مماثل، و زيادة في تحصيها ومنعتها قام ببناء فصيل^(١) واسع ومرتفع السمك حول سورها، وخلف الفصيل خندق عريض وعميق ميني بالصخر من أعلاه إلى أسفله، وهكذا كان للمدينة سوران، وكان لهذه الأسوار خمسة وعشرون باباً، خمسة منها مفتوحة مسلوكة، وبقي الأبواب مسدودة، وأبواب السور المحيط بها حديد ملبس، أما أبواب السور المتصل بالخندق فهي حديد مصمت، وكان لهذه الأبواب للمفتوحة أسماء، وهي باب الجهاد وهو الباب الذي يخرج منه المرح الذي يحسرك فيه الأمراء، و باب الصمصاف وبين هذين البابين يدخل النهر (نهر الأردن) وعلى مدخله شباك حديد، و باب الشام ومنه يدخل رفاق أذنة والمصبغة والشام، و باب البحر وعنده مخرج النهر ومصبه في البحر وعليه أيضاً شباك حديد، و باب يعرف بالباب المسدود، ولم يفتح قط أما الباب الخامس فهو باب قلمية، وعلى نهر المدينة قطرتان عظيمتان، وبعد الانتهاء من تنظيم المدينة تم بناء مسجدها.^(٢)

- الفصبي. حافظ قصر دون سور المدينة والحصن الجوهري (عبد الله الملايلي) الصحاح في اللغة والعلوم، إعداد ونصيف بدم مرعشلي، أسامة مرعشلي، بيروت، دار الحضارة العربية، ١٩٧٤م، ج ٢، ص ٢٢٢

^١ - بلادري. فوج البلدان، ص ١٧٤، ابن الفقيه المسداني: مختصر كتاب البلدان، ص ١١٣، بطرسوسي (عثمان بن عبد الله إبراهيم). سير الثعور، مأخوذ من كتاب (شذرات من كتب مفقودة) استخرجها وحققها حسام عباس، بيروت، دار العرب الإسلامي، ١٩٨٨م، ص ٤٥٠، ابن العديم: بحية الطلب، ج ١، ص ١٧٧

١٧٨، بن شداد: الأعلام الخطيرة، ج ١، ص ٢، ابن الشحنة: الدر المنجى في تاريخ مملكة حلب، ص ١٨٤، الحميري: الروض المطار، ص ٢٨٨.

بعد أن انتهى أبو سليم من بناء طرسوس، أنزل الخليفة الرشيد فيها قوات إصافية من الحدود والمربطين، وأقطعهم الأراضي، وراى في أعطيائهم، ليشرحهم على البقاء فيها وكان ذلك في العام ١٧٢ هـ / ٧٨٨ م.^(١)

و بما أن مدن الثعور بوضعها مدناً حدودية على خط التماس المباشر مع العدو، فإن تبعيتها لم تكن دائماً بيد المسلمين، بل كانت تتقاذف تبعيتها الدولتان العربية الإسلامية و البيزنطية كلما رجحت كفة إحداهما، وهذا ما سلاحظ في غالبية مدن الثعور، وهو ما حدث في طرسوس، فبعد هارون الرشيد تمكن الروم البيزنطيون من السيطرة على طرسوس إلى زمن الخليفة المأمون الذي أمر بإعادة إعمار طرسوس و تحصيها و بناء ما تخدم من سورها وأبيتها و قرىها وشحها بالعناد والمقاتلين، وهذا ما يؤكد ابن حوقل " استحدثها المأمون بن الرشيد ومدنها، وجس عليها سورين من حجارة، وكانت تشتمل من الخيل والرجال والعدة والعناد والكرارح والسلاح والعمارة والخصب والعلات والأموال و السعة في جميع الأحوال على حال لم يتصل بمثله ثمر من ثعور المسلمين".^(٢)

ويلاحظ بأن اهتمام الخليفة المأمون بطرسوس كان بالغ الأهمية حتى وضعها ابن حوقل مثل هذا الوصف.

١- أنيلادري فتوح البلدان، ص ١٧٤، ابن شداد: الأعلام الخطيرة، ج ١، ق ٢، ص ١٥٦، الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٨-٢٩.

٢- ابن حوقل: صورة الأرض، ص ١٨٣، ابن العديم: نية الطلب، ج ١، ص ١٨٤.

٢- المصبصة: كان يطلق عليها بالرومية مايسستيا، وهي بالقرب من أنطاكية وكان يطلق عليها بعدد الصغيرة، لأنها كانت على حيايى نهر جيحان وكان فيها فرسان شجعان وأقوياء، فشبهوها ببغداد.^(١)

والمصبصة شقان أو مدينتان بينهما نهر جيحان^(٢)، الأولى المصبصة على الشق الغربي للنهر، وكمرها على الشق الشرقي للنهر، ويصل بين المدينتين قنطرة من الحجارة الصخمة.^(٣) اهتم الخلفاء الأمويون بهذه المدينة، وعمرها عبد الله بن عبد الملك بن مروان، وكانت عبارة عن حصن، ولم تكن مدينة بالمعنى الكامل، فاهتم بها وأمر ببناءها وتزويدها بالقاتلين والجنود.^(٤) أما أول من اهتم بها من الخلفاء العباسيين، فقد كان الخليفة أبو جعفر المصور بالله الذي أمر ببناءها وتحصينها.^(٥)

فقد كانت المصبصة قد تعرضت لزلزال في العام ١٢٩ هـ/ ٧٥٦م، أدى إلى هدم المدينة وخربها بما دفع بأهل المدينة إلى الرحيل، لذلك أمر الخليفة أبو جعفر المصور بالله بعمارها وبناء

^١ - ابن النديم: نزهة الطلب، ج ١، ص ١٥٥، الحميري: الروض للمعطر، ص ٥٥٤.

^٢ - نهر جيحان. نهر عظيم متصل به أنهار كثيرة، يخرج من بلاد الروم وينتهي إلى المصبصة، ونهر النهر بمدن كثيرة، من النديم. نزهة الطلب، ج ١، ص ٢٧٢، الألبهري (شهاب الدين أحمد الأشبهري) المستطرف من كل من مستطرف، دمشق، دار كرم، د.ت، ص ١٦٤.

^٣ - ابن مردددة: الممالك و الممالك، ص ٦٣، الإصطخري: ممالك الممالك، ص ٤٧.

^٤ - البلاذري: فتوح البلدان، ص ١١٩، ابن الفقيه المسداني: مختصر كتاب البلدان، ص ١١٢.

^٥ - البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٩٩، البقوي (أحمد بن يعقوب بن جعفر المعروف بالواضح ت ٢٨٤ هـ/ ٨٩٧م) : البلدان، العراق، المكتبة المرتضوية، ١٩١٨م، ص ١١٩.

سورها وتحصيتها، وبني فيها مسجداً في موضع هيكَل قَلَم كان بالمدينة، واهتم الخليفة المهدي
 بشعر المصبصة، فقد تم في رَمِه إعادة تحصين المدينة وتقويتها وزيادة أعداد المرباطين فيها^(١)
 وفي رَمِ الخليفة للأُمون أمر بإسكان الناس في المدينة، وإقطاعهم الأراضي ليستوطنوا بها،
 ورا د في بناء المسجد، وأطلق عليها اسم المحمورة.^(٢)

أما كُفْرِيَا فهي الشق الثاني من المصبصة وكانت على الضفة الشرقية لنهر جيحان، وهذالك
 خلاف بين المؤرخين حول أول من أمر ببناء كُفْرِيَا من الخلفاء العباسيين، فبعضهم يذكر بأن
 الخليفة هارون الرشيد هو من بني كُفْرِيَا، وبعضهم الآخر يسيبها إلى الخليفة المهدي، والأرجح
 بأن الخليفة المهدي كان قد أمر بالمعل ببناء مدينة كُفْرِيَا، وعندما تسلم الخليفة هارون الرشيد
 عرش الخلافة ونظراً لاهتمامه الزائد بالمدن الحدودية وعمله الدائم على تحصيتها، أمر بإعادة
 تحصين المدينة، وذلك عن طريق حندق يحيط بها، كما أمر الخليفة للأُمون ببناء سور للمدينة
 لزيادة حمايتها، لكن المشروع لم يكتمل إلا في عهد الخليفة المعتصم بالله، وعلى هذا النحو فإن
 الخلفاء العباسيين اشتهروا جميعاً في تأسيس هذه المدينة.^(٣)

^١ - البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٧٢.

^٢ - البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٧١-١٧٢، يعقوبي: البلدان، ص ١١٩، ابن المقبة الممداني: مختصر كتاب
 الهند، ص ١١٢-١١٣، ابن المديم: بنية الطلب، ج ١، ص ١٥٩، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج ١، ق ٢،
 ص ١٤٥، ابن الشحنة: الدر المنصب في تاريخ مملكة حلب، ص ١٧٩، الحميري: الروح المعطر، ص ٥٥٤.

^٣ - البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٧١، يعقوبي: البلدان، ص ١١٩، ابن المقبة الممداني: مختصر كتاب بلاد،
 ص ١١٢، ابن المديم: بنية الطلب، ج ١، ص ١٥٩-١٦٠، ابن الشحنة: الدر المنصب في تاريخ مملكة
 حلب، ص ١٧٩.

والسبب الذي دفع الخليفة الرشيد للاهتمام ببناء وتحصين كفرنبا هو ازدياد أعداد السكان في المصبصة من مرابطين وجود وسكان أصليين، لذلك قرر الرشيد بناء مدينة على الصفة الثانية ليهرب جيرانه تكون مكاناً لإسكان هذه الأعداد المتزايدة من السكان، كما أن المدينة ستكون عوناً للمصبصة في مساندتها أثناء الحملات على الأراضي البيزنطية.^(١)

٣- أذنة (أضنة الآن في تركيا): وهي مدينة من الثغور الشامية تقع غربي بحر سبخان بالعرب من المصبصة، وهذه المدينة قديمة جداً منذ أيام الروم لكنها كانت خراباً إلى زمن الدولة العباسية، فقد أمر الخليفة المنصور ببنائها وتحصينها، وكان ذلك في عام ١٤١ هـ / ٧٥٨ م على يد صالح بن علي الذي قام ببناء قصر في المدينة وإعادة بناء عدد من بيوتها.^(٢)

واستمر حال أذنة على هذا النحو إلى زمن الخليفة هارون الرشيد الذي أمر بخادمه أبا سليم فرح التركي بإعادة بنائها وتحصينها، وإسكان الجنود المرابطين فيها لحمايتها، لكن يبدو أن المدينة لم يتم بناؤها بشكل كامل في زمن الخليفة الرشيد، لذلك تابع الخليفة محمد الأمين بناءها وتحصينها.^(٣)

^١ - ابن المنعم: بغية الطلب، ج ١، ص ١٦١.

^٢ - البلادري: فتوح البلدان، ص ١٧٢.

^٣ - البلادري: فتوح البلدان، ص ١٧٢، بالمعقوبي: البلدان، ص ١٢١، اليكري: الأندلسي (أبو عبد الله بن عبد العزيز ت ٤٨٧ هـ / ١٠٨٥ م): معجم ما استمع من أسماء البلاد والوحدات، تحت: مصطفى السقا، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥١ م، ج ١، ص ١٢٢، البغدادي: مرصد الاطلاع، ص ٤٨.

وتميزت أذنة بوجود قطرة من الحجارة بين المدينة وبين الحصن وفسحة تشبه الروض موجودة داخلها، وكان للمدينة ثمانية أبواب، وسور، وخندق.^(١)

وما يميز العصر العباسي الأول هو أن اهتمام الخلفاء بالثغور لم يقتصر فقط على إعادة بناء وتحصين مدن الثغور وإعمارها و توطئها بالسكان، بل كان أكثر من ذلك، فقد قام الخلفاء العباسيون ببناء مدن محصنة جديدة في منطقة الحدود، إذ قام الخليفة هارون الرشيد ببناء عين زربة، والهارونية، والكنيسة السوداء.

٤- عين زربة: وهي مدينة من الثغور الشامية قريبة من اللصيصه يسهما لثمانية عشر ميلاً^(٢)،^(٣)

وهناك خلاف حول من بنى هذه المدينة فهناك من يذكر بأن مدينة عين زربة قد بنيت رمن الخليفة المهدي على يد ولده هارون الرشيد ولكن بأمر الخليفة المهدي في العام ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م.^(٤)

- بن النقيبه: مختصر كتاب البلدان، ص ١١٢.

^١ - ابن مسادة من الأرض متراخية ليس لها حد معلوم وكل ثلاثة أميال هرسج، ابن منظور - لسان العرب، ج ٣، ص ٥٥٧.

^٢ - البحتري: البلدان، ص ١٢٠، ابن المديم: بغية الطلب، ج ١، ص ١٦٧.

^٣ - ابن المديم: بغية الطلب، ج ١، ص ١٦٧، الحميري: الروض للمطار، ص ٤٢٢.

والبعض يذكر بأن الخليفة هارون الرشيد قد بناها في عام ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م.^(١)

ومن الممكن أن يكون الخليفة المهدي كان قد أمر ببناء مدينة عين زربة، ولكنه لم يتمكن من ذلك، وبقيت هذه الفكرة موجودة لدى ولده هارون الرشيد، لذلك ما إن ساحت له الفرصة حتى قام ببنائها، لأنه من غير الممكن أن تبقى فكرة بناء مدينة في الثور مثل عين زربة عشر سنوات لهم تعيدها من العام ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م إلى العام ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م، والواضح بأن الخليفة المهدي قد ذكر رغبته لولده الرشيد وشجعه على ذلك، والرشيد عمل على تحقيقها عندما ساحت له الفرصة.

وكان الموقع عين زربة أهمية كبيرة ، فقد تميزت بأراضيها الزراعية الخصبة ومراعيتها الواسعة وبشوع أشجارها وثمارها، ووصفها الجغرافيون بأنها تشبه مدن العور.^(٢)

وعمل الخليفة هارون الرشيد على إعمار المدينة بالسكان من خلال إرسال جماعة من أهالي عراسان وإقطاعهم الأراضي فيها.^(٣)

كما قام الخليفة المأمون بإعادة إعمار عين زربة بعد أن تعرضت لحجوم من قبل الروم البيزنطيين، مما أدى إلى تخريب قسم كبير من المدينة، لذلك أمر المأمون بإعادة إعمارها

١ - البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٥٧، ابن الفقيه المسناني: مختصر كتاب البلدان، ص ١١٣، ابن الشحنة النير: انتخاب في تاريخ مملكة حلب، ص ١٨٥، ياقوت الحسوي: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٧٨، ١٧٧.

٢ - ابن خردادبة: المسالك والممالك، ص ٦٣، الإصطخري: مسالك الممالك، ص ٤٧، ابن حوقل: ص ١٨٢، ابن شداد: الأعلام الخطيرة، ج ١، ص ٢، ابن المديم: بغية الطلب، ج ١، ص ١٦٧.

٣ - البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٧٥، ابن المديم: بغية الطلب، ج ١، ص ١٦٧.

وتخصيها، وذكر بأنه قد أنفق على إعادة بنائها مئة وسبعين ألف دينار، وكان يعمل فيها يومياً

أربعون ألف عامل ما عدا البائين والحدادين والحجارين.^(١)

كما قام الخليفة المحتشم بإرسال مجموعة من الزط ليستوطنوا بالمدينة.^(٢)

كما سبق ذكره يلاحظ اهتمام الخلفاء العباسيين بتحصين هذه المدن الحدودية على الرغم مما كلفتهم من أموال.

٥- **الهارونية:** وتقع الهارونية غربي جبل اللكام ، ويلاحظ هنا أيضاً بأن هناك خلافاً حول من بنى الهارونية ، الخليفة المهدي أم الخليفة هارون الرشيد، ويجمع المؤرخون على أن ابتداء بنائها كان في زمن الخليفة المهدي، ولكن الخليفة هارون الرشيد أكمل بنائها.

فقد أمر الخليفة هارون الرشيد في العام ١٨٣ هـ / ٧٩٦ م ببناء حصص صغيرة ، وأمر الخليفة الرشيد بأن يشح هذا الحصص بالمقاتلين، وقام عدد من المتطوعين بالتوجه إلى الهارونية، وسُميت بالهارونية نسبة إلى هارون الرشيد.^(٣)

^١ - الجوزي: الفتوح العربية الإسلامية، ص ٦٩.

^٢ - البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٧٦، ابن العديم: نزهة الطلب، ج ١، ص ١٦٧، ابن شداد: الأعلام للخطبة، ج ١، ق ٢، ص ١٥٧-١٥٨.

^٣ - البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٧٥، ابن خردادبة: مسالك الممالك، ص ٦٣. الإسماعيلي: مسالك الممالك، ص ٤٧، ابن حوقل: صورة الأرض، ج ١، ص ١٨٢، ابن الفقيه المسناني: مختصر كتاب البلدان، ص ١١٣، ابن العديم: نزهة الطلب، ج ١، ص ٢١٩، ابن شداد: الأعلام للخطبة، ج ١، ق ٢، ص ١٥٨.

٦ الكنييسة السوداء: تقع بالقرب من المصيصة، وهي مدينة قديمة مبنية بالحجر الأسود. لذلك كان يطلق عليها الكنييسة السوداء، وكانت تسمى أيضاً بالمحرقة لأن الروم كانوا قد هجموا عليها وأحرقوها وتركوها خراباً. و يبدو أن الكنييسة كانت إلى جنوب بحر جيجان، وكان يسكنها وبين الحارونية اثنا عشر ميلاً.^(١)

وعندما تسلم الخليفة هارون الرشيد الخلافة، أمر بإعادة بناء المدينة و تحصينها و أمر بإبرس الجود فيها مع زيادة في عطائهم.

كما قام ولده القاسم بإعادة تحصين المدينة، و زيادة عدد الجود فيها بعد هجوم تعرضت له المدينة من قبل الروم.

هذه كانت أهم مدن الثعور الشامية و التي خصصت لانطلاق المحمات منها باتجاه الأراضي البيزنطية.

ج- الثعور الجزرية:

أما الثعور الجزرية، فقد غلبت عليها الطبيعة المحلية مما جعلها أكثر عزلة وعرضة للمخاطر وللحوم البيزنطي مثل مرعش وملطية والمحدث وربطرة.

ابنلادري هتوح البلدان، ص ١٧٥، ابن خردادبة: المسالك والممالك، ص ٦٢، الإصطخري: مسند
 سمانث، ص ٤٧، ابن حوقل: صورة الأرض، ص ١٨٢، ابن الفقيه الحماني: مختصر كتاب البلدان، ص ١١٣،
 ابن المقدم: بغية الطلب، ج ١، ص ١٧٢-١٧٤، ابن شداد: الأعلام الخطيرة، ج ١، ق ٢، ص ١٥٩

١- مرعش: تقع مرعش عند الطرف الجنوبي من جبل اللكام، وهي من بساتين الروم وأطلقوا عليها gremanicia، وتميزت مرعش بأراضيها الخصبة، وسهولها الواسعة، فقد اشتهرت بعررة مياها وأشجارها وورعها، ذكرها الجغرافيون العرب بأنها مدينة صغيرة تحاذي جبل اللكام لكنها مدينة عامرة بالسكان.^(١)

وقد تعرضت للتخريب على يد البيزنطيين أكثر من مرة في زمن الخلفاء الراشدين وهي أمة، فعلم الخلفاء الأمويون وبشكل دائم على محاولة إقامة مجتمع مستقر في مرعش، ولكنهم لم يفلحوا بسبب تكرار المحرمات على المدينة، إلى أن جاء الخلفاء العباسيون وكانت سياستهم في تعمير مرعش تشبه سياستهم في المدن الأخرى، فقد أمر الخليفة أبو جعفر المصور القائد صالح بن علي ببناء المدينة بعد أن هاجمها البيزنطيون في عام ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م، وقام صالح بتحصينها وأرسل إليها عدداً لا بأس به من الجنود والسكان مع زيادة في عطائهم، أما الخليفة المهدي، فقد وجد أن مرعش بحاجة إلى قوة إضافية لحمايتها، لذلك أمر بإرسال قوة أخرى من الجنود إليها، وعمل الخليفة هارون الرشيد على تجديد مرفأها مرة أخرى، وبنى فيها ربضاً أطلق عليه المارونية كان خارج قلعتها الأصلية.^(٢)

- ابن خردادبة: المسالك والممالك، ص ٦٢، الإصطخري: مسالك الممالك، ص ٤٧، ابن حوقل: صورة الأرض، ج ١، ص ١٨١.
 - بلاذري: فتوح البلدان، ص ١٩٣، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ١٠٧، البغدادي: مرصد الاطلاع، ج ٣، ص ١٢٥٩، ابن العديم: نزهة الطلب، ج ١، ص ٢٣٥-٢٣٦، ابن شداد: الأعلام، ج ١، ص ١٩٨-١٩٩، أبو الفداء (علاء الدين إسماعيل): تقويم البلدان، باريس، دار الطبعة العلمية، ١٨٤٠ م، ص ٢٦٣، الكوكبي: معجم ما استعجم، ج ٤، ص ١٢١٥، ابن الشحنة: الدر المنجى في تاريخ مملكة حلب، ص ١٩٠، الحميري: الروض المظفر، ص ٥٤١، القرماني (أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي ت ١٠١٣ هـ / ١٦١٠ م): أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، بيروت، عالم الكتاب، د. ت، ص ٤٨٨، فتحي عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية، ج ١، ص ٣٧٤.

هذه البيئة الجغرافية المخصصة لمرعش جعلتها تشكل قاعدة لانطلاق الصوائف باتجاه الأراضي البيزنطية، وهذا سيلاحظ بأن كثيراً ما انطلقت الجيوش الإسلامية من مرعش باتجاه الجهة البيزنطية.

٢- الحدث: تقع الحدث شمال غرب بحسنا وشمال شرق مرعش، وتتميز بوجود قلعة مبنية بين ملطية ومحمياط و مرعش، وهي تقع على جبل الأحيدب.^(١)

وكان يطلق على الحدث تسميات متعددة، فقد كانت تعرف بالحدث الحمراء و ذلك لأن تربتها كانت حمراء، وأطلق عليها الحمودية و المهديّة نسبة إلى الخليفة العباسي المهدي الذي أمر ببنائها وتحصينها، وسميت بالحدث لأن المسلمين قاتلوا في هذه المنطقة جماعة من الروم البيزنطيين معهم غلام صغير قاتلهم بشدة و قوة، لذلك أطلقوا على هذه المنطقة اسم درب الحدث.

وكان يسميها الأرمس (كيوك) والأكراد (مينا) والروم البيزنطيون (أدانا) أما العرب فيسمونها (الحدث) ومعنى الحدث في العربية الحفر، ولا سيما الحفر المحزن، وكان يطلق عليها أيضاً درب السلامة.^(٢)

- ابن شداد: الأعلاني الخطيرة، ج١، ص١٧٢، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٢٧، البغدادي مراصد الاطلاع، ج١، ص٣٨٥. الكريزي معجم ما استمعهم، ج٢، ص٤٢٩، الجوزوري: الظهور البرية لإسلامية، ص٨٨، Canard:p.269

١- ابنلادري. فوج البلدان، ص١٩٢-١٩٤، ابن المديم: بغية الطلب، ج١، ص٢٣٩، ياقوت الحموي معجم البلدان، ج٢، ص٢٢٨، ابن شداد: الأعلاني الخطيرة، ج١، ص١٧٢، ابن الشحنة الدر للشعب في تاريخ مملكة حلب، ص١٩٢، البغدادي: مراصد الاطلاع، ج١، ص٣٨٥، لسترنج (كي) لذلك الخلافة شرقية (انقرى و الجزيرة و إيران و أقاليم أسية الوسطى مد الفتح حتى أيام تيمور)، ترم، بشير، فرسيس، كور، كيس عواد، بغداد، مطبعة الرابطة، ١٩٥٤م، ص١٥٤.

اهتم الخلفاء العباسيون بقلعة الحدث وخاصة الخليفة المهدي، فقد أمر الخليفة المهدي في عام ١٦٩ هـ / ٧٨٥م قائده سليمان بن علي ببناء الحدث وتحصينها، وبالعقل قام سليمان ببناء المدينة وأسكنها بالسكان من مناطق متعددة من ملطية وسمسايط وغيرها، ولكن ببناءها لم يكن قوياً، فقد بيت بالزمن، وبعد انتهاء أعمال البناء جاء الشتاء قوياً محملاً بثلوج وأمطار غزيرة، فلم تستطع أسنة المدينة مقاومة هذا المناخ الصعب، لذلك فقد تدمرت تماماً وراى على ذلك محوم الروم عليها الذين قاموا بإحراق المدينة وتدميرها بالكامل في العام ١٧٠ هـ / ٧٨٦م، وكان لمهدي قد توفي آنذاك.^(١)

ونتيجة لما أصاب هذه المدينة من خراب فقد أمر الخليفة هارون الرشيد بإعادة بنائها وتحصينها من جديد، و توطئن الجسود و المقاتلين بها مع إقطاعهم الأراضي و المساكن، و يذكر البعض أن الرشيد أمر بدم كنيسة كيسوم و معابدها، و استعمال حجارها في البناء.^(٢)

٣- ملطية: من أكبر مدن الثعور الجزرية وأكثرها قوة وحصانة وماعة، وتقع في الشمال الشرقي من الثعور، كما أنها أقرب الثعور إلى بلاد الروم البيزنطيين، وكان اسمها بالرومية ملطب وكانت تدعى أيضاً Melitene، ثم عرّبت إلى ملطية، و تميزت ملطية بأنها من أقوى مدن

^١ - بلادري. فتوح البلدان، ص ١٩٤، ابن العديم: بغية الطلب، ج ١، ص ٢٤٠، ابن شداد الأعلاني: خطورة، ج ١، ص ١٧٤-١٧٥، ابن الشحنة: الدر المنصوب في تاريخ مملكة حلب، ص ١٩٣.

^٢ - بلادري. فتوح البلدان، ص ١٩٥، ابن العديم: بغية الطلب، ج ١، ص ٢٤١، ابن الشحنة: الدر المنصوب في تاريخ مملكة حلب، ص ١٩٣، ضحي: الحدود الإسلامية البيزنطية، ج ١، ص ٣٧٥.

الثغور وأكثرها علة وعتاد من سلاح ورجال، كما أنها تميزت بأراضيها الواسعة وبساتينها ذات الأشجار المثمرة.^(١)

ومدينة ملطية قلعة جداً من بقاء الإسكندر، وقد تعرضت للتخريب أكثر من مرة وحاول العرب بقاءها منذ زمن الأمويين.^(٢)

إلى أن جاء زمن العباسيين فهاجمها الروم البيزنطيون في بداية تأسيس الدولة العباسية ١٣٣ هـ / ٧٥١ م و بقيت خراباً إلى زمن الخليفة أبي جعفر المصور، الذي أمر قائده الحسن بن قحطبة بإعادة بناء ملطية وتحصينها، وبالمثل قام الحسن بن قحطبة في العام ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م بجمع العمال والبائسين والمهجرة لباء المدينة، وكان الحسن يساعد العمال في البناء و يقدم لهم الطعام، ليحضرهم على العمل إلا أن عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام والي الجزيرة و الثغور، انزعج من تصرفات الحسن و أرسل إلى أبي جعفر يعلمه بذلك، لكن المصور رد عليه بقوله " يا صبي يطعم الحسن من ماله و تطعم من مالي و ما أتيت إلا من صغر عطفك و قلة همتك و سعة رأيك".^(٣) و أرسل المصور إلى الحسن يشكره على ما فعل و يحثه على المتابعة في مسيرته الحسنة، وها عمده الحسن إلى تشجيع العمال على الإسراع في البناء فزاد في أعطيائهم، وبدأ العمل بل يحجز به رعة

- بن حمدونة. المسالك و المسالك ص ٩٢، الإصطخري: مسائل للمسالك ص ٤٦، ابن حوقل: صورة لأرض ص ١٨١، ابن النديم: نزهة الطلب، ج ١، ص ٢٥١.

^٢ - البغدادي: البلدان ص ١٢٠.

^٣ - بلادري. هوج البلدان ص ١٩٠، الطبري (محمد بن جرير ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) تلخيص الرسل و الملوك، ج ١، محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر: دار المعارف، ط ٣، د. ت، ج ٧، ص ٥٠٠، ابن شداد: الأعلام المختصرة، ج ١، ق ٢، ص ١٨٧.

كثيره إلى أن انتهى من بناء المدينة والمسجد في ستة أشهر، وقد تم بناء بيوت خاصة للحداد الذين سكنوا في ملطية فكل عرافة (وهم مجموعة من الجنود تتراوح بين عشرة رجال إلى خمسة عشر رجلاً) بيت وكل بيت يتألف من طابقين واصطبل، وبيت للمدينة مسلحين، واحدة على بعد ثلاثين ميلاً^(١) والأخرى على نهر قُبَيْب^(٢)، وذلك لكي تبقى المدينة على أهبة الاستعداد لأي هجوم يتعرض له، وأمر المصور بإسكان أربعة آلاف مقاتل من أهالي الجزيرة في ملطية.^(٣)

كان للملطية أهمية كبيرة، لذلك سيلاحظ بأنها ستعرض كثيراً لهجمات البيزنطيين وترجع أهمية ملطية إلى موقعها الجغرافي الاستراتيجي، فهي تقع بين المظتقين الشمالية والوسطى للحدود الإسلامية البيزنطية، وهي نقطة التقاء طرق عدة ومفتاح الطريق للجيوش الإسلامية القادمة من الشرق والمتجهة نحو الحدود البيزنطية، كما أنها مفتاح الطرق للجيوش البيزنطية القادمة من

- ابن مسافة من الأرض مترامية ليس لها حد معلوم، وكل ثلاثة أميال فرسخ، ابن منظور: لسان العرب، ج ٣، ص ٥٥٧.

^١ - نهر قُبَيْب: ماء كئيب تغلب، وهو اسم نهر يائثر قرب ملطية يدفع في الفرات. الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٠٣.

^٢ - ابن عساق (أبو عمر اللبني المصري ت ٥٢٤٠ / ١١٥٥ م). تاريخ عساق من عساق، أكرم ضياء العمرى، بيروت، مؤسسة الرسالة، دمشق، دار المطب ط ١٩٧٧ م، ص ٤١٨، البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٩١، الحموي. البلدان، ص ١٢٠، ابن الفقيه السدائي: مختصر كتاب البلدان، ص ١١٤، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ٥٠٠، ابن المديم: نزهة الطلب، ج ١، ص ٢٥٥، التلمسحري (ديوبيسوس) تاريخ أروغيني، مسجون، تر، التمسح بظرس قاشا، تعليق، بطرس قاشا، لبنان، منشورات المكتبة البوليسية، ٢٠٠٦ م، ص ١١٨، السرياني (ميخائيل). تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير، تر، مار غريغوريوس صليبا نخعوس، بغداد وتقديم، مار غريغوريوس يوسف إبراهيم بدمشق، مطبعة ألف بلاء الأديب، ١٩٩٦ م، ج ٢، ص ٤١٦، عثمان: حدود إسلامية البيزنطية، ج ١، ص ٢٤٠، الجوزوري: الثغور البرية الإسلامية، ص ١٠٤، لتسريح بلدان الخلافة انشريعة، ص ١٥٢ ١٥٣

العرب، وتغل ملطية مركز تقاطع عدة طرق وأودية، مثل وادي نحر قباغب (تخماسو tokhmasu)، الذي يشق طريقه في عمق بين الصخور جوبي ملطية إلى ربطرة، ونحر البحرية، ثم وادي الفرات، كما أنها حاضرة جماعات البيالقة^(١)،^(٢).

٤- ربطرة: تقع ربطرة في أعالي نحر قراقيس أحد روافد نحر قباغب، وهي بين ملطية وسمسباط والحدث، وحصن ربطرة من أقرب الثغور الإسلامية إلى بلاد الروم البيزنطيين.^(٣)

وربطرة حصن قديم جداً أطلق عليه الروم سورربطرة (sozopetra) وبعض الأحيان ربطرة (zapetra).^(٤)

وطراً لتقرب هذا الحصن من الحدود البيزنطية، فقد تعرض كثيراً لهجمات البيزنطيين، وكان المسلمون يعملون دائماً على إعادة بنائه وتحصينه، فالمصور كان من أول الخلفاء العباسيين الذين عملوا على بناء حصن ربطرة، ولكن الروم عملوا على هدم الحصن على أمله، فقام الخليفة

^١ - سبتم الحديث بشكل مفصل عن البيالقة في الفصل الرابع من الرسالة.

^٢ - عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية، ج ١ ص ٢٣٩، لستريح: بلدان الخلافة الشرقية ص ١٥٢-١٥٣، العهد النعمي (عهد الرحمن محمد). الحدود البيزنطية الإسلامية وتنظيماتها الثغرية، حوليات كلية الأدب، العدد ١١، الكويت، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، ١٩٩٠م، ص ٣٨.

^٣ - ابن جرادة. المسالك و المسالك، ص ٦٢، الإصطخري: مسالك المسالك، ص ٤٧، ابن المديم: نزهة الطلب، ج ١، ص ٢٤٧، ابن شداد الأعلاقي الخطيرة، ج ١، ص ٢، ص ١٨٠، الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ١٣١، انهدادي: مرآة الاطلاع، ج ٢، ص ١٥٧، لستريح: بلدان الخلافة الشرقية ص ١٥٣.

^٤ - انيلادري: هوج البلدان، ص ١٩٥، لستريح: بلدان الخلافة الشرقية ص ١٥٣، المختوري الثغور البرية الإسلامية، ص ٩٢.

هارون الرشيد بإعادة بناء الحصص وتحصينه وإنزال المقاتلين به على يد محمد بن إبراهيم الإمام، وبعدها تعرض الحصص مرة أخرى للتخريب ومن الخليفة المأمون فأعاد المأمون إعمارها، ثم تعرضت لمحموم كبير ومن الخليفة المعتصم من قبل الإمبراطور البيزنطي ثيوفيل، ونتيجة لتخريب المدينة وحرقها وسبي أهلها، قام الخليفة المعتصم بحملته المشهورة على عمورية.^(١١)

كانت هذه المدن من أهم مدن الثغور الحزبية وأكبرها، ولكن كان يتيح للثغور الحزبية عدد من الحصون والمدن الصغيرة، مثل حمصيات، وحصص منصور، وحصص كميخ، وحصص قلونية.

٥- حمصيات: مدينة صغيرة تقع على شاطئ الفرات العربي، شرقي جبل الكام في طرف بلاد الروم، وهي مدينة قديمة جداً يرجع بناؤها إلى زمن سيدنا إبراهيم عليه السلام.^(١٢)

وكان الروم يطلقون عليها *samosata*، وكانت تعرف بقلعة الطين.^(١٣)

- البلادري: فتوح البلدان، ص ١٩٥، ابن المديم: بنية الطلب، ج ١، ص ٢٤٧، ابن شداد: لأعلاق الخطيرة، ج ١، ص ٢١، ص ١٨٠-١٨١، الحميري: الروم والمطرا، ص ٢٨٥، لستريخ: بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٥٤، الجوزي: الثغور البرية الإسلامية، ص ٩٣.

١- ابنهثوي: البلدان، ص ١١٢، ابن المديم: بنية الطلب، ج ١، ص ٢٥٧، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج ١، ص ٢١، ص ١٩١ ابن الشحنة: الدر المنصوب في تاريخ مملكة حلب، ص ١٩٨، لستريخ: بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٤٠، أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ٢٦٧، البغدادي: مراصد الاطلاع، ج ٢، ص ٧٤١، بكرى: معجم ما استعجم، ج ٣، ص ٧٥٧-٧٥٨.

٢- عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية، ج ٢، ص ٢٤٥، لستريخ: بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٤٠.

وهناك خلاف بين الجغرافيين حول تبعية مسميات الشعور، فمنهم من يذكر بأنها تتبع الشعور البكرية^(١).

أما الجغرافيون والمؤرخون فإنهم يذكرون بأن مسميات تتبع للشعور الحرة. وقد تعرضت مسميات كعربها من الشعور للتخريب أكثر من مرة من قبل الروم البيزنطيين، وكان المسلمون يعملون على إعادة إعمارها من جديد، ولسميات أهمية كبيرة، فموقعها الإستراتيجي جعلها معبراً مهماً على نهر الفرات، وعندها تلتقي الطرق المتجهة إلى العرب، والآنية من الجزيرة العراتية والرقعة عن طريق سروج، ومن آمد عن طريق الرها، ومنها أيضاً تسير الطرق المتجهة إلى ملطية ومرعش ودلوك.^(٢)

وعلى هذا النحو فهي تعد صلة الوصل بين مدن الحرة العراتية و شعورها.

٦- كيسوم: قرية صغيرة من أعمال مسميات في جنوب ميسنا.^(٣)

وهي عبارة عن حصص كبير يقع بين الحصون التي بناها المعتصم، وهذه الحصون التي بناها هي حصص طبرجي والحسية وبي المؤمن وابن راجون وحصن منصور، وكان يربط بين كيسوم وحصن منصور قنطرة تعد من عجائب الدنيا.^(٤)

^١ - قدامة بن جعفر: نبد من كتاب الخراج، ص ٢٥٤.

^٢ - شمسري (ديوبيسوس): تاريخ الزوقيبي للسحول، قرأ الشمس بطرس فاشا، تعليق، بطرس فاشا، جوب (بنا)، منشورات المكتبة البولسية، ٢٠٠٩م، ص ١٤٢، عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية، ج ١، ص ٢٤١.

^٣ - الهمقوي: البلدان، ص ١٢١، الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٩٧.

^٤ - قدامة بن جعفر كتاب الخراج، ص ٢٥٢، ابن العديم: بغية الطلب، ج ١، ص ٢٦٥، القرويني (ركري) بن محمد بن محمود ت ٥٩٨٢ هـ / ١٢٨٣ م: آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر، ١٩٩٠م، ص ٢٧١، علي الجتوي: الشعور الحرة الإسلامية، ص ١٠٠.

٧' حصن منصور: يقع حصن منصور على أحد الروافد اليمنى لنهر الفرات، ويصب في أسفل سمياط، وقد كانت المدينة محاطة بسور وحديق وثلاثة أبواب، وفي وسط المدينة حصن وقلعة، ويسبب الحصن إلى منصور بن جعوبة بن الحارث العامري بن قيس أحد قواد بني أمية، وقد قام الخليفة المهدي بتكليف ولده هارون ببناء حصن منصور، وتحصينه ووضع للقائمين والحدود فيه^(١).

٨' كمخ: تقع قلعة كمخ على الضفة الجنوبية من نهر الفرات، ويطلق عليها الروم (Kamcha)، وهي قلعة مربعة، في أسفل القلعة وعلى ضفة النهر تقع المدينة^(٢). كانت هذه أهم مدن الثغور الشامية والحربية، ويلاحظ مما سبق بأن الجغرافيين ونظريين كانوا قد اتفقوا على جغرافية الثغور وتبعيتها، ولكنهم اختلفوا حول من هو الخليفة العباسي الحقيقي الذي قام ببناء مدن الثغور وتحصينها، وهذا يرجع إلى كون مدن الثغور كانت تتعرض وبشكل دائم إلى التخريب والدمار في زمن جميع الخلفاء، وكان كل خليفة يأمر بإعادة بناء ما تهدم من هذه المدن وتحصينها، وهذا يلاحظ وجود هذا الخلاف، وبالمحصلة فإن جميع الخلفاء العباسيين قد أعطوا مسألة حماية الحدود والاهتمام بمدنها وحصونها وقلاعها أهمية خاصة.

- ابن الأثير: فتوح البلدان، ص ١٩٩، ابن خردادبة: المسالك والممالك، ص ٦٢، الإصطخري: مسالك ومسالك، ص ٤٧، ابن القتيبة: المسالك، ص ١١٤، ابن العديم: نزهة الطالب، ج ١، ص ٢٤٩، الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٦٥، ابن الشحنة: الدر المنثور في تاريخ مملوك حلب، ص ١٩٤-١٩٥، أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ٢٦٩.

^١ - لستريخ: بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٥٤، عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية، ج ١، ص ٢٣٩.

د- العواصم، تعريفها، مهمتها، مدنها:

« تكثر الثغور الشامية والجزرية هي التي تقوم بالدفاع عن الحدود العربية الإسلامية فقط، بل كانت هنالك العواصم، وهي مدن قلعية كانت تتبع أحياناً قنسرين، وهالك من كان يتبعها لحلب^(١)،

والعواصم جمع كلمة عاصم، وهي حصون موانع وولاية تحيط بها من حلب و أنطاكية، و قد بناها قوم واعتصموا بها من الأعداء وأكثرها في الجبال، ومميت عواصم لأنها عصمت ما يليها.^(٢)

وقد أطلق على الحصن عاصم لأنه يحصن الثغر ويحده في أوقات الثغر.^(٣)
وكان لكل من الثغور الشامية والثغور الجزرية حصون تعصمها وتحميها، فقد كانت عواصم الثغور الشامية أنطاكية، و قورس، وجوقة، وعواصم الثغور الجزرية، رعيان، ومسيح.^(٤)
وطلت هذه المدن أحياناً تتبع قنسرين، وفي بعض الأحيان لحلب إلى أن جاء الخليفة العباسي هارون الرشيد، والذي عمد إلى تنظيم الحدود بشكل يضمن للثغور حمايتها والعواصم استقلالها،

^١ - عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية، ج ١ ص ٢١٣-٢١٤.

^٢ - الحموي: معجم البلدان، ج ٤ ص ١٦٥-١٦٦، البكري: معجم ما استعجم، ج ٣ ص ٩٧٩، من عبد الحق البغدادي: مرآة الاطلاع، ج ٢ ص ١٦٩، مجموعة مؤلفين: للمجد في الإعلام، للطبعة الكاثوليكية، ص ٢٦، ١٩٨٢ م، ص ٤٩٧.

^٣ - قدامة بن جعفر: مبدع من كتاب الخراج و صناعة الكتابة ص ٢٥٣.

^٤ - قدامة بن جعفر: مبدع من كتاب الخراج، ص ٢٥٣.

فقد استنهل عهده بإنشاء جند العواصم بأن عزلها عن قسريين و أفرد لها جنداً خاصاً وذلك في عام ١٧٨ هـ / ٧٨٦م.^(١)

وقصة إنشاء العواصم ترد إلى أن الخليفة الرشيد لم يكتف بنظام الصوائف والشواني لإبرار قوته وحماية بلاده، ولكنه قارن بين ما لديه من حصون وبين ما أنشأه البيزنطيون حول إنشاء خط دفاعي وضع تحت إشراف رجال حربيين لقبوا بحكام الثغور، ولما رأى الخليفة الرشيد أن هذا الخط الدفاعي يمكن أن يصبح قاعدة للهجوم، أسس إقليماً مشابهاً لإقليم الأطراف البيزنطي على حدود البلاد الإسلامية الشمالية وسماه العواصم.^(٢)

فقد جعل الخليفة هارون الرشيد لمنطقة الحدود تنظيمين اثنين هما :

الأول: النظام الأمامي، ويضم الثغور الشامية والحزرية وقد خصصت لمواجهة الثغرات والمناقل البيزنطية.

انظري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٢٣٤، ابن المقدم: بغية الطلب، ج ١، ص ٢٥٩، عثمان: حدود
الإسلامية البيزنطية، ج ١، ص ٢١٩.
٢ شلي (أحمد) موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية (الخلافة العباسية)، القاهرة، مكتبة
النهضة، ط ٨، ١٩٨٥م، ص ٢٥٤.

الثاني. وهو النظام الخلفي ويوجد خلف الثعور، ويضم الأقاليم الخلفية والحصون الخلفية وتسمى العواصم. وتعد من أبطاكية إلى الفرات، وكانت تضم (مبيج، دلوك، رعباد، قورس، أبطاكية، تيريس). وقد اتخذت مبيج قصبة العواصم، ثم أبطاكية و تمتعت باستقلال إداري وذي كبيرين^(١) ويلاحظ هنا أيضاً التباين بين الجغرافيين حول العواصم، و ما يتبع لها من مدن وقصبتها، ويذكرها ابن خردادبة فيقول "بأن العواصم اسم للناحية و ليس موضع بعينه وقصبتها أبطاكية" ومن مدنها بالنسبة، مبيج، كورة، تيريس ووصافة هشام وشيزر وغيرها الكثير.^(٢)

أما ابن حوقل فيذكر بأن العواصم "اسم للناحية وليس بمدينة تسمى بذلك وقصبتها أبطاكية".^(٣) وعلى الرغم مما ذكر، فالمفضل يرجع إلى الخليفة هارون الرشيد الذي أطلق عليها هذه التسمية، وأشأها لتعصم الثعور والحدود، ولتمدها بالمؤن والمستلزمات في أثناء الحروب، وللتميز بينها وبين الحصون الخارجية الملاصقة للحدود البيزنطية، وسيتم الحديث بشكل مختصر عن الحصون الخلفية الستة التي أفردتها الخليفة الرشيد.

- ابن حوقل: صورة الأرض، ج ١، ص ١٨٧. ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد ت ٥٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م). الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر، ٥ د، ج ٩، ص ١٠٨، شعرة (محمد عبد الهادي): من تاريخ الشخصيات العربية في القرنين الأول والثاني للهجرة دراسات في الآثار الإسلامية، القاهرة، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، ١٩٧٩ م، ص ٢٨ عبد الله (وديم قصي) العلاقات السياسية بين بيزنطة وانشترق لأدى الإسلامي (١٢٤-٥٢٠ هـ / ٧٤١-٨٢٠ م)، تقديم جورج سليم يوسف، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، ١٩٩٠ م، ص ٢٣٤، عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية، ج ١، ص ٢١٦

^١ - ابن خردادبة: المسالك والممالك، ص ٩٢.

^٢ - ابن حوقل: صورة الأرض، ص ١٧٩.

١ - منبع. من أكبر مدن العواصم و هي مدينة بين حلب وحمصيا قرب الفرات، وكان لمسيح أهمية كبيرة، فموقعها الإستراتيجي جعلها تشغل دوراً مهماً كنقطة اتصال بين الشعوب الجررية والشامية، ولم تقتصر مهمتها على حماية مواقع الحدود، بل أيضاً كانت ترقب صحراء الشام في الجنوب حتى منطقة بالس لحماية أيضاً، وبسبب قربها من الفرات تم بناء جسر مسيح، والذي كان ممراً للجيوش الصوالف.^(١)

٢ - أنطاكية: أول ما يذكره الجغرافيون عن أنطاكية بأنها قصبة العواصم، وهي أبرز مدينة في الشام بعد دمشق، كانت أنطاكية من أعين البلاد و أمهاتها و توصف بالترامة والطيب والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وسعة الخير، و يسها وبين حلب يوم وليلة، كان للمدينة سور وحصن ولسورها ثلاثون وستون برجاً، وله خمسة أبواب، وفي المدينة قلعة كبيرة محصنة بشكل جيد.^(٢)

- البغدادي. البلدان، ص ١٢١، الإصطخري: مسالك المسالك، ص ٤٩، ابن حوقل صورة الأرض، ص ١٨٠، ابن النديم بنية الطلب، ج ١، ص ١٠٩-١١٠، ابن عبد الحق البغدادي مرصد الإطلاع، ج ٢، ص ١٣١٩
 ٢ - ابنلادري فتوح البلدان، ص ١٥٣، ابن خردادبة: المسالك والممالك، ص ٩٢ الإصطخري مسالك المسالك، ص ٤٩، ابن حوقل: صورة الأرض، ص ١٧٩، القزويني: أعيان الدول وآثار الأول، ص ٤٢٤، الحميري: الروص للمطار، ص ٣٨، ابن النديم: بنية الطلب، ج ١، ص ٧٩ وما بعدها، ابن الشحنة: الدرر مستحب في تاريخ مملكة حلب، ص ٢٠١.

٣ - دلولك. و هي من مدن العواصم عبارة عن مدينة قديمة ببي الروم فيها قلعة ، ودلولك بليده من بواحي حلب أدخلها الخليفة هارون الرشيد مع العواصم فكانت تعصم الثغور الحربية من الشمال، يذكر بأن مقام سيدنا داود عليه السلام كان فيها.^(١)

٤ - رعيان: مدينة صغيرة قديمة الباء بين حلب، ومحميات قرب الفرات، وهالك من يذكر بأن رعيان و دلولك مدينتان متصلتان وبأن رعيان من أعمال منبج.^(٢)

٥ - نيزين: قرية كبيرة من بواحي حلب وكانت تعد من أعمال قنسرين، ثم فصلت أيام الخليفة الرشيد وأصبحت تتبع للعواصم.^(٣)

٦ - قورس: مدينة قديمة جداً وكانت منذ القدم مركزاً حربياً مهماً، وكانت تشرف على الطريق الرئيس من أنطاكية إلى الفرات، والطريق المؤدي إلى حلب، وعلى هذا النحو، فقد كانت قورس بمثابة خط دفاع أناسي عن حلب وأنطاكية. كما أن قورس كانت بمثابة المسلحة لأنطاكية.^(٤)

١ - البغوي: البلدان، ص١٢٠، البكري: معجم ما استعجم، ج٢، ص٥٥٥، ابن العديم: بغية الطلب، ج١، ص٢٦١، الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٤١٩. ابن الشحنة: الدر المنصوب في تاريخ مملكة حلب، ص٢٢٣-٢٢٤، ابن عبد الحق البغدادي: مرصد الاطلاع، ج٢، ص٥٣٢.

٢ - بغوي: البلدان، ص١٢٠، البكري: معجم ما استعجم، ج٢، ص٩٩، ابن العديم: بغية الطلب، ج١، ص٢٥٩، ابن عبد الحق البغدادي: مرصد الاطلاع، ج٢، ص٩٢١.

٣ - الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٩٩، ابن الشحنة: الدر المنصوب في تاريخ مملكة حلب، ص٢٢٢.

٤ - البغدادي: فتوح البلدان، ص١٥٤. ابن العديم: بغية الطلب، ج١، ص٢٦٢، الحموي: معجم بلدان، ص١٤٥، ابن الشحنة: الدر المنصوب في تاريخ مملكة حلب، ص٢٢٤-٢٢٥.

وهناك إشارات في المصادر التاريخية عن كمية إمداد مدن العواصم للشعور بالجنود والعتاد، فالبلاذري يذكر بأن أنطاكية كانت تعد ثمر المصيبة بالجنود ليس فقط في أيام الحروب، وإنما كانت تتوجه إليها مجموعات خاصة في فصل الشتاء للدفاع عنها وحمايتها. فيقول "وكانت الطولع من أنطاكية تطلع عليها في كل عام فتشتوا بها، ثم تنصرف وعدد من كان يطلع إليها ألف وخمسة إلى الألفين".^(١)

وأيضاً كانت قورس بمثابة للسلحة لأنطاكية، فقد كان جنود أنطاكية يأتون في كل عام، إلى أن تم تخصيص ربع من أرباع مقاتلي أنطاكية وجنودها إلى قورس، فانقطعت إمدادات أنطاكية عنها وأصبحت مستقلة.^(٢)

بالإضافة إلى ذلك فقد كانت مدن الجزيرة تعد ملطية بالمعونة لاستمرار تعرضها للبيزنطيين، إذ كانت طالعة من جند الجزيرة تتوجه إلى ملطية في كل صيف فيقومون بها إلى أن يأتي فصل الشتاء، فكانوا يعودون إلى منازلهم وأراضيهم.^(٣)

هـ - الصوائف والشوائف:

أما غزوات المسلمين نحو الأراضي البيزنطية، فلم تكن عشوائية، بل كانت منظمة حسب طاء خاص عرف بالصوائف والشوائف، وكان المسلمون يميلون إلى الصوائف بشكل عام لقدرتهم

^١ - البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٦٩.

^٢ - البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٥٤.

^٣ - البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٨٩.

العرب المسلمون والبيزنطيون معاً هما الدربان المعروفان باسم ممر أبواب قليقية (درب السلامة)، و ممر كوودخاي (درب المحدث).

كان درب السلامة والمعروف باسم ممر أبواب قليقية يسلكه المسلمون عند توجههم للعرو، ويبلغ طوله سبعين ميلاً و يبدأ من سبخ هضبة آسيا الصغرى جنوبي جبال طوروس، ويوجد على الطرف الشمالي لهذا الدرب قمة يبلغ ارتفاعها نحو ألف قدم^(١)، تشرف على السهول الجنوبية في قبادوقيا، والمحدرات الشمالية لجبال طوروس، وعلى هذه القمة كانت تقع قلعة اللؤلؤة.

وكالعادة فقد تبادل المسلمون والبيزنطيون ملكية هذه القلعة، وذلك لكونها معتاح الطريق نحو ممر قليقية، فإن وقعت ملكية القلعة بيد المسلمين لم يتحرراً البيزنطيون على التوجه نحو هذا الدرب، والعكس كذلك، فإن كانت ملكيتها بيد البيزنطيين لم يتمكن المسلمون من غزو قبادوقيا.

كما أن هذه القلعة أهمية أخرى، فهي تتحكم بالطريقين اللذين يلتقيان بالقرب منها وهما الطريق الشمالي المؤدي إلى طوانة، و الطريق العربي الذي ينتهي عند هرقلية، وهذا الدرب يسلكه رجاء البريد ورسول الخليفة والأباطرة، وهو الذي سلكه المسلمون عند توجههم نحو آسيا الصغرى، وكان هذا الممر يضيق جداً في جواره فيصبح عرضه عند أبواب قليقية بضعة أمتار، وكانت تحيط به صخور شاهقة في ارتفاع عمودي وتشرف عليه قلعة الصقالية .

لقدّم وحدة قبلى تساوي اثني عشر بوصة، الجوهري (عبد الله الملايلي): الصحاح في اللغة والعلوم ، إعداد وتصنيف، دتم مرعشلي ، أسامة مرعشلي، بيروت، دار الحضارة العربية، ١٩٧٤م، ج٢، ص٢٨٥.

فأعد ساعتين تسيران في رمس واحد أحدهما جعلها في القصر الكبير بالقسطنطينية والأخرى في قلعة اللؤلؤة تحملان بالوقت ذاته لتنبه العاصمة لدى تعرضها لأي هجوم.^(١)

كما أن جميع الحصون والقلاع الموجودة في هذه الممرات قد انتقلت ملكيتها والسيطرة عليها مراراً وتكراراً بين العرب المسلمين والبيزنطيين، وذلك لأن الحرب بين الجانبين كانت سجالاً والحصن كان مذبذباً وحرراً بين هذين الطرفين، كما أن أحد المبادئ الرئيسة بين العرب المسلمين والبيزنطيين هو السيطرة على هذه الممرات واعتراقها.

وكان هنالك وصف للدروب حسب أحد المجاهدين فيقول: "بلاد شديدة البرد كثيرة الشجر والمرر"^(٢) والخصر فيها مضائق و شعاب و أودية و عقبات ومضائق ليس للعرس فيها مجال.

أما المسلم الآخر الذي وصف كمية عبورهم لهذه الدروب الصعبة فيقول "إنهم تعلقوا في جبال شائعة صعبة الصعود، فلم يبق أحد إلا و ترحل عن فرسه ومشياً حتى تقطعت معالها وسال الدم من أرجلها والثلج على الجبال يمننا وشمالنا".^(٣)

ومن هنا يلاحظ مقدار التعب والمشقة التي كان يعاني منها المسلمون في سبيل الجهاد والدفاع عن أرضهم و ، فهم كانوا يقدمون العالي والميسر في سبيل الجهاد، ولكن كل ذلك كان يهون في سبيل الدفاع عن بلاد المسلمين.

^١ - رستم: الروم، ص ٢٩٥.

^٢ - المرمر: موضع المرور والمصدر، والجمع مرمر ومرور، ابن منظور: لسان العرب، ج ٣، ص ٤٦٥.

^٣ - الواهدي (أبو عبد الله بن عمر): فتوح الشام بدار الجليل، ج ٢، ص ٩.

ثانياً: الثيمات (البنود) البيزنطية:

أ- نشوء الثيم (البند) وتنظيمه:

كان النظام العسكري الذي طبقته الإمبراطورية البيزنطية مصدراً أساسياً لقوتها وهيبتها ومعنتها، فقد استمر الأباطرة بالعمل على تقوية هذا الجهاز العسكري، فعندما ارداد خطر العرب المسلمين على الحدود البيزنطية، وبدأوا يعملون على قطع خطوط التموين واللواصلات في منطقة آسيا الصغرى عن العاصمة البيزنطية القسطنطينية، أدركت بيزنطة أنه يجب عليها أن توزع جنودها وفرقها العسكرية بشكل يضمن حماية طرقها وحدودها، وما ظهرت كلمة ثيم theme وكانت تعني فرقة من الجيش تعسكر في إقليم من الأقاليم و كانت تقابل في اللغة العربية كلمة "جند" أو "بد" و لكن هذه الكلمة ما لبثت أن تطور معناها إلى أن أصبحت تدل على الحامية العسكرية الموجودة في منطقة الحدود، و مع تطور الأحداث و حاجة الإمبراطورية إلى تطور نظام حكومتها و إدارتها وتنظيمها، بدأت تتطور كلمة ثيم ومعناها وتشكلت الثيمات البيزنطية والتي كانت في البداية أربع ثيمات، ويعود الفضل للإمبراطور هرقل في العمل على نشوء هذا التنظيم العسكري ، فقد كان هرقل يهدف بتنظيمه هذا إلى تثبيت السلطة المدنية والعسكرية في شخص

فرد في مناطق معرضة للخطر بشكل دائم، ومن ثم تطورت هذه التنظيمات إلى أن وصلت إلى هذه الدرجة.^(١)

كان الأصل في نظام السود و الثيمات Themes هو إنزال فرق معينة (أي تجمعات نظامية معينة من الكتيائب للدفاع عن نواح ثابتة معينة، وكان كل ثيم تحت قيادة قائد عسكري يلقب استراتيجوس strategos كان تحت إمرته السلطة العسكرية و الإدارة المدنية للثيم.^(٢) وفي البداية كان كل ثيم يسمى باسم العرقة التي تحتله، مثل فرقة المختارين (الثيما الأوثيماتية)، أو لواء مرتزقة الجرايات والتمويس (الثيما البوكالارية)، ولكن بعد أن تم تنظيم العرق المتوحدة

- العربي: الدولة البيزنطية ١٢٠ و ما بعدها، دياب (صابر محمد): للمسلمون و جهادهم ضد الروم في أرمينيا والقفور، الحرية والشامة خلال القرن الرابع المجري، القاهرة، مكتبة السلام العالمية، ١٩٨٤م، ص ١٢، ربيع (حسين محمد): دراسات في الدولة البيزنطية، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٢م، ص ٤٧، فرح (مهم): تاريخ بيزنطة من القرن الرابع حتى القرن الثامن للميلاد، دمشق، مطبعة طربين، ١٩٧٧-١٩٧٨م، ص ٢٢٥، بتر (بورمان). الإمبراطورية البيزنطية، تر، حسن مؤنس، محمود يوسف رايد، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٠م، ص ١٧٢. أومان: الإمبراطورية البيزنطية، تر، مصطفى طه بدر، مصر، مطبعة الاعتماد، ت، ص ١٣١. هارتمان (ل.م) باركلاف: الدولة والإمبراطورية في العصور الوسطى، تر، جورييف مسيم يوسف، مصر، دار المعارف، ١٩٦٦م، ص ٩٤-٩٥، كيني (ولتر) بيزنطة والمتوحشات الإسلامية المبكرة، تر، نقولا ربادة، سورية، دار قدس للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢٠٠٣، ص ٢٤٣ (البند لفظ فارسي معرب معناه العلم الكبير، رسم: الروم، ص ٢٧٨).

٢ - رسميان: الحضارة البيزنطية، ص ١٦٣، العبد الغني: الحدود البيزنطية الإسلامية، ١٩٨٩م، ص ٢٨، ربيع الإمبراطورية البيزنطية، ص ٧٥.

على مناطق الأطراف بشكل أفضل، أضيفت بود و ثيمات جديدة، أطلق على هذه البود أسماء جغرافية مثل البود السلوقي والخرشي والبود القبدوقي.^(١)

وكان في كل ثيم فصائل أو وحدات متعددة ما بين وحدتين إلى ثماني وحدات تدعى باندون (Bandon)، و يتولى قيادة كل فصيلة قائد عسكري يحمل لقب قومس komes، ويوجد في هذه الفصائل مجموعات، كل مجموعة تكون بمتزلة كتيبة عسكرية تدعى torna، ويتولى قيادتها قائد يلقب Tormarch طورماخ.^(٢)

ولا أن هذا النظام العسكري لم يكن نظاماً جديداً مبتكراً في الدولة البيزنطية أيام المسلمين، وإنما كان نظاماً قديماً جداً تم دمج مع بعض الأمور التنظيمية الإدارية و العسكرية الجديدة، فجوهر هذا النظام كان يكمن في العمل على تشجيع استقرار الحد في أقاليم آسيا الصغرى، وكانت غالبية الجيود من الملاحين الأحرار الذين مسحوا الأراضي نظير الخدمة العسكرية.^(٣)

ولذلك، فقد أطلقت لفظة أجماد أو بود أي Theme على الأقاليم الخربية التي نشأت حديثاً، وكانت تطلق هذه اللفظة سابقاً على لواء من الجيود، ومن ثم أطلقت على الأراضي التي تشعلها تلك المجموعات الخربية، ويشير كثيرون إلى أن هذا التنظيم الجديد هو دمج النظام الخربي القديم

^١ - راسمان: الحضارة البيزنطية ص ١٦٢.

^٢ - بيتر: الإمبراطورية البيزنطية ص ١٧٢، راسمان: الحضارة البيزنطية، ص ١٦٤، ديباب: السطون وجهدهم ضد الروم، ص ١٣، العبد الفتي: الحدود البيزنطية الإسلامية، ص ٢٧-٢٨.

^٣ - ساليماك (ريشارد): ورثة الإمبراطورية الرومانية، الغرب الجرمان، العالم الإسلامي، الدولة البيزنطية، تر، جوريف نسيم يوسف، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٥ م، ص ١٥٠، كيهي: بيزنطة والفتوحات الإسلامية المبكرة، ص ٣٤٥.

الذي كان شائعاً في الإمبراطورية البيزنطية و يعرف باسم جيش الأطراف Limitanei مع نظام «أرخبوية» علماً بأن نظام جيش الأطراف كان يعني استقرار الحدود بالأراضي، أما نظام «أرخبوية» فهو تعليب العامل العسكري في الإدارة على العامل المدني، وبالمحصلة فإن نظام «الأحاد» كان يعتمد على منح الحدود مساحات من الأراضي مقابل الخدمة الحربية، مع سيطرة الإدارة العسكرية على هذه المناطق.^(١)

وكانت الخطط الإستراتيجية لكل بلد تسير على عخطط محددة أولاً، ووجود مراكز إداري تحدر من أي هجوم عربي إسلامي نحو الأراضي البيزنطية، وكانت غالباً على النجوم في مناطق الممرات.

ثانياً، استنار قوات تشاغل العزاة وهي قوات رجالة تنحى نحو الممرات الجبلية الضيقة لتقطعها وتشاغل العزاة لحين حضورالقوات الرئيسة المهاجمة.

ب - الثيمات البيزنطية زمن العصر العباسي:

وكان عدد الثيمات البيزنطية في العصر العباسي أربعة ثيمات (أقاليم عسكرية كبيرة)، ومن ثم بدأت تفصل بعض المدن والحصون عن هذه الثيمات لتكون وحدات خاصة أطلق عليها Cleisurarchies كليسورارشيات، ومن ثم تحولت إلى ثيمات، و الثيمات الأربعة الكبرى هي:

العربي الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٢١، ص ٢٢٦، هارتمان، باراكلاف: الدولة والإمبراطورية في العصور

أبو سفي، ص ٩٤-٩٥

- ١- ثيم (بند) الأرمنيقي: Armeniaci في شمال شرق آسيا الصغرى على حدود أرمينية
 - ٢- ثيم (بند) الأناتوليك: Anatolici وهي مشتقة من الكلمة اليونانية الشرق Anatoli في الأناضول، ومهمة هذين الثعريين حماية تلك الأقاليم من هجمات العرب المسلمين.
 - ٣- ثيم (بند) الأبيسيق (الآبيسيكون): Opsikion في غرب آسيا الصغرى حول بحر مرمرة، لحماية العاصمة البيزنطية.
 - ٤- الثغر البحري كيبريوت: Cibyraeot في الشاطئ الجنوبي لآسيا الصغرى والجزر المجاورة لها، لحماية الشاطئ من هجمات الأسطول العربي الإسلامي .
- واحتل الثعريان الأوليان وسط آسيا الصغرى من حدود قيليقية في الشرق إلى شواطئ البحر الإيبي في الغرب.^(١)
- ويذكر البعض بأن هناك ثعريين آخرين هما ثغر تراشيا (ترافيا) في الشمال الشرقي من البلقان، وثغر هيلاني في وسط بلاد اليونان.
- وهكذا فقد عمل البيزنطيون على تنظيم دفاعات ألوينهم أو الثيمات الخاصة بهم فثيمات آسيا الصغرى كان الهدف من تشكيلها هو تنظيم الدفاع المحلي في تلك المناطق ضد غارات العرب، وهدف من تشكيل ثيمات البلقان، تنظيم الدفاع المحلي ضد غارات السلاف والبلغار.^(٢)

- رنسيان: الحصار البيزنطية، ص ٩٧، دياب: المسلمون وجهادهم، ص ١٢، ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٧٥-٧٦، مرج: تاريخ بيزنطة، ص ٢٢٦-٢٢٧.

^٢ مرج: تاريخ بيزنطة، ص ٢٢٦، أومان: الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٣١.

و قد تبق هذه المدن الثعربية على حالها، فقد أدخل عليها الأباطرة إصلاحات إدارية كثيرة، إذ كان كل إمبراطور يعمل على تحصين هذه المدن وتدعيمها، بالإضافة إلى هذه البود هالت مناطق على النجوم وبخاصة مناطق الممرات ، كانت كنوضع خارج نظام ألوية الثعور وتخضع لسلطة عسكرية دائمة، وهذه المناطق كانت بمنزلة مناطق إنذار للحدود البيزنطيين في أثناء مهاجمة العرب المسلمين للأراضي البيزنطية، وكانت هذه المناطق تسمى مناطق الثعور (Kleisurai) أو (Clissurae) وكان قائدها يسمى قائد الثعور (Clissurarch) ومن الممكن أن ترفع هذه المناطق إلى مرتبة البندوب.^(١)

كما قام الإمبراطور ثيوفيل بإجراء إصلاحات إدارية مهمة، واهتم بالمقاطعات الشرقية والشمالية، فأوجد ثيمين جديدين هما بافلاغونيا Paphlagonia وكالديا Chaldia، وذلك ليدعم موقع بيزنطة على البحر الأسود أكثر، وأوجد ثلاث وحدات إدارية عسكرية جديدة في المنطقة الجبلية المتاخمة للحدود العربية جعلها وحدات عسكرية مستقلة بعد أن كانت تتبع لثيمات أرمينية والأماضول، وسميت هذه الوحدات الجديدة باسم (الممرات الجبلية) وكانت تتشكل من أقاليم كارسيانون Charsianon (كابادوكيا) وسلوقية.^(٢)

^١ - رنسيان: الحضارة البيزنطية، ص ١٦٤.

^٢ - علق (بييه): الإمبراطورية البيزنطية ، دمشق، ١٩٦٩م، ص ١٩٥.

- ح- الثيمات البيزنطية التي توجه منها البيزنطيون نحو الأراضي العربية الإسلامية:
- وعلى هذا النحو فقد كانت الثيمات القريبة من الحدود العربية التي كان البيزنطيون يتوجهون إليها نحو الأراضي العربية الإسلامية والتي ستذكر أسماؤها بشكل متكرر في هذا البحث، هي كبادوكيا، سلوقية، أرمينية، خالديا (كالديا)، كولونيا، عرسيون (عرشنة).
- ١- خالديا (كالديا): Chaldia عاصمة طرايزون وكانت حدودها تمتد حتى جوار وادي العرات الأعلى تجاه كيليكا (قالقلا).
- ٢- كولونيا: Coloneia هي متعرة من ثم الأرمينية وامتدت حتى العرات.^(١)
- ٣- عرسيون (عرشنة): Charsiane كانت تتبع ثم الأرمينية وكان القسم الأكبر من هذا الثغر في معطف ثغر هاليس Halys، و في الشمال يمتد شرقاً على ضفة ثغر هاليس العليا حتى صاروخه Carikha، وكانت على مسيرة يومين من كمخ.^(٢)
- ٤- كبادوكيا: (كابادوكيا الصغرى) Mikra Kappadokia كانت وحدة في لواء الأناضول، ثم أصبحت ثيماً، وكان القسم الجنوبي منها ملاصقاً للحدود عند مخرج بوابات كيليكا Pyles Calyiennes، وكان يقع لكبادوكيا الصغرى بعض المواقع، مثل قبصره

^١ - دباب: السلطون وجهادهم، ص ١٤.

^٢ - E.W. Brookes: Arabic lists of the Byzantine themes, Journal of Hellenic Studies, 1901, p69, قسطنطين السابع: إدارة الإمبراطورية البيزنطية، عرس ونخلين وتعليق، محمود سعيد عمران، بيروت، دار النهضة للطباعة والنشر، ١٩٨٠م، ص ١٨٩ - ١٩٠.

وبسا وحرشة و لؤلؤة إلى بودندوس داخل المرتفعات الجبلية، وكان هذا الثيم يصم منطقة المطامير والكهوف على الحدود.^(١)

٥- سلوقية: يقع غربي كيليكيا العربية وغمر اللامس للار على الحدود الإسلامية البيزنطية^(٢) وعندما تمكن المسلمون من عبور الممرات الجبلية و الدخول إلى عمق الحدود في الأراضي البيزنطية، لجأت الإمبراطورية البيزنطية آنذاك إلى تدعيم بعض القلاع والحصون الإستراتيجية في جبال طوروس، وعملت على إعادة بناء الهيكل الدفاعي للإمبراطورية في آسيا الصغرى، ولهذا عملوا على تحويل مدن قريبة من الحدود إلى مدن عسكرية مهيبة وقوية تمتلك تحصينات هائلة، وهي مدن عسكرية معلقة إلى حد كبير تشبه الحصون، ومن هذه المدن أقرة Ancyra، برجاما Pergamum، سرديس Sardis، أكرينون Acroinon.^(٣)

د- الثيمات (البنود) البيزنطية من خلال كتابات الجغرافيين العرب:

نظراً لأن الحدود العربية الإسلامية والبيزنطية كانت متصلة عبر جبال طوروس، ولأن العلاقات بين العرب المسلمين والبيزنطيين كانت مستمرة في أوقات الحرب والسلم، فلذلك اهتم الجغرافيون العرب ببلاد الروم وحدودهم ومدنهم، وإن كان هناك بعض الاختلاف بين الجغرافيين حول أسماء بعض المدن.

^(١) قسطنطين السابع، إثراء الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٨٩ دباب: السطون و جهادهم، ص ١٧

^(٢) M.Canard, histoire de la Pynastie des Hamdanides de Jazira at de Syriem Paris, 1953, p730- 731.-

^(٣) - العبد الغني: الحدود البيزنطية الإسلامية ص ١٨ ..

فابن حرداذية يذكر بأن أعمال الروم التي يتولاها الإمبراطور هي أربعة عشر عملاً^(١).

أما الجغرافي قدامة بن جعفر فيذكر أعمال الروم، لكنه يختلف بأسمائها مع المؤرخين السابقين، فهو يذكر بأن عرسيون هي عرشية و بأن عالديا هي الخالدية^(٢).

وللسعودي يختلف مع من سبقه، ويذكر بأن الروم لديهم تسعة بنود من دول الخليج، وهي على مقربة من الثعور الحمرية والشامية وغيرها من بلاد الإسلام، وتسعة بنود أخرى وراء الخليج متصلة بالقسطنطينية^(٣).

أما ابن حوقل فعندما يتحدث عن بلاد الروم، فإنه يذكر بأن هذه المنطقة عبارة عن منطقة ريفية تحوي القلاع والقرى، لكنها فقيرة بالمدن الكبرى فيذكر "بأن المدن العيسة قليلة في مملكتهم وبلادهم مع سعة رقعتها واتصال أيامها وحالها، وذلك أن جبالها وقلاع وحصون ومطامر وقرى في الجبال منحوتة وتحت الأرض منقوبة"^(٤).

وهذه الصورة التي يصورها ابن حوقل عن بلاد الروم يمكن أن تكون صورة واقعية للحدود العاصلة بين الإمبراطورية البيزنطية و الدولة العربية الإسلامية، فمطقة الحدود كانت عبارة عن قلاع وحصون كثيرة إضافة إلى كهوف لحماية سكان المناطق في حالات الحرب، فكلما الطرفين عملاً وبشكل مستمر على تحصين حدودهم و تقوية قلاعهم.

^١ - ابن حرداذية: للممالك والممالك، ص ١٥٥.

^٢ - قدامة بن جعفر: نبتة من كتاب الخراج و صفة الكتابة، ص ٢٥٨.

^٣ - السعدي (أبو الحسن علي بن الحسن بن علي ت ٣٢٤٥ هـ / ٩٥٨ م): التبيين والإشراف، نج، عبد الله إسماعيل الصادق، بغداد، المكتبة المصرية، ١٩٣٨ م، ص ١٥٠-١٥٣.

^٤ - ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٢٠٠.

وبالإضافة إلى اهتمام البيزنطيين بالثيمات ووحداتها وقلاعها وتحصيتها، فقد اهتموا أيضاً بالقوات العسكرية المربطة في الثيمات والمكلفة بالدفاع عن الحدود، فقد كان هناك قوات مربطة بصورة دائمة على الحدود، وهي تقوم بالعمليات الدفاعية والمحورية في المناطق المتاخمة للحدود الإسلامية البيزنطية، بالإضافة إلى مجموعة من القوات الخاصة التي كان يطلق عليها تاجمان Tagmata ، Tagmes، وهي قوات الحرس الإمبراطوري والتي كانت تعرف بقوتها وصلابتها^١، ويبدو أن هذه القوات كانت تتدخل في المعارك الحاسمة، كمساعدة للقوات العسكرية الموجودة في الثيمات.

فالقوات المربطة في الثيمات والبسود البيزنطية حسب ما ذكره المؤرخون العرب كانت ما بين أربعة آلاف وستة آلاف رجل، وذلك في الثيمات التي لم تكن تتعرض لهجمات متتالية وكثيرة، أما أعداد الجند في الثيمات الأخرى الكبرى، فقد كانت تتفاوت بشكل كبير، ففي العاصمة القسطنطينية على سبيل المثال كان يربط فيها ما يقارب (٢٤) ألف جندي، وفي نيم الساطليق (١٥) ألف جندي، وفي سلوقية وحرشة (٥٠٠) جندي و في تراقية (٥) آلاف جندي وفي مقدونية (٣) آلاف جندي ، وهؤلاء الجند لم يكونوا فقط من البيزنطيين، بل كان بعضهم

^١ - شهاب: الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٤. ميتر: الإمبراطورية، ص ١٧٤.

من المرتقة الذين كانوا يتقاضون رواتب نظامية لقاء خدماتهم، وبعضهم كان يعطى قطعة أرض،
ليزرعها ويتوارثها، مقابل خدماته التي يقدمها للدولة.^(١)

ويذكر بأنه في أيام الأباطرة البيزنطيين كان هناك عناصر متنوعة ، فقد أحصر هؤلاء الأباطرة
الكثير من العناصر السلافية وأعداداً كثيرة من سكان قبرص و من الجراحنة والمردة وعملوا على
توطيئهم في الولايات الحدودية مقابل إعطائهم الأراضي الزراعية على أن يقوموا بحماية الحدود
من هجمات الأعداء.^(٢)

و هناك من يذكر بأن هذه العناصر الأجنبية من الجيش البيزنطي بدأت تختفي تدريجياً في
القرنين الثاني والثالث الهجري / السابع والثامن الميلادي، وبدأ الجيش البيزنطي يتكون من دافع
الإمبراطورية.^(٣)

و على الرغم من هذا فإنه ما زال في الجيش البيزنطي بعض العناصر الأجنبية و التي سيلاحظ فيما
بعد مشاركتها في الحروب ضد الدولة العباسية.

- قدامة من جعفر. بدء من كتاب الفراج وصحة الكتابة، ص ٢٥٨، للمقوني. البلدان، ص ١٤٣ ، من لفقه
حمدي . مختصر كتاب البلدان ص ١٤٩، لومان: الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٣١-١٣٢ هارتمان الدولة
و لإمبراطورية، ص ٩٥-٩٦.

^٢ - فوج : تاريخ بيزنطة، ص ٢٢٧.

^٣ - سيمان ورثة الإمبراطورية الرومانية، ص ١٥٠، بيتر: الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٧٥، فوج تاريخ
بيزنطة، ص ٢٢٧.

لقد كانت سياسة توطين العناصر المختلفة في هذه المناطق إيجابية ،على الرغم من الاستقادات التي وجهت لهذه السياسة ، فقد أمدت هذه السياسة مناطق الحدود بما تحتاجه من رجال للدفاع عنها هذا من جهة، كما أدت إلى استثمار الأراضي الزراعية المهجورة وزيادة الانتاج من جهة أخرى كما ساعدت على بحاح نظام الثعور وتحسين الوضع الاقتصادي فيها وبرور دورها في المدد باليد العسكري والسياسي ، فالسكان الذين جلبوا من منطقة إلى أخرى وألزموا بخدمات عسكرية في مناطق سكنهم أقطعتهم الدولة أرضاً رراعية ملكاً لهم يستثمرونها وقت السلم و يدافعون عنها وقت الحرب ، وهذا أدى إلى ازدياد عدد العلاحين صغار الملاكين خاصة وأن هؤلاء العلاحين الجنود كانوا يورثون الأرض الممنوحة لهم إلى الابن الأكبر لهم، وبالطبع كل هذا له دوره الكبير في نمس هؤلاء الجنود بهذه الأراضي وبالخدمة العسكرية في المدن الحدودية .^(١)

بما سبق يلاحظ بأن عدد الجنود النظاميين في الثيمات البيزطية كان قليلاً بشكل عام، فقد كان أغلبهم ممن أعطوا أراضي رراعية ليقطوا فيها (النظام العسكري الإقطاعي) و بقية الجنود كانوا مورعين في نواحي الإمبراطورية، و يستدعونهم عند الحاجة، و كان هذا يحتاج إلى وقت لجمعهم وتعبئتهم. وعلى هذا النحو كانت الحياة العسكرية في الثيمات البيزطية، فقد لا يكون لها بيطرة بيرطة العمل وبشكل دائم ومستمر على المحافظة على حدودهم وحمايتهم من هجمات العرب المسلمين.

الفصل الثاني

العلاقات العباسية البيزنطية في بداية نشوء الدولة العباسية إلى عهد الخليفة

موسى الهادي ١٣٢ - ١٧٠ هـ / ٧٥٠ - ٧٨٦ م:

- نبذة عن العباسيين وكيفية تسلمهم الخلافة.
- أولاً: الوضع الداخلي في الدولة العباسية زمن السفاح واستغلال هذا الوضع من قبل البيزنطيين ١٣٢ - ١٣٦ هـ / ٧٥٠ - ٧٥٥ م.
- ثانياً: النشاط العربي الإسلامي العسكري والسياسي زمن الخليفة المنصور ١٣٦ - ١٥٨ هـ / ٧٥٤ - ٧٧٥ م.
- ثالثاً: النشاط العربي الإسلامي العسكري والسياسي زمن الخليفة محمد المهدي إلى زمن الخليفة موسى الهادي ١٥٨ - ١٧٠ هـ / ٧٧٥ - ٧٨٦ م.

تقديم:

- نبذة عن العباسيين وكيفية تسلمهم الخلافة:

إن تاريخ الدول حافل بالأحداث المتعددة التي تكون نتائجها أكبر مما يتوقع قادة هذه الدول، فمن هذه الأحداث ما يكون تأثيره بسيطاً في جميع المجالات فلا يحرر شيئاً، ومنها ما يكون تأثيره عيباً وقوياً فيؤدي إلى انحيار كيان دولة، وقيام كيان دولة أخرى مكانه، وهذا ما حدث للدولة الأموية التي تعرض كيانها لهزة عيبة من قبل تنظيم قوي لدعوة سرية منظمة بشكل كبير أفضت في نهاية المطاف إلى إسقاط الحكم الأموي وقيام الحكم العباسي.

فقد طس الأمويون أن الدعوة العباسية السرية كانت كعبرها من الحركات التي كانت تدعو لأن البيت، والتي استطاع الأمويون وبشكل دائم أن يقصوا على مثل هذه الحركات بقوة السلاح.

ولا أن الدعوة العباسية السرية كانت منظمة بشكل مختلف عن سابقتها من الحركات، وحاوون العباسيون تلافي أعطاه الحركات التي سبقتهم، فقاموا بتنظيمها وتوحيد الأنباغ لها، ولما لاقى هذه الحركة قبولاً واسع النطاق في مختلف الطبقات وعناصر سكان المجتمع الأموي.

ولا بد في البداية من ذكر نسب العباسيين وكيف انتقلت إليهم الدعوة بعد أن كانت في البيت الهاشمي، وكيف استطاعت تحقيق هذا النجاح الباهر؟.

يعود العباسيون في نسبهم إلى العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي

عم الرسول الكريم ﷺ^(١).

^١ - ابن الكلبي (أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب ت ٢٠٤هـ / ٨١٢م): جمهرة النسب، رواية محمد بن حبيب، نج، عمد هردوس العظم، ههارس، محمد أديب الجادر، تقدم، سهيل زكار، دمشق، دار البقعة، ط ٢، ١٩٨٥م، ج ١، ص ١٩، ابن عباط (أبو عمر الليثي المصري ت ٢٤٠هـ / ٨٥٥م): الطبقات، نج، أكرم صياء العمري، الريس، دار طيبة، ١٩٨٢م، ص ١٠.

و لم يظهر أيّ طموح للوصول إلى الخلافة من قبل العباس بن عبد المطلب في عهد الخلفاء الرشديين أو في بداية الدولة الأموية، ولكن هذا الطموح ظهر على يد علي بن عبد الله بن العباس الذي كان له نشاط سياسي واضح، لذلك تم نفيه في عهد الوليد بن عبد الملك بن الرشيد^(١) واتخذ علي من الحميمية^(٢) مقراً لإقامته، وبعد وفاته تسلم ابنه محمد مهمة القيام بالدعوة ويقال بأن هذه المهمة قد انتقلت إليه من قبل أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحميمية^(٣).

١ - الشرافة: صنع بالشمس بين دمشق ومدينة الرسول ﷺ، الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٣٢.

٢ - الحميمية: بلد من أرض الشرافة من أعمال عمال في أطراف الشام كان منزل بني العباس، الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٠٧.

٣ - ابن سعد (محمد أبو عبد الله البصري الزهري ت ٢٢٣٠ هـ / ٨٤٥ م): الطبقات الكبرى، بيروت، دار صادر، د. ت، ج ٤، ص ١٦-١٧-١٨-٢٠-٢٢٩، مؤلف مجهول (من القرن الثالث الهجري): أخبار الدولة العباسية ونبأ أخبار العباس وولده، نج، عبد العزيز الدوري، عبد الجبار المظلي، بيروت، دار الطبعة للطباعة والنشر، ١٩٧١ م، ص ١٣٨ وما بعدها، زكار (مهمل): تاريخ العرب والإسلام (مد ما قبل الإسلام وحتى القرن السابع للهجرة)، دمشق، مطبعة محالد ابن الوليد، ١٩٨١ م، ص ٢٨٥، عمر (فاروق): طبعة الدعوة العباسية ٨٩٨ هـ / ٧١٦ م - ١٣٢٢ هـ / ٧٤٩ م، بيروت، مدار الإرشاد، ١٩٧٠ م، ص ١٢٢ ذكرت روايات متعددة عن انتشار الدعوة الهاشمية للعباسيين لمزيد من المعلومات ينظر، ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٧ م): الإمامة والسياسة، مصر، مطبعة الفتوح الأدبية، د. ت، ج ٢، ص ٢٠٧-٢٠٩ - ابن الأثير: انكسار، ج ١، ص ٥٣، الطرعي (الحسن بن محمد ت ٤٤٦ هـ / ١٠٣٠ م): حُر السمر، نج، د. سهيل ركا، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٦ م، ص ٢٥١، ابن العديم (عمر بن أبي حنيفة ت ٦٩٠ هـ / ١٢٦٢ م): رتبة حلب في تاريخ حلب، نج، سامي الدهان، دمشق، د. ت، ج ١، ص ٥٣، ابن عبد ربه الأندلسي (أبو عمر أحمد بن محمد ت ٣٢٨ هـ / ٩٤٠ م): العقد الفريد، نج، أحمد أمين، أحمد الريس، إبراهيم الإياري، القاهرة، ١٩٦٢ م، ج ٤، ص ٤٧٦ أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٩ م): المختصر في أخبار البشر، القاهرة، مكتبة للنسي، د. ت، ج ١، ص ٢٠٠.

وعمل محمد علي تنظيم الدعوة بشكل جيد من خلال مجلس يشرف عليها يتكون من
 شيء عشر نقيباً وسبعين داعياً، وهؤلاء كانوا يتخذون من التجارة ستاراً لهم، ليست دعوتهم في
 البلاد ويحتملوا في موسم الحج مع محمد يؤدون له الأموال ويأخذون التعليمات^(١)
 أما المؤسس الرئيس والمعلم الحقيقي لهذه الدعوة، فقد كان إبراهيم الإمام ابن محمد بن
 علي الذي اتخذ اللون الأسود شعاراً للعباسيين^(٢)، وأدخل في صفوفه الشخصية التي قامت بدور
 أساسي في إقامة الدولة العباسية وهي شخصية أبي مسلم الخراساني^(٣).

- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ٦١٦ - ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٢٥١ - المديني (أبو
 حنيفة محمد بن داود ت ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م): الأعيان الطول، نج، عيد للنعم عامر، مراجعة، ج ١، ص ١٩٦٠ م، ج ١، ص ٣٤٢.
 ٢ - لون لأسود شعار للعباسيين: مرد ذلك أن راية الرسول الكريم ﷺ فتح مكة كانت سوداء، وكانت
 راية الإمام علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) في حروبه، والأسود لون الرايات القادمة من المشرق للقضاء
 على الظلم لأمر حسب الأساطير والنبوءات، وكان لقباع العباسيين يسمون بالسوداء، عمر (درو) : طبعة
 الدعوة العباسية ٩٨-١٣٢ هـ / ٧١٦-٧٤٩ م، بيروت، دار الإرشاد، ١٩٧٠ م، ص ١٩.
 ٣ - هناك خلاف حول أصل أبو مسلم الخراساني منها أنه كان حراً من ولد برز جهرا بن
 الأثير انكس، ج ٥، ص ٢٤٥، والبعض يقول أنه سبي واشترى ببعض دعة بني العباس بأرمسانة درهم ثم وصل
 إلى الإمام، ابن كثير (إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ت ٥٧٤ هـ / ١٢٧٢ م) البداية و
 النهاية، بيروت، مكتبة المعارف، ١٩٧٧ م، ج ٧، ص ٤٠، وقيل أنه من شجاع نصيبك من بلاد فارس رآه دعة
 انباسبين فأعجبوا به واتصل بالإمام فطلب منه تغيير اسمه إلى عبد الرحمن، ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد
 ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٩ م): المعر وديوان البتنة والخبر في أخبار العرب والمسلم والبربر ومن عاصروهم من
 ذوي السطوات الأكبر والمعروف بتاريخ ابن خلدون، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٩٧١ م، ج ٣، ص ١٢٤.

ولم تكن تحركات العباسيين السرية بمأى عن عيون الأمويين إلا أنهم لم يستطيعوا فعل شيء خاصة وأن مروان بن محمد كان مشغولاً بعقن داخلية وثورات الخوارج في العراق والحيرة، فلم يستطع أن يقف في وجه هذه الدعوة، وبعد ذلك تم إلقاء القبض على إبراهيم، وفي أثناء ذلك أوصى إبراهيم الإمام لأخيه أبي العباس عبد الله بن محمد بالإمامة من بعده، وتوجه أبو العباس وأهل بيته نحو الكوفة ونزلوا عند أبي سلمة الخلال^(١)، وفي يوم الجمعة ١٣ ربيع الأول عام ١٣٥ هـ / ٧٤٩ م خرج أبو العباس إلى الناس في مسجد بني أود^(٢) وصلى بالناس وخطب بهم، وافتتح بقرائته من الرسول الكريم، ثم ذكر الخلفاء الراشدين، وفصلهم وأثنى عليهم، ثم سأل على بني حرب وبني مروان ظلمهم وأثنى خطبته بقوله "أنا السعاح المبيح والثائر المبير" ونال مع إلقاء الخطبة من بعده عمه داود بن علي، وأخذ أبو جعفر المنصور وأخوه البيهق له من الناس^(٣).

- أبو سلمة الخلال: حنظل بن سليمان مولى بني الحارث بن كعب ويعرف بأبي سلمة الخلال وقيل في سببه أنه سبب إلى الخلل وقيل سبب إلى غلغل السيوف وهي الجفون وذكر أن العرب تسمي من يمشي الخلال، الجهشباري (أبو عبد الله محمد بن عبدوس ٣٣٩ هـ / ٩٤٣ م). الوراء، والكتاب، نج، مصطفى السقا، إبراهيم لإبراهيم، عبد الحفيظ شلبي، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٣٨ م، ص ٨٦.

١- أبو أود: حي من بني سعد المشيرة من كهلاء من القحطانية، وهم أبو أود بن صعب بن سعد المشيرة، ومنهم أيضاً من هناك من كهلاء من القحطانية، القلقشدي (أبو العباس أحمد بن علي بن محمد ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م): نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، نج، علي الخلفاني، بيروت، دار الكتب العلمية، ص ٨٨-٨٩.

٢- ابن عباط. تاريخ خليفة بن عباط، ص ٤٠٩، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ٤٢٥-٤٢٦، لأردى (أبو ركريا يزيد بن محمد بن إمام بن قاسم ت ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م): تاريخ الموصل، نج، علي حبيب، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٩٧ م، ص ١٢٤-١٢٥، ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٤١٥-٤١٦، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٤٢، الخضري بك (محمد): محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٧٠ م، ص ٢٧-٢٨، كرد علي (محمد): خطط الشام، دمشق، مطبعة الحديثة، ١٩٢٥ م، ج ١، ص ١٦٧-١٧٠.

ولعل أول وأهم عمل كان على السعاح أن يقوم به هو قتل الخليفة الأموي مروان بن محمد، بد،
 وذلك حتى يثبت أركان دولته الجديدة، ولكي يتم التأثير لبي هاشم حسب رأي أتباعه، لذلك
 فقد جهز جيشاً بقيادة أبي عون عبد الملك بن يزيد العتكي الأردني، وسأده بعدد من القواد
 ومعه أعداد كبيرة من الجيوش، استطاعوا حصار مروان وتضييق الخناق عليه، ثم أسد أبو العباس
 السعاح قيادة الجيش العباسي لعمه عبد الله بن علي، وذلك ليقوي عزيمة جده ويزيد من
 تمسكهم بمذبه وخاصة عندما يكون قائد الجيش شخصاً من أهل بيت السعاح، وبالمثل قام عبد
 الله بمهمته على أكمل وجه، فقد تمكن من هزيمة مروان بعد عشرة أيام من القتال.^(١)

هرب مروان بعد هزيمته إلى الموصل لكن أهلها لم يستقبلوه، ثم توجه نحو حران ومنها
 توجه نحو قيسري، ثم حمص ثم دمشق ثم فلسطين، ومنها إلى العريش^(٢) ووصل مصر وهذا
 وجه عبد الله بن علي أخاه صالح، ليواصل اللحاق بمروان، وبدوره صالح أرسل شخصاً يدعى
 عامر بن إسماعيل أحد أبناء الحارث بن كعب، الذي لحق بمروان، وقتله في قرية من قرى مصر.

- اس عباط. تاريخ خليفة بن عباط، ص ٤٠٣، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ٤٣٤، لأردى:
 تاريخ الموصل، ص ١٢٩، المسعودي: مروج الذهب، ج ٣، ص ٢٩١، مؤلف مجهول: العيون والحدائق في
 أخبار الخلفاء من خلافة الوليد بن عبد الملك إلى خلافة المعتصم، بغداد: مكتبة النشيد، د ت، ص ٢٠٢-٢٠٣،
 ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٤٣، أبو حبيب (سعدى): مروان بن محمد وأسياب سقوط الدولة
 الأموية، لبنان: دار لسان العرب، ١٩٧٢م، ص ١٣١.

^٢ - العريش: مدينة كانت أول عمل مصر من ناحية الشام، الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ١١٣.

تدعى بوصير^(١)، وتم إرسال رأسه إلى الخليفة العباسي أبي العباس السفاح، وكان قتله في آخر ر
ذي الحجة عام ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م^(٢).

بمقتل الخليفة الأموي المهزوم مروان بن محمد تمكن أبو العباس السفاح من التخلص من
العبء الذي كان على كاهله، حيث انتهى تاريخ الدولة الأموية بمقتل مروان بن محمد، وبدأ
تاريخ دولة جديدة هي دولة بني العباس.

أولاً- الوضع الداخلي في الدولة العباسية زمن الخليفة السفاح واسه بتفلال
هذا الوضع من قبل البيزنطيين ١٣٢-١٣٦ هـ / ٧٥٠-٧٥٥ م :

الحرب طاهرة قديمة، وافقت الإنسان مد بشأته على هذه الأرض و عاشت معه للمحافظة على
حياته، وعلى الرغم من أن الإنسان في طبيعته يميل إلى السلام، و لكن هذه الطبيعة كانت تدفعه
إلى الحرب من أجل حماية حياته و أسرته الصغيرة، ومن ثم تطورت هذه الحالة لدى الإنسان
لتشمل الدفاع عن وطنه الكبير.
وأخذت الحرب وطبيعتها حيزاً كبيراً لدى المؤرخين لتصور هذه الحالة التي يعيشها الإنسان.

- بوصير اسم لأربع قرى في مصر، وقتل مروان في بوصير بالحموي : معجم البلدان ، ج١، ص ٥٠٩
٢ - اس عياط تاريخ خليفة بن عياط، ص ٤٠٤ ، الأردني: تاريخ للوصول ، ١٣٧ ، مؤلف مجهول - نعيون
والحدائق، ص ٢٠٤ ، الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت ٥٧٤٨ هـ / ١١٣٤٧ م): دول الإسلام ،
نسخ - مهيب محمد شقوت، محمد مصطفى إبراهيم ، القاهرة، المجبة المصرية للكتاب، ١٩٧٤ م ، ص ٣٠٠.

فقد ذكر العلامة ابن علدون في مقدمته تعريفاً عن الحروب بقوله :

((الحروب طبيعة في الناس، وضرورة يعرضها الواقع الذي يعيشون فيه وأصلها إرادة انتقام بعض البشر من بعض، فإذا تدمروا لذلك وتوافقت الطائفتان، إحداهما تطلب الانتقام والأخرى تدفع عن نفسها كانت الحرب، وهذا أمر طبيعي في البشر لا تخلو منه أمة ولا حيل وسبب هذا الانتقام في الأكثر إما غيرة ومافسة وإما عدوان ، وهو ما يكون بين الأمم الوحشية التي تسكن القعر، وإما غضب لله و لديه، وهذا المسمى بالجهاد في الشريعة، وإما غضب للملك وسعي في تهيبه)).^(١)

ومحىء الإسلام تعير مدلول الحرب لدى المسلمين، فكلّ خلاف حول العقيدة الإسلامية يؤدي إلى صدام مسلح وهو الحرب، سواء أكانت بين أبناء الأمة الواحدة من جنس واحد كعزوات الرسول الكريم (ص) ضد قومه من قريش أو حرب أبي بكر ضد المتمردين على الإسلام، أم كانت بين دولة و دولة، أو أمة و أمة أخرى كحروب المسلمين مع الفرس و الروم البيزنطيين.^(٢)

كما اعتلعت أسباب الحروب بين البشر ويصف ذلك الحرثي بقوله:

((الحرب ليست بواحدة ولا العمل فيها واحد، من ذلك أن هناك عدة تختلف الله ما بين في بلدانهم وأصنافهم ومذاهبهم في الحرب، كالترك والديلم والروم والله ما والأكراد والأعرب وارب وغيرهم من سائر الأمم، كالتخوارج والصعاليك وغيرهم من سائر الأصناف، فيختلف الله ما بين

- ابن علدون (عبد الرحمن بن محمد ت ٨٨٠هـ / ١٤٠٩م): مقدمة ابن علدون، بيروت، منشورات مؤسسة لأعني، ١٩٧١م، ص ٢٧٠-٢٧١.

^٢ عمر (عبد الطيف): أحكام الأسرى والسبي، بيروت ، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، دار الكتاب المصري، ١٩٨٦م، ص ٤٧.

والعمل في المحاربة على حسب اختلافهم في ذلك، وقد تختلف غايات أهل الحرب وهمهم، فتكون مهمة بعضهم المداورة بيّاتاً أو صباحاً، واستلاب ما أمكنه والقور به، وقد يكون مهمة بعضهم أن يدين له العالم فيحارب من مخالفه من جميع الأمم حتى يستولي على الأقاليم السبعة، حين هاتين الحاليتين من التقارب مع ما بينهما من اختلاف المهتم والأحوال ما يقصر عنه الوصف، ويكسب اختلاف التدبير والعمل والمكاييد فيه على حسب ذلك، وقد يقع الاختلاف في المطاولة فيكسب كل واحد من الاثنين المتحاربين يطلب صاحبه، أو يكون أحدهما طالباً والآخر هارباً أو دافعاً، فيختلف التدبير والعمل والمكاييد على حسب ذلك))^(١).

استلم الخليفة العباسي الأول أبو العباس السفاح رمام المحكم، وبدأ تاريخ جديد لدولة جديدة، ولكن حين استلم السفاح ثروة الدولة الأموية لم تكن الأوضاع الداخلية جيدة مع، حين العباس، بل عانى السفاح من الاضطرابات الداخلية، وكان عليه أن يعيد الاستقرار والهدوء لدولته الجديدة، وقد استعمل قوة السلاح بشكل كبير.

وقد كانت العلاقات الإسلامية البيزنطية عدائية، ولم تكن ودية، وإن تخللتها بعض السويات التي توقفت فيها المحرم البيزنطي على الثغور نتيجة لأوضاع خارجية واضحة، اضطرابات داخلية، وفي هذه الأجواء تحسّ الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الخامس الفرصة المناسبة، لشنّ هجوم على الحدود الإسلامية، إذ كانت الدولة العباسية تعاني من اضطرابات داخلية، فقامت

^١ - المرقني (أبو سعيد الشيرازي) كتاباً ٥٢٣٤ هـ / ١١٤٨ م : مختصر في سياسة الحروب، ص ٦٦. عبد المعى دمشق، دار كتاب للطباعة والنشر، ١٩٩٥ م، ص ٦٦.

الثورات ضد الخلافة الجديدة، وقام الإمبراطور بالمبادرة بالهجوم على ملطية متيقناً من نجاحه كون العباسيين مشغولين بتوطيد أركان الدولة الجديدة ولن يتمكنوا من الرد عليه في هذه الظروف^(١) .
ففي عام ١٢٢ هـ / ١٧٥ م قام الإمبراطور قسطنطين الخامس بالتوجه نحو ملطية وحاصر كمخ ، وبدأ الإمبراطور بالهجوم على حصن كمخ، ولم يكن في الحصن أعداد كافية من الجنود للرد عليه، لذلك استنجد أهالي الحصن بأهل ملطية فأمدوهم بشماعة مقاتلة، إلا أن الجنود البيزنطيين تمكنوا من هزيمتهم، لذلك لم يكن باستطاعة أهالي الحصن سوى الاستسلام فأعطاهم الإمبراطور الأمان^(٢) .

بعد أن تمكن الإمبراطور قسطنطين الخامس من الاستيلاء على كمخ توجه نحو ملطية، وكان المسؤول عنها شخص من بني سليم^(٣)، وعمل قسطنطين وهو في طريقه نحو ملطية على تدمير التحصينات الموجودة في طريقه، لكي يمنع وصول أية إمدادات أو مساعدات لأهالي ملطية، فعمل على الاستيلاء على الحدث، ثم وصل إلى ملطية وحاصرها^(٤) .

- عمراة (عمود سعيد). معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية (مدخل لدراسة التاريخ السياسي والحربي)، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨١م، ص ١٠٤، سيدي: تاريخ العرب العام، ص ١٨٦.

^١ - أنبلادري. فتوح البلدان، ص ١٩٠، ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٤٧٧، دحلان (أحمد بن يحيى) انتموحات الإسلامية، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٥٢م، ص ١٩٠.

^٢ - بنو سليم. قبيلة عظيمة من قيس من عيلان وهم بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن حصفة بن قيس، ومهم أيضاً بطن من شؤة من الأزد من القحطانية، القلقشندي: نهایة الأرب، ص ٢٧١-٢٧٢.

^٣ - ابن شداد: الأعلام الخطيرة، ج ١، ص ٢، ص ١٨٦، ابن المديم: بغية الطلب، ج ١، ص ٤٧٧.

كان موقف أهالي ملطية صعباً جداً، فلم يستطيعوا مقاومة حصار الإمبراطور للمدينة مهم خاصة وأن الحصار لم يكن عسكرياً فقط، بل كان اقتصادياً أيضاً، فقد عدم الإمبراطور قسطنطين على منع دخول أي شيء لأهالي المدينة، لذلك بدأ الخناق يضيق على أهل ملطية، فطلبوا المساعدة من عامل الجزيرة موسى بن كعب^(١) لإمدادهم بالجنود من أجل الدفاع عن مدينتهم، لكنه لم يستطع أن يمددهم بالمعونة، وذلك بسبب الاضطرابات الداخلية التي كانت تعاني منها الجزيرة، كما أن الخلافة العباسية في بدايتها كانت تعاني من أزمات داخلية كثيرة^(٢). عندما تأكد الإمبراطور من عدم قدرة المدينة على الاستمرار في مقاومته أرسل كتاباً لهم يقول فيه: "إني لم آتكم إلا على علم بأمركم وتشاغل سلطانكم عنكم أنزلوا على الأمان وأدخلوا المدينة أحررها وأمضي عنكم"^(٣).

ومن هذا الخطاب يلاحظ نبرة التهديد والوعيد وللإدانة في الوقت نفسه، فقد كان الإمبراطور على يقين بأن العباسيين لن يتمكنوا من مساعدة أهل ملطية، فلجأ إلى أسلوب اللين. رفض أهل ملطية عرض الإمبراطور في البداية على أمل أن تصلهم الإمدادات، وأصر مروء على مقاومته فعمل الإمبراطور على تشديد الحصار وصب المحاريق على المدينة مقابل كل جهة، واشتد الحصار على الأهالي ولم يستطيعوا أن يصبروا على ما خلفه الحصار من أثار سلبية عليهم.

- موسى بن كعب. هو موسى بن كعب بن عبيدة بن عائشة بن عمرو بن سُري من عادية من الحارث بن امرئ القيس ابن زيد مناة بن ثيم، ابن الكلبي: جبهة السب، ج ١، ص ٣٦٠.

^٢ - ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٤٤٧، ابن شداد: الأعلام، ج ١، ص ١٨٧.

^٣ - ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٤٧٧، ابن شداد: الأعلام، ج ١، ص ١٨٧، البغوي: تاريخ البغوي، ج ٣، ص ٩٩، البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٩٠.

عسبة واقتصادية، وعندما لم تأت أية مساعدة لأهل ملطية طلبوا الأمان ، فأعطاهم الإمبراطور الأمان، واستعدوا للخروج من المدينة، لكنهم قبل رحيلهم عملوا على إخفاء كنوزهم وأعرصهم الثمينة بإلقائها في الآبار والمخاض ليحرموا البيزنطيين من الحصول عليها ثم خرجوا منها، ولمعهم من هرب مصطف الجنود البيزنطيون على جانبي الطريق، ومر السكك في صف واحد تحت السيوف المتقابلة على شكل قطرة ، فتوجه قسم منهم نحو الحرية، وقسم آخر أخذه البيزنطيون معهم كأسرى، وأمر الإمبراطور بدم المدينة، ولذلك فقد حُرِبت التحصينات والقلاع وبقي في المدينة بيوت وأمكنة اقتصادية واجتماعية أخرى ((وهذه الروم المدينة ولم يبقَ واحد منها إلا هربها^(١))) ثم تابع طريقه للاستيلاء على الحصون والمدن الأخرى، فتوجه نحو حصن قلونية^(٢) واستولى عليه، ووصل إلى حصن ميساط وعربه^(٣).

فما هو غرض الإمبراطور من دهم التحصينات؟ ولماذا لم يجعلها تابعة له، ويضع فيها جنوداً بيزنطيين يقعون بوجه المسلمين؟.

^١ - المري: بحزن الفلال، الجوهرية: الصحاح في اللغة والمعلوم، ص ٦٤٠.

^٢ - قلونية: حصن كان قرب ملطية ، ابن الفقيه المسداني : مختصر كتاب البلدان ، ص ١١٤ ، الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٩٢.

^٣ - انبالادري. فتوح البلدان، ص ١٩٠ ابن عسباط : تاريخ خليفة بن عسباط، ص ٤١ ، ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٤٤٧ ، ابن شداد: الأعلاني الخطيرة ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ١٨٧ ، ابن العمري (أبو الفرج جمال الدين عريفروريس الملقب ب ٥٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م): تاريخ الرماح ، تر: إسحق أرملة ، قدم له، جان موريس فييه، بيروت، دار المشرق، ١٩٨٦ م ، ص ٨، السرياني: تاريخ ميخائيل الكبير، ج ٢، ص ٤١٣ ، ربيع : دراسات في تاريخ بيروت، ص ١٢٥ .

من المرجح أن الإمبراطور كان يعلم أن هذه المناطق التي استولى عليها مبيعة وحصة بينه وبينه وبينه وبينه، بسبب بعدها عن الإمبراطورية البيزنطية، وهو يعلم بأن العباسيين لن يقوموا مكتوفي الأيدي مدة طويلة، بل سيحاولون الرد على هجومه ومهاجمة حدود دولتهم في هـ و. وضع فيها حاميات وجنود تابعين له، لذلك أمر بدمها وبما لكيد المسلمين خسائر مادية باهظة تؤخرهم مدة من الزمن حتى يتمكنوا من إعادة تنظيم أمورهم هذا من جانب، ومن جانب آخر فإنه يدمر نقاط الإمداد الرئيسة للمسلمين التي يستخدمونها لتمدهم بمحاربتهم العسكرية والعدائية في محاربتهم ضد البيزنطيين، وهناك جانب آخر يجب ألا يغفل وهو أن وصول الإمبراطور إلى هذه المدن "على الرغم من أوضاع الدولة الناشئة الصعبة" فإنه يدل على قوته وشجاعته ونشاطه وحكمة عالية لديه، وذلك أنه استطاع أن يهاجم المسلمين دون أن يتمكنوا من مواجهته، ولا شعاعهم بتنظيم دولتهم.

إلا أن هذا الوضع لم يستمر طويلاً، فقد أحس الخليفة الجديد أبو العباس، بأن أعداء الدولة الإسلامية القدامى هم أعداء اليوم، فالبيزنطيون لن يتركوا دولته بهدوء، لذلك سارع بتجهيز جيوش وأعدتهم للرد على هذه المحطات، فكان رده متمثلاً بإرسال صالحتين في عام ١٣٤ هـ / ٧٥٢ م.

الصالحة الأولى: كانت نحو ملطية بقيادة عمه صالح بن علي وعيسى بن علي اللذين مبعلا شيئاً سوى تخريب المدينة، والثانية: كانت بقيادة محمد بن الضمر بن برم الحميري الذي دخل الطواقة^(١)،^(٢)

الطواقة: بلد بفسور المصيبة بالحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٥.

^١ - ابن شداد: الأعلام الخطيرة، ج ١، ص ٢، ص ١٨٩، عبد الله: العلاقات السياسية، ص ١٤٩.

وما يثير الاستعراب تخريب ملطية من قبل العباسيين وهي تابعة^(١) لهم؟ .

وهنا يلاحظ بأنه قد سبق وذكر بأن الإمبراطور قسطنطين الخامس كان قد عاث فساداً في المدينة وحرب فيها كثيراً، وهنا يذكر مرة أخرى بأن العباسيين قد حاربوا المدينة، والأرجح بأن العباسيين لم يكونوا في وضع جيد يمكنهم من الدفاع عن ملطية، وخافوا أن يستولي عليها البيزنطيون فقاموا بتخريبها، لكي لا يستغل البيزنطيون موقعها العسكري الإستراتيجي المهم ضدهم^(٢) .

من الممكن أن يكون صالح بن علي، الذي سلمه السعاح قيادة الصائفة، قد وجه بعض القادة ومعهم أعداد من الجنود نحو أماكن متفرقة ومنهم سعيد بن عبد الله، والمرجح، بأن سعيد الطبري بقوله "وراء الدروب" درب الحدث وملطية وما وراءها، أي ليس له مل إلى حدود الدولة البيزنطية، وخصوصاً الحدودية التي تفصلها عن الدولة العباسية .

أما عن الجانب البيزنطي فيبدو أن الإمبراطور قسطنطين الخامس لم يكن في وضع يسمح له بالرد على هجوم المسلمين أو حتى بالمبادرة بالهجوم عليهم، وربما يعود ذلك إلى انه كان

- ابن عسك. تاريخ خليفة بن عياط، ص ٤١٠، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ٤٦٠، بن شداد لأعلاق الخطيرة، ج ١، ق ٢، ص ١٨٩ .

١ - ذكر خليفة بن عياط بأن الصائفة كانت في عام ١٣٣ هـ . ص ٤١٠ ولكن من المرجح بأنها كانت في عام ١٣٤ هـ لأن الخليفة كان مشغولاً بأموره الداخلية بشكل كبير وحتى استطاع أن يجهز صدقه لغزو في انعم الذي ابن عياط. تاريخ خليفة بن عياط، ص ٤١٠، وقد ذكر الطبري بأن صالح بن علي قد وجه سعيد بن عبد الله لغزو الصائفة وراء الدروب، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ٤٦٠.

الإمبراطور بالتحضير لأعمال مجمع هيريا^(١) هذا المجمع الذي نتج عنه إصدار عدد من القراءات التي تدين عبادة الإيقونات^(٢).

ويلاحظ أن هاتين الصائفتين لم تحققا نتائج ذات أهمية، فالمصادر العربية ذكرت فقط بأعما أرسلتا إلى الحدود، أما المصادر البيزنطية فلم تذكرها مطلقاً، ويؤكد ذلك عدم تحقيق أية نتائج تذكر.

بعد أن أرسل السعاح هاتين الصائفتين عمل على تجهيز حملة كبيرة بقيادة عمه القائد الشجاع عبد الله بن علي، فقد كلمه بالتوجه نحو الثغور الجريرة، ليقف في وجه البيزنطيين.

وبالفعل قام عبد الله بن علي في عام ١٣٦ هـ / ٧٥٤ م بجمع جيش كبير مكون من أهل عرسان والشام والموصل والجزيرة، وتوجه بهذا الجيش الكبير نحو دلو^(٣) وجمع الجيش هناك استعداداً للتوجه نحو الحدود الإسلامية البيزنطية للمهاجمة، وكان هذا الجيش معداً ومجهزاً بشكلٍ مسطّم ومهيأ بشكلٍ كبير للهجوم على البيزنطيين، ولكن لم يكتب لهذه الحملة النجاح، بل استحدثت ظروف معت عبد الله من دخول الأراضي البيزنطية، وهي موت الخليفة أبي العباس

- مجمع هيريا الكسي: تقر هذا المجلس سياسة الإمبراطور في سبيل اللاأيقونية "تحرّم عبادة الصور المقدسة". وبذلك بدأت مرحلة المعف في هذه الحركة. اشتدت مقاومة الرهبان ومعارضتهم لهذه السياسة عبر أن الإمبراطور تراجع عن موقفه وجرى على الرهبان الحبس والنفي وإعدام فريق منهم. تقرر إغلاق الأديرة ومصادرة أملاكها، وتحطمت الصور للقدسة أو طست مملها، ولهم لاجئ: موسوعة تاريخ العالم، ص ٤٨٥، محمد حسين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ١١٦-١١٧، A.A.Vasiliev, Histoire de

I Empire Byzantin, Paris, 1932, p26

^١ - لاجئ: موسوعة تاريخ العالم، ص ٤٨٥، العربي: الدولة البيزنطية، ص ١٨٩-١٩٠.

^٢ - دلو. بلدة من مواسي حلب بالمواصم، الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٦١.

السفاح، فعندما أتاها البأ بوقاة أبي العباس السفاح واستلام أبي جعفر للنصور السلطنة، أصدر روف عبد الله بن علي^(١) عائداً إلى الجزيرة من دون أن يقوم بأي نشاط ضد البيزنطيين، وعمل عبد الله على جمع مناصريه، ليقوم بثورة ضد المنصور للاستيلاء على السلطنة.^(٢)

- قدم عبد الله بالدعوة لنفسه بعد أن كان الخليفة السفاح قد وعده بالخلافة إن تمكن من القضاء على الخليفة لأميوي مروان بن محمد، وثار على الخليفة الجديد أبو جعفر المنصور وجمع أعداد كثيرة خلفه لمريد من المعلومات عن ثورة عبد الله بن علي انظر ابن عياط: تاريخ خليفة بن عياط، ص ٤١٢، البغوي: تاريخ البغوي، ج ٣، ص ٣٦٤، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ٤٧٤-٤٧٥-٤٧٦، الأردى: تاريخ الموصل، ص ١٢٨، المقدسي (مظهر بن طاهر ت ٨٣٦٦ هـ/٩٧٧ م): البدء والتاريخ، بغداد، مكتبة الشبي، ١٩٩٩ م، ج ٦، ص ٧٧، ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٥، ص ١١٣، ابن العديم: رتبة الخلفاء في تاريخ حلب، ج ١، ص ٥٧، الصفدي (صلاح الدين خليل بن ابيك): تحفة ذوي الألباب هيس حكم دمشق من الخلفاء والملوك والنواب، نج، إسكندرية سعيد مخلوصي، زهير حيدان الصمصام، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩١ م، ج ١، ص ٢٠٢، المرعشي: بحر السير، ص ٣٢٤-٣٢٥، ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٤١٧، ابن عثرون: تاريخ ابن عثرون، ج ٣، ص ١٨٠-١٨١، الذهبي: دول الإسلام، ج ٥، ص ٢٦٩، الجيهشباري: الزوراء والكباب، ص ١٠٢، مؤلف مجهول: العيون والمخالفات، ص ٢٠٢.

^١ - ابن عياط: تاريخ خليفة بن عياط، ص ٤١١، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ٤٧٧، لأردى: تاريخ الموصل، ص ١٥٩، ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٤٦٢، مؤلف مجهول: العيون والمخالفات، ص ٢١٦-٢١٧، البغوي: تاريخ البغوي، ج ٣، ص ٣٦٢. لقد ذكر المؤرخ خليفة بن عياط بأن أبا العباس السفاح كتب في عام ١٢٥ هـ/٧٥٣ م إلى عمه عبد الله بن علي أمره بضرب العميون، فولى سعيد بن عبد الرحمن (علم يدرب) أي لم يتوجه نحو الحدود وجعل يداين وأهواء الدروب، ابن عياط: تاريخ خليفة بن عياط، ص ٤١١ من المرجح بأن الحملة توجهت في عام ١٢٦ هـ/٧٥٤ م ولكن من الممكن أن يكون قد تم تجهيزها قبل عام، أي في عام ١٢٥ هـ/٧٥٣ م وقول ابن عياط بضرب "بضرب العميون" يعني أن يرسل من يستطلع به عن وضع الحدود وما تعرضه عليه من تجهيز الحملة وسعد بن عبد الرحمن الرحي هو من قام بهذه المهمة، المرثي مختصر في سياسة الحروب، ص ٢٣.

و لم يقتصر دور السعاح على توجيه الصوائف ضد البيزنطيين، بل اهتم أيضاً بتزويد مدد الثغور بالحاميات والمخود للدفاع عنها، فقد أرسل إلى المصيصة أربع مئة رجل للمراقبة فيها، والدفاع عن المدينة وحمايتها.^(١)

إذا فالنشاط الحربي في الثغور كان مرتبطاً بالوضع السياسي ويتأثر به بشكل كبير. فعلى حد ما، حدوث انقلاب أو وفاة الخليفة، فإن هذا النشاط يتوقف إلى إشعار آخر، وهذا ما حصل عندما توفي السعاح وتسلم أبو جعفر المنصور كرسي الخلافة العباسية .

وهكذا انتهى عهد السعاح، وعلاقاته مع البيزنطيين لم تتجاوز سوى إرسال صالحتين لم تحققا له نتائج مهمة، فالخليفة الجديد اهتم بشؤونه الداخلية أكثر من اهتمامه بالشؤون الخارجية، ومع هذا فإنه لم يهمل وضع الجبهة الإسلامية البيزنطية بشكل كامل .

ثانياً- النشاط العربي الإسلامي العسكري والسياسي زمن الخليفة للمنصور ١٣٦-١٥٨

١٥٨ هـ / ٧٥٤-٧٧٥ م:

نعبر الوضع كلياً عند استلام أبي جعفر المنصور الخلافة الذي عمل على تنظيم مناطق الثغور وإعادة تحصيها وتنظيم وسائل الدفاع عنها، وجعل لها حكماً إدارياً مستقلاً وحشد فيها آلاف المقاتلين والمراقبة، ومحوهم الإقطاعات والمزارع وبنى لهم البيوت والإصطبلات،

^١ - البلاذري: فتوح البلدان ص ١٧٠.

لذلك يعد المصور أول من وضع نواة النظام الثوري الذي اردهر في عصر خلعائه.^(١)

بعد أن تسلم أبو جعفر المصور السلطة حاول في البداية أن يقض على علي بن عاصم ووجهه
للمهاجرين له على خلافته، فاستغل الإمبراطور قسطنطين الخامس هذه الفرصة، وتوجه في عام
١٣٨ هـ / ٧٥٥ م نحو دابق^(٢) مهاجماً إيها بجيش ضخم بلغ تعدادة أكثر من مئة ألف جندي،
ورداً على هذا توجه صالح بن علي نحو دابق، لمواجهة الإمبراطور الذي استطاع بدوره أن يهزمه
ويقتل الكثير من المسلمين، لكن صالح بن علي تمكن من مواجهته وتحقيق انتصار كبير عليه،
فسارع الإمبراطور لمخرج من دابق، لكنه أخذ معه أعداداً كبيرة من المسلمين كأسرى من أهل
الشام والجزيرة في أثناء عودة صالح بن علي من دابق^(٣).

- لأرمني (عبد الرحمن سبط ت ٧١٧ هـ / ١٣١٧ م) خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك،
بغداد، مكتبة المثلث، د.ت.ص.ص ٦١، المبادئ (أحمد مختار) في التاريخ العباسي والفاطمي، بيروت، دار النهضة
العربية، ١٩٧١ م، ص ٦١، الرافعي (أنور): تاريخ العرب والإسلام منذ المصور القديمة حتى العهد العثماني،
دمشق، دار الفكر، ١٩٧١ م، ص ٣١١، كرد علي (محمد): الإدارة الإسلامية في عر العرب، القاهرة، مطبعة
مصر، ١٩٣٤ م، ص ١٢٤-١٢٥، لاجر (وليام): موسوعة تاريخ العالم، تر، محمد مصطفى رمادة، القاهرة،
مكتبة النهضة المصرية، نشر هذا الكتاب بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ١٩٥٩ م، ص ٥١٧.

^١ - دابق: قرية قرب حلب من أعمال عرزل، الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤١٦.

^٢ - انيلادري: نوح البلدان، ص ١٩١، ابن عياط: تاريخ خليفة بن عياط، ص ٤١٧، الحميلي (أبو الملاح
عبد الحق المعروف بابن المسد ت ٨٩٠-٨١٧ م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، دار
السيرة، ط ٢، ١٩٧٩ م، ص ٢٠٦، الذهبي: المعر في عر من عر، تصحيح، صلاح الدين المسجد، الكويت، ١٩٦٠ م،

ج ١، ص ٨٤، ١٨٧

وعند مراجعة هذه الأحداث يتبين للدارس بأن المؤرخين قد بالغوا في ذكر أعداد الجنود البيزنطيين في هذه الحملة، فهي على ما ذكرها (١٠٠) ألف جندي، وهذا رقم من المبالغ أن يكون مبالغاً فيه، والسبب في ذلك يعود إلى رغبة المؤرخين في إظهار أهمية النصر الذي استطاع صالح أن يحققه على الإمبراطور، وأن يشعر القارئ للأحداث بأن الخلفاء العباسيين على الرغم من انشغالهم بأمورهم الداخلية، إلا أن الجهاد ضد البيزنطيين أعداء المسلمين كان شغلهم الشاغل وهمهم الأكبر.

بعد أن رحل الإمبراطور عن دابق وتلقى خسارة على يد المسلمين، لم يوقف هجومه نحو الحدود الإسلامية، بل عباً وهماً جيشاً كبيراً، وغزا الحدود الإسلامية، ودخل ملطية واستولى عليها، ثم هدم حصونها وعرب سورها، مما أحس المنصور بأن البيزنطيين لا يأمحون لأمره بتكرار هذه العارات، لذلك طلب من عمه صالح بن علي إعادة بناء ملطية وتحصنها بها بشكوك قوي، لكي تستطيع مقاومة هجمات البيزنطيين، وهذا يدل على أن الخلفاء العباسيين كانوا يقومون باستمرار بإعادة إعمار تلك الثغور بالأبنية والحصون.^(١)

نسب المنصور إلى أن البيزنطيين يوجهون حملاتهم نحو ملطية بشكل دائم، لذلك عمل على توجيه الصوائف والشواني نحو الثغور، حيث كان لا يكاد يمضي عام واحد إلا وقد دأرس من

- ابن عسك: تاريخ خليفة بن عسك، ص ٤١٨، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ٤٩٧،
من لأثير الكامل، ج ٥، ص ٤٨٦، ابن العديم: رتبة الطلب في تاريخ حلب، ج ١، ص ٥٩، مؤلف مجهول:
النبوغ والحدث، ص ٢٢٥، حني

(مليح)، جرجي (الدول)، جيور (جورجيا): تاريخ العرب مطول، بيروت، دار الكشاف للنشر والطباعة
والنور، ط ٢، ١٩٥٢م، ج ٢، ص ٢٦٢.

بالمصور صائفة ، فقد أرسل أختاه العباس بن محمد بن علي علي رأسه ثائفة في عام ١٢٩ هـ ٧٥٦ م مكونة من أربعين ألف مقاتل، وكان مع العباس عمه صالح وعيسى ابنا علي، وأختاهما لبابة وأم عيسى ابنا علي وكانتا قد بذرتا أن تعزدا في سبيل الله إذ رس حكمهم الأمويين، خرج العباس من درب المحدث نحو ملطية، وقام بإصلاح ما تخلف، ووضع فيها حامية، ونقل إليها السكان من فلسطين والجزيرة، وغزا حمص بن حنظلة البهراني من ملطية ونوغ بن في بلاد الروم. (١)

عندما أحس الإمبراطور البيزنطي بأن المسلمين قد استعادوا قوتهم، وبأنه في وضع لا يسمح له بالتواجهة طلب الصلح من المصور، لكن الخليفة المصور رفض الصلح قائل أن يتم تبادل أسرى بين الطرفين في عام ١٣٩ هـ / ٧٥٦ م^(١٧).

ويبدو أن المنصور كان قد أرسل إلى ملطية مجموعة من القادة ومعهم عدد من الجنود للربط بالمدينة، وربما كان جعفر بن حنظلة البهراني من هؤلاء القادة، الذي توجه إلى ملطية فوجدوها محاصرة تماماً، لذلك عمد بكر بما مع جنوده ، بعد ذلك توجه عبد الوهاب بن إبراهيم

١- البلاذري : فوج البلدان، ص ١٩١، الطبري: تاريخ الرسل والملوكة، ج ٧، ص ٥٠٠، ابن
لأثير انكس، ج ١٥، ص ٤٨٦، ابن شداد: الأعلاني الخطيرة، ج ١، ق ٢، ص ١٨٧، مؤلف مجهول.
انعمون والحدائق، ص ٢٢٥، ابن كثير. البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٧٣-٧٤، لم يتم ذكر أية بلد بربطية
أو حصون استولى عليها المسلمون وإنما قصر القول على أنهم توغلوا في بلاد الروم.

٢- انصري. تاريخ الرسل والملوڪ، ج ٧، ص ٥٠٠، ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٤٨٨، ابن كثير: البديع والنهاية، ج ١٠، ص ٧٤، ماجد (عيد للمعم): العصر العباسي الأول (القرن الذهبي في تاريخ الخلفاء العباسيين التاريخ السياسي)، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ١٩٨٤، ص ٥٣، ١٤٧.

الإمام^(١) إلى ملطية، وأعاد وراثة أراضيها وبنى الكثير من بيوتها، فأعاد الحياة إليها من جديد، لكنه ما إن عاد منها حتى قام الإمبراطور قسطنطين الخامس بمهاجمتها^(٢) واستمر المنصور في إرسال الحملات المنظمة سواء أكانت صوائف أم شوافي ضد البدع المرتطبة، ليمنعهم من الاعتداد بأية منطقة أو استغلال أية فرصة جديدة، للسيطرة على مناطق أهد برى، لذلك أرسل الخس بن قحطبة^(٣) على رأس صائفة ومعه عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام في جيش ضخم يقدر بحوالي سبعين ألف مقاتل أغلظهم من أهل خراسان، إلى ملطية في عام ١٤٠ هـ / ٧٥٦ م، وأمرهم ببناء المدينة^(٤).

قام الخس بجمع العمال لبناء ملطية من سائر البلدان، وكان يساعد العمال في البناء ويقدم لهم الطعام ليجزهم على العمل، إلا أن عبد الوهاب انزعج من تصرفات الخس وأرسل إلى أبي جعفر يعلمه بذلك، وردّ عليه الخليفة أبو جعفر المنصور "يا صبي يطعم الخس من ماله

- عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام. عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام بن محمد بن أبي العباس أمير من القادة المشهورين تسلم قيادة الصوائف أكثر من مرة، الصفدي: تحفة ذوي الألباب، ج ١، ٢١٦، الرركلي: لأعلام، ج ٤، ص ١٧٩.

^١ - ابن عسك: تاريخ خليفة بن عسك، ص ٤١٨.

^٢ - الخس بن قحطبة. الخس بن قحطبة الطائي أحد القادة المشهورين في العصر العباسي، ساعد الخليفة المنصور على أرمية، كما قام بمساعدة أبي مسلم الخراساني في قتاله عبد الله بن علي، كان له أثر كبير في الحروب الإسلامية البيزنطية، ولقوته وشجاعته سمى الروم القبيح وصوروه في كتابهم، الرركلي: لأعلام، ج ٢، ص ٢١١.

^٣ - البلادري: فتوح البلدان، ص ١٩١، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ٥٠٠، ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٤٨٨، ابن شداد: الأعلام، ج ١، ص ٢، ص ١٨٧.

ونطعم من مالي ما أتيت إلا من صعر خطرك وقلة همتك وسعه رأيك" (١١). وأرسل إلى الحسن يشكره على ما فعله ويحثه على المتابعة في مسيرته الحسنة ، وها عمداً الحسن إلى تشجيع العمار على البدء بأن راد أعطيتهم وبدأ العمل بحزب بسرعة كبيرة إلى أن انتهى في ستة أشهر وبني الحسن للجد الذين سكنوا ملطية بيوتاً مكونة من طابقين، الأول غرف عادية ، والطابق الثاني عبارة عن عليّة ولكل بيت اصطبل خاص به، وخصص هذا البيت لكل مجموعة مكونة من خمسة أو ستة عشر رجلاً وكانت تدعى "عزقة" (١٢).

وتم تزويد المدينة بالسلاح والأدوات الحربية بشكل دائم من خلال بناء أبنية خاصة لهذا الغرض تسمى (مسلحة) (١٣) وكان لها مسلحتان اثنتان، واحدة على بعد ثلاثين ميلاً، ومسلحة ثانية على نهر يدعى (قباقب) (١٤)، وبعد انتهاء بنائها أسكن فيها المصور أربعة آلاف مقاتل من

١ - الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص ٥٠٠، ابن شداد: الأعلام المخطوطة، ج١، ق٢، ص ١٨٧ .

٢ - البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٩١ ، ابن شداد : الأعلام المخطوطة، ج١، ق٢، ص ١٨٧ .

٣ - مسلح السلاح و المسلحة موضع السلاح وكل موضع مخلف يقف فيه الجند بالسلاح للمراقبة والحفاظة، وموضع القوم المسلحون في ثمر أو مخفر للمحاصرة والجمع مسلح، المرفعي: مختصر في سياسة الحروب، ص ٢٥، مجموعة من المؤلفات: المصمم الوسيط، ص ٤٥٨.

٤ - نهر قباقب ماء لبني تغلب وهو اسم لنهر في الثغر قرب ملطية ويدفع في الفرات، الحموي: معجم البلدان،

أهل الحريرة، ولتشجيعهم على البقاء فيها والدفاع عنها راد في أعطيائهم لكل رجل عشرة دنانير ومعونة مئة دينار، وأقطع الجند المزارع والأراضي^(١).

ولم يهدأ الوضع من قبل البيزنطيين، فقد توجه الإمبراطور قسطنطين الخامس نحو ملطية مرة أخرى عام ١٤٠ هـ / ٧٥٦م، وهو مجهز بحملة ضمت أكثر من مئة ألف مقاتل وتوجهت هذه الحملة إلى بحر جيحان^(٢) في طريقها نحو ملطية ولكن أنباء وصلت للإمبراطور بأن جيش المسلمين يعوق عدده أصعاف عدد جيشه، لذلك قرر الإمبراطور عدم المواجهة والتراجع^(٣). عند مراجعة هذه الحملة يتبين للدارس المبالغة في ذكر أعداد الجيوش الإسلامية والبيزنطية على السواء، فهل يعقل أن يكون هنالك مئات الألوف من الجيوش الإسلامية ترابط في ملطية؟ وهل يعقل أن يكون هنالك مئة ألف جندي بيزنطي؟ فكم يلزمهم من إمدادات سواء للخبز أو لأعضهم؟ وأين المناطق التي تتسع لهذه الأعداد إن تقابلت مع بعضها؟.

- ابن عسك: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٤١٨، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٥٠، ابن شداد: لأعلاق الخطيرة، ج ١، ق ٢، ص ١٨٧، ابن النديم: نزهة الطلب، ج ١، ص ٢٥٥، ابن الفقيه: إمدادي: مختصر كتاب البلدان، ص ١١٤، السرياني: تاريخ ميخائيل الكبير، ج ٢، ص ٤١٦.

^١ - بحر جيحان. بحر شمر المصببة مخرجه من بلاد الروم ويمر حتى يصب بمدينة تعرف بكفريا بوز، المصببة، وعنه عند المصببة قطرة من حجارة رومية عجيبة قديمة عريضة يدخل منها إلى المصببة وينتد منها فستد أربعة أميال ثم يصب في بحر الروم، الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٩٩.

^٢ - انيلادري: هوج البلدان، ص ١٩٤، ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٥٠٠، ابن شداد الأعلاق خطيرة، ج ١، ق ٢، ص ١٨٧، أبو الفداء: المختصر أخبار البشر، ج ٢، ص ١، ابن كثير: البداية والنهاية، ص ٧٤، بن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٢، ص ٢٠٣.

من المرجح أن هذه الدعايات كانت تنشر لإخافة جيوش البيزنطيين، وبشعر العرب
والاضطراب في صفوفهم، ويذكرها المؤرخون الإسلاميون ليثبوا في نفس القارئ هذه الصورة
القوة التي كانت تتحلى بها الجيوش العربية الإسلامية، ومن المرجح أنه كان أسلوباً ذا فوحي
لمسلمين على مر العصور.

وبطراً هذه الظروف لم يترك الخليفة المصور ملطية بدون حماية، فأرسل في العام ١٤١ هـ
٧٥٧م، محمد بن إبراهيم الإمام، ليرابط فيها بجيش مكون من أهل بلخراة، من
والجزيرة، وذلك لإبعاد أطماع البيزنطيين عنها بعد أن تكررت هجماتهم عليها، حيث كانوا
ينتظرون الفرصة لهاجومها.

وبالفعل ساعد هذا التحصين للمدينة في عدم توجه البيزنطيين نحوها، كما أن أهلها
الاطمئنان لأهلها الذين تركوها، عشية هجمات البيزنطيين للتكررة، فعاد قسم كبير منهم
إليها^(١).

وفي العام نفسه ١٤١ هـ / ٧٥٧م، وجه المصور القائد جعفر بن حنظلة إلى هراة،
لمواجهة غارة بيزنطية على ملطية، وتمكن جعفر من دخول ملطية وعسكر فيها مدة من الزمن،
حيث أقام فيها المزارع ثم عاد إلى بلاده، ولكن الإمبراطور ما لبث أن عاد إليها وحرق بيوتها
ورعاها التي أقيمت بها^(٢).

١- البلاذري: فوج البلدان، ص ١٩٢، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٤٧.

٢- الذهبي: المعاد، ج ١، ص ١٨٨.

وهذا أدى بالطبع إلى تراجع اقتصادي للعر جراء حرق البساتين والمزروعات، ولأن سكانها كانوا يعيشون على الزراعات المحلية .

وبما يشير الاستعراب تكرار هذه المحرمات على ملطية من دون أن يقاوم أهلها هذه الاعتداءات، ويبدو أن أهالي ملطية لم يتوقعوا هذا الهجوم المفاجئ من قبل الإمبراطور البيزنطي، لذلك لم يستطيعوا مواجهته، خاصة وأن المصور كان قد أسكن عدداً من الجنود في المدينة، فكان يجب عليهم أن يدفعوا عن المدينة، وأن توحد مجموعة من الجنود، مهمتها الاستطلاع وتكون على أهبّة الاستعداد لمواجهة أي هجوم محتمل.

وم تسلم أيضاً مدن الثعور الأخرى، كالحديث ومرعش وربطرة من هجوم البيزنطيين، فقد بد تعرضت الحداث للهجوم من قبل البيزنطيين في عام ١٤٢ هـ / ٧٥٨ م، وقام البيزنطيون بدم المدينة بأكملها وأحرقوا أهلها عنها، وحدث الشيء نفسه لربطرة ومرعش اللتين تعرضتا للهجوم أيضاً من قبل قوات من البيزنطيين، وهدموا ما وجد في المدن من بيوت ومزارع وبساتين وغيرها^(١).

وقد اهتم الخليفة المصور اهتماماً كبيراً في إعادة ترميم مدن الثعور وتزويد هذه المدن بالحاميات، فقد كلف عمه صالح بن علي الذي كان والياً على الشام بترميم ما تضرر من مرعش، كما أنه نقل إليها سكاناً من فلسطين ورودها بحامية عسكرية، وتوجه صالح إلى حصن الحداث وربطرة، وبني ما هدم فيها^(٢).

١- بلادري: فتوح البلدان، ص ١٩٢-١٩٤-١٩٥، ابن المديم: بغية الطلب، ج ١، ص ٢٣٩-٢٤٠-٢٤٧.
٢- البلادري: فتوح البلدان، ص ١٩٢-١٩٤، ابن المديم: بغية الطلب، ج ١، ص ٢٣٩-٢٤٠-٢٤٧، ابن شداد: الأعلام الحظيرة، ج ١، ق ٢، ص ١٦٩-١٨١.

وقد طلب المنصور من عمه صالح بن علي بناء مدينة المصيبة، التي تم بنائها بعد هجره
الزلزال الذي ضرب المدينة، فتهدم سورها وبيوتها، ولم يبق منها الكثير، وبسبب هذه الحوادث
قلّ عدد سكانها، لذلك رأى المنصور أن يعاد بناؤها، وقد وجه صالح جبريل بن يحيى الخراساني
إلى المصيبة، واستطاع أن يعيد بناءها، ويعمر سورها ومسجدها، ويقيم بها المعجزة، وفيه من
المنصور السكان إليها، ويقال بأنه نقل إليها أهل السجون من مدن مختلفة، وكان عدد السكان
الذين نقلوا إليها أربعين رجلاً، وانتهى بناء المصيبة في عام ١٤١ هـ/ ٧٥٧ م^(١)

ويذكر بعض المؤرخين بأن المنصور قد نقل إلى المصيبة ألف رجل^(٢).

ومن الروايتين يمكن القول: إن من أسكن في المصيبة كان عددهم ألفاً، بعضهم من
أهل السجون كما ذكر، وبالطبع نقل إليها المنصور عدداً من الجنود والأهالي من الجزيرة والشام
وخراسان، مثلها مثل المدن الأخرى.

وأمر المنصور أيضاً ببناء أذنة في عام ١٤٢ هـ/ ٧٥٨ م، وكان من قام بهذه المهمة صالح
بن علي الذي عمل على بنائها بشكل جيد، ووجه إليها جنوداً من خراسان والشام، وكان
المسؤول عن الجنود الخراسانيين مسلمة بن يحيى البجلي، والمسؤول عن الجنود الشاميين مالك بن
أدهم الباهلي^(٣).

- البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٧٠، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ٥٠٩، ابن العديم: معية لطلب،
ج ١، ص ١٥٩-١٥٧، ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٥٠٠-٥٠١.

^٢ - ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٥٠١.

^٣ - البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٧٢، ابن العديم: بغية الطلب، ج ١، ص ١٦٩، واليعصر يذكر بأن سائده
كان في عام ١٤٤ هـ/ ٧٦٠ م، ابن عياض: تاريخ خليفة بن عياض، ص ٤٢١، من الممكن أن يكون قد تم بناء
بناها فيها في عام ١٤٢ هـ/ ٧٥٨ م، وكان الانتهاء منها في عام ١٤٤ هـ/ ٧٦٠ م، على فرض أن أعمال البناء
تستغرق أكثر من عام حتى تنتهي.

ونما لا شك فيه أن هذه الإصلاحات كانت تكلف خزينة الخلافة الكثير من الأموال، وبما طبع كان المنصور لا يخل على شؤون دولته بالأموال، بل كان يخصص كثيراً لمثل هذه الإصلاحات، لكنه بالمقابل كان يخل على أموره الشخصية، لذلك سمى أبا الدوانيقي.^(١)

يلاحظ هنا نقل سكان إلى الثغور من جنسيات مختلفة، من خراسان (العرس)، ومن بلاد الشام وتحديدًا من فلسطين، فقد نقل الكثير من سكان فلسطين إلى الثغور، ولا بد هنا من التساؤل عن سبب اختيار سكان فلسطين للمرابطة في مدن الثغور؟

ربما شعر المنصور بمتور أمل الحرية والشام المرابطين في الثغور في محاربة البيزنطيين، وربما شعورهم بالخوف والإنهاك لما عانوه من آثار الحروب الدائمة مع بيزنطة كان له أثر في ذلك، لذلك رأى أن يجدد المقاتلين في الثغور، واختار من فلسطين أملاً أن تكون همتهم عالية في مواجهة الخطر البيزنطي.

وهذه الأحداث التي تم عرضها تخالف ما جاءت به أغلب المصادر، بأن المسلم لم يتركهم يقوموا بأي تحرك تجاه البيزنطيين لمدة ست سنوات من ١٤٠-١٤٦ م. / ٧٥٦-٧٦٣ م.

ومسوع ذلك انشغال الخليفة المنصور بالأمور الداخلية لتنظيم دولته، والقصد من ذلك على المتمردين عليه من أهل بيته مثل عمه عبد الله، وكذلك انشغاله بأمر أبي عبد الله بن الحنفية من

^(١) مقريزي (تقي الدين) المقريزي ت ٨٤٥ م. / ١٤٤١ م.: للقفي الكبير، تحت محمد البعلامي، بيروت، دار

العرب الإسلامي، ١٩٩١ م، ج ٤، ص ١٧٨.

(إبراهيم ومحمد)^(١)، وكذلك القضاء على الحركات التي ظهرت بعد مقتل أبي مسلم الخراساني كالرومية^(٢) وغيرها . كل ذلك شعله عن الجبهة البيزنطية^(٣).

وهذا لا يتوافق مع الواقع الحقيقي ، فمن خلال المعلومات التي وردت يلاحظ ، بأن المنصور لم يتوقف أبداً عن اهتمامه بالجبهة الخارجية ، بل اجتهد في إرسال المال والصالحين ، لردّ عدوان البيزنطيين، فإلى ملطية أرسل صائعتين في عامي ١٤٠-١٤١ هـ / ٧٥٦-٧٥٧م، وفي عام

^١ - لمزيد من المعلومات عن ثورة محمد النفس الزكية ينظر الأصفهاني(علي بن الحسين بن محمد ت ٣٥٦ هـ / ٩٦٦م) : مقال الطالبين، بتحقيق أحمد صقر، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٤٩م.

^٢ - الرومية: قوم من أتباع أبي مسلم الخراساني من أهل خراسان كانوا يقولون بتناسخ الأرواح، ويرسمون بأن روح آدم برئت في عظام من نهبك، وكان رسم الذي يرقهم ويظلمهم هو الخليفة المنصور، أمر الخليفة المنصور بقتلهم وتمكن كسر القضاء عليهم، والديوري الأسير الطوال، ص ٣٨٤، ابن العديم: رتبة الحلب في تاريخ حلب، ج ١، ص ٥٩، ابن الوردي (ربيع الدين عمر) حكمة المختصر في أسرار البشر، ج ١، ص ٢٣٢، ركار (سهي): الهدروي، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٠م، ج ٢، ص ٢٩٣، القوي. للقوى الكبير، ج ٤، ص ٢٣٢، ركار (سهي): التاريخ لمباني و الأندلسي السياسي والحضاري، دمشق، للطبعة الجديدة، ١٩٨١-١٩٨٢م، ص ٦٢، المنور (جهن غلة): تاريخ العراق في عصر المباني (المسي حضارة الإسلام في دار الإسلام)، القاهرة، دار المعرفة، ٢٠٠٣م، ص ٥٨-٥٩.

الرداعي: تاريخ العرب و الإسلام، ص ٣١٢، حس (علي): التاريخ الإسلامي العام، القاهرة، مكتبة النهضة، ١٩٥٣م، ص ٣٩٥، بروكلمان (كارل): تاريخ الشعوب الإسلامية العرب والإمبراطورية، ترجمة أمين فارس، مطبعتي، بيروت، دار العلم للطباعة، ١٩٤٩م، ج ١، ص ١٣، البسترنج (كي): بغداد في عهد الخلافة العباسية، بغداد، للطبعة العربية، ١٩٣٩م، ص ١٣-١٤.

^٣ انطوني تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ٥٠٠، ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٤٨٨، ابن كثير البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٧٤، ابن شداد: الأعلاني الخطيرة، ج ١، ص ٢٢٨، الخضر: بلدنا تاريخ الدولة العباسية، ص ٨٠.

١٤٤٢ هـ / ٧٥٨ م تعرضت الحداث لحوم يزيطي، وقام صالح بإعادة ترميم ما هدم في الحداث ومرعش وريطرة .

وفي عام ١٤٤٥ هـ / ٧٦٢ م وجه صالح بن علي والي الشام عيسى بن كثير القاش نحو سلوقية^(١) غارياً، واستطاع أن يصل إلى الطوانة^(٢)، ومنها توجه نحو قرمة واس استطاع أن يفتحها ويهيئ أعداداً كبيرة من أهالي المناطق^(٣) .

أما في عام ١٤٤٣ هـ / ٧٥٩-٧٦٠ م فقد أرسل للصور أخاه عباس نحو الحدود مستعلاً لشمال الإمبراطور قسطنطين الخامس بحربه مع البلغار، واستطاع عبّاس أن يهزم هاجمهم الأرميني^(٤).

وفي عام ١٤٤٦ هـ / ٧٦٣ غزا الصائفة جعفر بن حنظلة البهراني^(٥).
وفي العام نفسه "غزا مالك بن عبد الله الخثمي بلاد الروم"، فقد استطاع أن يتوغل بشكل كبير في بلاد الروم، واستطاع أن يحصد غنائم كثيرة، واستقر هو وجمعه في مكان قريب

- سلوقية حصص ساحل أنطاكية، و الدروع السلوقية والكلااب السلوقية مسورة إليها، حموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢٤٢، ابن عبد الحق البغدادي: مرصع الإطلاخ، ج١، ص٥٧٢.
١ - الطوانة: بلد بظفر للصبيحة، الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٤٥.
٢ - ابن عسك: تاريخ حلب، ص٤٢١ .
٣ - وديع عبد الله: العلاقات السياسية، ص١٥٣ .
٤ - انصاري: تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص٦٥٦، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٥٧٦، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠، ص١٠٣ .

من درب الحدث، وباع العائث هنالك وقسم سهام العيمة، لذلك دعي هـ هذا الملك بأن يرهـ وهـ مالك^(١).

ويلاحظ بأن الروايات التاريخية لا تذكر هنا بالتصصيل المكان الذي توجه إليه مالك بن، ولكنه ربما وصل إلى أماكن كثيرة، واستطاع أن يهزم البيروطين، وكان مالك يلقب بمالك بن الصوائف، وذلك لكثرة ما كان يحسم من هذه الصوائف.^(٢) ومن هنا يلاحظ بأنه لم يخل عام إلا وقد وجه فيه المصور صائفة نحو البيروطين، وإذا لم يجعل ذلك فإنه يقوم بالإصلاحات مثله، حدث في مرعش و زبطرة والحدث و المصينة و أذنة.

كما أنه أعطى الثعور الجزرية كياناً إدارياً مستقلاً، من خلال وضعه مرابطين دائمين في ملطية والحدث ومرعش مقسمين على جماعات صغيرة، لهم حصونهم الخاصة ودار تسليحهم المستقلة، وبالتأكيد هذه المجموعات التي استقرت في هذه المناطق قامت بينها علاقات اجتماعية أدت في النهاية إلى قيام حياة اجتماعية ثغرية في تلك المناطق الحدودية. وبما ساعد المصور في هذه الأعمال، انشغال الإمبراطور البيزنطي بحملاته ضد البلغار، فحجم الهدوء جزئياً على الجبهة الإسلامية البيزنطية في تلك الآونة^(٣).

^(١) انبلاذريخ: قروح البلدان، ص ١٩٥. ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٥٧٩.

^(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٥٧٩، ماجد: العصر المباسي الأول، ص ١٤٩.

^(٣) ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١١٥.

وحدث أن انتقلت الدولة العباسية بالخطر الحزوي^(١) التركي الذي بدأ يشن حملاته على أراضيها في عام ١٤٦هـ / ٧٦٣م، وهذا ما جعلها تشتت تركيزها بالنسبة للخطر البيروني، وبقي نشاطها البري هادئاً تجاه بيزطة^(٢).

ففي عام ١٤٨هـ / ٧٦٥م توجه صالح بن علي نحو دابق، وعسكر فيها إلا أنه لم يجر^(٣) ومن الممكن أن يكون صالح تجمع مع عسكره في منطقة دابق، ليطلق منها نحو الحدود، لكن ربما حدث شيء لم يسمح له بالعزوة، ومن الممكن أنه لم يجهر حملته بشكل جيد يسمح له

- الحرر: هناك آراء متعددة عن الحرر ظهورهم من أين قدموا، حياتهم، ديانتهم و طريقة معيشتهم.

الحرر: هي بلاد اشرك خلف باب الأبواب المعروف بالدرند قريب من سد يافث بن نوح، وهو اسم قديم من قصة نل ورتل اسم نهر يجري إلى الحرر من الروس و البلغار و الحرر مسلمون ومصري و منهم عبدو لأوثان وأهل لغزو وهناك يهود الحموي: مصحح البلدان ج ٢ ص ٣٦٧-٣٦٨. و الحرر إحدى القبائل التي تنتمي إلى الشعب الحموي والتي هاجر سكانها في القرن ٨١هـ / ٩٦م إلى منطقة القوقاز واستطاعوا تكوين شبه إمبراطورية في تلك المنطقة ولهم عادات وتقاليد تخصهم ويهتدون كثيراً بأموار ملكهم الذي يدعى علقان و له حاشية تحتم به ويرعى أمور بلاده بنفسه، ابن فضال (أحد بن فضال): رحلة ابن فضال إلى بلاد الترك و الروس والصفالية، نج: شاذر لعيبي الإمارات العربية المتحدة، دار السويدية ٢٠٠٣م، ص ٢٩-١١٣-١١٦، و لمزيد من التفاصيل عن الحرر، ديلوب. تاريخ يهود الحرر، تر: سهيل ركاز، بيروت، دار المكر ١٩٨٧م. أودلف (مسعر بن مهندل الحزوي) رحلة أبي دلف، ترجمة و تعليق بطرس بولفاكوف، أنس مالدوف، موسكو، دار النشر للأدب الشرقية ١٩٩٠م.

^١ - انصيري: تاريخ الرسل والملوكة، ج ٧، ص ٦٤٩، ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٥١١، النويري (شهاب الدين) أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م): نهاية الأرب في فنون الأدب، نج، علي محمد بيجوي، القاهرة، المطبعة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٠م، ج ٢٢، ص ٩٢.

^٢ - انصيري: تاريخ الرسل والملوكة، ج ٨، ص ٢٧، ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٥٨٩.

بالتوجه نحو بلاد الروم، أو أن هجمات الخزر أثرت في تجهيزات الجيوش، فتوقع صالح بأنه لا يمكن يحصل على المساعدة إن احتاج إليها، لذلك قرر عدم العزو، فمصلحة جيشه وجدوده تكمن في البداية.

واستمر الوضع على هذا الشكل إلى عام ١٤٩ هـ / ٧٦٦ م، ثم تعرضت ملطية وكمخ لاحتصار شديد من قبل البيزنطيين، فأرسل المنصور العباس بن محمد والحسن بن قحطبة على رأس جيش ضخم إلى ملطية وكمخ، فوصل الحسن والعباس إلى ملطية محملين بالمال والعناء الذي كانت ملطية تعاني من نقص فيه، ثم توجه الاثنان نحو كمخ التي كانت تحاول مقاومة الحصار المعروض عليها بانتظار مساعدة جيش العباس والحسن، وهما يظهران اختلاف في الروايات المؤرخين، فالبعض يذكر بأن هذا الجيش لم يقدم المساعدة المرجوة، لذلك تراجع عائداً إلى بلاده مع قدوم الشتاء، وهما استعمل الجيش البيزنطي عودة المسلمين المسرعة، وقام بمهاجمة بعض العيون المسلحة، فسادت العوضى، وانسحب قسم من الجيش نحو ملطية وغيرها من المدن، ولم تحق في هذه الصائفة أي هدف^(١).

وقد كان مع العباس محمد بن الأشعث الذي مات في طريق العودة^(٢).

^١ - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٢٨.

^٢ - ابن عسك: تاريخ خلفاء بني عباس، ص ٤٢٤، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٨٢، لأردية: تاريخ الموصل، ص ٢١١، ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٥٩٠، ابن شداد: الأعلام الخطيرة، ج ١، ص ٢٢٩.

وهناك مصدر وحيد يذكر بأن جيش العباس والخمس توجه نحو كمش، وقام المسلمون بوصد مع حشب العرعر^(١) على كامل السور، لكي يحموه من حجارة المحيق، وحدث قتال بين الطرفين العربي والمسلم والبيروني، واستخدم المسلمون المحيقات وقتلوا قتلاً مريعاً، ولكن الجيش العربي المسلم أخفق في تحقيق انتصاره على الروم البيزنطيين، الذين تمكنوا من دخول الحصن وإغلاقه^(٢)، وهكذا تراجع المسلمون بعد أن وصل عدد من توفي في هذه الصائفة إلى مئتي رجل^(٣).

فإن كان هذا الجيش لم يصل إلى كمش حسب ما ذكره بعض المؤرخين، فلا بد من التساؤل عن السبب الذي منع الجيش الإسلامي من تقديم المساعدة؟

يبدو أن الجيش لم يكن منظمًا بشكل جيد، وصادف أنه قد حلّ فصل الشتاء على البلاد، ولم يستطع الجنود المسلمون مقاومة البرد وشدته، فقد كان للظروف المناخية أثر كبير في توجيه الحملات واستمرارها أو عدم استمرارها، لذلك حلّت الفوضى في صفوف الجيش الإسلامي، وهذا أيضاً ما يجعل المسلمين يفصلون المصوائف على الشوائب.

وإن كان هذا الجيش قد وصل إلى كمش وأخفق في تحقيق انتصار على الروم البيزنطيين، فلماذا لم يذكر هذه التفاصيل إلا مصدر وحيد؟

- حشب العرعر. اسم يطلق على مجموعة من الشجيرات والأشجار الصغيرة دائمة الخضرة التي تسمى في فصيلة السرو، وهناك ما يقارب ٦٠ نوع من العرعر، والعرعر مقاوم للنحر وغالباً ما يستخدم كأصناف لتسجيات، وله أهمية تجارية حيث أن بعض أنواعه تدخل في صناعة العطور ويستخدم في صناعة الأثاث، مجموعة من المؤلفين الموسوعة العربية العلمية، الرياض، مؤسسة أعمال للموسوعة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩، ج ١٦، ص ٢٣٨.

^١ - البلادري: فتوح البلدان، ص ٢٠٩.

إن كان ما ذكره البلاذري قد حدث بالفعل، وأغفلته المصادر الأخرى، فربما دللنا لكي لا يبيّن بأن هذا الجيش العرمرم والمجهز بشكل ممتاز قد حصر أمام عدد من الجحود البيزنطيين، فنصبح صورة هذا الجيش وقادته غير جيدة بالنسبة للقارئ.

وفي هذه الحادثة استعرض المؤلف السرياني التلمحري المعاصر لأحداث ذلك العصر وأفراد معلومات وفيرة عن توجه العرب المسلمين نحو كمنخ و ملطية، فقد توجه الخمس بن قحطبة والعباس بن محمد بجيش ضخم يضم أجناس وأقوام مختلفة من المسلمين و الخزرين والذريين والبربريين والأفراك والعرب المسلمين وغيرهم، وتوجهوا نحو الحدود الإسلامية البيزنطية، وبدأت المشكلات تهاجم عليهم، فقد أصيب عدد كبير منهم بأمراض جرّاء تناولهم لأنواع متعددة من الفاكهة والتي أضرتهم، فمات عدد منهم، وإنّ هذه الحادثة (الموت من خلال الفاكهة) لم تذكر إلا في هذا المصدر الوحيد، التلمحري، وربما أراد المؤلف من هذه المبالغة أن يشير إلى أن أراضي البيزنطيين قد تناغمت مع فرسانها وأسهمت معهم في قتال المسلمين، وهذا يظهر المبالغة فهل هناك فاكهة تؤدي إلى الموت؟ خاصة وأن المؤلف لم يذكر نوع هذه الفاكهة، وربما قد يكون البيزنطيون قد رشوا الفاكهة بالسم لاعتقادهم بأن جود المسلمين سيأكلون منها وهذا ما حصل لهم كنوع من أنواع الخدع في الحروب حسب هذه الرواية، وعندما وصل الجيش العربي المسلم إلى حصن كمنخ قام بصب المحيقات أمام السور، وبالمقابل فعل البيزنطيون كذلك، فقاموا بدخول الحصن وصبوا المحيقات الموجودة لديهم، ليدفعوا عن الحصن، وحدث قتال بين الطرفين، فقد حاور المسلمون بناء عربات خشبية جرها فوق الساقية المحيطة بالسور، لكن البيزنطيين كانوا يرمونهم بالحجارة فيصيبونهم، وجرى تبادل بين الطرفين بإطلاق حجارة المحيقات، لدرجة أن

للمسلمين تمكنوا من فتح ثغرة في السور لكن البيزنطيين تمكنوا من إغلاقها، واستخدموا مكائدهم
 ألواحاً متحركة كلما توجه نحو هذه الثغرة المسلمون ضربوا عليهم حجارة كبيرة توقعهم أرضاً،
 وتهيئة للحصائر الكبيرة التي لحقت بالمسلمين، فقد انسحبت أعداد كثيرة من الجنود المسلمين،
 ولكنهم لم يكونوا يعلمون بالطرقات وتفرعاتها، ولم يكن معهم أدلاء يرشدوهم، لذلك فقد
 وصلوا إلى قيسارية وتمكنوا من الاستيلاء على أعداد من الأسرى والعلماء والمؤمنين، الأمويون
 الموجودون في المدينة، وتوجهوا عائدين لكنهم فوجئوا بوجود فرقة من الجنود البيزنطيين هاجمتهم،
 وتمكنت من تحرير الأسرى والعلماء، ومن قتل أعداد من جيش المسلمين. وبعد هذه المعادة عادوا
 إلى بلادهم.^(١)

ومن رواية هذا المصدر يلحظ بأن كميخ كانت آنذاك تحت سيطرة البيزنطيين، وبأن
 المسلمين كانت تقصصهم الخيرة العسكرية والتكتيك الحربي أكثر من ذلك.

ولكن ما هو السبب الذي جعل ملطية هدفاً مستمراً للبيزنطيين في هذه السنوات أكثر
 من مدن الثغور الأخرى؟ ولماذا هذا الإصرار الدائم من قبل البيزنطيين لتخريبها؟

إن السبب في ذلك يعود إلى موقع ملطية الإستراتيجي كخط دفاع أممي للحدود
 البيزنطية، وخط محوم دائم من قبل المسلمين نحو البيزنطيين، بالإضافة إلى أنها مركز رئيسي
 الحملات الإسلامية بالسلاح والعناء والمعدات إلى الحدود البيزنطية، وهذا ما كان يدفع
 بالبيزنطيين لضرب المدينة، وذلك بهدف ضرب إمدادات المسلمين والتخلص من خطرهم، كما

^١ - القلمحري: تاريخ الروم في المجلد، ص ١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٦ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٢٩ - ١٣٠.

أن منطقة ملطية كانت منطقة البوليسين المراطقة^(١) الذين عملت بيزطة بش كل دائ م على بحاريتهم^(٢).

أما في عامي ١٥١ ١٥٢ هـ / ٧٦٨ ٧٦٩ م فقد اقتصر النشاط الإسلامي على إرسال عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد على رأس الصائفة .

وفي العام التالي غزا الصائفة، ولكنه لم يتخط الحدود الإسلامية باتجاه البحرطين (م يدر ب)، وهذا ما يقصده المؤرخون بقولهم لم يدر ب، فلم تتمر هاتان الصائفتان أي بحار^(٣).

بعد ذلك وصلت أخبار إلى المصور بأن بعضاً من أهل الدمة من أهالي مرعش وسمساط يعملون رصداً^(٤) وعبوياً للبيزنطيين، يقتلون إليهم أخبار المسلمين ويمدونهم بالمعونة وليس باعدة، لذلك أرسل العباس بن محمد بن علي على رأس جيش في عام ١٥٢ هـ / ٧٦٩ م نحو مرعش وسمساط، وقام بأسر العديد من السكان، وإجلاتهم إلى الرملة في فلسطين، وأعاد وضع حاميات جديدة في هذه المدن^(٥).

- بوليسين المراطقة. سيتم الحديث عن هذه الطائفة بشكل مفصل في الفصل الرابع من الرسالة

^١ - ابن شداد، لأعلاق الخطيرة، ج ١، ق ٢، ص ١٦٩-١٨١، عبد الله: العلاقات السياسية، ص ١٤٩

^٢ - ابن عسك: تاريخ حلب، ص ٤٢٦. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٣٩-٤١، ابن الأثير الكامل، ج ٥، ص ٦٠٧-٦٠٨.

^٣ - الرصد: جمع رصد وهو الذي يراقب حركات العدو، المرمي: مختصر في سياسة الحروب، ص ٢٥.

^٤ - ابن العربي: تاريخ الزمان، ص ٩، عبد الله: العلاقات السياسية، ص ١٦٠، الجوزي: الثغور البرية لإسلامية، ص ١٣٤-١٥٤.

فلماذا تم إرسال أهالي مرعش وميساط نحو فلسطين ؟

من الممكن أن يكون هؤلاء السكان من فلسطين قدموا مع الجنود الذين أوصلهم المصور في الثعور ، ومن الممكن أن يكون المصور قد رغب في إبعادهم عن منطقة الثعور ، لكي لا يقوموا بمش هذه التصرفات، ولكي لا يقضوا مضاجع العباسيين ، خاصة وأن فلسطين بعيدة عن الحكم المركزي في بغداد وبعيدة عن خطوط التماس مع البيزنطيين .

وشعر الطرفان العربي المسلم والبيزنطي بمحاكما إلى التهدة لإعادة تقوية جيوشهما وتنظيمهما، فقاما بتبادل للأسرى في عام ١٥٢هـ / ٧٦٩م، وكان التبادل يتم رجل مسلم برجل مسيحي وامرأة بأمرأة وطفل بطفل، ولكن المصور اشترط على الأسرى البيزنطيين أن يطلقوا لحاهم ويعطوا رؤوسهم، وقد حدث هذا التبادل على نهر اللامس^(١)، كما جرت العادة^(٢).

بعد هذا التبادل عمل المسلمون على تقوية وتحصين مواقعهم ، وأخذوا ردم ما ملأه مائة بشس محجمات قوية على البيزنطيين ، فأرسل المصور في عام ١٥٣هـ / ٧٧٠م معيوف بن يحيى الجحوري، فوصل إلى حصص من حصون الروم ليلاً وأمله بياض ، فاستطاع أن يسي عدداً كبيراً منهم ، وأسر عدداً من المقاتلين ثم توجه نحو اللانقية وكانت خراباً ، ويدو أن اللانقية كانت كثيرة من المزدن الأخرى تتأرجح تبعيتها بين المسلمين والبيزنطيين ، واستطاع أن يسي عدداً كبيراً

- نهر اللامس' بالنسبة المهمة نهر على شط نهر الروم وهناك قرية من ناحية نهر طرسوس وكان المداء بين المسلمين والبيزنطيين بسم هناك ، حيث يتواجد الروم في سفنهم في البحر وللمسلمون في البر ويقع المداء ، الحوية معجم البلدان، ج ٥، ص ٨.

^١ - ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج ١، ص ٢٣٠ ، عبد الله: العلاقات السياسية ، ص ١٩١ .

أعداداً هائلة أيضاً، ويقال إن ما كان معه من السبي حوالي ستة آلاف رأس عداً عن المرحوم
البلعين^(١).

ومن المرجح بأنه في هذا العام خرجت صائغتان بقيادة معيوف بن يحيى الأولى، ويتوجه
للغزو فيها، أما الثانية فقد غزا فيها أرض الروم^(٢).

وأرسل المصور أيضاً في العام التالي ١٥٤هـ / ٧٧١م صائغة بقيادة رفر بن عاصم، بن
عبد الله بن يزيد الهلالي، الذي وصل نهر العرات ودخل المصبصة حتى وصل إلى القرية، وعاد من
درب مرعش محملاً بالعائث والأسرى، وكان عددهم يقارب خمسمئة أسير^(٣).

ويبدو أن القرية مكان داخل بلاد الروم إذ استطاع رفر أن يصل إلى هناك، ويسكن
عليها، وأخذ ما يمكن حمله من هذه المدينة.

واستمر النشاط الإسلامي في السنوات اللاحقة بتوجيه حملات ضد البيزنطيين، منها ما
كان يحقق النجاح، ومنها ما كان يخفق، وفي العام التالي ١٥٥هـ / ٧٧١م توجهت صائغة نحو
حصن دوريلة، لكنها لم تستطع أن تحقق أي انتصار، فقد أحرق الجيش العباسي في حصار هذا
الحصن، وتم قتل ألف مسلم من قبل البيزنطيين^(٤).

- لأردى تاريخ الموصل، ص ٢١٩، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٤٢، بن الأثير
الكمال، ج ٥، ص ٩١٠.

^١ - ابن عسك: تاريخ حلب، ص ٤٢٧.

^٢ - ابن عسك: تاريخ حلب، ص ٤٢٧، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٤٤، عبد الله
العلاقات السياسية، ص ١٩٢.

^٣ - عبد الله: العلاقات السياسية، ص ١٩٢.

وهنا يتبادر للذهن سؤال مهم، وهو هل كان المسلمون يقومون بالعارات على تلك الحصون من دون معرفة إمكانات تلك الحصون اقتصادياً ومدى حصانتها عسكرياً؟ إن كان ما ذكر صحيحاً فإن هذا يدل على ضعف عسكري لأن الاستطلاع قبل القتال مهم جداً، فأين كانت فرق الاستطلاع التي كانت تجوب البلاد قبل توجه أية غزوة أو صالعة ولم يتم ذكر هذه الصالعة في المصادر العربية، وإنما تقتصر ذكرها على المصادر اليهودية، ويرجح بأن قائد هذه الصالعة كان العباس بن محمد، وسارت الأمور على ما نوقش مع المسلمون، فبعد أن كانت النتيجة لصالحهم وأسروا أعداداً من البيزنطيين، تحول هذا الانتصار إلى هزيمة، ووصلت إمدادات للبيزنطيين ساعدتهم في قلب النتيجة لصالحهم^(١).

وبدأت الأوضاع الداخلية للدولتين بالاضطراب، فالخلافة العباسية الإسلامية بلامية كانت مشغولة برّد خطر الخزر عن حدودها، إذ أرسل الخليفة للصور قائده يزيد بن أسيد السلمي^(٢) في عام ١٥٥ هـ / ٧٧١م، لصدّ هجوم الخزر، وتوجه هذا القائد إلى دان قشة، وهي منطقة قريبة من بحر الخزر^(٣).

لكن المصادر الأخرى تذكر أن يزيد بن أسيد توجه عام ١٥٥ هـ / ٧٧١م، في صدّ الغزاة، ولم تذكر وجهة هذه الصالعة^(٤).

- عبد الله التملقات السياسية، ص ١٩٢-١٩٣.

^١ يزيد بن أسيد السلمي وهو يزيد بن رافع بن أسماء بن أسيد بن قنذ بن جابر بن قنعد، وني أرميه لأي جعفر منصور والنهدي، وكان من القادة الشجعان في الدولة العباسية، ابن الكلبي. جعفر السب، ج ٢، ص ٩٦.

^٢ ابن عساة: تاريخ حليقة بن عساة، ص ٤٢٧.

^٣ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٤٦، ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٦.

و لم ترد أية معلومات عن نتائج هذه الصائفة، و من الممكن أن يكون المصور قد وجد قائده يزيد مرتين، مرة نحو البيزنطيين، ومرة أخرى نحو بحر الخزر.

بالإضافة إلى أن بيزنطة كانت تعاني وبشكل كبير من حروبها مع البلغار على الجبهة الخارجية، وأيضاً كانت مشكلة الصراع بين الإمبراطور ومناصري الحركة الأيقونية تزداد بشكل كبير، فالأوضاع الداخلية فيها كانت مضطربة بشكل كبير^(١).

وبطراً هذه الأوضاع، فقد عرض الإمبراطور قسطنطين الخامس على المصور الصلح في عام ٨٥٥ م. / ٧٧١ م، ودفع الجزية تأميناً لحدوده مع المسلمين، وذلك لكي يتم رفع لأموره الداخلية وحروبه مع البلغار^(٢).

لكن المصور رفض طلب الإمبراطور للصلح، وأحس بأن البيزنطيين يعانون من نقص عاطف ضعيف اضطرهم لطلب الصلح، لذلك قرر استغلال هذه الفرصة والمبادرة بالهجوم عليهم .

ففي العام نفسه قام المصور بتجهيز جيش ضخم يقدر بحوالي ثمانين ألفاً، وخرج المصور بعسك قائداً لهذا الجيش نحو كمنغ، واستطاع جيش المسلمين أن يعاجئ القائد البيزنطي المرتبط في تلك المنطقة، وحاصر المصور الحصن لكنه لم يستطع أن يستمر بالحصار، بسبب قدوم الشتاء لذلك عاد مع جيشه^(٣).

^١ - الطبري: تاريخ الرسل والملوك ، ج ٨ ، ص ٤٦ .

^٢ - الطبري: تاريخ الرسل والملوك ، ج ٨ ، ص ٤٦ ، ابن الأثير: الكامل ، ص ٥ ، ج ٦ ، ابن كثير: البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ١١٣ .

^٣ - عبد الله العلاقات السياسية ، ص ١٦٥ .

وأرسل المصور أيضاً حملة ثانية بقيادة ثمامة بن وقاص في العام نفسه الذي توجه بح و الحدود البيزنطية، وتمكن من استرداد عدد كبير من الأسرى^(١).

وهاتان الصائمتان لم يرد لهما أي ذكر في المصادر العربية التي تمت العودة إليها، وحي تمت الإشارة إليهما في المصادر اليونانية، وهذا إن دلّ على شيء، فمن الممكن أنه بدل على أن المصور قد رفض الصلح مع الإمبراطور بشكل تام ووجه بالفعل الحملات ضد البيزنطيين هذا من جهة، ومن جهة أخرى ربما قصد المؤرخون اليونانيون ذكر هذه الحملات ليظهروا ضعف الإمبراطور خاصة وأنهم كانوا لا يكونون له الكثير من الاحترام، بسبب سياسته الدينية في محاربة الإيقونات.

واستمر النشاط الإسلامي بقوة تجاه الحدود البيزنطية، فقد أرسل المصور في العام الثاني ١٥٦هـ / ٧٧٣م، صائمة بقيادة رفر بن عاصم الحلالي الذي توجه من درب الصمصاف، وأغار على قونية^(٢) وقبة^(٣)، وكان قد توجه به نحو (حزنة) وهي مطمورة^(٤) في برية وجد فيها جثث

- عبد الله: العلاقات السياسية، ص ١٦٦ .

^١ - قونية: من أعظم مدن الإسلام ببلاد الروم و بها سكنى ملوكها و بها قبر لفلأطون الحكيم، الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٤١٥، وصفها ابن بطوطة في رحلته فقال عنها: مدينة عظيمة حسنة العمارة كثيرة الماء والأشجار والبساتين والفواكه و بها المنسج المنسج بقر الدبس، ويحمل منه إلى ديار مصر والشام، وشوارعها متسعة جد، وأسواقها بديعة الترتيب وأهل كل صناعة على حدة ويقال بأنها من بناء الإسكندر، ابن بطوطة (محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة)، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت، ص ١٩٥.

^٢ - قبة: لم يتم العثور عليها في المصادر والمراجع التي تمت العودة إليها، وعلى الأرجح بأنها منطقة قريبة من قونية. وما وجد في المصادر بأن قبة قرية بحمص الأندلس، ابن عبد الحق البغدادي: مرآة الإخلاص، ج ٣، ص ١١٢٥.

^٣ - مطمورة: جمعها مطامير، وولطمورة حفرة أو مكان تحت الأرض وقد هي، جمعياً يُطْمَرُ فيه الطعام أو الماء وسميت المطامير بلد على الحدود الإسلامية على مقربة من منطقة الثغور الشامية، الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ١٤٨. وفي منطقة المطامير تقع العديد من الحصون (بلية، مقدسة، حوية، ملكوب، بنال، دربو، سيدون) والمطامير هي في الأصل الكهف والبئر والأبنية الأرضية تحت الحصون وهي التي يحبس بها لأسرى والعبيد، هارطيف: العرب والروم، ص ٩٤.

عشرة أشخاص لم تكن أحسابهم، وكان مع رفر في حملته هذه أبو إسحاق العراري الذي قال: *«إن هؤلاء الأشخاص هم أهل الكهف»*^(١). فهل من الممكن أن تبقى جثث أهل الكهف على حالها إلى زمن هذه الصائفة، ولم تكن أو تتغير بمرور الزمن، فعلى الأرجح أن تكون هذه لمقولة غير صحيحة.

وتكررت صوائف المسلمين، ففي عام ١٥٧ هـ / ٧٧٣ م، توجه القائد يزيد بن أسيد السلمي نحو بلاد الروم، وتوجه نحو حصص "لم يذكر اسمه في المصادر العربية" وبمداورة يزيد بن أسيد سناً مولى البطال الذي استطاع أن يهاجم بعض الحصون، ويخرج معه معه مدد من الأسرى والعالم^(٢).

وهناك خلاف في هذه الصائفة حول اسم قائدها، فالبعض يذكر أنه كان رفر بن عاصم الحلبي^(٣).

ويمكن القول: إن هالك خلطاً بين الصائفتين، فقائد صائفة عام ١٥٦ هـ / ٧٧٣ م، هو رفر بن عاصم، ولذلك ذكره البعض على أنه من قاد الصائفة في العام التالي، لكن من المرجح أن القائد هو يزيد بن أسيد، لأن أغلب المؤرخين الأوائل قد ذكروا اسم يزيد فقط، وبعضهم قد ذكر اسم القائد رفر بن عاصم.

١ - بن عياط: تاريخ خليفة بن عياط، ص ٤٢٨ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٥٠. لأردى: تاريخ الموصل، ص ٢٢٥، ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ١١.

٢ - بن عياط: تاريخ خليفة بن عياط، ص ٤٢٨، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٥٣. لأردى: تاريخ الموصل، ص ٢٢٩، ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ١٣.

٣ - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٥٣، ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ١٣.

واستمرت الصوائف بشكل مبظم نحو الحدود، ففي العام الذي يلي ١٥٨ هـ . ٧٧٤م، أرسل المنصور قائده معيوف بن يحيى من درب الحدث نحو الحدود، وقد التقى معيوف مع جيش بيرطلي في ما بين الحدث ونمر جيحان، و يبدو أن قتالاً حدث بين الطرفين لكن لم يحقق نتائج مهمة، فقد ذكر بأنهم «احتلوا، ثم تحازروا» أي أن القتال قد انتهى من دون أية نتائج ذات أهمية^(١).

وتوفي الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور والإمبراطور البيزنطي قسطنطين الخامس في العام نفسه ١٥٨ هـ . ٧٧٥م، واستلم عرش الخلافة العربية الإسلامية في بغداد المهدي، من المنصور، وتسلم الإمبراطور ليو الرابع عرش بيزنطة بعد أبيه قسطنطين.

وتما تقدم يتبين بأن هذه المرحلة من النشاط الإسلامي ضد الحدود البيزنطية قد ميزتها نقاط عدة:

- ١- تركيز هجمات البيزنطيين على ملطية، وجعلها هدفاً أساساً أمام قواتهم لتحريرها، وقد حدث هذا أكثر من مرة.
- ٢- عدو مرح دابق نقطة عسكرية تجمع فيها الجيوش الإسلامية، وتستعد للتوجه إلى الثغور الأخرى نحو الجهاد، ولكن لم تخرج منها أية غزوة.

١- حباط تاريخ خلیفة بن حباط، ص ٤٢٩، الطبری: تاریخ الرسل والملوک، ج ٨، ص ٥٧، ابن الأثیر انکامل، ج ٩، ص ٣٥، ابن شداد: الأعلای الخفیه، ج ١، ص ٢٣١، عید الله: العلاقات السياسية، ص ١٦٧

٣ - كما أن عناصر الجيش الإسلامي العباسي تعبرت، فلم تكن عريضة صرفة كما نأ في أيام الأمويين، ولكن بدأت العناصر الخراسانية تدخل بشكل كبير في تشكيلها، وعلى الرغم من ذلك بقيت قيادة أغلب الحملات الإسلامية العباسية خاصة لأقارب الخليفة.

ثالثاً- النشاط العربي الإسلامي العسكري والسياسي العربي الإسلامي زمن الخليفة المهدي إلى زمن الخليفة موسى الهادي ١٥٨-١٧٠هـ / ٧٧٥-٧٨٦م :

في هذا العام ١٥٨هـ / ٧٧٥م توفي سياسيان محكان في عهد الخليفة المهدي العربي الإسلامي والبيزنطي هما الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور والإمبراطور البيزنطي قسطنطين الخامس، وقد كانت حقبة حكمهما من أهم الحقبة في التاريخ العربي الإسلامي والبيزنطي، فالخليفة المنصور المؤسس المعلي للدولة العباسية ومنظمها سياسياً وعسكرياً واجتماعياً، عمل بكل ما يمكنه من قوة من أجل الدفاع عن حدود دولته من خطر البيزنطيين، وسار الخليفة المهدي على خط والده بمواصلة سياسته في محاربة أعداء الدولة الأساسيين (البيزنطيين).

إلا أن النظرة العامة للعلمين العربي الإسلامي والبيزنطي آنذاك كانت راسخة، وأن العلاقات بين الخليفة المهدي والإمبراطور ليو الرابع شمل نحو الهدوء والسلام، والسبب في ذلك يعود إلى أن الإمبراطور ليو الرابع عمل على إطلاق سراح الأسرى المسلمين الذين كانوا في الأسر الإمبراطورية قد قبضت عليهم، ورد الخليفة المهدي بالمثل، فقد أطلق سراح الأسرى البيزنطيين لديه مع من أطلقهم من السجون^(١). كمبادرة منه لقيام علاقات ودية بين الطرفين.

^١ - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ١١٧، الأزدى: تاريخ الموصل، ص ٢٣٦.

وبادر الإمبراطور ليو الرابع إلى تقوية علاقاته أكثر بالخليعة المهدية، لذلك عمل على إرسال الهدايا للخليعة، وكان من بين هذه الهدايا كتاب عنوانه "إرنيس وعبد مارس"، "ج. ١٠٠٠" و"جاميس" ويتحدث هذا الكتاب عن سحر المصريين وما صنعوه ضد سيدنا موسى عليه السلام^١ ويقال: إن السبب الذي دفع الإمبراطور ليو الرابع لإرسال هذا الكتاب هو سماعته بأن المهدية كان يحيل إلى دراسة السحر والشعوذة والتنجيم.

وهنا يجب أخذ هذه الحادثة بعين الحذر والحيطة، خاصة وأن المصادر العربية جميعها لم تذكرها مطلقاً، وإنما تقتصر ذكرها فقط على المصادر السريانية، ومن الممكن أن تكون هذه الحادثة قد وقعت، ولكن قد تكون المصادر العربية قد أغفلتها، فلماذا أغفلتها المصادر العربية؟ يبدو أن السبب يعود إلى عدم اهتمام المؤرخين الإسلاميين بمثل هذه الأحداث، فقد كان جلّ اهتمامهم بالأحداث الداخلية، كثورات، وانتفاضات وأمور البلاد الداخلية، أكثر من اهتمامهم بمثل هذه الحادثة.

ومن الأحداث السالفة كان يتوقع أن تميل العلاقات بين الطرفين نحو الهدوء والسلام، وليس يقوم أي من الطرفين بالهجوم على الطرف الآخر.

ولكن هذه الحقبة من الهدوء لم تستمر طويلاً، بل أخذ الإمبراطور ليو الرابع مع رعاياه المبادرة، وعمل على تجهيز حملة كبيرة في نهاية عام ١٥٩هـ / ٧٧٥م، توجهت نحو سميساط،

١- لأثير الكامل، ج ٦، ص ٤١، مؤلف مجهول: العيون والحقائق، ص ٢٧٠، السرياني: تاريخ ميخائيل الكبير، ج ١، ص ٤٢٠.

٢- السرياني: تاريخ ميخائيل الكبير، ص ٤٢٢، عبد الله: العلاقات السياسية، ص ١٧٢.

وتذكر المصادر الأرمينية بأن الإمبراطور ليو الرابع عمل على إسعاد هذه الحملة إلى ثلاثة أضعاف أقوياء يحملون لقب ستراتيغوس، وهم أرتفاسدوس ماميكويان، وتاتزاتيس ادمريكانث وهم أرميين والقائد الثالث ميخائيل لاجانودراكون، وعكس هؤلاء القادة من تسير هذه الحملة بشكل جيد، وقد تم الاستيلاء على سميساط وتدميرها، وتمكنت هذه الحملة من أسر عدد من القادة المسلمين، والاستيلاء على غنائمهم، بعد أن قامت الحملة بتخريب المدينة، وأجهزت على القوى العسكرية المحيطة بها، ودمرت المعدات التي كانت تدافع عن المدينة، وعادوا بعد بالمهم إلى الإمبراطور، وأسكن الإمبراطور المسلمين داخل الإمبراطورية^(١).

وبطرقاً لهذا النجاح المميز عمل الإمبراطور ليو على تكريم هؤلاء القادة وسط احتمالات بانتصارهم في القسطنطينية^(٢).

ومن مراجعة هذه الحملة يلاحظ أمور عدة .

- بداية : إن الجو العام الذي بدأ مع تسلّم ليو الرابع عرش الإمبراطورية والخلقة الملهدي للخلقة الإسلامية، والذي كان يوحي بأن السلام سيحل بين الطرفين، كما كان جو مضطرباً وضائياً، إذ إن هذا الجو لم يشعر ليو الرابع بالارتياح والاطمئنان للمسلمين، لذلك بادر بالمحوم كما جرت العادة، فمدة اعتلاء العرش من قبل خليفة أو إمبراطور تعدّ فرصة ذهبية، على أحد الطرفين استغلالها والمبادرة بالمحوم ضد الخصم .

^(١) البعقوي: تاريخ البعقوي، ج ٣، ص ١٣٥، ابن شداد: الأعلام الخطيرة، ق ١، ج ٢، ص ٢٣١ .

^(٢) - جيفوند، ص ١٥٠-١٥٣ .

- ثانياً: إن الأوضاع الداخلية والخارجية للإمبراطورية البيزنطية كانت تميل نحو الهدوء، ففي الداخل كان يشاع بأن الإمبراطور ليو الرابع سيتعامل مع القضايا الدينية بإصاف، وبالتحديد قضية عبادة الصور. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فحروب أبيه مع البلغار أرهقت البلغار بشكل كبير وجعلتهم يستعدون قواهم الحربية والمادية في حروبهم للدفاع عن دولتهم، ويقال: إن قسطنطين الخامس و لكثرة ما قتل ودمر في بلاد البلغار سمى سفاح البلغار الأول^(١).

ولذلك عندما تسلم ليو العرش كان البلغار قد انهكوا، وكانت علاقته معهم ممتلئة بالعداء، ولذلك سمي، لذلك كان ليو الرابع مرتاحاً من جهة الجبهة الخارجية للبلغار.

كما أن ليو الرابع كان يعكر بطريقة يوصل بها رسائل للمسلمين و توحى بأن سياسة والده في حروبه ضد العرب المسلمين لا تزال مستمرة، وأن جيشه وقواده على كفاءة عالية من التنظيم والقوة، ولذلك كان اعتباره لمؤلاء القادة الثلاثة على هذا المستوى العسكري الرفيع، هذا على الجانب الإسلامي، أما على الصعيد البيزنطي الداخلي، فقد كان ليو الرابع يهدف إلى إرسال رسالة للداخل البيزنطي معادها أنه يسير على خطا والده، وأن قواده والأقوياء هم قواده، وكما كانوا يديون بالولاء لو والده، فهو يمحهم ثقتهم ليديوا بالولاء له أيضاً.

وهكذا حدث هذا المحوم البيزنطي في بداية حكم الخليفة المهدي، لذلك شعر الخليفة المهدي بأنه إن لم يرد على هذا المحوم بقوة فتكون هذه ضربة قوية تمز عرشه وهو في بدايته،

لاجر موسوعة تاريخ العالم، ج ٢، ص ٤٨٥، ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٢٠، العربي

الدولة البيزنطية، ص ١٨٦-١٨٧.

لذلك عمل المهدي على تجهيز حملة ضمت جيشاً ضخماً كان أغلب جنوده من أهالي حراسا، وكان على رأس هذه الحملة عمّ للمهدي العباس بن محمد^(١)، الذي توجه به هذا الجيش بريد الوصول إلى أنقرة^(٢)، وكان في مقدمة هذا الجيش الحسن الوصيف، وهو أحد مدوحي الخليفة المهدي.

رافق الخليفة المهدي الجيش إلى اليردان^(٣)، ومن هناك أرسل العباس نحو بلاد الروم، وقد أحرر العباس انتصاراً كبيراً على البيزنطيين، واستطاع أن يعتنق مدينة من مدن الروم ومطمة بورة ووصل إلى أنقرة، إلا أنه لم يقم بأيّ تحرك تجاه أنقرة^(٤).

- العباس بن محمد: هو العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أموي السفاح والنصور أبو الفضل، ولاء النصور بلاد الشام وتولى أيام الرشيد الحربية، وأُرسل أكثر من مرة لغزو البيزنطيين، كان من أمود السس رانياً وحكمة ويعزم بعض من أهلها بأن الخليفة الرشيد هو من سمى ابن طيفور: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٩٥، ج ٤، ص ١٢٤، ابن نوري بردي (أبو المحاسن يوسف الأتابكي ت ٨٨٧٤ / ١٤٦٧ م): السجون الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مصر، دار الكتب المصرية، ١٩٥٦ م، ج ٢، ص ١٢٠، القزويني (عبد السلام): أحداث التاريخ الإسلامي ترتيب السبيل يشمل على أحداث التاريخ الإسلامي مع ترجمة لأشهر لأعلام وتعرف بالمواقع والبلدان، دمشق، دار طلاس، ط ٣، ص ٢٠٨.

^١ - أنقرة: اسم للمدينة المسماة أمكورية، وقال عنها بطليموس، مدينة أنقرة طولها ثمان وخمسون درجة وعرضها تسع وأربعون وهي في الإقليم السابع، الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٢٧١.

^٢ - اليرقان: وهي عدة مواضع منها قرية في بلاد اليرقان نحو بسقي بساين مرعش وضبعها، الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٣٧٥-٣٧٦.

^٣ - ابن خياط تاريخ خليفة بن خياط، ص ٤٢٩، البيهقي: تاريخ البيهقي، ج ٣، ص ١٣٥، الطبري تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ١١٦، ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ٤١، ابن شداد: الأعلام الخطيرة، ج ١، ص ٢٢١.

ولدى مراجعة هذه الحملة في المصادر العربية يلاحظ بأن معلومات قليلة ومتفرقة ذكرتها المصادر العربية، فبعض المصادر تذكر أنه فتح مدينة للروم ومطمورة^(١)، والبعض ذكر بأنه وصل إلى مشارف كاس^(٢).

وانعفت هذه المصادر على أن العباس وصل إلى أنقرة، لكنه لم يعتنقها، وهذا لا يمكن أن يصبح بعض النقاط، فكاس: هي عبارة عن حصن، وليست مدينة، وبالعقل استطاع العباس أن يعتنقها بعد أن اتبع خطة نعت الدخان على الحامية البيزنطية التي كانت مرابطة في الحصن، فاستسلمت الحامية، وتمكن العباس من دخولها، والاستيلاء على مخازن القمح الكثيرة الموجودة في الحصن^(٣).

فربما قصد المؤرخون أن المدينة: هي حصن كاس، والمطمورة: هي مخازن القمح، وذلك تبعاً لما تعنيه هذه الكلمة، وهي مكان تحت الأرض يطمر فيه الطعام.

أما بالنسبة لأنقرة، فهي لم تعنق، بل وصل إليها العباس، لكنه ربما لم يستطع أن يدخلها بالقوات التي كانت موجودة معه، لذلك فضل العودة إلى كاس والاستيلاء عليها، نظراً لأهميتها وكونها مخازن للقمح.

وهذا يجب التدقيق في ذكر الروايات لدى المؤرخين القدامى، فيلاحظ بأن هناك بعض الاقتصاف في ذكر الأحداث الخارجية في بعض السوات، ويمكن أن يكون السبب في ذلك عدم

^١ - الطبري: تاريخ الرسل والملوكة، ج ٨، ص ١١٩، ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ٢١.

^٢ - البقوي: تاريخ البقوي، ج ٣، ص ١٣٥.

^٣ - عبد الله: العلاقات السياسية، ص ١٧٨-١٧٩.

اهتمام بلورحين بالأمور الخارجية بشكل كبير، إلا إذا كان هناك انتصار كبير حققه المسلمون، أو إذا كان الخليعة أو أحد أولاده هو من قاد هذه الحملة، فيلاحظ هذا توسع الدورين في الحديث عن هذه الحملة، وربما اهتم المؤرخون بالأحداث الداخلية والقضايا الخاصة التي كان يعاني منها الخلفاء، كانتعاسة أحد أولاد عمومته، أو ثورات الخوارج، أو خروج بعض الرادقة على الخلافة وهكذا.

وهنا يلاحظ أمر على قدر من الأهمية قد ذكره المؤرخون، وهو عند إرساء المهدي الحسن الوصيف مع العباس في حملته هذه ذكروا بأنه "لم يجعل المهدي للعباس على الحسن الوصيف ولاية في عزل ولا غيره" إذاً بدأ الموالي يظهرون بشكل قوي في الجيوش العباسية، ويعرضون أنفسهم حتى في القيادة، وبدأ الخلفاء بإعطائهم أهمية كبيرة، ومع أقاربه وآل بيته من توجيه الملاحظات لهم.

إذاً يجب القول: إن الظهور القوي الذي كان يخطط له الموالي منذ عهد ولهم لا مدعوة العباسية قد ظهر بقوة في عهد المهدي، وسوف يلاحظ بأن هؤلاء الموالي سيزداد تأثيرهم وقوتهم ومكانتهم أكثر فأكثر في الحملات العسكرية خاصة، وأن من يسيطر على قيادة الجيش، فهو من يسيطر على كل شيء.

بعد هذه الحملة اختير القائد ثمامة بن الوليد من قبل الخليعة المهدي كقائد لصائغتين نحو بلاد الروم، الأولى كانت في عام ١٦٠ هـ / ٧٧٦م، ولم تذكر المصادر ما هي نتائج هذه الصائغة، سلبية كانت أم إيجابية؟^(١).

^١ - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ١٢٩، ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٤٦.

والصائفة الثانية: كانت في عام ١٦٦ هـ / ٧٧٧م، و توجه ثمانية نحو دابق ورابط فيها^(١).
 ولم يتوقف المهدي عن توجيه الحملات بل عمد إلى تكثيفها نحو الحدود البيزنطية
 الإسلامية، لذلك و في العام نفسه ١٦٦ هـ / ٧٧٧م، أرسل خاله القائد عيسى بن علي، فتوجه
 عيسى ومعه ثمانون ألف مقاتل نحو مرعش، ولكنه تعرّض لحصار من قبل البيزنطيين، لكن
 عيسى تمكن من التخلص من هذا الحصار واستطاع التغلب على البيزنطيين، وتمكن من سبي عدد
 منهم والحصول على غنائمهم وعاد إلى مرعش ورابط فيها^(٢).

وهنا تظهر المبالغة في ذكر هذا العدد الضخم من الجنود الذين توجهوا مع عيسى بن
 علي في هذه الصائفة، فيذكر بأهم ثمانون ألف مقاتل، فكيف استطاعت مدينة مرعش استيعاب
 هذا العدد الضخم من الجنود في أراضيها، ولكن هذه كانت عادة للتورخين بشكل عام، المبالغة
 والتضخيم في ذكر أعداد المسلمين خاصة، ليشرروا القراء بمدى اهتمام الخلفاء بإرساء أمن بلاد
 كثيرة من الجنود، ليدافعوا عن حدود دولتهم.

بعد هذه الصائفة التي قادها القائد عيسى بن علي في عام ١٦٦ هـ / ٧٧٧م، بدأت
 الدولة البيزنطية تعدّ العدة لمحورٍ مطّمْ على الحدود الإسلامية، ولذلك جهز الإمبراطور ليو الرابع
 جيشاً ضخماً مكوناً من خمسة جيوش رئيسة كبرى، وصل تعدادها إلى مئة ألف مقاتل، وسلمه

^١ - ابن حباط: تاريخ خليفة بن حباط، ص ٤٣٦، ابن شداد: الأعلام، الخطبة، ج ١، ق ٢، ص ٢٣٢.

^٢ - البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٩٣، ابن حباط: تاريخ خليفة بن حباط، ص ٤٣٦، ابن شداد: الأعلام
 الخطبة، ج ١، ق ٢، ص ٢٣٢، ابن العديم: بغية الطلب، ج ١، ص ٢٣٦.

اتصاله بالقائد ميخائيل، ورشوته بالهدايا وغيرها، لذلك ترك ميخائيل المدينة وعاد أدراسه إلى بيرطبة^(١).

أما المصادر العربية فلا تذكر الرشوة إطلاقاً، وإنما تذكر صائفة أخرى بقيادة ثمامة بن الوليد كانت مرابطة في دابق، وتربط بينها وبين غزو مرعش من قبل الجيش البيزنطي، فعندما وصلت الجيوش البيزنطية إلى مرعش وحاصرتها علمت بأن القائد ثمامة بن الوليد يقوم بتحريك المنطقة المحيطة بدابق، فكأن على القوات البيزنطية مواجهة ثمامة، وإشغاله ومحاولته منه الوصول إلى مرعش ومساعدتها، وتذكر هذه المصادر أن القائد البيزنطي ميخائيل لا يحاول أن يكون تقدم بجيشه نحو ثمامة، ودارت معركة بين الطرفين^(٢).

وعلى الأرجح أنه عندما علم القادة البيزنطيون بشأن ثمامة اجتمعوا وقت مرورهم تقسم الجيش إلى قسمين، قسم يبق في مرعش لحصارها، والقسم الآخر يتحرك لملاقاة ثمامة، وقد تولى قيادة هذا القسم القائد ميخائيل، وهذه المصادر لا تذكر اشتراك القادة البيزنطيين مع ميخائيل بن تؤكد أن ميخائيل سار نحو دابق لمواجهة ثمامة بجيش مكون من ثمانين ألف جندي^(٣). لا بد هنا من الإشارة إلى هذه الأرقام الضخمة التي يتم ذكرها من قبل المؤرخين العرب والسرمان على حد سواء، ولكن المطلق يدفع الدارس للتساؤل عن حقيقة مثل هذه الأرقام.

^١ - عبد الله: العلاقات السياسية، ص ١٨٢.

^٢ - انيلادري: فتوح البلدان، ص ١٩٣، ابن عياط: تاريخ خليفة بن عياط، ص ٤٢٧، الطبري: تاريخ الرسل والملوكة، ج ٨، ص ١٤٩، ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ٥٥.

^٣ - ابن عياط: تاريخ خليفة بن عياط، ص ٤٢٧، الطبري: تاريخ الرسل والملوكة، ج ٨، ص ١٤٩.

ومصدقيتها ، فهل يعقل أن يتمكن جيش مثل هذا العدد الضخم من تأمين احتياجات الجند و
والخيول من مؤن وغذاء وماء وما إلى ذلك إلى مدة تطول إلى أسابيع أو أكثر.

لذلك فالجيش الذي بقي في مرعش لمحصارها يقدر بحوالي عشرين ألف جندي على
افتراض أن الجيش البيزنطي كان تعداده مئة ألف جندي، وهكذا تقدم ميخائيل نحو ثمامة إلى
تحرك، لصعد المحوم ومعه أعداد قليلة من الجنود، وكان قد أرسل مجموعة استطلاعية لتحريره
تحركات البيزنطيين وتعدادهم، وقد حاولت هذه المجموعات أن تثني ثمامة عن مواجهة الجيش
البيزنطي، بطراً لضعفاته، لكنه لم يأبه بهم وخرج من دابق، ووصل الحدث وحاصرها^(١).
فلماذا بقي في مرعش العدد الأقل لمحاصرتها، وتوجه العدد الضخم مع ميخائيل لمواجهة
ثمامة؟.

يبدو أن القائد ميخائيل أراد أن يتوجه بهذه الأعداد الضخمة، ليشعر الجيش الإسلامي
بقوته، ويقوم بهزيمته، ويجمع المسلمين من محاولة الدفاع عن مرعش في أثناء هجومهم عليها.
وحدثت معركة عبية بين الطرفين تمكن ثمامة من هزيمة طلائع جيش ميخائيل في بداية
المعركة، وكان مع ثمامة ملالة بن حكمة^(٢)، ولكن ما لبث أن تحولت المعركة لصالح
البيزنطيين، وقتل الكثير من الجنود العباسيين وأصيب ملالة إصابة خطيرة في هذه المعركة،

١- عياط: تاريخ خليفة بن عياط، ص ٤٣٧، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ١٤٢، ابن
لأثير: الكامل، ج ٩، ص ٥٥، عبد الله: العلاقات السياسية، ص ١٨٣.
٢- ملالة بن حكمة: لم أجد له تعريفاً في المراجع التي تمت العودة إليها.

واستطاع ميخائيل أن يدخل حصن الحدث، ويخبره وقد دخل إلى قرى أخرى محيطة به أحرقها،
وسبي الكثير من المسلمين^(١).

ويرجح أن تكون هزيمة الجيش البيزنطي في البداية خطوة من قبل القائد ميخائيل، حتى يستطاع تطبيق الجيش العربي الإسلامي بأكمله والقضاء عليه مستغلاً أعداد جنوده وعدمهم الصحة. ويبدو أن شجاعة ثمامة وتحمسه لمواجهة البيزنطيين لم تجعله يقدر الأمور على حقيقتها، فالجيش البيزنطي أضعاف أصعاف جيش المسلمين، كما أن المجموعات الاستطلاعية كانت قد بدت بهتة إلى ذلك، لكنه لم يعرفها أي اهتمام، وهنا وقع الخطأ، لأنه لم ينتبه لتحذيرات المجموعات الاستطلاعية حول ضخامة الجيش البيزنطي من حيث العدد والعدة، فقد أحسن الجيش البيزنطي بأنه أقوى من جيش المسلمين بعدده وتعداده، ولا شك أن حكمة قائده كان لها دور رئيسي في هذا النصر.

بعد هذا الانتصار توجه ميخائيل نحو مرعش، التي كانت محاصرة من قبل القسم الآخر من الجيش، فاشترك ميخائيل بالحصار، واستطاع أن يدخل مرعش، والتقى مع جنود عيسى بن علي، واتبع ميخائيل الخداع والميلة فظاهر بالاستحباب ثم استجمع قواه وباغت جيش العباسيين، وتمكن من تحقيق نصر كبير وقتل الكثير من جنود عيسى وفر إليه الخفون، ولم يجد ميخائيل أي مسوغ لمواصلة الحصار، لذلك تحرك عائداً إلى بيزنطة، وبصحبه أعداد هائلة من

^١ - ابن عسك: تاريخ خليفة بن عسك، ص ٤٣٧ - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ١٤٢، ابن خفون: تاريخ ابن خفون، ص ٢٠٣، عبد الله: العلاقات السياسية، ص ٢٤١.

«أسرى من سكان مرعش، والمحدث، والناطق المجاورة، وقام الإمبراطور بتسكين الأسرى في منطقة تراقية».^(١)

وقد احتل الإمبراطور بهذا الانتصار، وقام بتكريم القادة المنتصرين، وهذا يعني أنه لم المصادر البيزنطية لميخائيل بالرشوة، ولو أنه ارتشى لما حارب المسلمين بهذه القوة، وما كان للإمبراطور أن يكرمه على انتصاره هذا^(٢).

وكان لهذا النصر البيزنطي أثر كبير على وضع الخلافة العباسية السياسية، فقد أدرك المهدي أن خطر الإمبراطورية كبير ويهدد أمن دولته، ولهذا كان عليه أن يثبت وجود الخلافة الإسلامية، وقوتها فقرر الانتقام.

وأول ما فعله هو نقل قيادة الجيش من عمه العباس بن محمد إلى الحسن بن قحطبة، القائد المعروف بحمته العسكرية، وسيره على رأس جيش مكون من ثمانين ألف مقاتل ضم قوات من خراسان والموصل والشام والجزيرة واليمن والمنتطوعين من العراق والمخار^(٣).

- أنبلاري. فوج البلدان، ص ١٩٣، ابن شداد: الأعلام الخطيرة، ج ١، ص ٢، ص ٢٣٢، السرياني تاريخ مهدييل السرياني الكبير، ج ١، ص ٤٢٤، عبد الله: العلاقات السياسية، ص ١٨٤.

٢- نوبق: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ٧٩، عبد الله: العلاقات السياسية، ص ١٨٥.

٣- ابن عياط: تاريخ خليفة بن عياط، ص ٤٣٧، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ١٤٢، ابن النديم: فية الطلب، ج ١، ص ٢٤١، ابن شداد: الأعلام الخطيرة، ج ١، ص ٢٣٢.

وتوجه الحس بن قحطبة، ومعه هذا الجيش الضخم في عام ١٦٢ هـ / ٧٧٩م، من مصر
درب الحدث بين مرعش وألبستان، ووصل إلى نيم الأناضول وبلغ حمة أذرونية^(١)، وكان في
طريقه يحرق القرى، ويهدم الحصون البيزنطية الموجودة أمامه، ويسبي أهلها للدرجة أن والده
بدؤوا يحفون ويرتعبون من اسمه، ولكثرة ما فعل بهم وضعوا صورته في كنائسهم وسموه الله سين،
وبعد أن وصل إلى الأناضول أرسل ابنه محمد بن الحس إلى عمورية^(٢)، وقد استطاع محمد أن
يصل إليها، ولحقه والده لكنه عاد من دون أن يفعل شيئاً، فلم يفتح أي حصن، ولم يلتق مع أي
جنود من البيزنطيين، وعلى الرغم من ضخامة هذا الجيش وقوته وحكمة قائده فقد عاد من دون
أن يحقق نتائج ذات أهمية حقيقية ما عدا أنه هدم وحرق وسمى^(٣).

يجب الانتباه إلى أنه من الممكن أن يكون المؤرخون قد بالغوا في ذكر أعداد الجنود الذين
كانوا مع الحس "على عادتهم" لتهويل أهمية هذه الحملة ولإيضاح مدى قوة الجيش الإسلامي.

- حمة أذرونية: إقليم في درب الروم واسم لبلدة البيزنطية وهي اليوم اسكي شهر، الخامس (زكي): شعر
الحرب في أدب العرب (في المصريين الأموي والمباسي إلى عهد سيف الدولة)، مصر، دار المعارف،
ط ١٩٧٠م، ص ١٩٧.

^١ - عمورية: من أهم بلاد الروم البيزنطيين، الحسوي: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٥٨.

^٢ - أنبلادري: فتوح البلدان، ص ١٩٤، ابن عياط: تاريخ خليفة بن عياط، ص ٤٣٧، الطبري: تاريخ
الرس والملوك، ج ٨، ص ١٤٢، ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ٥٨، ابن العديم: معجم الطلب، ج ١، ص ١٠٤،
ص ٢٤٠. بعض المؤرخين يذكرون بأن تعداد هذا الجيش كان ثلاثين ألفاً، الطبري: تاريخ الرس والملوك،
ج ٨، ص ١٤٢، لم تذكر المصادر جميعها بأن الحس وصل إلى عمورية سوى مصدر واحد، ابن عياط: تاريخ
خليفة بن عياط، ص ٤٣٧، الأزدي: تاريخ الموصل، ص ٢٤٢.

أما عن نتائج هذه الحملة، فيبدو أن المهدي حين أرسل هذه الحملة لم يكن يتطرق لها نتائج كبيرة، وإنما كان يقصد أن يثبت للبيزنطيين بأن الجيش العباسي لا يزال يتمتع بمكانة مهمة وقادر على المواجهة على الرغم من أنه كان من المفروض على الحسن بن قحطبة بقوته وحكمته العسكرية والأعداد الهائلة التي عرّجت معه أن يحقق نتائج مهمة أكثر من ذلك .

وإن لم تحقق هذه الحملة الكثير على الصعيد الحربي ، إلا أنها أعادت بناء حصص الحدث وطرسوس، ففي أثناء مرور الحسن بن قحطبة بحصص الحدث شاهد الخراب الذي نه رضى له الحصص ، فأعبر المهدي بما شاهده واقترح عليه بناء وإعادة تعمير طرسوس، فوافق المهدي نظراً لأهمية هذا الحصص^(١).

وبالعودة إلى هذه الحملة التي قادها الحسن بن قحطبة يلاحظ بأن هنالك غموضاً يلف هذه الحملة، فقد ذكرت المصادر العربية بأن الحسن لم يلتق مع أيّ جيش بيزنطي يقف في وجهه، لكن المصادر البيزنطية تذكر بأن الإمبراطور ليو الرابع كان قد طلب من قواده وجده عدم التعرض للحسن بشكل مباشر، وذلك نظراً للأعداد الضخمة التي جاءت معه، وإنما طلب منهم أن يهاجموا مؤخرة الجيش العباسي، والعمل على حرق مرافق الخيول ومخزون الجيش الإسلامي، وتقسيم حركتهم إلى مجموعات صغيرة لا تتجاوز ثلاثة آلاف جندي لكل منهم من أفضل الخيول وأقواتهم، وبهذا يضمن ليو الرابع حماية أعداد إضافية من جنوده والاعتماد على

^١ - البلاطية قسوس البلدان ، ص ١٩٢ ، ابن النديم : فنية الطلب ، ج ١ ، ص ٢٤٠ .

أعداد قليلة مهمتها الدفاع والمهاجمة في الوقت نفسه، وبالعقل عمل البيزنطيون حسب خطة
إمبراطورهم، وهاجموا مؤخره جيش الحرس^(١).

وتم الإشارة إلى هذه الأحداث من قبل المصادر، باستثناء مصدر واحد يذكر أن
مفاوضات حدثت بين الطرفين^(٢).

وفي العام نفسه ١٦٢ هـ / ٧٧٩ م، أرسل المهدي أيضاً حملة جديدة بقيادة يزيد بن أسيد
السلمي الذي توجه من باب القلعة نحو حصون الروم واستطاع أن يفتح ثلاثة حصون للروم،
وأسر أعداداً كبيرة من البيزنطيين^(٣).

وعلى الرغم من هذا النشاط الحربي في هذا العام إلا أن البيزنطيين عادوا وأغاروا على
حصن الحدث مرة أخرى، وهدموا أسوار المدينة، غير مهتمين بما وجهه للمهدي من هجمات
ضدهم، وكان ذلك في عام ١٦٢ هـ / ٧٧٩ م^(٤).

وهكذا بقيت الحدث هدفاً لضربات البيزنطيين المتتالية بغية تخریبها، وذلك نظراً لأهميتها
كحصن مسيع يقضي مضاجع البيزنطيين، ولهذا لم يتوقف المهدي عن إرسال الحملات من الثغور
إلى الأراضي البيزنطية، وكانت أهمها الحملة التي أشرف للمهدي بنفسه على تنظيمها واستعداده

^١ - عبد الله: العلاقات السياسية، ص ١٨٨.

^٢ - ابن عسك: تاريخ حلب، ص ٤٣٧.

^٣ - انصاري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ١٤٣، ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٥٨. لم تذكر هذه المصادر
أسماء هذه الحصون التي فتحت.

^٤ - انصاري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ١٤٢، الأردني: تاريخ الموصل، ص ٢٤٢، البغدادي: تاريخ
البغداد، ج ٢، ص ٢٩٦، ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٥٨، ابن شداد: الأعلام، ج ١، ص ٢، ص ٢٣٣.

قادتها بنفسه، فقد جهز المهدي هذه الحملة، تجهيزاً كبيراً، وجمع لها جنوداً من جميع الأجزاء،
وكان لأهل حراسان العدد الأكبر في هذه الحملة فقد بلغ تعداد جنودها حوالي مئة وخمسين ألف
جندي، وعسكر المهدي مع هذا الجيش الضخم باليردنان، وبقي هنالك ما يقارب شهرين، نظم
صعوف الجيش، وقرر المهدي تسليم قيادة هذه الحملة لولده هارون، وتوجه هو إلى الموصل بن
والحريرة، وعبر العرات نحو حلب، واستخلف ولده موسى بن المهدي في بغداد.^(١)

وبعد أن وصل المهدي إلى حلب أرسل ابنه هارون إلى بلاد الروم ومعه أعظم قادة
وأشهرهم وأحكمهم سياسة وحكمة، فقد أرسل معه الحسن بن قحطبة، والربيع بن موسى
الحاجب، وموسى بن عيسى، وعبد الملك بن صالح بن علي، وأرسل معه أيضاً أهم شخصيات
أسرة البرامكة الحسن وسليمان وعالم بن برمك، وكان مستشار هارون وكان أمراً بالعمارة
وبعقائه بيد الحسن بن خالد بن برمك.^(٢)

توجه هارون ومعه هذا الجيش الضخم والقادة الأقوياء إلى درب الحدث، فعبه ووصل
حتى نهر جيحان، ومن ثم توجه إلى مدينة المهدية، ووصل إلى منطقة البستان، وتوغل في أسوارها
الصحري، ووصل إلى ثيم أرمينية، وبدأ هارون يهاجم الحصون التي يراها أمامه وتقف في طريقه،
وقد تمكن من تخريب عدد كبير منها وسبى أهلها، وكان حصص سملو من أهم هذه الحصون،
وقد حاصر هارون هذا الحصن مدة تقارب ثمانية وثلاثين يوماً، لكن هذا الحصن استعصى عليه،
فعمد الرشيد إلى نصب المجانيق حول الحصن، وتضييق الخناق أكثر على أهله، فتأثر أهل الحصن

بطري تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ١٤٤، البيهقي: تاريخ البيهقي، ج ٢، ص ٣٩٦، ابن الأثير

الكامل، ج ٩، ص ٩٠، ابن المقدم: ردة الحلب في تاريخ حلب، ج ١، ص ٩١.

^١ - بطري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ١٤٥-١٤٦-١٤٧، ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ٩٠.

هذا الحصار، ولم يستطيعوا المقاومة، لشدة ما أصابهم من عطش وجوع ومرض، لذلك طلب أهل الحصن من هارون الأمان، وبالفعل فتح هارون الحصن وأعطى أهله الأمان مقابل عدد من الشروط طلبها أهل الحصن من هارون، وهي ألا يقتلوا ولا يرحلوا من ديارهم ولا يفرق بينهم، فأعطاهم هارون ما طلبوا وعاد هارون من حملته هذه منتصراً ومعه جيشه الكبير إلا أنه من قتل منهم أو جرح، ومعه أيضاً أعداد كبيرة من السبايا والخزني^(١) والأمتية^(٢).

بعد عودة هارون من حملته هذه توجه مع من أخذهم من الحصن إلى بغداد وأمرهم على باب الشمامسة، وقد سمي موضعهم هذا (سمالو)^(٣) ويذكر بأن المهدي عندما أُرسلوا في بهمداد جميعهم استحياءهم^(٤)، وأعطاهم الأمان على حياتهم ولم يقتلهم وأمر أن يسمى الموضع بعالم الذي نزلوا فيه (سمالو) نسبة للحصن الذي كانوا فيه، وباع هارون منهم أعداداً كثيرة^(٥). وقد قام المهدي في أثناء مسيره مع الجيش في هذه الحملة بالعديد من الأعمال، منها عزله لوالي الجزيرة عبد الصمد بن علي، وأبدله بزفر بن عاصم الهلالي^(٦).

^١ - الخزني: ثقات البيت ولفاع والغنائم للمعجم الوسيط، ص ٢٣٢.

^٢ - لهادري: فتوح البلدان، ص ١٥٧، ابن عسطة: تاريخ خليفة بن عسطة، ص ٤٣٧، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ١٤٨، الأردني: تاريخ الموصل، ص ٢٤٣، ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٦٠، السريدي: تاريخ معانيل الكبير، ج ٢، ص ٤٣٤، ابن شداد: الأعلام، ج ١، ص ٢٠٣، ص ٢٣٣.

^٣ - (سمالو) (سمالو). مدينة أو حصن ماثر الشامي قرب المصبة وطرسوس، ويسب إليه دير سمالو، بن عهد الحق الهمداني: مرآة الإطلاع، ج ٢، ص ٨٥١.

^٤ - منحب استحياء الأسير، تركه حياً فلم يقتله وفي التبريل العربي "يدبحون أساءكم ويستحيون بساءكم" المعجم الوسيط، ص ٢٢٠.

^٥ - لهادري: فتوح البلدان، ص ١٧٥، الجعفي: تاريخ الجعفي، ج ٢، ص ٣٩٦، مؤلف مجهول: المعون والحدائق، ص ٢٧٨، ابن الوردي: نعمة المختصر، ص ٣٠٢.

^٦ - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ١٤٧-١٤٨، الأردني: تاريخ الموصل، ص ٢٤٣.

والسبب الذي دفع الخليفة المهدي إلى عزل عبد الصمد، حسب ما ذكرته المصادر، هو أن المهدي عندما توجه بالجيش نحو الموصل وسار باتجاه الجزيرة، كان من المعروض على الوالي عبد الصمد تخصيص أماكن لراحة الخليفة وقواده، لكنه لم يبدِ اهتماماً بالخليفة حيث لم يلقه، ولم يصلح الطرقات لمروور الخليفة وحيشته، وبهذا فهو لم يحترم الخليفة ويقدره، وبعد أن وصل المهدي إلى الجزيرة أحس عبد الصمد بخطئه، وحاول أن يتنذر منه ويسترضيه، فأرسل له الهدايا، لكن الخليفة لم يقبلها، فشنع عبد الصمد بخطورة ما قام به تجاه الخليفة، وأن جهوده التي بذلها لإرضائه لن تأتي ثمارها، وبالفعل ما إن وصل المهدي إلى حصن مسلمة^(١) حتى دعا عبد الصمد، وكلمه كلاماً قاسياً، ثم أمر بحمله وعزله عن الجزيرة^(٢).

ولم يكن ما أورده المؤرخون من أن الإهمال وحده هو السبب في العزل مقبولاً، وربما تكون الأسباب سياسية، أو شخصية، وربما يخاف المهدي من إحكام عبد الصمد سيطرته على الجزيرة أو غيرها، أو أن خلافاً كبيراً كان بينهما لكنه تصحر في هذه الحادثة، وكان سبباً لعزله. كما أنه ردّ إلى أولاد مسلمة بن عبد الملك أموالاً كان قد أعطاهما مسلمة لمحمد بن علي^(٣).

- حصن مسلمة. وهو الناعورة من أصل حلب، فقد عزل مسلمة بن عبد الملك بن مروان الناعورة من فترة بني أسد، وبني معاوية بالبحر الصلت الأسود، وقام مسلمة ببناء قرى ومرارح في تلك المنطقة لإعمارها، وبني أولاد مسلمة متواجدين في تلك الناحية إلى أيام بني العباس وبرهم الرشيد عند وصوله من هذا الحصن، ابن العديم: بنية الطلب، ج ١، ص ٥٣٠-٥٣١.

^١ - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ١٤٧-١٤٨، الأردني: تاريخ الموصل، ص ٢٤٣.

^٢ - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ١٤٤، ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ٦٠، ابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب، ج ١، ص ٦١.

واستغل الخليفة وجوده في حلب في أثناء متابعته للحملة، وأرسل إلى عبد الجبار محتسب حلب يطلب منه ملاحظة الزنادقة^(١) الموجودين في تلك المناطق وجمعهم، وبالمعل تمكن من عبد

- الزنادقة لم يهدأ نهار الزنادقة في صدر الإسلام بل كان يعمر عن نفسه، بين آونة وأخرى، على أنسة النشوء، فالحسين إلى شرب الخمر والتفخي بما، الحيرة من قضية المعاد وفناء الإنسان، التبرم من العروض الدينية والتوق لأهم الحرية الخوالي في المعاملة، كان يتردد صداها في شيا القصاصد التي كتبت في صدر لإسلام، ثم تمرر هذا النهار بدعوى المجلس الأعزى، ذات الخلافات الثقافية المختلفة، في الإسلام التي رأت في التردد الثقافي عبر وسيلة لإعلان ثمرها على أسبادهم العرب لتتطور هذا النهار، في العصر العباسي، إلى تنظيم فكري رصين يتطور ويناقش ويؤلف الكتب لتحص النبوة وتصفه الشرائع وقد القرآن حتى اضطر الخليفة المهدي، ثالث خلفاء العباسيين، بعد استفحال أمرهم إلى إنشاء ديوان اسماء ديوان الزنادقة لمطاردتهم وتمتعهم، فأمر بالقصاص على كل الزنادقة الموجودين داخل البلاد، فقبضوا على كل من استطاعوا القصاص عليه وأتوا به إلى الخليفة، فأمر بقتل بعضهم وجرم كتبهم وكان يقبض على الزنادقة لأقل شبهة، وبدأ مفهوم "الزنادقة" بداية ملتبسة في تعريفات المؤرخين، فمسم من يخلط الزنادقة بالدهرية الذين يقولون بقدّم الدهر وأبدية المادة والكون بوسم من يعرفهم بالثنوية، أي أهل النور والظلمة، ويقتصر القصاص تعريفهم على أنهم من أتباع مبي وقار الخليفة المهدي من هذه الطائفة ((إنما فرقة تدعو إلى ظلم إلى ظلم حس كاجتساب الفواحش والرهق في الدين والعمل للأخرة ثم تخرجها إلى تحريم اللحم وعدم من الماء الطهور ثم تخرجها من هذه إلى عبادة شين أحدهم النور وأخر الظلمة، ثم تبيح بعد هذا بكاح للهات والبيات والاعتسار بالبول وسرقة الأطفال من الطرق ليهتدوهم من ظلال الظلمة إلى هدابة النور فارفع عمها الخشب وجردها فيها السيف))، الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٨، ١٤٨، المص (يوسف). تاريخ عصر الخلافة العباسية، بيروت، دمشق، دار الفكر، ١٩٩٦، ص ٥٢-٥٣، كرد علي: الإدارة في عر العرب، ص ١٣٩، كلش. تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ص ٧٤، اندعبي. تاريخ العرب والإسلام، ص ٢١٢، بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ١٨٣، حمدة (حار) ديوان الزنادقة، بغداد، مشورات الجمل، ٢٠٠٧، ٢٧، ٢٨، بوقال ابن منظور في تعريف الزناديق "هو" انقلب بقاء الدهر وهو بالفارسية رند كراي، يقول بدوام بقاء الدهر، والزنادقة الصبق وزندقتة أنه لا يؤمن بالأخرة ووحدانية الخالق، وليس في كلام العرب رنديق وإنما تقول العرب رنديق ورندعي إذ كان شديد البخل، فإذا أرادت العرب معنى ما نقوله العامة قالوا: مُنْجِد ودعري"، ابن منظور: لسان العرب، مادة رنديق، ج ٢، ص ٥٢.

الجبار من جمع أعداد كثيرة منهم أرسلهم للمهدي، وهو موجود بلباق فأمر بقتلهم ونقطيع
كبهم^(١).

ومن هنا يستدل على أن المهدي عمل وبشكل كبير على حماية حدوده الخارجية،
والنحيط للدفاع عن هذه الحدود بحملة تبرز قوته، وقوة ولده هارون للجميع، كما أنه أراد أن
يبين للإمبراطور البيزنطي بأنه مستعد ومتأهب باستمرار لحماية أراضي الدولة الإسلامية، كما أن
المهدي أظهر ومن خلال الأعمال الداخلية التي قام بها في أثناء هذه الحملة بأنه متابع وبش
كبير لشؤون دولته الداخلية.

بعد أن نجح هارون في حملته هذه، ولاد المهدي المغرب^(٢) وأذربيجان، وأرمينية، مكافأة
لجأحه، وأيضاً ليتزود بحيرة أكثر^(٣).

أما عن تسليم هارون قيادة حملة كبيرة مثل هذه، فهذا يدفع للاستعراب، فلا يس من
الممكن من شاب لم يتجاوز عمره سبعة عشر عاماً أن يتسلم قيادة حملة بهذا العدد من الجنود
والعدة والعتاد، ولكن القارئ يستشف بأن قيادة هارون لهذه الحملة لم تكن قيادة فعلية بل

- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ١٤٨، المقتوي. تاريخ المقتوي، ج ٢، ص ٤٠٠، من
لأثير النكاس، ج ١، ص ١٠، مؤلف مجهول: الميون والحدائق، ص ٢٧٩، خلال الفتوحات الإسلامية،
ص ١٩٧.

^١ - المغرب يعني المغرب الأقصى وقد استقل عن الدولة العباسية حيث شكلت فيه دولة الإدارة، والنفس
هذا إقليم الريفية وهو يتألف من تونس والجزائر وبعض ليبيا فقد سمح الرشيد بأن تقوم فيه دولة بني لأعلب،
انعش: تاريخ عصر الخلافة العباسية، ص ٧٩.

^٢ - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ١٤٨، ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ٩١.

بالمئة، بل إن المهدي قد أرسل معه أكبر قادته وأهمهم على الإطلاق، وطلب من مرييه الخاص أن يتولى شؤون عسكره وجيشه، لذلك فإن هارون كان محاطاً بثلة من القادة من ذوي الخبرة والكفاءة والخبرة السياسية والعسكرية، لذلك لم يخف المهدي حين أرسله قائداً لهذه الحملة، كما أن المهدي لم يسلم هذه الحملة لولده موسى الهادي وهو أكبر سناً من أخيه هارون، فلماذا مبر الرشيدي بين الأخوين ولم يسند الحملة لولده الأكبر سناً، وخلعته العلي، يبدو أن الخليفة المهدي وجد في ولده هارون القوة والشجاعة والصعات القيادية التي تخولها له من هذه الأمور العسكرية أكثر من أخيه موسى.

ويلاحظ في هذه الحملة تركيز الخلفاء على حصار أهل خراسان في حملاتهم ثم يشككون دائماً فيما السبب الذي دفعهم لذلك؟

لم يكن وجود الخراسانيين في هذه الحملة فقط، بل كانوا يشتركون بحالية الحملات، إذ كان للفرس دور كبير في قيام الدولة العباسية، واستمر شغلهم لهذا الدور في عصر الخلفاء العباسيين، وكان يتزايد بشكل ملحوظ لدرجة أن العصر العربي، كفائد للحملات العسكرية، بدأ يقل كما سيلاحظ لاحقاً، ويظهر بدلاً من العصر الفارسي، كفائد للحملات، وكعصر رئيس في صفوف الجيود، خاصة وأن الجيود الفرس كانوا يتقاضون أجوراً أقل من أجور الجيود العرب، لهذا كان الخلفاء يفضلون وجودهم في حملاتهم.

وهكذا أكدت هذه الحملة أن المسلمين ما زالوا أقوى وأهم على مقدرة الرد أي هجوم بيزنطي، فقد أعطى المهدي دفعا للمسلمين في الجهاد ضد البيزنطيين وجعلهم يشعرون بقوة وحماس أمام العدو البيزنطي.

في هذه الظروف توفي الإمبراطور ليو الرابع في عام ١٦٤ هـ / ٨٧٠م، واستلم العرش ابنه الصغير قسطنطين السادس، وكان صغيراً جداً، فقد كان في العاشرة من عمره، لذلك تم لمعت أمه إيرين العرش كوصية عن ابنها^(١).

ومد استلام إيرين الحكم قامت ضدها حركات تمرد داخلية من قبل أقرباء روجا، والقيصر بقصور، لكنها استطاعت أن تحبط هذه الحركات، ولهذا لم تأم لقادة روجا السابقين، وبما قامت بتعيين أحد أقاربها، وكان يدعى جون ساكيلاريوس ليتسلم القوات البيزنطية المرتبطة على الحدود الإسلامية البيزنطية.

كما أن الإمبراطورة إيرين قد عانت من مقاومة كبيرة من الجند والرهبان اللاأيقونية. وبين عندما أحسوا أن الإمبراطورة بدأت بحركة واسعة لتعيد سياسة الدولة الدينية للتقدم الأيقونية، وهذا أثار حفيظة الجند، لذلك أمرت إيرين بنقل الجند اللاأيقونيين إلى آسيا الصغرى، بدعوة الحاجة إليهم، لقتال المسلمين وأحضرت إلى العاصمة الجند الأيقونيين للوالين لها من تراقيا^(٢).

وعلى الرغم من انشغال الإمبراطورة بالأمر الداخلي، إلا أنها لم تنه بل عن الجبهة الإسلامية، بل قامت بإعادة تنظيم القوات والقواعد على الحدود مع المسلمين، تحسباً لأي هجوم من العباسيين، وبدأت أول مواجهة في عهدا حين أرسل الخليفة المهدي القائد عبد الكبير، من عبد الحميد بن زيد بن الخطاب على رأس صائفة في عام ١٦٤ هـ / ٧٨٠م، والذي خرج من

- السرياني. تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج٢، ص ٤٢٤، يتر: الإمبراطورية البيزنطية، ص ٣٩٧، لا بحر موسوعة تاريخ العالم، ص ٤٨٥، الترماسي: أحداث التاريخ الإسلامي، ج٢، ص ٩٧٧.

^٢ - لا بحر: موسوعة تاريخ العالم، ص ٤٨٥-٤٨٦، الترماسي: الدولة البيزنطية، ص ٢٢٣-٢٢٤، عبد الله العلاقات السياسية، ص ٢٠٩.

درب الحدث متحهاً نحو الأراضي البيزنطية، ولكن تصدى له جيش بيزنطي بقية ادة مباحث من
 لاجاودراكون البطريق^(١) في مواجهة شمال ممر درب الحدث، وكان عدد الجيش البيزنطي ١٠
 يقارب تسعين ألف مقاتل، وكان معهم البطريق طاراد الأرمي، لكن عبد الكبير عثني من
 حجم الجيش البيزنطي، ومن قوة قائده ميخائيل، القائد البيزنطي المحك الخبير بالحروب، لذلك
 فصل الانسحاب من معه من الجنود على القتل والسبي من دون أية مواجهة بين الطرفين، وقد بد
 غضب الخليفة المهدي غضباً شديداً من طريقة الانسحاب المخزية هذه، وكاد أن يقتل عبد
 الكبير، إلا أنه تراجع عن قراره بعد أن شمع له عدد من المقربين من الخليفة وأمر بحبس عبد
 الكبير في سجن للعباسيين كان يطلق عليه (المطبق).^(٢)

ويلاحظ هنا تضخيم جيش الأعداء بشكل دائم ومستمر لدى المؤرخين العرب، فما هو
 السبب الذي يجعل المؤرخين العرب، والكتاب العرب المسلمين يضخمون دائماً جيوش الأعداء؟
 لم تكن هناك معركة من المعارك أو مواجهة من المواجهات البرية والبحرية إلا وقد بد
 قدرت أعداد جيش العدو بأضعاف الجيش العربي الإسلامي، فمن المرجح أن هذا كان مرتبطاً
 بإثارة العواطف والمشاعر لدى الجيوش العربية الإسلامية من أجل حثهم على الجهاد والقتال، أو

- البطريق. البطريق بلغة أهل الشام والروم هو القائد بوجهه بطارقة وهو الحادث بالحرب وأبورها بلغة
 الروم وهو الرجل النبيل والشريف، وهو ذو منصب متقدم عندهم. والبطريق هو العظيم من الروم، من منظور
 لسك العرب، مج ١، ص ٢٣٩.

^٢ من عياض تاريخ خليفة بن عياض، ص ٤٢٨، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ١٥٠، لأردى
 تاريخ الموصل، ص ٢٥٤، البقوني: تاريخ البقوني، ج ٢، ص ٢٩٦، ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٦٣، من
 شداد الأعلام الخطيرة، ج ١، ق ٢، ص ٢٣٢، الحنبلي: شذرات الذهب، ج ١، ص ٢٥٨.

إبرار ما أحرزته تلك الجيوش القليلة العدد من البطولات أمام تلك الجيوش الجرداء، وكانت هذه العادة مألوقة لديهم بشكل دائم، أو ربما لتسوية انسحاب أو هزيمة الجيود المسلمين أمام هذه الأعداد الهائلة من الجيوش البيزنطية كي لا تموت العزبة في صغوفهم .

ومن مراجعة الحملة السابقة، و تبيان أن المهدي قرر أن يقتل القائد عبد الكبير، لما فعله من انسحاب أمام الجيوش البيزنطية، يجب أن تراجع هذه النقطة باهتمام.

فهل يعقل أن يأمر الخليفة المهدي بقتل عبد الكبير، لمجرد انسحابه من أمام جيوش ميهائيل؟.

والذي يدعى للاستعراب هو أنه يوجد العديد من الحوادث التي سبقت هذه الحملة، والتي قرر قادتها عدم المواجهة مع البيزنطيين، وفصلوا الانسحاب على المخاطرة بحياة الجيود المسلمين الذين معهم أمثال صالح بن علي والعباس بن محمد، ولم يقم أي من الخلفاء بأي سلوك ضدهم، بل إن بعض القادة لم يقدرُوا الأعداد الهائلة للبيزنطيين، وقرروا المخاطرة بحياة الجيود المسلمين القلائل، كما حدث مع ثمانية بن الوليد الذي خسر حياة الكثيرين مع معه، بسبب عدم تقديره بشكل صحيح لتحذيرات الحملات الاستطلاعية، فإن كان عبد الكبير قد تراجع وبسبب أن يحمي الجيود المسلمين من خطر اللوث المقيم عليهم مراعيًا ضخامة جيش العدو وقدرته على العنت بهم، فهو لا يستحق مثل هذا العقاب ألا وهو القتل، وإن كان المهدي قد رغب في قتله على فرض فعلته هذه، فهو ربما أراد أن يبين للطرفين (المسلم والبيزنطي) عقوبة من يتهاون عن فكرة الجهاد الإسلامي، والأرجح أن المهدي كان قد انزعج من عبد الكبير لشعوره بأنه يتهاون عن الجهاد ووقوفه مكتوف الأيدي ضد أعداء الإسلام.

بعد هذه الصائفة قرر المهدي إرسال ابنه هارون أيضاً على رأس حملة ضد البيزنطيين في العام التالي، ففي عام ١٦٥ هـ / ٧٨٢ م، جهز المهدي جيشاً كبيراً مكوناً من خمسة وتسعين ألفاً وسبعة وثلاثة وتسعين مقاتلاً من بلاد الشام والجزيرة والعراق وخراسان، توجه هارون وكان معه عدد كبير من القادة العرب والعمرى، الذين اشتهروا بشجاعتهم وقوتهم وحكمتهم، أمثال يزيد بن مريد الشيباني، والربيع بن يونس وبجي البرمكي، وقام هؤلاء بقيادة الجيوش مع هارون وتنظيم أموره، واستطاع هارون وهو في طريقه نحو البيزنطيين أن يعتنق عدة حصون للروم، أهمها حصن ماجدة، وقد وقف في وجه هارون في البداية الكونت بيكتاس نقيطا (قوس القواصة)، واشتد القتال بين الطرفين وقام يزيد بن مريد الشيباني^(١) بمباردة نقيطا واستطاع الكونت نقيط أن يسقط يزيد عن فرسه وأن يصيبه لكن يزيد تمكن من أن يصيبه إصابات بالغة وهاجم عسكر الكونت نقيطا.

بعد انخراط جيوش نقيطا تابع هارون ومن معه طريقهم باتجاه هدفهم إلى رئيس، وه. و. العاصمة البيزنطية القسطنطينية من دون أن يعطى البيزنطيون لهدف هذه الحملة، فقد بدأ توجه هارون إلى نيمودية وكان المسؤول عنها الادمستق^(٢) صاحب السلاح^(٣) في المنطقة، وعندما علم

- يزيد بن مريد الشيباني: هو يزيد بن مريد بن رائدة بن عبد الله بن رائدة بن مطر بن شريك توفي ببردعة وكان من القادة القريبين للرشد، ابن الكلبي: جهرة النسب، ج ٢، ص ٢٢٨.

^١ - الادمستق. الضابط العسكري في مناطق الثيمات المسؤول عن الحكومة المركزية، ويطلق لقب لادمستق على رئيس حرس القصر في بعض الأحيان، ريسان: الحضارة البيزنطية، ص ٩٩، بتر الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٧٤.

^٢ - سلاح السلاح و السلطة موضع السلاح وكل موضع مخلة يقف فيه الجند بالسلاح للمراقبة والحفظ، وموضع القوم المسلحون في ثغر أو مخفر للمحاطة والجمع سلاح وأخذت معنى القواصم للخطه المسندة لقوات الساسية للوجود في الثغور أو على الحدود، للمعجم الوسيط، ص ٤٥٨.

بقدم هارون نحوه أرسل إليه مباشرة الأموال، ليحمي نفسه وبلدته، فقد أرسل إليه مئة وأربعة وتسعين ألف دينار وأربعمئة وخمسين من العين^(١) ومن الورق^(٢) أربعة عشر ألفاً وثمانمائة درهم^(٣).

وكان قبل أن يصل هارون إلى هذه المناطق قد عمل على حماية ظهر الجيش بأن أرسل بن الربيع بن يونس إلى ناكوليا^(٤) لخصارها، لكن الربيع هزم ولم يتمكن من إتمام هذا الخطة. دار أو تحقيق النصر على أهله، إلا أن يحيى اليرمكي حقق ما لم يستطع الربيع تحقيقه، فقد تمكن من مهاجمة ثيم تراقسيان والتغلب على قائده من خلال معركة قوية دارت بين الطرفين في منطقة تسمى داريو واستطاع يحيى أن يقتل أعداداً هائلة من البيزنطيين^(٥).

بعد كل هذه الأحداث فطن البيزنطيون إلى الهدف الرئيس لهذه الحملة وهو العاصمة البيزنطية القسطنطينية، لذلك عملت الإمبراطورة إيرين على تدارك هذا الموقف بسرعة، وأرسلت العرق العسكرية الخاصة بحماية العاصمة، وكان يطلق عليها (التحمانا الإمبراطورية) في محاولة

^١ - العيون: الذهب، للمعجم الوسيط، ص ٣١٠.

^٢ - الورق: الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة، للمعجم الوسيط، ص ١٠٦٨.

^٣ - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ١٥٢، الأردني: تاريخ الموصل، ص ٢٤٦، ابن شداد: لأعلاق الخطيرة، ج ١، ص ٢٣٥، ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٩٦ مؤلف مجهول الميول والحدائق، ص ٢٧٨، الحسبي (عبد العزيز بن عبد الله). التاريخ الإسلامي مواقف وعبر في جهاد المسلمين مع الروم، ج ١، دار الدعوة، دار الأندلس الخضراء، ص ٧١.

^٤ - ناكوليا: لم أجد لها تعريف في المصادر التي تمت المودة إليها.

^٥ - السريبي: تاريخ ميخائيل الكبير، ج ٢، ص ٤٢٤، عبد الله: العلاقات السياسية، ص ٢١٦، هالك مباله في عدد انقلى البيزنطيين فالبعض يقول عشرة آلاف والبعض يذكر ثلاثين ألف، وهي أعداد لا شك من وجود بعض اللباغة في ذكر أرقامها الحقيقية.

لوقف هذا التوغل الإسلامي المباشر نحو العاصمة، واستطاع القائد انطوبو الدومس نيقيني من السيطرة على المنطقة المحلية الواقعة شرق يقوميديا في محاولة منه لحماية العاصمة^(١) وهذا تابع هارون طريقه ووصل إلى وادي نهر سانجاريوس المطل على البحر الأسود، ولكنه تعاضاً بقدم انطوبو مع قواته في محاولة لقطع الطريق عليه للتقدم، حارب هارون التحصن من هذا الحصار، لكنه تعاضاً بأن البيزنطيين قد أرسلوا قوات أندري لشخصه رنه من الخلف، وهكذا كان موقف هارون حرجاً وهو محاصر من الطرفين وموجود بين الجبل والبحر لا يستطيع الحراك^(٢).

بعد هذه الحادثة تذكر أغلب المصادر العربية بأن الإمبراطورة إيرين قد طلبت الصلح من هارون، ووافقت على شروطه وإعطائه الفدية^(٣).

ببعض المصادر البيزنطية تذكر أحداثاً لم تذكرها المصادر العربية، وهي خيانة القائد البيزنطي تانزاتيس، قائد الثيم البوكلاري، الذي تمكن من أن يرسم خطة للمسلمين استطاعوا من خلالها قلب حصارهم إلى انتصار، فقد استطاع هارون من أن يكسب تانزاتيس إلى صفه، والذي أشار عليهم بطلب التفاوض مع البيزنطيين، وتمكن تانزاتيس من أن يقنع القائد انطوبو وبنه ر مستوراكيوس بقبول التفاوض مع هارون، وتوجه هؤلاء القادة إلى معسكر هارون، وهذا تم

^١ - عهد الله: العلاقات السياسية، ص ٢١٧.

^٢ - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ١٥٣، ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٦٦، ابن شداد: الأعلام، الخطبة، ج ١، ق ٢، ص ٢٣٧، السرياني: تاريخ ميخائيل الكبير، ج ٢، ص ٤٢٤، بشر الموريسوي: أن هارون قد وصل إلى خليج البحر الذي على القسطنطينية ولقصد هارون هو البحر الأسود.

^٣ - ابن حياطة: تاريخ خليفة بن حياطة، ص ٤٣٨، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ١٥٣، لأردي: تاريخ الموصل، ص ٢٤٦، ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٦٦، ابن شداد: الأعلام، الخطبة، ج ١، ق ٢، ص ٢٣٧، مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ص ٢٧٩، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ١٤٧.

إلقاء القبض عليهم، وحدثت العوضى في الجيش البيزنطي، وسار هارون إلى أن وصل إلى أبواب القسطنطينية، لذلك عاقت إيرين، وأرسلت تطلب الصلح^(١).

وفي كلتا الحالتين طلبت إيرين الصلح من هارون، و عُقدت معاهدة بين الطرفين في عام ١٦٦هـ / ٧٨٢م، نصت على عدة شروط :

- ١- عقد معاهدة صلح بين القوتين المتحاربتين لثلاث سنوات .
- ٢- تدفع الإمبراطورة إيرين حزية سنوية للعباسيين ، تسددها على دفعتين في ش. هري بيسان وحريرك من كل عام ومقدارها بين سبعين ألفاً وتسعين ألفاً من الدراهم .
- ٣- يتم تبادل الأسرى بين كلا الطرفين .
- ٤- تلتزم بيزنطة بمنح الأسواق للتجار العرب في رحلة العودة وتقوم بولمديد ج. ش هارون بالأدلاء في طريق العودة .
- ٥- يسمح للجيش بالرجوع بكل غنائه من دون اعتراض أو مقاومة^(٢) .

^١ - عبد الله: العلاقات السياسية ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٢٢ ، يذكر الطبري بأنه " دخل مدعلاً صعباً " ، تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ١٥٢ .

^٢ - طبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨ ، ص ١٥٢، ابن الأثير، الكامل، ج ٦ ، ص ٦٦ ، ابن شداد : لأعلاق الخطيرة، ج ١، ص ٢٣٦-٢٣٧ ، ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م): المتظم ي تاريخ الملوك والأمم، ص ١٩٩٢م ، ج ٨ ، ص ٢٧٧ ، ابن كثير . الهدية مر جعة ونصحيح، ص ١٠٧ ، مؤلف مجهول: الميون والحدائق، ص ٢٧٩ ، دحلان: الفتوحات الإسلامية، ص ١٩٧ ، ربيع. دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٢٦ ، الشريقي (إبراهيم) التاريخ الإسلامي خلال أربعة عشر قرناً من العهد النبوي حتى العصر الحاضر، القاهرة، ط ٢، ١٩٧١م، ص ١١٩ ، سبديو تاريخ العرب، ص ١٨٧ جلوب (جون باحث): إمبراطورية العرب، ترجمه حيدر حماد، بيروت، دار الكتاب العربي، د. ٥٢٢هـ (١١٣٠م) : الرسائل السياسية في العصر العباسي ، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٩٩م، ص ١٢٥ ، حسن: التاريخ الإسلامي العام، ص ٤١٨ ، حتى تاريخ العرب، ج ٢، ص ٣٧٢ ، لانيو: موسوعة تاريخ العالم ، ص ٥١٨ .

لدى مراجعة هذه الحملة تبين بعض النقاط :

أولاً- من يعقل أن يرسل المهدي حملة بهذه الأعداد الضخمة ويعطي قيادتها لحدث عمره تسعة عشر عاماً؟

ربما أقدم المهدي على هذه الخطوة من أجل تدريب القوات على طاعته وتجهيزه، ليكبر حلقة من بعده، مثلما فعل معاوية مع ابنه يزيد عندما أرسله للقسطنطينية.

ثانياً- أطلق بعض المؤرخين على هذه الحملة اسم صائفة، و الأصح بأن يطلق عليها حملة كبيرة لا صائفة، فهذه الأعداد المائلة من الجنود والعدة والعتاد التي كان مجهزاً لها والتي كان هـ يدفعها الرئيس لها الاستيلاء على القسطنطينية نفسها لا يمكن أن توصف إلا بالحملة ولا سيما أنها كانت تختلف عن الصوائف والغزوات التي قام بها المسلمون قبل ذلك.

ثالثاً- ذكر بعض من المؤرخين السرياني والبيزنطيين بأن إيرين قد اندفعت لتوقيع الصلح، و هـ م يرون بأن اندفاعها عائد إلى ضعف النساء، وبأن المسلمين في البداية هم من طلبوا الصلح، وذلك بسبب التضييق الذي حدث لهارون وجيشه، والحصار الذي فرض عليه، ولكن ما قدموه كان ضعيفاً لأن التاريخ حافل بالنساء اللواتي حكمن، ويشهد التاريخ لمن بالقوة والحكمة، كالزباء وروبيا وغيرهن.

فما يلاحظ من مجريات هذه الحملة بأن المسلمين كانوا قد ساروا وفق خطة مدروسة، فقد اتبع هارون خطة محكمة للمحوم، إذ استولى في البداية على حصن ماجدة، وهو مركز مهم لتموين الجند بالقمح والحبوب، ومن ثم سار للاستيلاء على مركز تموين الجيش بالسلاح، وحصل النجاح الذي كانوا يتوقعونه مستغلين ما تمر به الدولة البيزنطية من سوء الأحوال

الدخلية، إلا أن هارون قد وقع في هذا الموقف الصعب واستطاع التخلص منه بحكته، ولكن بالمقابل كان وضع إيري لا يسمح لها بالتفاوض من موقع قوة، لذلك جاءت الشروط مجحفة بحقهم، واستطاع هارون أن يعرض ما يريد عليها، ولا يعود السبب كما ذكر لصعها كونه امرأة، ولكن وضعها هذا كان بسبب عجزها عن تسيير أمور دولتها، وهي لم تجد من يقف معها إضافة إلى محاولتها تبديل سياسة الدولة الدينية، وبالطبع هجمات البلغار، والسلاف كن هذا كان قد أدى دوراً أسهم في قيام هذه المعاملة ذات الشروط القوية.

كما أن إيري قد وجدت بأن الأعداد المتزايدة من البيزنطيين القتلى والأسرى سوف تزداد أضعاف ذلك إن لم توافق على شروط هارون، فيذكر بأن نتيجة هذه الحملة كانت أربعة وخمسين ألفاً من القتلى، وخمسة آلاف وستمئة وأربعة وأربعين من الأسرى، وقُتل من الأسرى صيراً^(١) ألفان وتسعون أسيراً^(٢).

كان لهذه الحملة نتائج إيجابية، فقد كانت أول مرة في العصر العباسي يستطیع فيها المسلمون من الوصول إلى مشارف العاصمة البيزنطية القسطنطينية، كما أن غنم المماليك لمعين كانت كبيرة، فقد ملك المسلمون من الدواب عشرين ألف رأس ذبح من البقر والغنم مئة ألف

^١ قل صيراً: حمسه حتى مات، للمصنف الوسيط، ص ٥٢٥.

^٢ انصيري. تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ١٥٢، الأردني: تاريخ للوصول، ص ٢٤٦، ابن الأثير: الكامل، ج ١، ص ١١٧، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ١٤١.

رأس، ونتيجة لذلك فقد بيع البرون^(١) بدرهم، والجل بأقل من عشرة دواهم، والدرع بأقل من درهم، وعشرون سيعاً بدرهم، وكانت المطوعة^(٢) غير أهل الأسواق مئة ألف^(٣) تظهر هنا المبالغة الكبيرة في ذكر هذه الأعداد المائلة من القتلى والأسرى والعائث، ولكن كانت هذه عادة المؤرخين المسلمين بشكل دائم وهي تضخيم مثل هذه الأحداث. وطرأ لأهمية هذا النصر العظيم فقد أنشده الشعراء ونظموا له القصائد وقد ذكر الشاعر مروان بن أبي حفصة^(٤) هذا الانتصار بقصائده ومن أبياته:

- البرون: يطلق على عمر العربي من الحبل والجمال، من الفصيلة الخيلية، عظيم الخلقة عظيم الأعضاء قوي لأرجل عظيم الحوافر، الجمع منه برازين، للمعجم الوسيط، ص ٥٠.

^١ - المطوعة: الشطوع وفي التتيل العرب "الذين يلغون المطوعين" أي من يتطوعون للجهاد ونحوه ويقار بهم المطوعة، للمعجم الوسيط، ص ٥٩١. والمطوعة هم الخارجون من الديوان، من الذين يلبون النفر الذي يذب الله تعالى له، بقوله: "انفروا عفاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون" القرآن الكريم: التوبة، ٤١، وهؤلاء يشتركون في الجيش وقت الحرب فقط ثم يسرحون في وقت السلم ليرولو مهتهم الأصلية سواء أكانت رراعة أم تجارة أم غير ذلك. هندي (احسان): الجيش العربي في عصر الفتوحات، دمشق، م. ١٩٧٣، ص ١٢.

^٢ - نظري تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ١٥٣، البليبي: البدء والتاريخ، ص ٩٩، ابن الأثير الكاس، ج ٦، ص ٩٧، ابن شداد الأعلاني الخطيرة، ج ١، ص ٢٣٧-٢٣٨، ابن كثير البداية والنهاية، ج ١٠، ص ١٤٧.

^٣ - مروان بن أبي حفصة: ويكنى أبا السَّطِّ مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة، وهو مولى مروان بن الحكم وأصله يهودي أسلم على يد عثمان بن عفان، وكان مروان بن الحكم قد أنفق أناه، ابن قتيبة اشعر والشعراء، ج ٢، ص ٧٦٢.

أطعمت بقية عطيية الروم من بدأ

و ما رمت بها حتى أتت بك ملوكها .
إليها القناصة في اكتسب في لا لذل من ورها

بحزينة ما والحرب تملق مذوره ما.^(١)
عاد هارون مكللاً بالسجاح والانتصار في عام ١٦٦ هـ / ٧٨٢ م، ومكافأة له لقبه والده
بالرشيد، وأسماه من بعد أخيه الهادي في ولاية العرش^(٢).

وقد استمرت الهدنة التي عقدت بين الطرفين العباسي والبيروني ما يقارب عامين من
عام ١٦٦ هـ / ٧٨٢ م حتى عام ١٦٨ هـ / ٧٨٤ م، وعمل للهدنة خلال هذه الهدنة على تحصين
الثغور وترميم ما تخدم من حصون المسلمين خلال هذه الحملات المتواصلة بين الطرفين، كما
عمل على ترميم الحصون والقلاع في مدن الثغور وشحها بالجنود، فقد تم ترميم مدينة المصيبة
ومسجدها وما تخدم فيها من الحصون، وأسكن فيها الجنود، كما قام ببناء قصر أذن على
سبحان^(٣)، وأتم هارون بناء حصن منصور وزوده بالرجال^(٤).

١ - الطبري. تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ١٥٣، الأزدى: تاريخ الموصل، ص ٢٤٦، ابن كثير: البداية
والنهاية، ج ١٠، ص ١٤٧.

٢ - الأزدى: تاريخ الموصل، ص ٢٤٧، مؤلف مجهول: الميود والحدائق، ص ٢٧٩.

٣ - سبحة بحر كبير يخرج سبحة من بلاد الروم حتى يمر تحت قلعة سمندو ويمر على بلاد الأرمس ويمتد على
ثلث البلاد حتى ينتهي إلى أذنة، وهو من شرقها، ثم يمتد منها فيصب في البحر الشامي، ابن العديم: نعمة
الطلب، ج ١، ص ٣٧٩.

٤ - الأزدى: فتوح البلدان، ص ١٩٦-١٧٢ - ابن العديم: نعمة الطلب، ج ١، ص ١٦٩-١٧٠-١٥٩ -
٢٤٩، الحميري: الروم المعطر، ص ٢٠٣، ابن شداد: الأعلام الخطيرة، ج ١، ص ١٨٣.

لم يحافظ البيزنطيون على هذه المدينة، وقاموا بقضها في عام ١٦٨ هـ / ٧٨٤م، فوجد هـ
 إليهم ولي الحريرة وقنسرين علي بن سليمان القائد يزيد بن البدر بن البطال، الذي استطاع أن
 يهاجم الروم، ويأخذ معه عدداً من الأسرى والعالم^(١).

بعد أن نقض البيزنطيون معاهدة الصلح التي تمت بين الطرفين، عاد البيزنطيون وهاجموا
 مدينة الحداث في عام ١٦٩ هـ / ٧٨٥م، فهدموا سورها واحتلوا المدينة بأكملها وهدموا بيوتها
 ومزارعها، وأرعب هذا المحوم سكان المدينة وواليها، فتركوا المدينة طالبين النجاة، وربما كان
 هدف البيزنطيين من وراء ذلك استغلال اشتغال المسلمين بوفاة المهدي وتولي ابنه موسى الهادي
 عرش الخلافة، حيث كانت الخلافة العباسية تعاني من آثار وفاة المهدي في العام نفسه هـ، إلا أن
 موسى الهادي خليفة المهدي لم يشغل عن هذا المحوم، بل سار صائفة بقيادة معيوف بن يحيى^(٢)
 الذي خرج بجيشه من درب الراهب^(٣)، وعبر دابق ودخل الحداث، فوصلت أخبار هذا القائد إلى
 البيزنطيين، وكانت سمعته تسبقه أيما توجه، فكان لتكرار صوائفه وما يحجم عنها أثر سيء في
 نفوس البيزنطيين يوقع الرهبة والخوف فيهم، لذلك انصرف البيزنطيون تاركين مدينة الحداث،

- الطبري. تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ١٩٧، الأردني: تاريخ للوصل، ص ٢٥٢، ابن الأثير: الكاس،
 ج ٦، ص ٧٨، ابن شداد: الأعلام المظفرة، ج ١، ص ٢٢٩، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص
 ١٥١، دحلان: الفتوحات الإسلامية، ص ١٩٧.

^٢ - معيوف بن يحيى: هو معيوف بن يحيى بن معنوف من أهل البصرة، كان من القادة الشجعان في العصر
 العباسي، ولي إمارة دمشق أيام الخليفة المأمون، الصفدي: تحفة ذوي الألباب، ج ١، ص ٢٦٦-٢٦٧.

^٣ - درب الراهب: لم نجد لها تعريفاً في المصادر التي تمت العودة إليها.

وهكذا، تمكن معيوف من دخول المدينة واستولى على ما تركه البيزنطيون من عدة واعتاد أنه
ترجعهم السريع، وتكن من أن يسي عدداً من البيزنطيين ويستولي على غنائم مهم^(١)

ولحماية مدينة الحدث من المحجمات البيزنطية المتكررة عليها، قام سليمان بن علي وبي
الحريرة بقتل ألفي رجل من ملطية و كيسوم و سميساط إلى الحدث، ليقوموا بمساعدة أهلها
والمرابطين في هذه المدينة للدفاع عنها^(٢).

م تستمر حياة الحادي طويلاً، فقد توفي في عام ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م، وتولى بعده أخوه
هارون الرشيد.

وتما سبق يمكن القول إن رسم الخليفة المهدي كان مليئاً وحافلاً بالأحداث المهمة على
صعيد العلاقات بين الطرفين العربي الإسلامي والبيزنطي، فقد استطاع المهدي بحكمه وقوته
العسكرية أن يحقق نصراً على البيزنطيين، كما استطاع المهدي وقواده الشجعان والأقوياء من
إلحاق الخسائر الجسيمة بالبيزنطيين من الأموال والعتاد، وقد تميز عهد المهدي، بأن الله رب
المسلمين في هذا العهد استطاعوا أن يصلوا إلى أبواب القسطنطينية وأن يدخلوا الرعب في قلوب

- البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٩٤ ابن عسك: تاريخ خليفة بن عسك، ص ٤٤٥، الطبري، تاريخ الررس
والمملوك، ج ٨، ص ١٧١، ابن الأثير، الكامل، ج ٩، ص ٩٩، ابن شداد، الأعلام، ج ١، ص ٢٠٢،
ص ٢٣٩، ٢٤٠، ابن العديم، نزهة الطلب، ج ١، ص ٢٤٠-٢٤١، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٠، ص ١٥٠،
ابن عسك: تاريخ ابن عسك، ج ٣، ص ٢٤٤، التوحيدي، نهاية الأرب، ج ٢٢، ص ١١٨-١١٩ -
١٢١، السرياني، تاريخ ميخائيل الكبير، ج ٢، ص ٤٢٤.

- البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٩٤ - ابن شداد: الأعلام، ج ١، ص ١٧٤، ابن العديم،
نزهة الطلب، ج ١، ص ٢٤٠.

البيزنطيين، فقد أظهروا لهم بأن العرب المسلمين قادرون على حماية حدودهم، واحتراق دولتهم وعاصمتها.

وقد ظهرت في عهد المهدي قوة الموالي وسيطرتهم الكاملة على الشؤون العسكرية من خلال وجودهم في مواقع كبيرة وفعالة في الحملات العسكرية.

كما أن ولد المهدي هارون الرشيد بدأ بالظهور كقائد قوي يمتلك الحكمة السياسية والمقدرة العسكرية على تسيير الأمور.

وبلاحظ في هذه المدة التركيز من قبل البيزنطيين على مهاجمة الثغور الشامية في البداية، وذلك ليشروا العوضى في الخطوط الدفاعية للمسلمين.

وهكذا انتهى عهد المهدي، والعرب في حالة انتصار على البيزنطيين.

الفصل الثالث

- العلاقات العباسية البيزنطية منذ عهد الخليفة هارون الرشيد إلى زمن الخليفة هارون
الواق بالله ١٧٠-٨٢٣٢ م. / ٧٨٦-٨٤٧ م.
- أولاً: العلاقات السياسية والعسكرية زمن الخليفة هارون الرشيد ١٧٠-٨١٩٣ م.
/ ٧٨٦-٨٠٩ م.
- ثانياً: العلاقات العباسية البيزنطية السياسية والعسكرية زمن الخليفة عبد الله الثامن
١٩٨-٨٢١٨ م. / ٨١٣-٨٣٣ م.
- ثالثاً: العلاقات العباسية البيزنطية السياسية والعسكرية زمن الخليفة المعتصم بالله
٨٢١٨ م. / ٨٣٣ م.
- رابعاً: العلاقات الدبلوماسية بين الطرفين العباسي والبيزنطي ١٣٢-٨٢٣٢ م. / ٧٥٠-
٨٤٧ م.
- أولاً- الاتفاقيات للبرمة بين الطرفين العباسي والبيزنطي في العصر العباسي الأول .
- ثانياً- فداء الأسرى بين العباسيين والبيزنطيين :
- ١- معنى الأسير والسبي لغة واصطلاحاً.
 - ٢- معاملة الأسرى في الأمر.
 - ٣- أنواع الأسرى وكيفية الفداء.

أولاً- العلاقات السياسية والعسكرية زمن الخليفة هارون الرشيد ١٧٠-

١٩٣ هـ / ٧٨٦ - ٨٠٩ م :

اتسمت العلاقات العباسية البيزنطية في عهد الخلفاء العباسيين الأربعة الأوائل بالصعود والهبوط في حدتها، ما بين حرب وهدنة، قوة و تراخي، و انقضت هذه السنوات والعلة في بدايتها كانت للكفة البيزنطية، ولكن سرعان ما رجحت الكفة العربية الإسلامية، وحاول الخلفاء السابقون أن يجهشوا، ما استطاعوا من مال و عدة للجهاد في سبيل الله، وهكذا مصت هذه الحقبة.

ولكن لما سحى جديداً اتسم بالقوة، وبات يسود الخلافة العباسية مع ارتقاء الخليفة العباسي هارون الرشيد عرش الخلافة الإسلامية، فالخليفة الجديد ركز و بشكل قوي على استمرار النشاط العسكري العربي الإسلامي على الجبهة البيزنطية، فهارون الرشيد كان قبل أن يتولى عرش الخلافة قد حقق نصراً كبيراً له من خلال انتصاراته المتتالية على البيزنطيين في عهد والده الخليفة المهدي، و بعد أن تسلم الخلافة استمر على ذات الوثيرة بل أكثر من هجماته على بيزنطة، فقد كانت الحملات العسكرية تطلق سواهاً، إما بقيادة الخليفة هارون الرشيد، أو أحد قواده الأكفاء، و لكنهما اختلط الأمر على بعض المؤرخين في تحديد قادة هذه الصوائف، ولعن اختلاط الأمر على بعض المؤرخين ليس إلا دليلاً واضحاً على تكثيف هارون لهجماته المتتالية على بيزنطة، فقد كان هارون الرشيد قد نظم غزواته مع الحج فكان يحج عاماً و يعمرو عاماً، وكان يحترق فلسوة كتب عليها غار حاج.

و قد قال أبو المعالي الكلاي في ذلك:

فَمَنْ يَطْلُبُ لِقَاعَكَ أَوْ يَرْتَدُّ فَيَا حَرَمِينَ، أَوْ أَقْصَى الثُّغُورِ

و أيضاً قال داود بن رزين الواسطي في ذلك:

إِمَامٌ بِذَاتِ اللَّهِ أَصْبَحَ شَعْلُهُ وَأَكْثَرُ مَا يُعْنَى بِهِ الْعَزْوُ وَالْحَجُّ^(١)

ويبدو أن هارون الرشيد كان في ذهنه أن يعظم الأوضاع في المدن الحدودية للواجهة للدولة البيزنطية، لذلك فما إن اعتلى عرش الخلافة حتى استهل عهده بتنظيم مدن الثغور، فقد عمل على تغيير نظام الثغور بشكل يضمن فيه حمايتها واستقلالها وحريتها الذاتية، فكما اهتم من سبقه من الخلفاء مثل أبيه المهدي وحده للصناعات بتشييد الحصون والقلاع والرباطات، اهتم كذلك هارون الرشيد بها، وعمل على تزويدها بالخمانيات، وذلك نظراً لأهمية الطرق والمعارق التي تسيطر عليها هذه القلاع والحصون، بالإضافة إلى أنها ممرات تستخدم في حركة القوات

- س طهري (أبو الفضل أحمد بن أبي طلحة ت ٨٢٨٠ هـ / ١٨٩١ م): تاريخ بغداد، طبعة ليبير، ١٩٠٨ م، ج ١٤، ص ٩، الطبري تاريخ الرسل والملوكة، ج ٨، ص ٢٣٤، الجعشاري (أبو عبد الله محمد بن عبدوس ت ٨٣٣١ هـ / ١٩٤٣ م). الوراء والكتاب، شح، مصطفى السقاء، إبراهيم الإيباري، عينة المخطوط شلي، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٣٨ م، ص ٢٠٩، السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن ت ٨٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) تاريخ الخلفاء، شح، محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار تحفة مصر، ١٩٧٥ م، ص ٢٨٣، ٢٩٤، مجموعة مؤلفين: الرقة شرة الفرات، ص ١٠٢، ماجد: العصر العباسي، ص ٢٨٣.

البيروية، لذلك أعطاهما الرشيد أهمية خاصة، وقام بتنظيمها وتخصيص الأموال لها وأعطاهما إدارة مباشرة، وقد استهل عهده بإنشاء العواصم في عام ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م^(١).

وجعل المنطقة الحدود الإسلامية البيروية نظامين منفصلين متصلين:

النظام الأمامي: ويضم ثغور الجزيرة والشام وقد خصصت للمواجهة المباشرة مع الممفد البيروية. النظام الثاني: وهو النظام المحلي ويضم منطقة واسعة وعدداً من المدن والحصون الجنوبية ويوجد خلف ثغور النظام الأمامي، وهذه المدن والحصون تسمى العواصم وكانت تمتد من أنطاكية إلى العرات، كانت هذه المدن تتبع لقنسرين، لذلك قام الرشيد بعزلها عن قنسرين وجعل لها نظاماً خاصاً، وكانت تضم (مسيج، دلوك، بالس، رصافة هشام، رعبان، قورس، أنطاكية، تيزين)^(٢).

وسبب تسميتها بهذا الاسم أي "العواصم"، فهو من معانها وهي الحصون للوائح، فقد كانت تعصم الثغور والحدود من هجمات الأعداء البيرويين، وأيضاً للتمييز بينها وبين الثغور الملاصقة للحدود الإسلامية البيروية، وأوكل إلى هذه المدن إمداد مدن الثغور بما يلزمها من مؤن وعتاد

- البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٦٧، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٢٣٤، ابن الأثير: الكاس، ج ٦، ص ١٠٨، ابن شداد: الأعلام المخططة، ج ١، ق ٢، ص ٢٢٤، ابن العديم: بنية الطلب، ج ١، ص ٢٥٩، الأربلي: خلاصة الذهب المسبوك، ص ١١٠، عثمان: الحدود الإسلامية البيروية، ج ٢، ص ٢٣٨، عبد الله: لعلاقات السببية، ص ٢١٨.

١ - من انقبة الحمدي: مختصر كتاب البلدان، ص ١١١، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٢٣٤، ابن الأثير: الكاس، ج ٦، ص ٩٩، ابن العديم: بنية الطلب، ج ١، ص ٢٥٩، ابن شداد: الأعلام المخططة، ج ١، ق ٢، ص ٢٤١، الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٦٥-١٦٦، الترمذني: أحداث التاريخ الإسلامي، ص ١٠٦، رفعت (محمد)، حسونة (محمد أحمد): معالم تاريخ العصور الوسطى، القاهرة، للطبعة الأميرية، ١٩٣٥ م، ص ٩٠-٩١، رستم: الروم، ص ٢٩٦.

وعده في أثناء الحروب، وكذلك قيام أهلها في أحيان عدة بالمشاركة في المحوم على البيروطين^(١).

كذلك كان المسلمون أيضاً إذا خرجوا من الثعور يحتصمون بها من محمات الأعداء البيروطين، وتم اتخاذ مسج عاصمة للعواصم، ثم أنطاكية، وقد تمتعت باستقلال إداري وذاتي كبير، وطرأ لاهتمام الرشيد الشديد بهذه المدن فقد أوكل ولايتها لأهل بيته، وللمقربين منه وذلك للاهتمام بها وضمان حمايتها واستقلالها، فقد ولي الرشيد ابنه القاسم الثعور، وجعله أميراً عليها، وبعد ذلك ولّاها لعبد الملك بن صالح ابن عم الخليفة السعاج والخليفة المنصور^(٢).

وعمل الرشيد على تزويد مدن الثعور، والعواصم بالمرايطين، وعمل أيضاً على مسحهم العطايا، لتشجيعهم على البقاء، وتوجد بعض الإحصائيات عن أعداد المرايطين في هذه المدن فيما يخص الجزيرة، فقد كان يوجد أربعة آلاف مرابط في ملطية وستة آلاف مرابط في الحداث^(٣).

وهكذا يلاحظ بأن الخليفة هارون الرشيد منذ العام الأول لتسلمه الخلافة أحدث هذا التعبير في نظام الثعور، وبعد ذلك تعرض لباء ما تقدم من مدن الثعور على يد الأعداء البيروطين، وما يثير الاستعراب هنا بأن هارون الرشيد كان يعمل بكل ما يستطيع من قوة لتحسين النظام الحدودي

- بن الغنم الحمدي. مختصر البلدان، ص ١١١، الحسوي : معجم البلدان، ج ٤، ص ١٦٥-١٦٦، عبد الله. انحلالات السياسة ص ٢٤٣.

^١ انصري. تاريخ الرسل والملوكة، ج ٨، ص ٢٧٦، ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ١٨٨، ابن العديم حجة لطلب، ج ١، ص ٨٩-١٠٨-١٧٨، بركار: التاريخ العباسي والأندلسي، ص ٧٢، الترمذاني : أحداث التاريخ الإسلامي، ص ١٠١٧، ماجد: العصر العباسي، ص ٢٨٤.

^٢ - شعيرة: من تاريخ التخصيمات العربية، ص ٢٨.

الحامي لدولته من دون أن يتعرض لأي معصيات من قبل ييزطة، وهذا الشيء يثير الاستعراب، فقد كانت العادة في العالمين الإسلامي والبيزنطي استغلال فرصة وفاة أي خليفة أو إمبراطور، وتسلم خليفة أو إمبراطور جديد وذلك للقيام بالمحرمات والحملات المتبادلة، لأنها تكون فترة عدم استقرار، لكن الإمبراطورة إيرين لم تنتبه لما يدور في العالم الإسلامي وإنما كانت توبى جلّ جهودها واهتماماتها للتحصين لمجمع بيقية^(١) الذي انعقد في ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م أول مرة، لكنه أخفق، ومن ثم انعقد في العام التالي ١٧١ هـ / ٧٨٧ م، وتخلّى عن تحريم عبادة الأيقونات، وأمر بعبادة الصور^(٢).

لذلك فالإمبراطورة إيرين كانت تولي الاهتمام الأكبر لسياساتها الدينية الداخلية، وتحقيق أهدافها في إعادة تبجيل وعبادة الصور والأيقونات أكثر من اهتمامها بالسياسة الخارجية، وهذا أعطى العرصه للخليفة الجديد هارون الرشيد بأن ينظم أمور دولته الخارجية، فبعد أن نظم الشؤون

- مجمع بيقية: عقد المجمع أول مرة في ٢١ يوليو ٧٨٦ م في كبة الرسل في القسطنطينية، ولكن مجموعة من جنود الحرم هاجموا الكنيسة و عطلوا جلسات المجمع و أخرجوا الرهبان ورجال الدين على إصلاء الكنيسة وفسد الاجتماع لذلك صلت إيرين على استبدال هؤلاء الجنود المصاة لسياساتها مجموعة أخرى تدعى بالولاء ها و المعتقدات و بدأت تمطر لمقد مجمع آخر و بالفعل عقد في عام ٧٨٧ م في مدينة بيقية و حصره عدد كبير من رجال الدين و أقر المجمع قضية تبجيل الأيقونات وعبادة الصور و بطلان قرارات المجمع اللا أيقوني الذي انعقد في عام ٧٥٤ م و ربط ها المجمع فكرة عبادة الأيقونات بفكرة الخلاص التي يمثلها المسيح و بأن المقصود من تبجيل الأيقونات هو احترام و تبجيل الذين صورت لهم و ليست عبادة لهم و بأن العبادة تجب لله وحده دون غيره

ربيع ندوة البيزنطية، ص ١٢٤، العربي: الدولة البيزنطية، ص ١٩٩-١٩٧.

^٢ لاخر: موسوعة تاريخ العالم، ص ٤٨٥-٤٨٦، ربيع: الدولة البيزنطية، ص ١٢٢-١٢٤.

والعواصم عمل على إعادة بناء و ترميم ما خرب من مدن الثغور، كالحديث وطرسوس وريطرة، فمدينة الحديث كان الروم قد هجموا عليها في خلافة موسى الهادي ١٦٩هـ / ٧٨٥م، وعمل الهادي على إعادة تحصين المدينة وبناؤها، ولكن بناء المدينة لم يكن محكماً كما يجب، لذلك عندما تولى الخليفة هارون الرشيد الحكم عام ١٧٠هـ / ٧٨٦م، أمر ببناء المدينة، وتحصينها بشكل جيد يصمد فيه حائتها، وإسكانها بمن يستطيع حائتها والدفاع عنها، وقد كلف الرشيد محمد بن إبراهيم بهذا العمل، وعمل محمد بتكليف من الرشيد على إعادة إعمار الحديث وتطعيمها كما عمل على إسكانها وإقطاع الجنود فيها عدد من الأراضي والمساكن، لتشجيع على البقاء فيها^(١).

وهنا يذكر المؤرخون السريان رواية عن بناء مدينة الحديث، لم تذكر قط من قبل المصادر العربية التي تمت العودة إليها في هذا البحث، وهي أن الخليفة هارون الرشيد لدى تخدم مدينة الحديث بعمل الأحواض الخوية كالأمطار و الرياح، والتي لم يستطع بناء المدينة غير المحكم من مقاومتها، ومن ثم العودة إليها من قبل الروم وتحطيم سورها وتخريبها، لذلك أمر الرشيد عبد الملك بن صالح بالتوجه نحو كيسة كيسوم الكوري، وأمر بدمها ودم خمسة عشر رهيكلًا ودمدد من الكنائس الواقعة غربي سحرار، وتم نقل حجارة هذه الكنائس على ما يقارب ألفي عجلة إلى

أبيلادري هتوح البلدان، ص ١٩٥، ابن العديم: بغية الطلب، ج ١، ص ٢٤٠، ابن السكيت: الدر المنجوب،

ص ١٩٣، عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية، ج ٢، ص ١٥٨، الجوزي: الثغور البرية الإسلامية، ص ٩٠.

مدينة الحدث، و تم تحديد بائها^(١)، و المرجح بأن المقصود بعيد الملك هو عبد الملك بن صالح و بما أنه لم يتم ذكر هذه الحادثة في المصادر العربية ، وذكرت فقط في المصادر السريانية، لذلك يجب أخذها بعين الحذر والحيطه ، والحادثة هنا تأخذ احتمالين.

الاحتمال الأول: و هو من غير الممكن أن يكون الخليفة هارون الرشيد والذي عرف بحكمته أن يقوم بمثل هذا العمل، وهو هدم عدد من الكنائس المسيحية، واستخدام حجارها للبناء، وبالتالي فإنه سيحدث شرخاً كبيراً بين أبناء شعبه، و يؤدي مشاعر المسيحيين في بلدان الخلافة الإسلامية خصوصاً وأن مثل هذا العمل لم يكن له أي مسوغ ذكر مسبقاً.

الاحتمال الثاني: وهو بأن يكون الرشيد بالفعل قد أمر بدم هذه الكنائس والمباني، ربما لأسباب مجهولة قد يكون الرشيد قد سمع أشياء ترعجه عن المسيحيين في تلك المنطقة مثلاً مساعدة الجيوش البيزنطية والانهيار إليها ضد الجيوش العربية الإسلامية، فأراد أن يرهيبهم بهذه الحركة، و لم تذكرها المصادر العربية الإسلامية، لكي لا تسيء للخليفة الجديد.

وتبقى هذه افتراضات قابلة للتغير لحين ظهور مصادر أخرى تؤكد مثل هذه الحادثة أو نفيها. كذلك أولى الرشيد عنايته واهتمامه بمدن الثغور الأخرى، فلم يهمل أي مدينة كانت بحاجة إلى حماية، ويدكر بأن الرشيد كانت قد وصلت إليه أخباراً بأن الروم البيزنطيين يعملون على خطة للهجوم على طرسوس، والاستيلاء عليها ووضع حاميات بيزنطية داخلها، لذلك أمر في عام ١٧١هـ / ٧٨٧م بعمارة طرسوس، وإعادة بائها، و تحديد المقاتلين فيها، وإرسال أعداد إضافية

^١ - السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج ٢ ص ٤٣٢، ابن العربي: تاريخ الزمان ص ١٣، الرهوي: تاريخ الرهاوي المجهول، ص ٤٨.

لحماتها، وبالفعل قام أبو سليم فرج الخادم بإعادة بناء المدينة والمسجد وعمل على تحصيها بشكر جيد، وأرسل أبو سليم فرج الخادم مجموعتين من السكان ليستوطوا في طرسوس مع زيادة في عطانهم، الأولى من عراسان حوالي ثلاثة آلاف رجل، والمجموعة الثانية وكانت ألفي رجل، ألف من المصيدة، وألف من أهل أطاكية، وكانت الزيادة عشرة دنانير لكل رجل، وانتهى أبو سليم فرج الخادم من بناء طرسوس في عام ١٧٢ هـ / ٧٨٨ م^(١).

يلاحظ بأن هناك علاقة بين المؤرخين حول العام الذي ببيت فيه طرسوس فالبعض يذكر بأنها بيت في العام ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م^(٢)، والبعض الآخر يذكر بأنها بيت في عام ١٧١ هـ / ٧٨٧ م^(٣). والأرجح بأن بناء طرسوس كان في عام ١٧١ هـ / ٧٨٧ م، والانتهاه منه كان في عام ١٧٢ هـ / ٧٨٨ م، وذلك لأنه من غير الممكن أن يكون الخليفة هارون الرشيد قد استطاع في هذا العام وهو توليه للخلافة ١٧١ هـ / ٧٨٦ م، أن يقوم بأكثر من عمل مثل إنشاء العواصم، وتنظيم الثغور، وإعادة بناء الحدث، لذلك فمن المرجح أن يكون الرشيد قد أعطى تعليماته منذ توليه للاهتمام بالخطط الحدودي الإسلامي البيزنطي. وهذا تجدر الإشارة إلى أن بناء هذه المدن م

- البلاذري . فتوح البلدان، ص ١٧٤، الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ج ٨ ص ٢٣٤، ابن عسك : تاريخ عجمه من عجمه ص ٤٤٨، ابن الفقيه المسداني : مختصر كتاب البلدان، ص ١١٣، ابن الأثير الكاس، ج ١ ص ١٠٨ ابن العديم : بنية الطلب، ج ١، ص ١٧٨.

^٢ - ابن الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨ ص ٢٣٤، ابن الأثير: الكامل، ج ٩ ص ١٠٩.

^٣ - البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٧٤، ابن عسك: تاريخ خليفة بن عسك، ص ٤٤٨ ابن الفقيه: عجمه مختصر كتاب البلدان، ص ١١٣، ابن العديم: بنية الطلب، ج ١، ص ١٧٨.

يكر بناءً كاملاً أي بناء مدينة بأبييتها وطرقاتها بشكل كامل، ولكن كان البناء بشكل جزئي، كإعادة بناء الأسوار والأبراج والأبوية للمهلمة إضافة بعض الأبوية الجديدة.

لقد تم ذكر فداء بين الروم و المسلمين في عام ١٧٠هـ / ٧٨٦م، من قبل مصدر وحيد، حيث ذكر هذا المصدر "قدمت الروم للفداء" ولم يتم ذكر أي تفاصيل عن هذا الفداء من قبل أي مصدر من المصادر التي تمت العودة إليها في هذا البحث^(١)، لذلك يجب أخذ موضوع هذا الفداء بشيء من الحذر، فيما أن المصادر المعاصرة لتلك الفترة لم يرد فيها ذكر هذا الفداء، فمن الممكن ألا يكون قد حصل، وربما أرسلت الملكة يبرين تعرض الفداء على الرشيد، بحجة حصولها على فترة من الهدوء خاصة وأنها كانت مشغولة بأمورها الداخلية المضطربة.

وهكذا لم تضعف همّة المسلمين في الجهاد ضد البيزنطيين إذ تم توجيه الصوائف بشكل مستمر، وفي عام ١٧٠هـ / ٧٨٦م، توجه سليمان بن عبد الله على رأس صائفة، واستطاع أن يسيّر أعداداً كبيرة من الروم البيزنطيين، وأن يحصل على الغنائم^(٢).

ذكر ابن عديم بأن هذه الصائفة كانت في عام ١٧١هـ / ٧٨٧م. و ذكر اسم قائدها، . . سليمان بن عبد الله الأصم^(٣).

- ابن عديم: تاريخ خليفة بن عياض، ص ٤٤٨.

^١ - ابن عياض: تاريخ خليفة بن عياض، ص ٤٤٨، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨ ص ٢٣٤، ابن لأثير: الكامل، ج ٦ ص ١٠٨، السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج ٢ ص ٤٣٢، ابن شداد لأعلام: الخطيرة، ج ١، ق ٢، ص ٢٤٠.

^٢ - ابن عياض: تاريخ خليفة بن عياض، ص ٤٤٨.

أما ميخائيل السرياني فقد ذكر بأن قائد هذه الصائفة كان اسمه "ملشوف" وأرجح بأن هذه الصائفة ربما كانت في أواخر عام ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م وبداية عام ١٧١ هـ / ٧٨٧ م.^(١)

ونتيجة لصعف ردود البيزنطيين على هذه الصائفة، فقد راد الرشيد من وثيرة الصراع، وأرسل صائفة أخرى بقيادة إسحاق بن سليمان بن علي في عام ١٧٢ هـ / ٧٨٨ م واستطاع إسحاق أن يحصل على عدد من العنائم^(٢).

هناك خلاف بين المؤرخين حول اسم قائد هذه الصائفة فالمؤرخ خليفة بن خياط يذكر بأن من قاد هذه الصائفة هو رفر بن عاصم الهلالي الذي بدوره أرسل ابنه عبد العزيز ، و توجه من مصر جيحان نحو بلاد الروم لكن الشتاء حل و أثر برده الشديد على هذه الصائفة ، لذلك عاد عبد العزيز من دون تحقيق نتائج تذكر لهذه الصائفة.^(٣)

أما اليعقوبي فيذكر بأن قائد هذه الصائفة هو العباس بن محمد بن إبراهيم.^(٤) إن هذا الاختلاف حول أسماء قادة هذه الصوائف خلال هديي العامين يدل على عدم وجود دقة تامة واتفاق بين المؤرخين حول هذه الأحداث.

بعد أن تم توجيه إسحاق بن سليمان على رأس هذه الصائفة، قام إسحاق بإرسال قائده يزيد بن عيسى الحرشي، الذي تمكن من أن يصل إلى ثيم الأناضول، وحدث لقاء بين الطرفين.

- سرياني. تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج ٢، ص ٤٣٢

^١ من لأثير الكامل، ج ٩ ص ١١٨ ، ابن شداد: الأعلواق الخطيرة، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٢٤١ ، ابن كثير البدء والنهاية، ج ١٠ ، ص ١٩٢ .

^٢ - ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ٤٤٨.

^٣ - اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٩١ .

العربي المسلم و البيزنطي ، ومع أن الجيش البيزنطي كان يضم أشهر القادة العسكريين، كالقائد ديجيس، الذي كان مشهوراً له بقوته و حكمته العسكرية، إلا أن الجيش الإسلامي استطاع أن يهزم القوات البيزنطية و أن يقتل القائد ديجيس^(١) وعاد بأعداد هائلة من السبايا و العائيم^(٢) واستمر الوضع على هذه الحال على الجبهة الإسلامية البيزنطية بإرسال الصوائف بقيادة العرسان المسلمين، ففي عام ١٧٤هـ / ٧٩٠م قام القائد عبد الملك بن صالح بحرو صائفة ذلك العام، و م تحدد المصادر وجهة هذه الصائفة، و استطاع أن يحصل على بعض العائيم من هذه الصائفة^(٣) . ذكر بعض المؤرخين بأن في هذا العام ١٧٤هـ / ٧٩٠م لم تكن هناك صائفة بالمعنى الحقيقي الذي يتوجه فيه عدد من المقاتلين نحو الروم البيزنطيين لحزوهم، و إنما كانت عبارة عن ماردة بسيطة من قبل عبد الملك بن صالح و الذي بدوره وجه ابنه عبد الرحمن مع مجموعة من العرسان نحو الجبهة البيزنطية و استطاع عبد الرحمن أن يصل إلى عقبة الركاب (يبدو أنها منطقة على الحدود) وحصل هو وجنوده على عدد من السبايا والمخز^(٤).

- ديجيس أكريتاس Digenis Akritas. و يطلق عليه بطل الثغور وإليه تعود الملحمة الأدبية التي تسمى بالنسبة للأدب اليوناني بطولته الجود و العرسان و حياة المهاريين الأسبوريين للدافمين عن بيرنطة و يذكر بأن القائد ديجيس أكريتاس دفن في قبر بالقرب من مدينة سمباط.

^١ - عبد الله :العلاقات السياسية، ص٢٤٧، ربيع:الدولة البيزنطية، ص١٢٧.

^٢ - انصيري تاريخ الرسل والملوكة، ج٨، ص٢٣٩، الأردني: تاريخ للوصول، ص٢٧٢ ابن الأثير الكس، ج٦، ص١٢١، ابن شداد: الأعلام الخطيرة، ج١، ق٢، ص٢٤٠. السرياني: تاريخ ميخائيل، ج٢، ص٤٢٣، ابن العربي: تاريخ الزمان، ص١٤.

^٣ - ابن حباط : تاريخ علفة بن حباط، ص٤٤٩.

وعلى هذا النحو مرت هذه السنوات من حكم الخليفة العباسي هارون الرشيد، والانتصارات التي يحققها قواده على الحدود الإسلامية البيزنطية تتوالى من دون أي رد يذكر من قبل البيزنطيين، وهذا الأمر يدعو للاستعراب، فأين كانت الإمبراطورة إيرين من كل هذا ؟

م نكر أوضاع الإمبراطورية في هذه الأونة تسمح لها بالرد على هجمات المسلمين، فقد كانت الأحوال الداخلية في الإمبراطورية مضطربة بشكل كبير، فمشاكل الجيش مع الرهبان كانت على أشدها، وكان قسطنطين ابن الإمبراطورة إيرين قد وصل إلى سن الرشد، وهو لم يستلم بعد منصبه بشكل رسمي، وأمه لا تزال وصية عليه، وكانت هناك حسب ما يذكر علاقة غير شرعية بين الإمبراطورة إيرين والعبد بطريق صقليا، لذلك فقد أظهر الجيش مقاومة عنيفة ضد سياسة الرهبان المدعومين من قبل إيرين، و أعلن الثورة و نادى بقسطنطين إمبراطوراً مستقلاً، واستطاع الجيش من تسليم قسطنطين السادس عرش الإمبراطورية، و أخرجت الإمبراطورة السابقة إيرين على الأسحاب، والتخلي عن العرش لولدها^{٢١}، وتوجهت إيرين إلى قصر البيريوس Eleutherius، وقد أهدم ماصروها ستوراكيوس ومعه أنيوس إلى أرمينية ومما تجدر الإشارة له أن سكان نيم أرمينية، هم من قاموا بهذه الثورة، لكرههم للإمبراطورة إيرين، بسبب سياستها الدينية والتعصبة تجاههم، ولذلك نادوا بقسطنطين إمبراطوراً، وشاركهم بعد ذلك جود

انسريي تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج ٢، ص ٤٣٢، ابن العربي: تاريخ الرما، ص ١٤، الزهاوي
مجهول: تاريخ الزهاوي المجهول، ص ١٥، لا بجر: موسوعة تاريخ العالم، ص ٤٨٦، عمر العباسيون لأو ن،
ج ٢، ص ٢٤٢

البيعات، الأخرى، وحاصر الجيش القصر الإمبراطوري لإيريس، لذلك استسلمت وأعلن قسطنطين السادس إمبراطوراً.^(١)

ويلاحظ عودة الاضطراب والاختلاف بين الروايات اليونانية و العربية حول قيادة الحملات ونتائجها، فقد حدث هذا الاختلاف في العام التالي ١٧٥ هـ / ٧٩١ م .

فالمصادر العربية تذكر بأن القائد المحمك عبد الملك بن صالح جهر جنوده لغزو بلاد الروم، و توجه نحو الحدود الإسلامية البيزنطية، وسار الجيش من درب الصمصاف، وتمكن من الوصول إلى منطقة قبدوقية (أقريطية) واحتل حصن ريسة بعد حصار طويل للحصن، وتم تسليمه من قبل أهله بعد أن مات فيه تسعة رجال عطشاً وجوعاً من شدة الحصار للعروض عليهم، ودخل المسلمون إلى الحصن واستطاعوا أسر تسعة عشر ألف شخص، وأخذوا معهم الكثير من الأشياء الثمينة، وعادوا بها معهم من درب الحدث.^(٢)

- عبد الله . العلاقات السياسية، ص ٢٥١-٢٥٢.

^١ بن عباد. تاريخ خلیفة بن عباد ص٤٤٩، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨ ص ٢٤١، لأردي. تاريخ الموصل، ص ٢٧٤ ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ١٢٢، السرياني: تاريخ ميخائيل الكبير ص ٤٣٢، ابن النعري تاريخ الرمان، ص ١٤، بين شداد: الأعلام الخطيرة ج ١ ق ٢ ص ٢٤١، السيوطي تاريخ خلفاء، ص ٢٨٧

ويلاحظ الاختلاف بدايةً حول اسم قائد هذه الصائفة، فالبعض يذكر بأن القائد عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح هو من قاد هذه الحملة في عام ١٧٥ هـ / ٧٩١ م.^(١)

أما البعض الآخر فيذكر بأن قائد هذه الحملة كان عبد الملك بن صالح^(٢)، وهناك من قال إن الصائفة كانت في عام ١٧٥ هـ / ٧٩١ م، بقيادة عبد الملك بن صالح الذي توجه إلى أقرطبة، ومن ثم يذكر المصدر بأن عبد الملك بعد أن توجه إلى أقرطبة أرسل إلى القائد محمد بن يزيد بن عمر بن هبيرة طالباً منه التوجه نحو حصن ربة، ومحاصرة الحصن إلى أن يوافيه عبد الرحمن بن عبد الملك، وتمكن المسلمون من فتح الحصن في عام ١٧٦ هـ / ٧٩٢ م، بعد معركة وقعت بين الطرفين، فقد واجهت قوات عبد الرحمن، قوات بيزنطية بقيادة ضابط يدعى تبارا Tebaza، واستطاع عبد الرحمن هزيمته و بعد استسلامهم أعطى عبد الرحمن الأمان لجنود الحامية البيزنطية وقالدهم.^(٣)

ويتفق عددٌ من المؤرخين على أن عبد الرحمن بن عبد الملك توجه بالصائفة في العام الثاني ١٧٦ هـ / ٧٩٢ م، واستطاع أن يفتح حصناً من دون أن يتم تحديد اسم هذا الحصن^(٤).

- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٢٤١، ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ١٢٢، السريدي: تاريخ مبعدين السريدي الكبير، ج ٢، ص ٤٣٢، ابن العمري: تاريخ الزمان، ص ١٤، دحلان: الفتوحات الإسلامية، ص ١٩٨

^٢ - الأردني: تاريخ الموصل ص ٢٧٤.

^٣ بن عياط: تاريخ خليفة بن عياط، ص ٤٤٩، السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٢٨٧، عيدا لله: العلاقات انبسية ص ٢٥٩.

^٤ - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٢٥٤، ابن شداد: الأعلام الخطيرة، ج ١، ص ٢٤١.

وذكر أن الصائغتين السابقتين متصلتان ببعضهما، و صائغة عام ١٧٦ هـ / ٧٩٢م كانت تنمة للصائغة الأولى التي انطلقت عام ١٧٥ هـ / ٧٩١م، بقيادة عبد الملك بن صالح، و الذي جهز وهياً أعدداً هائلة من الجنود ومن العدة والعتاد من أجل القيام بهذه الصائغة، فقد حرج " بأهل النعمور جميعاً " واستطاع عبد الرحمن من تحقيق هدفه في الوصول إلى أقرطبة ويبدو أن عبد الملك عاد إلى مدينة الحدث ، وترك قسماً من الجنود بقيادة القائد مخلد بن يزيد بن عمر بن هيرة في منطقة أقرطبة، وأرسل ابنه عبد الرحمن بن عبد الملك، ليكمل ما بدأه والده، وتمكن عبد الرحمن من فتح حصن ربة بعد أن حاصره، ولم يستطع أهالي الحصن مقاومته بعد أن مات عدد من أهالي الحصن جوعاً و عطشاً^(١)، كما ذكر أنه في هذه الصائغة تعرض الجنود المسلمون وهم في طريق عودتهم إلى مدينة الحدث لبرد شديد، ولشدته تقطعت أيديهم و أرجلهم و لم يكن المسلمون محتادين على هذا البرد^(٢)، وهذا الكلام إن خضع للتحليل غير مقبول علمياً، فلا تتقطع أطراف الإنسان من شدة البرد، ولكن ربما تعرض الجنود المسلمون للبرد و الثلوج، خاصة أن هذه المنطقة معروفة ببرودتها، والجنود المسلمون حسب ريتهم لم يكونوا محتادين على هذه

- فقد ذكر الهمص بأنه قد مات ثمة رجال، السرياني: تاريخ ميخائيل الكبير، ج ٢، ص ٤٣٢. و الهمص لأخر ذكر بأنه قد مات في الحصن مايقارب أربعمائة رجل عطشاً، ابن العمري: تاريخ الرمان، ص ١٤. و أوضح أن ابن العمري أراد أن يضعهم عدد من ماتوا في الحصن ليبين أن أهله لم يستطيعوا بسهولة ولا بعد أن أصابهم الشح والضيق الشديد.

^٢ انعمري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٢٤١، ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ١٢٢، ابن شداد: لأعلاق الخطيرة، ج ١، ق ٢، ص ٢٤١، السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج ٢، ص ٤٣٢، ابن العمري: تاريخ الرمان، ص ١٤.

البرودة الشديدة، ويبدو أن المؤرخين ذكروا هذا الكلام كنوع من إثارة العواطف مع الخوود
ولتوصيح العاء والتعب الشديدين اللذين كان يعاني منه الخوود في تلك المناطق وذلك لإظهار
مدى المتصحية في سبيل الجهاد .

هدد على الصعيد العسكري و الحربي الإسلامي خلال العامين ١٧٥-١٧٦ هـ / ٧٩١-٧٩٢ م ،
وما قام به من هجمات ضد البيزنطيين، أما على الصعيد البيزنطي، فتذكر المصادر اليونانية حملة
قام بها الإمبراطور قسطنطين السادس في عام ١٧٥ هـ / ٧٩١ م عندما حكم معزداً و هذه الحملة
لا يوجد لها أي ذكر في المصادر العربية الأصلية ، و تذكر المصادر البيزنطية بأن الإمبراطور
قسطنطين السادس جهز جيشاً، و توجه من طريق عمورية ووضعا هدفاً رئيساً لحملة وهو غزو
طرسوس، ووصل الإمبراطور بجيشه إلى صحراء ليكوبيا، و عند هذه النقطة تختلف الروايات في
النهاية، فمهم من يذكر بأن الإمبراطور استطاع أن يأسر عدداً من العباسيين و عاد إلى بلاده،
ومهم من يذكر بأنه لم ينجح أي شيء يستحق الذكر في حملته ضد العرب، ولم يحقق أي
نجاح^(١)، و هذا الاحتمال الأخير هو الأرجح، وما يؤيد هذا الاحتمال هو أن الشعب البيزنطي
انتفض على الإمبراطور، و ذلك لسمعة السيئة، وخسائره المتكررة أمام العرب والبلغار على حد
السواء، ويبدو أن الإمبراطور قسطنطين السادس لم يكن يتمتع بالكفاءة والمقدرة على تسيير أمور
الدولة و مشاكلها الداخلية و الخارجية معاً، و استطاعت والدته إيرين إقناعه بالإفراج عنها وعن
مستشاريها، وأعلى قسطنطين السادس لشعبه بأن أمه شريكة له في الحكم، وطلب من جميع المدن
والثيمات بالهتاف له ولأمه وبالطاعة لهما، وأعاد إليها لقب الملكة، وأعلى هذا الخبر في جميع أنحاء

^١ - لائمر: موسوعة تاريخ العالم من ٤٨٦، عبد الله: العلاقات السياسية من ٢٥٢-٢٥٣.

الإمبراطورية، ووافق عليه الجميع باستثناء ثيم أرمينية، فقد رفضوا المادة بما كملكة، واستطاعت
يزيريس إقناع الإمبراطور قسطنطين من أن يعرض أقصى العقوبات بأهالي الثيم^(١).

وفي صيف عام ١٧٦ هـ / ٧٩٢م توجه الإمبراطور قسطنطين السادس لمحاربة البلغار، ولكنه
هرم هزيمة قاسية عند حصن ماركيلاي Marcellae على الحدود البلغارية، ولم تنته الهزيمة
هكذا، بل هرب الإمبراطور قسطنطين السادس تاركاً جيشه وقادته عرصة للأسر، وبالفعل أسر
البلغار كبار قادة الجيش البيزنطي، وأجبرت الإمبراطورية البيزنطية على دفع الجزية للبلغار،
وكان هذا مهيباً ومذلاً للبيزنطيين خاصة وأن إمبراطورهم السابق قسطنطين الخامس كان قد
دوخ البلغار بحروبه ولم يسمح لهم بالتناول عليه أو على عرش إمبراطوريته أبداً^(٢).

وبدأت الأوضاع الداخلية للإمبراطورية البيزنطية تسوء مما أدى إلى إهمال الجبهة الخارجية المتصلة
بالعرب المسلمين، لذلك فقد عمل المسلمون على استغلال هذه الحقبة بتكرار الهجمات على
الحدود الإسلامية البيزنطية وقد تم توجيه غارات متتالية في العام ١٧٧ هـ / ٧٩٣م على الجبهة
البيزنطية، ففي البداية تم توجيه عبد الرزاق بن عبد الحميد العملي على رأس الصائفة التي توجهت
إلى الحدود ولم يتم ذكر ما حققته هذه الصائفة^(٣).

- لسريدي. تاريخ مبعثيل السرياني الكبير، ج ٢، ص ٤٣٢، الرهاوي المجهول تاريخ الرهاوي المجهول،
ج ٢، ص ١٥، ابن العربي. تاريخ الزمان، ص ١٤، لاجم: موسوعة تاريخ العالم، ص ٤٨٦، بتر الإمبراطورية
البيزنطية، ص ٥٨.

^١ لاجم موسوعة تاريخ العالم، ص ٤٨٦، ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٢٧-١٢٨، عبد
الله. العلاقات السياسية، ص ٣٥٤.

^٢ - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٢٥٥، ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ١٧٨، ابن شداد
لأعلاق لخصيرة، ج ١، ص ٢٤١.

وفي العام نفسه توجه محمد بن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري، وكان عامل عبد الملك بن صالح على سيمساط إلى حصص كميخ، ويبدو أن البيزنطيين قد تمكنوا من الاستيلاء عليه وعكس محمد بن عبد الرحمن من فتح حصص كميخ بمساعدة الأرمن الموجودين في تلك المنطقة، وأسر محمد بن عبد الرحمن قائد القوات البيزنطية الموجودة في المدينة^(١)، فلم يستطع الإمبراطور قسطنطين السادس أن يساعد قائد المدينة و تراجع إلى عاصمته منهزماً^(٢).

في هذه العادة يلاحظ بأن المصادر لم تذكر استيلاء البيزنطيين على حصص كميخ، و ربما تمكن البيزنطيون من الاستيلاء عليها في غملة عن العباسيين، لأنه كما ذكر سابقاً فإن السيطرة على المدن الحدودية (الثغور) كانت تتأرجح بين المسلمين و البيزنطيين حسب قوة كل طرف.

فقد ذكر المؤرخون ((إن الروم أغلقوا كميخ))، و هذا يؤكد أن البيزنطيين استولوا على المدينة، وربما كلمة أغلقوا كميخ تدل على أنهم وضعوا فيها حامية بيزنطية و أغلقوها في وجه المسلمين. و يلاحظ هنا أيضاً مساعدة الأرمن الموجودين في كميخ للمسلمين ضد البيزنطيين، و تحديداً ضد الإمبراطور قسطنطين السادس، ويمكن أن ترجع هذه المساعدة إلى أن الأرمن لم يسوا ما قام به الإمبراطور قسطنطين السادس من إجراءات تعسفية ضدهم بعد أن رفضوا قبول الإمبراطورة إيرين، إمبراطورة شريكة له في الحكم، لذلك فالأرمن حللوا قسطنطين السادس والجيش في ثورته السابقة ضد أمه أصبحوا اليوم أعداءه، فالسياسة تمضي على هذا النحو كل شئ مصالحه.

انيلادري. هوج البلدان، ص ١٨٨ ١٨٩. *هناك مصادر تذكر بأن عبد الملك أرسل دليود بن النعمان في

هذه الغارة. البقوي: تاريخ البقوي ص ٤٣١.

^١ - عبد الله: العلاقات السياسية ص ٢٥٨.

ويلاحظ أن هذه العارة لم يتم ذكرها إلا من قبل مصدر وحيد ، و لم تذكر في المصادر الأخرى أما العارة الثالثة التي أرسلت في هذا العام، فقد كانت بقيادة يسار بن سقلاب، إذ قام يسار بمشاركة أهل المصيصة بالتوجه إلى الصفصاف، ووصل إلى الطوانة وفي طريق عودته توجه إلى مرج الشحم، وتمكن من الحصول على عدد من العنائم والسيايا و عاد من غارته هذه سائلاً، ولم يتعرض لأي مقاومة من قبل الجنود البيزنطيين^(١). و هذه العارة أيضاً لم يتم ذكرها إلا من قبل مصدر وحيد، فالعام ١٧٧ هـ / ٧٩٣م شهد ثلاث غارات أرسلت إلى الحدود البيزنطية، وعلى الرغم من أنه حوت العادة أن يتم إرسال صائفة وحيدة، إلا أن هذا العام كان حافلاً بالعارات فقد تمكن القادة المسلمون وجنودهم من تحقيق انتصارات عديدة مستغلين الاضطرابات الداخلية التي كانت تمر بها الإمبراطورية البيزنطية .

يذكر المؤرخ ابن عياط بأن هاتين (الشانية و الصائفة) كانتا في عام ١٧٧ هـ / ٧٩٣م^(٢)، وعلى الأرجح بأن هذه الشانية لم تكن في هذا العام، وإنما كانت في العام التالي، فمن غير الممكن أن يخرج خمس غارات في عام واحد لأن هذا يكلف خزينة الدولة أموالاً طائلة عدا عن التكلفة المرتفعة للعتاد و العدة التي تحتاجها هذه العارات و الصوائف، كما أن الجنود لا يمكن أن يكونوا قادرين على تحمل متاعب حملات متتالية في عام واحد، ولهذا فيرجح بأن هذه الشانية كانت في العام الذي أي ١٧٨ هـ / ٧٩٤م ، وإن كانت مثلاً قد تمت جميعها في العام ١٧٧ هـ . ٧٩٣م،

^١ ابن عياط تاريخ خليفة بن عياط ص ٤٥٠.

^٢ - ابن عياط: تاريخ خليفة بن عياط، ص ٤٥٠.

فربما لأن التكاليف الباهظة كانت تنعق على هذه العارات من الخزينة كانت تعوض من العائم التي أحضرها الجيش الإسلامي من المدن البيزنطية .

واستمر المسلمون يشنون المحرمات ضد البيزنطيين مثبتين قوتهم و قدرتهم على متابعة المحرم، ولكن في هذا العام أي ١٧٨ هـ / ٧٩٤ م لم يتوجه المسلمون للقاء البيزنطيين بصالمة، بل أرسل الخليفة هارون الرشيد شاتية على غير العادة فقد اعتاد الجنود المسلمون على الصوائف، وقلموا كانوا يحملون الشوائف، وعلى الرغم من هذا فقد توجه سليمان بن راشد الثقفي بجيش كبير يقدر بحوالي أربعين ألف جندي إلى الحدود و معهم ألعدي بطريق صقلية (الذي كان قد فر إلى بلاد العرب على أثر فضيخته مع الإمبراطورة إيرين)، وعندما توجه ألعدي إلى المسلمين استطاع الخليفة من أن يستميله و يجيشه لمساعدته في غزو صقلية، وهكذا تحالف سليمان مع ألعدي على أن يساعدهم في احتلال صقلية ومها إلى المدن الأخرى، فعبر جيش سليمان بن راشد الحدود البيزنطية، وتوغل في آسيا الصغرى، ووصل إلى منطقة تسمى سمسون على البحر الأسود.^(١)

وتذكر المصادر العربية توجه الشاتية إلى الحدود، ولكنها لا تذكر التفاصيل التي تتعلق بهذه الشاتية، وما تأتي المصادر السريانية لتكمل الأحداث التي تتعلق بهذه الشاتية، وتذكر بأن المسلمين و هم موجودون في منطقة سمسون لم يستطيعوا أن يمرروا أي تقدم أو انتصار يذكر، بل طالت أيام إقامتهم في هذه المنطقة الباردة، وتعرض الجيش العباسي للبرد الشديد وللثلوج

- ابن حباط: تاريخ خليفة بن حباط ص ٤٥٠، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٢٦٠، ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ١٤٤، ابن شداد: الأعلام المخطوطة، ج ١، ص ٢٤، ص ٢٤١، السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج ٢، ص ٤٣٢، ابن العربي: تاريخ الزمان ص ١٤.

والأمطار، وعانى الجنود من هذه الأوضاع غير العادية بالنسبة لهم، وبدأت العوصى نعم الصعوف، خاصة وأن الموت بدأ يعتك بهم من شدة البرد، فقد مات منهم ما يقارب أربعة آلاف جندي وهذا عدد لا يستهان به، ولهذا تخاف الجنود على أنفسهم و لجؤوا إلى البيزنطيين طالبين منهم العون والمساعدة، وعمل البيزنطيون على مساعدتهم و لم يحسوا أي جندي بأذى، بل أبدوا معهم روحاً إنسانية، وتعاطفاً كبيراً إلى أن تمكن الجنود المسلمون من تنظيم صفوفهم من جديد، والعودة إلى ديارهم بعد أن كان البرد قد أثر فيهم بشكل كبير لدرجة أن أرجلهم أصبحت بالقرحات، وهذه الحادثة يجب أن نذكرها بعين الخلد فهل من الممكن أن يعامل العدو عدوه بروح إنسانية. ^(١)

لا توجد أي إشارة لهذه الحادثة لا في المصادر العربية ولا اليونانية التي نمت العودة إليها، ولهذا يجب أخذها بعين الحيلة والخذل، وربما قصد المؤرخون السريان ذكرها هنا ليبينوا أن البيزنطيين كانوا يتعاملون بروح إنسانية تدل على سماحتهم، فهم على الرغم من تعرضهم لهجوم إسلامي، إلا أنهم عندما شاهدوا المعاناة التي يقاسمها الجنود المسلمون لم يحاولوا الرد عليهم واستغلال ضعفهم في هذا الوقت، بل تصرفوا معهم بطيبة.

وهكذا عادت هذه الشاتية إلى ديار الإسلام، ولم تحقق ما كانت تطمح إليه، وهو احتلال صقلية، بل على العكس تعرضت لخسائر بشرية ومادية هائلة، فأربعة آلاف جندي كانوا قد ماتوا، عد من الأمراض التي عانى منها من بقي وما تكبدته هؤلاء الجنود من عاء أثر أيضاً على العتاد، كالخيل والمؤن والسلاح، وهكذا أضعفت هذه الشاتية وعلى الأرجح لم يكن يتوقع قائد

^١ - السرياني: تاريخ مباحثيل السرياني الكبير، ج ٢، ص ٤٣٢، ابن العري: تاريخ الزمان، ص ١٤.

هذه الشاتية بأن الأحوال الجوية ستكون ضدهم لهذه الدرجة و إلا كان من غير الممكن أن يخرج للعرو، ويعرض نفسه وجوده لخطر الموت، بل ربما توقع بأن يحققوا هدفهم مستعينين بطريق صقلية، والعودة إلى الديار الإسلامية قبل أن يحل الشتاء بهذه القسوة.

كانت هذه الشاتية آخر شاتية يخرج فيها المسلمون للعزو، ولذا نجدهم يعصلون الصوائف على الشواطئ لقدرة على تحمل الأوضاع الجوية في الصيف أكثر منه في الشتاء، وربما هذه نقطة يجب الانتباه إليها، وهي مدى المعاناة التي كان يتعرض لها الجنود المسلمون في حملاتهم ضد البيزنطيين، وهذه المعاناة والشدائد لم تكن تمنعهم عن مواصلة الجهاد في سبيل الإسلام.

بعد عودة هذه الشاتية أدراجها عاتية أرسل الخليفة هارون الرشيد صائفة في العام نفسه، ربما أراد منها أن تقوم بتعويض ما خلعتة الشاتية السابقة من خسائر وكانت هذه الصائفة بقيادة معاوية بن رفر بن عاصم، ولم يتم ذكر الوجهة التي انطلقت نحوها هذه الصائفة أو النتائج التي حققتها^(١).

وقبل بأن من قاد هذه الصائفة كان عبد الله بن صالح بن علي^(٢).

والبعض يذكر بأن القائد كان يزيد بن غزوان من دون تحديد إن كان قد خرج على رأس الصائفة أم الشاتية^(٣).

انصري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٢٦٠، ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ١٤٤، ابن شداد: لأعلام

لخليفة، ج ١، ق ٢، ص ٢٤١.

١ - ابن عياط: تاريخ خليفة بن عياط، ص ٤٥٠.

٢ - البقوي: تاريخ البقوي، ص ٤٢١.

وهذا الاختلاف بين المؤرخين حول أسماء القادة المسلمين للتوجهين للجهاد في بلاد الروم البيزنطيين، كان يلاحظ بشكل كبير في كتب المؤرخين ، وهذا ربما يعود لعدم توفر المعلومات الأصلية لدى هؤلاء المؤرخين خاصة وإن كانت الصائفة أو الشاتية على حد سواء ، تحقق بحارات كبيرة.

بعد إخفاق الجنود المسلمين في هاتين الصائفة والشاتية، عمد الخليفة هارون الرشيد إلى إرسال صائفة أخرى في العام التالي ١٧٩هـ / ٧٩٥م بقيادة العضل بن محمد لتعوض عن الخسارة التي مني بها المسلمون في العام الماضي^(١).

واستطاع العضل من الوصول إلى منطقة أورجوب **Urgub** جنوب الأناضول ، وها عمى الإمبراطور قسطنطين السادس على مهاجمة هذه الحملة بحملة مضادة لها، ولم يتمكن من تحقيق النجاح في محومه هذا ، لكنه استطاع أن يمنع حملة العضل بن محمد من التوغل أكثر في منطقة الأناضول وأجبره وجنوده على التراجع^(٢).

يتبين في هذه الحملة أن المصادر الرئيسة العائدة لهذه الحقبة قد تجاهلتها تماماً، و لم يتم ذكرها إلا من قبل مصدر عربي وحيد، أما المصادر اليونانية فأغلبها كانت قد ذكرت هذه الحملة، والأرجح

^١ - الحقوي: تاريخ الحقوي، ص ٤٣١.

^٢ - عبد الله: العلاقات السياسية، ص ٣٦٠، canard:p707.

أنه بعد الإحماقات المتتالية التي مي بها المسلمون لم يجد المؤرخون المسلمون ضرورة في ذكر هذه الحملة العادية التي لم تحقق النتائج المرجوة.^(١)

وعلى هذا النحو استمرت الأوضاع بين المسلمين و البيزنطيين، غارات هجومية سريعة ، يكن هدف منها التوسع المنتظم و السيطرة التامة على المناطق، و إنما يلاحظ بأن الهدف منها كان إثبات وجود المسلمين و أداء فريضة الجهاد، و يلاحظ هذا الشيء من خلال توجه المسلمين نحو بلاد الروم من دون أن يكونوا متبعين خطة دقيقة منظمة لأهداف كبيرة، و هكذا كانت أيضاً صاعقة عام ٥١٨٠ م/٧٩٦م حيث توجه معاوية بن رفر بن عاصم على رأس صاعقة للغزو، ووصل الجيش إلى مشارف عمورية و استطاع معاوية أن يحقق انتصاراً بعزوته هذه، و يحصل على أعداد لا بأس بها من العائيم و السبايا و الأسرى من دون أن يسيطر على المدينة.^(٢)

ويعود الخلاف ليطهر من جديد بين المؤرخين حول اسم قائد الصاعقة، فالبعض يذكر بأن قائد الصاعقة كان إسحاق بن القاسم^(٣)، و ذكر البعض الآخر بأن قائد هذه الصاعقة كان محمد بن

- المصدر التي لم تذكر فيها الحملة و التي تمت المودة إليها: الطبري. تاريخ الرسل والملوك، لأردى. تاريخ موصل، ابن عسك. تاريخ حلب، ابن عسك. ابن الأثير: الكامل، ابن شداد الأعلاني الخطرة، بسوطي تاريخ الخلفاء، السرياني: تاريخ ميماني الكبير، ابن العري: تاريخ الزمان، ص ١٧.

^٢ انصري. تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ١٨٠، ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ١٥٢، ابن شداد الأعلاني الخطرة، ج ١، ق ٢، ص ٢٤٢.

^٣ - البقوي: تاريخ البقوي، ص ٤٣١.

معاوية بن رفر بن عاصم^(١)، وهناك مؤرخون لم يذكروا هذه الصائفة، ونم إغمان ما قام به المسلمون من غزوات ضد البيزنطيين في هذا العام^(٢).

بعد أن عادت هذه الصائفة عمل الخليفة هارون الرشيد علي استغلال هذا الانتصار بتحصين منطقة الحدود الإسلامية البيزنطية، لذلك فقد أمر ببناء مدينة عين رربة وإعمارها وتحصينها، لتتمكن من صد الهجمات البيزنطية، ولذا فقد توجه مولاه أبو سليم فرح الخادم ببناء عين رربة، وأعاد بناءها وتحصينها، وأسكن فيها جنوداً من عراسان ومناطق مختلفة، وذلك بإقطاعهم المنازل والأراضي للسكن فيها والدفاع عنها.^(٣)

وفي عضم هذه الأحداث اتخذ الخليفة هارون الرشيد قراراً حاسماً بنقل عاصمة دولته المترامية الأطراف إلى الرقة واستوطن فيها، وذلك في عام ١٨٠هـ / ٧٩٧م^(٤).

ومن ثم بنى مدينة الرقعة التي اتصلت بالرقة مع مرور الزمن وأصبحت المدينتان، مدينة واحدة، وهي الرقة عاصمة الخليفة الرشيد، ويبدو أن الأسباب التي دعت الخليفة هارون الرشيد إلى التمكنر بالانتقال إلى الرقة كانت كثيرة ومتعددة، منها إعجابها بطبيعتها الخلابة، وهوها اللطيف،

^١ - ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ١٥٢.

^٢ - ابن عساق: تاريخ خلفه بن عساق، ص ٤٥١. أحداث العام ١٨٠هـ / ٧٩٧م

^٣ - ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ١٥٢، ابن المقدم: بنية الطلب، ج ١، ص ١٦٨.

^٤ - انصيري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٢٦٧، الأردني: تاريخ اللوصل، ص ٩٠، القشيري الحري (أبو علي محمد بن سعيد بن عبد الرحمن الحارثي ت ٣٣٤هـ / ٩٦٥م): تاريخ الرقة ومن برها من أصحاب رسول الله (ص) والائمة والعقهاء والمحدثين، طبع طبع النصاب، حماة، مطابع الإصلاح، ١٩٥٩م، ص ٢، سريي تاريخ مبعاتيل السرياني الكبير، ج ٢، ص ٤٢١، الرهاوي المجهول: تاريخ الرهاوي، ص ١٤.

ومياها الوفير، وموقعها الاقتصادي والتجاري المهم على طريق القوافل التجارية الذهبية من الشرق إلى الغرب، ومن الشمال إلى الجنوب، كل هذه الأمور مجتمعة بالإضافة إلى السبب الأهم من ذلك كله وهو قيمتها الحربية، فقد كانت الرقة منذ أيام اليونان و الرومان موقع تجمع للجيوش، وازدهرت أكثر في العصر العباسي، فقد أدرك الرشيد أهميتها و ضرورة إقامته قريباً من الحدود الإسلامية البيزنطية، ليقى هو وجوده على أهمية الاستعداد، لصد غارات البيزنطيين، وحماية دولته، وكذلك يذكر بأن الرشيد بدأ يكره بغداد وجوها الحار، وتسلط البرامكة عليها، وكأنها عاصمة لهم وليست عاصمة للعباسيين^(١).

بعد أن انتقل هارون الرشيد للاستقرار في الرقة ، قرر أن يبدأ عامه الأول في استيطانه بالرقة بالتوجه بعسره لمهاجمة الحدود الإسلامية البيزنطية، فقد استطاع الخليفة هارون الرشيد في عام ١٨١ هـ / ٧٩٧م اجتياز منطقة العور، وتمكن من فتح حصن الصمصاف^(٢) وعاد الرشيد منتصراً، بعد أن تعرض لمقاومة عنيفة من قبل أهالي الحصن، ونظراً لهذا الانتصار فقد أشده مروان بن أبي حفصة:

- بن حوقل. صورة الأرض، ص ٢٠٣، الاصلطحي: مسالك للمالك، ص ٧٥، الطبري تاريخ الرس و الملوك، ج ١٨، ص ٢٦٧، البهقوي: تاريخ البهقوي، ص ٤١٥، للقدسي أحسن التقاسيم، ص ١٤١، بن شداد الأعلاقي الخطيرة، ج ١، ص ٢٩ الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ١٥، مؤلف مجهول - نعيون و لحدائق، ص ٣٠١، مجموعة من الباحثين: الرقة ذرة القرات، ص ١٠٧-١٠٨-٢١٣.

^٢ حصن الصمصاف: في أقصى شمال بوابات قلعية و هي كورة من ثغور للصبيصة وطمعها تسمى حصن نعيون. عهد اقف: العلاقات السياسية ص ٢٦٢.

إن أمير المؤمنين المصطفى قد ترك الصعصاع قاعاً صعصعاً^(١)

كانت هذه العروة أول غزوة قام بها الخليفة هارون الرشيد بقيادته منذ تسلمه مقاليد السلطة والحكم، و في أثناء توجه الخليفة هارون الرشيد في غزوته هذه، مرَّ بمدينة الرها والتقى بعدد من أهالي المسلمين في هذه المدينة، و قدموا للرشيد شكوى بأن أهالي الرها من النصارى يحملون عيوباً للبريطانيين، وبأن الإمبراطور البيزنطي يصلي في كنيستهم، وطلب المسلمون من الخليفة هارون الرشيد هدم كنيسة الرها، إلا أن الخليفة هارون الرشيد لم يصغ إليهم، وبعد التدقيق في الأمر من قبله، علم بأن هذا الادعاء كاذب، ولا أساس له من الصحة، بل إنه أمر بجلد اللواتين^(٢).

- البغدادي: تاريخ البغدادي، ص ٤٣١، الديوري: الأخبار الطول، ص ٣٩٠، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ١٨، ص ٢٦٨، الأردى: تاريخ الموصل، ص ٢٩٠، ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ١٥٨، ابن شداد: لأعلام الخطرة، ج ١، ق ٢، ص ٢٤٢، الأربلي: خلاصة الذهب للسيوك، ص ١٢٦، دحلاص: الفتوحات الإسلامية، ص ١٩٨، الرهاوي المجهول: تاريخ الرهاوي، ص ١٤، السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج ٢، ص ٤٣٣، ابن العمري: تاريخ الزمان، ص ١٤، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٢٨٨.

^٢ السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج ٢، ص ٤٣٣، ابن العمري: تاريخ الزمان، ص ١٤، الرهاوي المجهول: تاريخ الرهاوي المجهول، ص ١٤، سيفال (ج.ب): الرها المدينة المباركة، ثر، يوسف إبراهيم جبر، تقديم، حريزوروس يوحنا إبراهيم، حلب، دار الرها، ١٩٨٨م، ص ٢٤٧.

وهذه الحادثة ذكرتها المصادر السريانية وأغفلتها المصادر العربية ومن الممكن أن تكون هذه الحادثة قد وقعت بالفعل، و أن المسلمين حاولوا تأليب الخليفة ضد البصري كنوع من التعصب الإسلامي، خاصة و أنه كان لبعض البصريين سوابق في العمل لصالح البيزنطيين ضد المسلمين^(١) م يكتب الخليفة هارون الرشيد بما حققه في هذه الغزوة من انتصار، بل قام بإرسال صالعة بقيادة عبد الملك بن صالح، الذي جهز جيشاً منظماً تمكن من العبور إلى الحدود البيزنطية والتوغل فيها، وهاجم قيادوقية وغلطية Galatia و تمكن من الوصول إلى أنقرة وفتح مطمورة^(٢).

البعض يذكر بأن من توجه لغزو الصائفة في العام ١٨١ هـ / ٧٩٧ م والي الثعور عبد الرزاق، وم يذكر إلى أين توجه؟ وماذا حقق في هذه الصائفة؟^(٣).

ولكن على الأرجح بأن من قام بهذه الصائفة كان عبد الملك بن صالح، و ذلك لانهاق أغلب المصادر على اسم قائد هذه الصائفة.

وهكذا عمل الخليفة هارون الرشيد على تكثيف النشاط الإسلامي ضد بيزنطة، مستغلاً خسارة الإمبراطور قسطنطين السادس مرة ثانية أمام البلغار في عام ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م، وكره الشعب

- ر.ه. فتح عبد مبيح أحمد روافد البليخ وهي من المدن المهمة للبصري في الجزيرة، اشتهرت بالأديرة والكنائس الكثيرة المنتشرة فيها وذكر بأن فيها أكثر من ثلاثمائة دير وبيعة للبصري، ابن حوقل صورة لأرض، ص ٢٠٤، أبو المداء: قوم البلدان ص ٢٧٧، سبيل: الرها، ص ٢٤٩.

^١ انطوني تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٢٦٨، ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ١٥٨، ابن شداد لأعلام الخليفة، ج ١، ص ٢٤٢.

^٢ - مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ص ٣٠١.

البيروني للإمبراطور الفاضل، وتآرم الأوضاع الداخلية للإمبراطورية البيزنطية، حتى وصلت إلى درجة تأمر الإمبراطورة إيرين على ولدها قسطنطين، و قامت بسمل عيني ولدها في عام ٥١٨٢ م/٧٩٨م وانفردت بالحكم مرة ثانية^(١).

ويذكر أن الإمبراطور قسطنطين السادس استعد لمواجهة جيش الخليفة هارون الرشيد، وكان جيش قسطنطين السادس يتألف من عشرين ألف مقاتل، واستطاع الإمبراطور أن يحقق بعض الانتصارات على الجيش الإسلامي، لكن الخيانة كانت تنسرب في جيش الإمبراطور، فقد خشي ستاوراكبوس (و هو القائد الموالي للإمبراطورة إيرين) من انتصار الإمبراطور على المسلمين وبهذا تزداد شعبيته في بيزنطة، لذلك تأمر ستاوراكبوس مع عدد من القادة والجنود، وبدأوا بتضليل الإمبراطور وتزويده بتقارير خاطئة عن قوة المسلمين و عن توجههم، و بعد أن ظن الإمبراطور بأن المسلمين قد انسحبوا من الأراضي البيزنطية عاد الإمبراطور قسطنطين السادس إلى العاصمة، وهنا راد كره الشعب له بسبب ضعفه وجبنه وشاعت أمه عنه فسقه وفجوره، ولهذا تأمرت الأطراف مجتمعة وتخلصت من الإمبراطور قسطنطين السادس^(٢).

- الطبري. تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٢٦٩، ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ١٦١، مؤلف مجهول. انجيوس و الخندق، ص ٣٠١، السرياني. تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج ٢، ص ٤٣٥، ابن العربي. تاريخ بربر، ص ١٥، الرهطوي. تاريخ الرهاوي المجهول، ص ١٥، لايجر: موسوعة تاريخ العالم، ص ٤٨٦، علي (سيد أمير) مختصر تاريخ العرب، ت، عفيف الجليلكي، بيروت، دار العلم للملايين ١٩٩١م، ص ٢١١.

^٢ مصطفي (شاكر). التاريخ المباسي، دمشق، مطبعة الجامعة السورية، ١٩٥٧م، ص ٢٧٦، علي مختصر تاريخ العرب، ص ٢١٠-٢١١، عبد الله: العلاقات السياسية، ص ٢٦٤-٢٦٥.

ويذكر أنه في العام ١٨١ هـ / ٧٩٧م حدث فداء بين المسلمين و البيزنطيين، وكان المسؤول عنه القاسم بن الرشيد^(١).

وقد أخطأ المصدر حينما ذكر بأن الإمبراطور يقبور هو من عقد الهدنة و هو من أشرف على العداء^(٢)، وهذا خطأ، لأن الإمبراطورة إيرين كانت مازال على رأس السلطة هي وبها قسطنطين و في العام التالي استلمت الحكم بمفردها. و البعض الآخر ذكر أن العداء كان في العام ١٨٩ هـ / ٨٠٤م^(٣)، وهذا من غير الممكن أو المقبول لأن الإمبراطورة إيرين توفيت عام ١٨٦ هـ / ٨٠٢م، ومن الممكن أن يكون هذا العداء قد حدث بالفعل في عهد إيرين والرشيد، وحدث فداء آخر في عهد الرشيد ونقفور.

انتهاز الخليفة هارون الرشيد فرصة وجود الإمبراطورة إيرين بمفردها على عرش الإمبراطورية، وتحكم مستشاريها بأمور دولتها أمثال (ستاوراكيوس واكيوس) و العوضي التي عمّت البلاد بعد سمن عبي الإمبراطور قسطنطين السادس^(٤)، لذلك فقد سارع الخليفة هارون الرشيد إلى إرسال جيش منظم ومجهز بأفضل التجهيزات بقيادة عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح إلى الدولة البيزنطية وكان ذلك في العام ١٨٢ هـ / ٧٩٨م، واستطاع عبد الرحمن من الوصول إلى أفسوس^(٥).

^١ - ابن الأثير: الكامل، ج ٩ ص ١٥٩، ابن دحلان: الفتوحات الإسلامية، ص ١٩٨.

^٢ - ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ١٥٩.

^٣ - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٣١٨.

^٤ - لاجير: موسوعة تاريخ العالم، ص ٤٨٦.

^٥ - انصاري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٢٦٩، ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ١٦١، ابن شداد: لأعلام الخيرة، ج ١، ق ٢، ص ٢٤٢، الأزدى: تاريخ الموصل، ص ٢٩٢، ابن العمري: تاريخ مختصر الدول، ص ٢٢٣، ماجد: العصر العباسي الأول، ص ٢٨٩.

والملاحظ أن تحرك المسلمين كان متصلاً مع بعضه منذ العام ١٨٠ هـ / ٧٩٦م، فعندما توجه الخليفة هارون الرشيد للعزو في عام ١٨٠ هـ / ٧٩٦م كان يهدف إلى الوصول إلى قلب الإمبراطورية، ويلاحظ هذا الهدف من خلال توجه القادة الذين كانوا معه مثل عبد الملت بن صالح وولده عبد الرحمن وطريقة توغلهم في الأراضي البيزنطية، فالخليفة هارون الرشيد استطاع أن يستولي على حصص الصمصاف، ومن ثم أرسل القائد عبد الملك الذي تمكن من الوصول إلى منطقة ملاحيا في قبادوقيا، واستطاع عبد الملك من الاستيلاء على معدات وخيول تعود للملكية ستوراكيوس مستشار الإمبراطورة إيرين^(١).

أما ولده عبد الرحمن، فقد تمكن من الاستيلاء على معسكر البيزنطيين الموجود في ليديا بعد هزيمة قائده بول Paul، و تابع عبد الرحمن طريقه إلى أفسوس و احتلها^(٢).

وبطراً لهذه الانتصارات المتتالية و الكثيرة التي حققها المسلمون، فقد أرادت الإمبراطورة إيرين أن تحفظ ماء وجهها كإمبراطورة أمام شعبها، و طلبت الصلح في العام ١٨١ هـ / ٧٩٧م، فأرسلت سفيرتها للقائد عبد الملك بن صالح و لكن رفض طلبها، وبما أن المسلمين وجدوا أن الكلمة لصالحهم، لذلك تابعوا مسيرتهم بالانتصارات، و طلبت الإمبراطورة إيرين الصلح مرة ثانية لكن الخليفة هارون الرشيد رفض طلبها إلا أن الخزر هددوا الحدود الإسلامية و قاموا بمهاجمة أرمينية

^١ - عبد الله: العلاقات السياسية من ٢٧٣.

^٢ - عبد الله: العلاقات السياسية، من ٢٧٣.

في العام ١٨٨٣ هـ/ ٧٩٩م^(١)، وسعكوا دماء الكثيرين من شعب أرمينية، لذلك كان على هارون التصدي لهذا المحوم الخزري^(٢) ولهذا قبل الخليفة هارون الرشيد طلب الإمبراطورة إيرين للصلح^(٣).

وهكذا عقدت هدنة بين الطرفين العباسي والبيزنطي وتم تبادل الأسرى بينهما، ولم يحدد مقدار الحرية التي فرصت على الإمبراطورة إيرين والتي يجب أن تدفعها للرشيد في كل عام، ولا ربح

- هناك آراء متعددة عن الخزر ظهورهم من أين قدموا، حياتهم، ديانتهم وطريقة معيشتهم. الخزر: هي بلاد الترك خلف باب الأبواب المعروف بالدربند قريب من سد يافت بن نوح، وهو اسم إقليم من قصبة إتن وإتن سم لنهر يجري إلى الخزر من الروس والبطار والخزر مسلمون وبصارى ومنهم عبدو الأوثان وأهل الفرو وهناك يهود. الحموي: معجم البلدان ج ٢ ص ٣٦٧-٣٦٨. والخزر إحدى القبائل التي تنتمي إلى لشعب الميوي والتي هاجر سكانها في القرن ٨ هـ/ ٩ م إلى منطقة القوقاز واستطاعوا تكوين شبه إمبراطورية في تلك المنطقة وهم عادات و تقاليد تخصهم و يهتمون كثيراً بأمور ملكهم الذي يدعى خاقان وله حاشية تحتم به ويرعى أمور بلاده بنفسه، ابن فضال (أحمد بن فضال): رحلة ابن فضال إلى بلاد الترك و الروس و الصفانية، نج: شاکر نصيب، الإمارات العربية المتحدة، دار السويدي ٢٠٠٣ م، ص ٢٩-١١٣-١١٦، و المرید من التفاصيل عن الخزر، ديلوب. تاريخ يهود الخزر، تر: سهيل ركلر، بيروت، دار المکر ١٩٨٧ م. أیدلف (مسعر بن المهلهل الخزري) رحلة أبي دلف، ترجمة و تعليق بطرس بولفاكوف، أنس سالاموف، موسكو، دار النشر للآداب الشرقية ١٩٩٠ م.

١ - عن هجوم الخزر (ينظر) الطبري: تاريخ الرسل والملوكة، ج ٨ ص ٢٧٠، ابن الأثير: مکس، ج ٩، ص ١٦٣، الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت ٥٧٤٨ هـ/ ١٣٤٧ م): سير أعلام النبلاء، نج، شعيب لأرنؤاده، محمد نجيم العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٩٨٥ م، ج ٩، ص ٢٩٣، ديلوف مجهو. انعيون والحدائق، ص ٣٠٩، عید النعم ماجد، ص ٢٨٨.

٢ - الأردني: تاريخ الموصل، ص ٢٩٤، دحلان: الفتوح الإسلامية، ص ١٩٨.

أما تساوي الحرية السابقة التي دفعتها للخليفة المهدي^(١).

وهنا لابد من ذكر عدة نقاط مهمة: إن المصادر الأساسية للمؤرخين الطبري و الأردني وابن حياط، لا تذكر عقد هدنة بين الطرفين العباسي والبيزنطي، وإنما يذكر البعض منها الهدنة الذي حدث في العام ١٨١ هـ / ٧٩٨ م^(٢) فقط من دون ذكر أي شيء عن الهدنة، و مدتها، أو مقدار الجزية المدفوعة.

ومن الأحداث السابقة يلاحظ بأن الإمبراطورة إيرين أرادت أن تؤمن حدود دولتها الخارجية مع المسلمين بعد أن عسر وجودها بحولات كثيرة أمام المسلمين، و بعد هذه الهدنة توقفت الصوائف إلى عام ١٨٧ هـ / ٨٠٣ م^(٣).

فأغلب المصادر لم تذكر قيام الخليفة هارون الرشيد أو أحد قواده بأية صائفة في هذه السنوات ما عدا مصدر وحيد فقد ذكر بأنه في العام ١٨٤ هـ / ٨٠٠ م وجه عبد الله بن صالح، أحمد بن هارون الشيباني قائداً لصائفة باتجاه الحدود الإسلامية البيزنطية، وقد تمكن القائد أحمد من دخول

- مسعودي، التبيين والأشراف، ص ١٩٥، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٣، ص ٣٢٥، السويدي: نهاية لأرب، ج ٢٢، ص ١٤٨-١٤٩، لاجنر: موسوعة تاريخ العالم، ص ٤٨٩، سبيو: تاريخ العرب القدم، ص ١٨٧، علي: مختصر تاريخ العرب، ص ٢١١، ماجد: العصر العباسي الأول، ص ٢٨٨، مصطفى: التاريخ العباسي، ج ١، ص ٢٧٧.

^٢ - ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ١٥٩.

^٣ - ابن شداد: الأعلام الخطيرة، ج ١، ص ٢٤٣.

بلاد الروم، واستطاع أن يسي عدداً لا بأس به من البيزنطيين، وحصل على العائيم، وعاد سائلاً إلى بلاده^(١).

كما أن المصادر السريانية تذكر بأن المسلمين قد هاجموا البيزنطيين لكنهم هزموا أول مرة، ثم عاد المسلمون وهاجموا البيزنطيين، واستطاعوا تحقيق انتصارات متتالية، من دون أن يحددوا الأماكن التي توجه إليها المسلمون ولم يحدد المصدر الأعوام التي توجه بها المسلمون نحو البيزنطيين، لكنه ذكر أنه بعد أن تم حمل عيني الإمبراطور قسطنطين السادس كان هجوم المسلمين وانتصارهم^(٢).

بالإضافة إلى أن الخليفة هارون الرشيد أمر ببناء مدينة الحارونية في العام ١٨٣هـ / ٧٩٩م، وتم تزويد هذه المدينة بالمقاتلة و المطوعة^(٣).

وهذا إن دلّ على شيء فهو يدل على أن المدة التي ذكرتها المصادر من العام ١٨٢-١٨٧هـ / ٧٩٨-٨٠٣م، والتي ذكرت أنها مدة هبة لم يحدث فيها أي شيء فهي في الحقيقة غير صحيحة لأنها لم تكن هبة فعلية، فالخليفة الرشيد استعلاها بتحصين مدينة جديدة هي الحارونية بالإضافة إلى العارة عام ١٨٤هـ / ٨٠٠م، ويبدو أن الخليفة هارون الرشيد أراد في هذه المدة أن يتفرع لأمر دولته الداخلية، فأقام الحج بنفسه أكثر من مرة، وأوصى للأولاد الثلاثة من بعده بالخلافة،

- من عباد تاريخ خليفة من عباد، ص ٤٥٧. كما أن البقوي يذكر بأن فلاة الصوائف في العامين ١٨٤-١٨٥هـ / ٨٠٠-٨٠١م كانا محمد بن إبراهيم وإبراهيم بن عثمان وتوجه إبراهيم ثانية في عام ١٨٦هـ / ٨٠٢م مهاجماً البيزنطيين. البقوي: تاريخ البقوي، ص ٤٣١.

^١ - السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج ٢، ص ٤٣٥، ابن العربي: تاريخ الزمان، ص ١٥.

^٢ - البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٧٥.

الأمير والمأمون والملوك^(١)، وكتب كتاباً بهذا الخصوص وعلقه على حائط الكعبة عام

١١٨٦ هـ / ١٨٠٢ م.^(٢)

وكان يشعل بالرشيد موضوع داخلي غاية في الأهمية، وهو البرامكة، لهذا فقد أمر بالقبض

عليهم وقتل بعضهم و سجن آخرين في عام ١١٨٧ هـ / ١٨٠٣ م.^(٣)

بعد أن فرع الرشيد من أمر البرامكة ولّى ولده القاسم الجزيرة والثغور والعواصم، وجهره للمسير

في صائفة ضد الجبهة البيزنطية، تجهّز القاسم بجيش قوي ضم قادة محكمين عسكرياً وسياسياً،

ولهم باع طويل في الحروب العباسية البيزنطية أمثال عبد الملك بن صالح، بالإضافة إلى إبراهيم بن

عثمان بن نحيث، والعباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث، وجهز القاسم جيشه هذا من جميع

أهالي مدن الثغور، وهباً العدة للهجوم على الأراضي البيزنطية، وبالفعل توغل القاسم داخل

^١ - البهقوي: تاريخ البهقوي، ج ٢ ص ٤١٦.

^٢ - الأردني: تاريخ الموصل ص ٣١٢.

^٣ - ص البرامكة ينظر: شذرات من كتب مفقودة: ص ٩ وما بعدها الطبري. تاريخ الرسل والملوك، ج ٨،

ص ٢٨٧ وما بعدها، الأردني. تاريخ الموصل، ص ٣٠٤، الطبري. البدء والتاريخ، ص ١٠٤-١٠٥، مؤلف

مجهول. نعيوب والحدائق، ص ٣٠٥ وما بعدها، ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ١٧٥ وما بعدها، الأريزي.

مخلاصة الذهب السبوك، ص ١٤٠، الأتليدي (محمد دياب): إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس،

بيروت، دار صادر، ١٩٩٠ م، العباس (عبد الله): تاريخ البرامكة، بغداد، مطبعة الرشيد، ١٩٤٨ م، انظر تاريخ

عصر الخلافة العباسية ص ٦٦-٦٧-٧٠، شريف (محمد بديع): الصراع بين اللوالي والعرب وهو بحث في

حركة بني وثنانجها في الخلافة الشرقية، مصر، دار الكتاب العربي، ١٩٥٤ م، ص ٣٩-٤٠، كاهن تاريخ

العرب والشعوب الإسلامية، ص ٨٢-٨٤.

الأراضي البيزنطية، ووصل إلى (قرة)^(١) وحاصرها، ومن ثم وجه العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث إلى (حصن سنان)^(٢) وحاصر العباس الحصن، عمل كل من القاسم والعباس على تصيق الخناق على أهالي حصي سنان وقرة، ولم يستطع الأهالي مقاومة الحصار العسكري والاقتصادي، ولشدة الحصار حصل غلاء بالأسعار وانتشر الجوع والعوز بين الأهالي، ولم يستطيعوا مقاومة الحصار أو حتى مواجهة المسلمين، لذلك أرسل البيزنطيون يطلبون الصلح من القاسم، على أن يعك أسر ما يقارب ثلاثمائة وعشرين أسيراً من المسلمين، وبالفعل قبل القاسم العرض البيزنطي وعاد منتصراً إلى بلاده، وقد مات من المسلمين ما يقارب أربعة آلاف مسلم.^(٣) وما ذكر المؤرخون بشكل مبالغ به خسائر المسلمين، كما أن هنالك مبالغة في أعداد من مات من المسلمين، ربما ليس المؤرخون بأن الخسائر كانت من الطرفين وبأن المسلمين كانوا يعانون كثيراً في حملاتهم.

وما وفي هذه الصائفة وللمرة الأولى يقوم فيها الخليفة هارون الرشيد بإرسال أحد أبنائه على رأس غزوة أو حملة باتجاه الأراضي البيزنطية، وربما أراد الرشيد أن يقوي مركز ولده القاسم بعد

- حصن قرة. حصن من حصون كبادوكيا، وهو الذي يعني به الكتاب الروم حصن فورن في كبادوكيا، فريلف: العرب والروم، ص ٩٤.

^٢ - حصن سنان: في بلاد الروم يقع قرب هرقلية والطونة، فريلف: العرب والروم، ص ٩٥.

^٣ - أبنعوي تاريخ الجعقوي، ص ٤٢٢ لكنه يذكر بأن هذه الصائفة حدثت عام ١٨٨ هـ / ٨٠٤ م من بعد تاريخ خليفة من خباط ص ٤٥٨، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٢٠٧ و يذكر بأن علي بن عيسى بن موسى قد توفي في هذه الغزوة في أرض الروم، ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ١٨٤، ابن شداد: لأعلاق الخيرة، ج ١، ص ٢٤، عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية، ج ٢، ص ١٦٠.

أن ولاة الشعور والعواصم، وعمل على إرسال قائد على مستوى عسكري رفيع مع القاسم في عروته وهو عبد الملك بن صالح، ليمده بالصبيحة والمشورة ويساعده في غزوته، أو ليدرب القواد على أن يكون أباؤه أعلى منهم عسكرياً وأن يكونوا أيضاً طوعاً أمر أبنائه.

بالإضافة إلى ذلك يلاحظ أيضاً أن الجانب البيزنطي بقيادة الإمبراطورة إيرين وصل إلى درجة كبيرة من الضعف وقلة الخيلة واللامبالاة بالأمور الخارجية، فقد سلمت الإمبراطورة إيرين بقوة الخليفة العباسي هارون الرشيد، لذلك فقد فضلت مسيرته وعدم تعريض حدودها للهلاك، واجتمعت أزمات الإمبراطورية الداخلية مع المشكلات الخارجية وخاصة مشكلتها مع شارلمان^(١)، فقد عملت إيرين على القيام بمصاهرة مع شارلمان لضمان تحسين العلاقة معه خاصة وأن شارلمان كان على علاقة جيدة مع الخليفة الرشيد، وكان شارلمان من جانب يرغب بتحسين العلاقة بين الطرفين، وكان من جملة الحلول ربط العائلتين الحاكميتين في العرب والشرق بأواصر المصاهرة، فقد عملت إيرين على خطبة إحدى بنات شارلمان لابنها قسطنطين، وعرض شارلمان الزواج من إيرين لكن الاقتراحين لم يكتب لهما النجاح^(٢)، مما دفع الشعب البيزنطي إلى العمل

- لقد تم تنويح شارلمان إمبراطوراً من قبل البابوية في ٨٠٠م في كنيسة القديس بطرس، وتعددت لأراء حول دوافع البابوية في تنويح شارلمان إمبراطوراً وتميل معظم الدراسات للمبة هذه المسألة إلى أن البابوية رعت في التنويح وسيلة لإعادة سيطرتها على الغرب الأوروبي، وكانت الحجة بأن العرش الإمبراطوري في القسطنطينية شاعر، وذلك لأن إيرين تنتمي لأسرة معادية للأيقونات وتعتبر مجرمة لأنها سممت عبي أساء بهارد: سيرة شارلمان، تر، عادل زيتون، دمشق: دار حسان للطباعة والنشر، ١٩٨٩م، ص ١٤٣ برستم: انزو، ص ٣١٣

^٢ - ابهارد: سيرة شارلمان، ص ١١٧، اليوسف (عبد القادر أحمد): المصور الوسطى الأوربية (٤٧٦-١٥٠٠)، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٦٧م، ص ١٠٥.

على حلع الإمبراطورة الضعيفة من وجهة نظرهم، ولذلك ثار الشعب البيزنطي صدها، وكان على رأس هذه الثورة نقفور (الموظف المالي) المسؤول عن خزانة الإمبراطورية البيزنطية، علمت إيرين بالمؤامرة و حاولت قتل نقفور، لكنه استطاع الهفاة، و من ثم عمل مستشارها أطيوس على محاولة الاستيلاء على الملك لكنه أخفق، ونتيجة هذه الأوضاع عمل البيطريش في القسطنطينية مع الهيئة الاستشارية على عقد اجتماع لدراسة وضع الإمبراطورية الداخلي والخارجي المضطرب، وقرروا حلع الإمبراطورة إيرين وتسليم نقفور عرش الإمبراطورية، واستلم الحكم تحت لقب الإمبراطور نقفور الأول، وأما إيرين، فقد بعث إلى أثناسا حيث ترهبت، وبعد مدة توفيت، وكان ذلك في عام ١٨٧ هـ / ٨٠٣ م^(١).

أراد الإمبراطور نقفور^(٢) أن يستهل عهده بإظهار قوته لشعبه، وبأن ما أخذ على الإمبراطورة إيرين من مهادنة للعرب واستسلام لطلباتهم ميلحه نقفور بقوته و شجاعته، ولذلك أرسل إلى الخليفة هارون الرشيد كتاباً يهدده فيه ويبلغه بأنه لن يستمر بدفع الجزية، وبأن الحرب عادت للاشتعال بين الطرفين، وقد جاء في كتاب نقفور:

- السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج ٢، ص ٤٣٥، ابن العربي: تاريخ الرمان، ص ١٥، الرهاوي: إيهود: تاريخ الرهاوي المجهول، ص ١٦، جلوب: إمبراطورية العرب، ص ٢٣٤، بيزر: الإمبراطورية البيزنطية ص ١٤٨، ربيع: الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٣٢-١٣٣.

١ - يرد بعض سبب الإمبراطور نقفور إلى أنه من أولاد جميلة من الأيهم، الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٣٠٧، حيث ذكر بأنه من أولاد جفنة من عسك، ابن العربي: تاريخ الرمان ص ١٦-١٧، ابن العربي: تاريخ مختصر الدول، ص ٢٢٥، مؤلف مجهول: الميون والحقائق، ص ٣٠٩، السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج ٢، ص ٤٣٩ تختلف ثورة نقفور عن الثورات التي سبقته فقد قام عدد من العسكريين أو سبب سبب ثورب صد الحكم ولكنها المرة الأولى التي يقوم فيها وزير للمالية بتنظيم ثوره كهده و قد استطاعت هذه الثورة تحقيق أهدافها و الإطاحة بحكم إيرين، بيزر: الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٤٨.

«من يعمور ملك الروم إلى هارون ملك العرب، أما بعد: فإن الملكة التي كانت قبلي، قد صنعت و أباك و أحاك موضع الملوك، ووضعت نعلها موضع السوق، و أقامت مقام الرح، و أقامت نعلها مقام اليلدق، فحملت إليك من الأموال أحياناً، ما كنت حقيقاً بحمل أمثاتها، وذلك لصعب النساء وحقهن، فإذا قرأت كتابي هذا، فاردد ما حصل من قبلك و اتخذت نعلت بما يقع به المصادرة لك، وإلا فالسيف يسا ويسك، وإني عامل على تطرف بلادك و المحكوم على أمصارك، أو تؤدي إلي ما كانت المرأة تؤدي إليك والسلام».

عندما وصل الكتاب إلى الخليفة هارون الرشيد و قرأه، غضب كثيراً من اللهجة التي استخدمها «الإمبراطور يعمور، ولشدة غضبه كتب إلى يعمور على ظهر الكتاب الذي بعثه إليه "بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله هارون أمير المؤمنين إلى يعمور كلب الروم، قد قرأت كتابك يا ابن الكفرة، والجواب ما تراه دون أن تسمعه و السلام".^(١)

وهنا لابد من التساؤل: هل من المحقول بأن يقوم خليفة مثل هارون الرشيد - مهما بلغت درجة غضبه - بإرسال هكذا رسالة وبهذه اللهجة، خاصة وأن مثل هذه اللهجة بعيدة عن ثقافة الخلفاء العباسيين؟

- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٣٠٧-٣٠٨، ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ١٨٥، ابن شداد: لأعلاق الخطير، ج ١، ص ٢٤٥، ٢٤٦، مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ص ٣٠٩، ٣١٠، ابن العربي: تاريخ مختصر الدول، ص ٢٢٥، دحلان: الفتوحات الإسلامية، ص ١٩٩، سيدو: تاريخ مختصر العرب، ص ١٨٧، الشريفي: التاريخ الإسلامي، ص ١٢٦، حني: تاريخ العرب، ج ٢، ص ٣٧٢.

وفي الإجابة عن هذا التساؤل: يلاحظ أنّ هذه الرسالة تحمل في طياتها أمرين متناقضين :

أولاهما: يكمن في قوله: بعد البسملة من عبد الله هارون وفي هذه العبارة ما فيها من وقار الخليفة على الرغم من غصبه من رسالة نقفور.

وثانيهما: تعبير لحن هارون في رسالته، وإعطاؤها مساراً آخر من خلال تحقير إمبراطور بيزنطة وبعثه بالكلب.

وربما أن الخليفة هارون استخدم هذين الأسلوبين المتناقضين في رسالته لأنه قصد من ذلك مخاطبة الطرفين، الطرف الأول العربي الإسلامي: من خلال استخدامه العبارات الإسلامية التي تليق به كخليفة للمسلمين والتي تزرع السكينة في نفوس العرب المسلمين .

والطرف الثاني البيزنطي: وذلك لإحباطهم وتخويعهم ولزرع القلق في نفوسهم ول يؤكد لهم أنه لا يزال في أوج قوته.

كما أن محتوى رسالة الإمبراطور نقفور للخليفة الرشيد تحتاج إلى تدقيق

فهو من الممكن أن يرسل سياسي يتسلم مصباً كبيراً كهذا للنصب خليفة بضاميه قوة ٩، وهل أدخلت كلمات جذفاً لفحوى هذه الرسالة لم تكن فيها أصلاً.

فإن كانت هذه الرسالة أرسلت كما هي تماماً فإنها تدل وبشكل قطعي على طريقة تفكير هذا الإمبراطور المتسارعة وغير الدقيقة والتي ستحلب الولايات لبلاده .

١٠ يمكن يتوقع الإمبراطور نقفور بأن الرد سيكون بهذا الشكل، فقد جهر الخليفة هارون الرشيد جيشاً صحماً لم يحجر مثله من قبل، وكان هذا الجيش يضم أشهر القادة في الدولة العباسية أمثال محمد بن يزيد بن يزيد الشيباني، وإبراهيم بن جبريل، والبعض يذكر بأن الخليفة هارون الرشيد

أحد معه ولده القاسم، توجه الجيش إلى داخل الأراضي البيزنطية، وعمل هارون الرشيد وقواده على تدليل العقبات أمامهم، فقد ذكر بأن الرشيد "فتح و غم و سبي و اضطلم"^(١) وأعاد وحرب و حرق و اضطلم^(٢)،^(٣)

فقد كان الخليفة هارون الرشيد في حملته هذه يتبع خطة منظمة عكس أن يطلق عليها سياسة (الأرض المحروقة)، فالرشيد وقواده كانوا يعملون على حرق وتخريب وهدم كل ما يجدونه أمامهم من آبار وحصون و أسوار وقلاع، ذهل الإمبراطور نقفور من قوة الخليفة هارون الرشيد والطريقة التي يهاجم بها، لذلك عمد إلى تجهيز جيش لمواجهة به الخليفة هارون الرشيد، ثم عمل على رمي الأشجار على الطرقات، ليمنع للمسلمين من متابعة الطريق، وإشغال البيزنطيين، و من ثم إلقاءها على المسلمين، ولكن كل هذه الإجراءات لم تؤثر في عزيمة الرشيد وجوده الأقوياء، لذلك طلب من القادة والجنود ارتداء الملابس التي تحميهم من البرد (العاطين) وتجاوز البيزنطيين وبالعن حدث ذلك، ووصل المسلمون إلى أبواب مرقة، لم يتجرأ الإمبراطور نقفور على

- اصطلم. صَنَم الشيء صُلْمًا قَطَعَهُ مِنْ أَصْلِهِ ، وَالْإِصْطِلَامُ : الْإِسْتِعْصَالُ، وَاصْطَلَمَ الْقَوْمُ : أَبْهَتُوا ، ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص٤٦٨.

١ - اصطلمى. اصطلمى القوم إذا نفاهم في الحرب صُلْمًا ، وَصَفَ الْقَوْمَ يَصِفُونُ صُلْمًا وَاصْطَلَمُوا وَتَصَفَوْا أَي صَارُوا صُلْمًا مُسْتَوِيًا، ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص٤٥٠.

٢ - انصبري. تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص٢٠٨، ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص١٨٥، ابن شداد: لأعلام الخليفة، ج١، ق ٢، ص٢٤٦، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٢٢٥، الشريفي: التاريخ الإسلامي، ص١٢٧.

مواجهة المسلمين، لذلك عمل على طلب الهدنة والصلح، وأرسل الرشيد يتوسله للقبول، وافق الخليفة هارون الرشيد، وعاد المسلمون إلى بلادهم منتصرين.^(١)

وهناك روايات متناقضة حول هذه الحملة، فمنها من ذكر أنها كانت بقيادة الرشيد، ومنها من أوكلها إلى ابنه القاسم الذي أوكلها بدوره إلى قائد آخر فللأورخ ابن عياض لا يذكر بشكل صريح توجه الرشيد وإنما يذكر بأن القاسم ابن الرشيد وجه إبراهيم بن جرير نحو الروم ودخل من درب الحدث والتقى مع البيزنطيين بمرج عذراء واستطاع أن يهرم البيزنطيين و كان ذلك في عام ١٨٨ هـ / ٨٠٤ م.^(٢)

هناك مصدر وحيد ذكر أن عدد القتلى من طرف البيزنطيين قد بلغ أربعين ألفاً و سبعة قتيلى وأن المسلمين حصلوا على غنائم كثيرة، فمثلاً من الدواب حصلوا على أربعة آلاف دابة.^(٣) وقد فرض الخليفة هارون الرشيد على الإمبراطور بقعور في هذا الصلح ألا يسي البيزنطيون أي

- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٣١٨، ابن الأثير، الكامل، ج ٦، ص ١٨٥، ابن عسكرون: تاريخ ابن عسكرون، ج ٣، ص ٢٢٥ السيوطي. تاريخ الخلفاء، ص ٢٨٨، مؤلف مجهول الميوس و الخدائق، ص ٣١٠، ابن العربي، مختصر تاريخ الدول، ص ٢٤٤، ابن شداد: الأعلام الخطيرة، ج ١، ق ٢، ص ٢٤٦-٢٤٧، ابن عسكرون (أبو محمد عبد الله بن محمد المراكشي توفي في أواخر القرن السابع الهجري/ الخامس عشر الميلادي) انيس، المغرب في أعيان الأندلس والمغرب، ص ٢٩٠، كولان ليفي بروفسال، بيروت، دار صادر، ١٩٩٥ م، ص ٢٩٠، الحميدي. التاريخ الإسلامي مواقف وعبر، ص ٧٥ ٧٦، للدور: تاريخ العراق في عصر العباسيين، ص ١٤٧

^٢ - ابن عياض: تاريخ خليفة بن عياض، ص ٤٥٨.

^٣ - ابن عسكرون: البيان للمغرب، ص ٢٩٠.

حصن من الحصون المهدمة، وأن يدفع الإمبراطور نقود الأول الجزية للرشيدي ديناراً عن كل شخص راشد في الإمبراطورية ما عدا نقود وولده^(١).

وتذكر المصادر السريانية أنه تم تبادل للهدايا والعطايا بين الطرفين، المسلم والبيزنطي بعد قبول الرشيد للصلح، وبأن الطرق فتحت للتجارة، وأصبح الشعبان العربي المسلم والبيزنطي يتبادلان التجارة، وهذه المصادر لم تذكر أي قتال حصل بين الطرفين^(٢).

ويذكر الرهاوي بأن جيش هارون كان يتألف من مئة ألف جندي، وبأن الجيشين العربي المسلم والبيزنطي تمسكاً من دون قتال ما يقارب الشهرين، ومن ثم عقد الصلح بين الطرفين^(٣).

أما المصادر العربية فلا تشير إلى أن الخليفة هارون الرشيد والإمبراطور نقود الأول قد حصل بينهما أي اتصال، و يقتصر الحديث على عملية فداء جرت بين البلدين عام ١٨٩ هـ / ٨٠٥ م (سبتم ذكر الفداء في الفصل الرابع). أما الهدايا والتجارة، فلا تذكرها سوى المصادر السريانية، لذا يجب أخذ الخريطة والحذر في أثناء قراءتها، فقد كان معروف عن الخليفة هارون الرشيد قوته وعزيمته وكرمه لنقود، وذلك لقضه ما اتفق عليه الرشيد مع الإمبراطورة السابقة إيرين، واستهزائه بالمسلمين، فكيف سيتبادل معه الهدايا، أما التجارة فلا شك أن منطقة النعمور كانت طرقاً للتبادل بين الطرفين في أيام السلام والصلح، وهذا ما سيتطرق إليه الفصل الرابع

- مصطفى : التاريخ المباني، ص ٢٧٩، مجموعة مؤلفين: الرقة ذرة الفرات ص ١٠٣.

^١ - السرياني تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج ٢ ص ٤٣٩، ابن العري: تلويح الرمان ص ١٦، الرهاوي مجهول: تاريخ الرهاوي المجهول، ص ١٨، للدور: تاريخ العراق، ص ١٤٨.

^٢ - الرهاوي المجهول: تاريخ الرهاوي المجهول، ص ١٨.

و قد ذكر الشعراء الجزية التي دفعها الإمبراطور نقمور الرشيد فقال أبو العتاهية:

تخللت الدنيا هارون ذي الرضى وأصبح نقمور هارون ذمياً^(١)

ومما يثير الاستعراب هنا بأن العباسيين كانوا يحققون انتصارات كثيرة على البيزنطيين ويحتلون بعضاً من حصونهم ومدنهم الحدودية، فلماذا لم يقيم العباسيون بإحصار عناصر مسلحة لتسكن هذه المناطق المستولى عليها وتستوطن فيها؟.

لم يهدف العباسيون في سياستهم العسكرية تجاه بيزنطة إلى الاستيطان، فقد كانت سياستهم دفاعية أكثر منها هجومية، كما أن اشتغالهم الدائم بالمشاكل الداخلية كان يمنعهم من التفكير بعقلية هجومية واستيطانية في المناطق المستولى عليها.

بعد انتصار هرقله قام الخليفة الرشيد بإرسال إبراهيم بن إسرائيل على رأس صائفة في العام ١٨٨ هـ / ٨٠٣ م ، والذي توجه مع جيشه من درب الصمصاف إلى داخل الحدود البيزنطية .

أراد الإمبراطور نقمور أن يعوض عن هزمته السابقة أمام الرشيد في هرقله، لذلك فقد قاد جيشه لملاقاة إبراهيم، وبالفعل جرى قتال بين الطرفين، وتمكن الجيش العربي من هزيمة نقمور وجيشه، وجرح نقمور في ثلاث مناطق من جسده، وقتل من أفراد جيشه ما يقارب أربعين ألف جندي، وتمكن المسلمون من أخذ أربعة آلاف دابة، وهذه أرقام مبالغ فيها أيضاً.

^(١) أبو العتاهية: هو اسمعيل بن القاسم مولى لعترة ويكنى أبا اسحق وأبو العتاهية لقب وكان جراراً ويرمى

بالرعدة، ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج ٢، ص ٧٩١.

وبعد عودة إبراهيم من الصائفة رابط القاسم بن الرشيد في مرج دابق في العام نفسه، ليكون على أهمية الاستعداد في حال قام تقصور بأيّ هجوم على الحدود الإسلامية.^(١)

تذكر هذه الحادثة إلا من قبل هذا المصدر الوحيد في العام ١١٨٨ هـ / ٨٠٣ م، وما تحدر الإشارة إلى أنّ خروج إبراهيم في غزوته هذه يدل على أنّ العرب هم من خرق اتفاق الهدنة المعقودة بين الرشيد وتقوم، وهذا يخالف لما تذكره غالبية المصادر بأنّ الإمبراطور هو من خرق الهدنة المعقودة بين الطرفين في عام ١١٩٠ هـ / ٨٠٥ م من خلال إغارته على الحصون والمدن العربية الشامية.

والسؤال الذي يطرح هنا هو، هل كان الطرف العربي هو من أخلّ بالهدنة؟ وهل كان توجه تقوم نحو الحصون العربية الإسلامية في عام ١١٩٠ هـ / ٨٠٥ م ردّاً على هجوم إبراهيم؟ تجمع غالبية المصادر العربية على أنّ الإمبراطور تقوم لم يكن يمتلك الحكمة العسكرية كفائد حربي، ولا الحكمة السياسية كإمبراطور، لذلك فقد خرق الاتفاقية السابقة التي عقدها مع الخليفة هارون الرشيد، ولم يحتسب من الرد الذي تلقاه سابقاً من الخليفة الرشيد، والمزمنة التي مي بها، فبعد عودة هارون الرشيد إلى الرقة، استغل الإمبراطور تقوم قدوم الشتاء، وظن بأن المسلمين لن يقوموا بمهاجمته في الشتاء، لعدم قدرتهم على تحمل البرودة الشديدة في تلك المناطق، كما علم

١- كثير البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٢٠٥.

الإمبراطور بأن الخلافة العباسية تمر بمرحلة اضطراب في الشؤون الداخلية، كالأضطراب بين المصرية واليمانية في دمشق، إضافة لخروج بعض الأشخاص في آمد.^(١)

أعار بقصور على الحصون والمدن الثغرية الشامية، فقد أغار على عبي روبة والكيسة السوداء وأذنة، كما عمل على بناء الحصون في أنقرة و الصمصاف وربة والطونة، وسنوى على طرسوس، ومن ثم هاجم مرعش، واستطاع تحقيق انتصارات كبيرة، وأخذ أعداداً كثيرة من الأسرى، وحصل على الغنائم وكان ذلك في عام ١٩٠ هـ / ٨٠٥ م.^(٢)

استطاع المسلمون المرابطون في المصيصة أن يستردوا بعضاً من الأسرى الذين أخذهم البيزنطيون عن طريق مهاجمتهم، ولكنهم لم يحققوا هذا النجاح الكبير.^(٣)

لم يتمكن مستشاروا الرشيد من إخماده بما قام به الإمبراطور بقصور، فقد خافوا من رد فعله إن علم بهذا النقص، ولذلك طلبوا من شاعر يدعى عبد الله بن يوسف، ويقال إنه كان الخجاح بن يوسف التيمي، أن يشد للرشيد ألباناً يخبره فيها بما حدث، فقال التيمي:

- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٣٠٢، ٣١٠، ابن الأثير الكامل، ج ٦، ص ١٨٥، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٣، ص ٢٢٥.

^١ - ابن عباد. تاريخ خليفة بن خياط، ص ٤٥٨، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٣٢٠، ابن الأثير انكس، ج ٦، ص ١٩٨، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٣، ص ٢٢٩، مصطفى المصر العباسي، ص ٢٧٩، السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ص ٤٤٠، ابن العمري: تاريخ الرومان، ص ١٩.

^٢ - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٣٢١، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ١٩٨، ابن شداد: لأعلام الخطيرة ج ١، ق ٢، ص ٢٤٩، ابن العمري: تاريخ الرومان، ص ١٨، مصطفى التاريخ العباسي ص ٢٧٩.

وبعدها، ومن الحصون التي استولى عليها المسلمون (ماليكوكيا، سيدارابوليس، اندراسوس، بيقيا، صلالة، سنان).^(١)

كما أرسل قوة عسكرية تقدر بحوالي ستين ألف جندي إلى أنقرة، وتمكنت هذه القوة من تدمير التحصينات خارج أنقرة ودخلها^(٢).

وهنا يلخص المدارس المبالغة الكبيرة في ذكر هذه الأعداد الكبيرة للجنود المشاركين في جيش الرشيد، فكيف سيتمكن جيش بهذه الأعداد من تأمين طعام الجنود والراد والماء وطعام الخيل والملون والكثير من المستلزمات؟.

فهذه الأرقام مبالغ فيها بشكل كبير، فعلى المدارس أخذ هذه الروايات بعين الحذر، وربما أنه تم تضخيم هذه الأعداد من قبل المؤرخين العرب ليبينوا للقراء أهمية هذه الحملة ، ومقدار الجهد الذي بذل حتى تم الوصول إلى هذه النتائج ، ولؤكدوا أيضاً بأن الرشيد كبيره من الخلفاء العباسيين ، عمل مثلهم على تجهيز الجيوش لحماية حدود دولته والذود عن مدنها وشعبه.

أما الخليفة هارون الرشيد، فقد بقي معه القسم الأعظم من هذا الجيش الضخم، وتوجه إلى هرقلة وحاصرها ما يقارب ثلاثين يوماً، استخدم الرشيد في حصاره مختلف الأسلحة الحربية

- الطبري. تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٣٢٠، ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ١٩٦، ابن شداد لأعلاى لخطيرة، ج ١، في ٢ ص ٢٥٣، ابن عسكون: تاريخ ابن عسكون، ج ٣، ص ٢٢٦، ذكر اليعقوبي بأن الرشيد فتح هرقلة والمطير ولم يذكر أسمائها. اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ص ٤٣١، علي تاريخ العرب، ص ٢١٤، مصطفى: في التاريخ العباسي، ص ٢٨٠.

^١ - عبد الله: العلاقات السياسية ص ٢٩٨.

كالمجانيق^(١١) والعرادات^(١٢) والسهام، فقد عمد المسلمون إلى وضع النيران بدل المحاربة في المجانيق، ورميها على سور هرقل، وبالفعل تمكنت النيران من أن تصدع السور، ولم يجد أهالي هرقل حيلة سوى فتح الأبواب والاستسلام وتسليم المدينة للرشد، ودخل هارون الرشيد المدينة في عام ١٩٠ هـ / ٨٠٦ م وسبي حوالي ستة عشر ألف شخص، ونتيجة لكون هرقل مركزاً رئيساً لمحارب القمح فقد حصل على كميات كبيرة منه، استطاع المسلمون في حملتهم هذه أسر ما يقارب سبعة عشر ألفاً من البيروطين، وقد تم ترحيلهم إلى الرافقة وبيعهم هناك^(١٣).

- المسحق: هو آلة حربية ثقيلة تستخدم لقتل الأعداء والسهام وقولير النفط أو أي مقتنيات أخرى باتجاه العدو، وكلمة مسحق دخلت العربية من الفارسية تحريماً لمهارة "من به بك" وقبل أن تعني "أسر أو أجهز" أو بكلمة "مسحك" ومعناها "الارتفاع إلى فوق"، وفي رسم العباسيين أصبح المسحق سلاحاً من أهم أسلحة الجيش، وأصبح له صف خاص من صفوف الجيش العباسي، وكان يضم للمسحقين والمبارزين ويرأسه قائد يقدر له "المسحقية"، الرزءكلش (اس أرمبا): الأبق في المسحق، نج، إحسان هيدى، حلب، منشورات معهد التراث العلمي العربي، ١٩٨٥م، ص ١٦، ١٧، ٢٠.

١ - مرادات. مردها مرادة، وهي من آلات الحرب أصغر من المسحق ترمي بالمحاربة الرمي البعيد، الفلشفندي: صبح الأعشى، ج ١٠، ص ٤٢١.

٢ - نظري. تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٣٢٠، المقتوي: تاريخ المقتوي، ص ٤٣١، ابن علقمة: تاريخ ابن علقمة، ج ٣، ص ٤٧٩، ابن شداد: الأعلام الخطيرة، ج ١، ص ٢٥٣، المويري: بحار لأرب، ج ٢٢، ص ١٥٥، الإصمعي: الأعاني، ج ١٨، ص ٢٤٢، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٢٨٩، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٢٠٩. ويذكر بأن فتح هرقل كان عام ١٩١ هـ / ٨٠٧ م. سيديو: تاريخ العرب انعم، ص ١٨٨، حسن: التاريخ الإسلامي العام، ص ٤٢٤.

بعد فتح هرقله عاد الرشيد إلى الطوانة ، وشعر بضرورة أن يستخدم مركزاً قريباً يتمكن من خلاله من متابعة جيوشه للتواجد في مناطق عديدة ، لذلك فقد أمر بأن يبني له متر في الطوانة، لكن الرشيد فحاة قرر العودة بما أنجز وخلف في الطوانة عقبة بن جعفر.^(١)

كان الخليفة هارون الرشيد يولي ولزلة عرش نقفور بما يقوم به من تخريب و احتلال في الأراضي البيزنطية، ولم يكن الرشيد بمهاجمة الأراضي البيزنطية براً، بل عمل على إرسال حميد بن معيوف بحملة بحرية، واستطاع حميد الوصول إلى قبرص، واحتلها ثم سبي أعداداً كثيرة من الجزيرة، وكان الرشيد يهدف إلى تشتيت أنظار الإمبراطور وقواته براً وبحراً من أجل إجباره على الخضوع له ولشروطه.^(٢)

أما عن الرد البيزنطي تجاه حملة هارون الرشيد ضد هرقله، فقد جهز الإمبراطور جيشاً كبيراً طس أنه يستطيع أن يواجه الخليفة هارون الرشيد به، ولكنه عندما علم بانتصارات المسلمين المتتالية، وما استولوا عليه من الحصون والمدن، وسمع بخبر دخول الرشيد إلى هرقله، لذلك أرسل الإمبراطور نقفور إلى الرشيد يطلب منه الصلح، ويؤكد بأنه سيدفع له المال إن رحن عن بلاده، لكن الرشيد رفض الرحيل من دون مقابل، بل طلب من نقفور أن يرسل إليه جزيرة عن رأسه ورأس ولده و عدد من البطارقة و أهل بلده كل عام، قبل الإمبراطور نقفور طلب الرشيد،

١ - بر لأثير، الكامل، ج ٩، ص ١٩٩، ابن شداد : الأعلاخ الخطيرة، ج ١، ص ٢٥٦، ابن جوري، تنظيم، ج ٩، ص ١٨٢-١٨٣، ابن كثير: البداية و النهاية، ج ١٠، ص ٢٠٦، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٢٨٩.

٢ - يعقوبي تاريخ يعقوبي، ص ٤٣١، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٣٢٠، ابن الأثير الكامل، ج ٩، ص ١٩٩، سبديو: تاريخ العرب لعام ١٨٨.

وأصبح يرسل ثلاثمائة ألف دينار كل عام للرشيد، واشترط هارون الرشيد على نقعور بأن لا يعيد
بعمار هرقله كما طلب نقعور من الرشيد عدم تخريب حصن ذي الكلاع و ساس و صملة، و
تذكر المصادر أن كان الرشيد بعد طلب نقعور بشأن الحصون البيزنطية أم لم يعده، والرجح
بأن الطرفين قد التزما بشروط الاتفاقية.

بعد أن عقدت هذه الاتفاقية بين الطرفين أعد الإمبراطور نقعور كتاباً للرشيد يطلب فيه من
الخلقة الرشيد إعطاءه إحدى سبايا هرقله وهي عطيبة ولده، وطلب نقعور من الرشيد بعض
العطور التي اشتهرت بها الديار الإسلامية، أحاب الرشيد على طلب نقعور بالموافقة وأرسل له
الجارية بعد أن زيت بأبهي حلة.^(١)

وأرسل الرشيد لنقعور العطور، وبحث له بكميات من الثمور والأعصية^(٢)، والزيب،
والثرياق^(٣)، وتم تسليمها للإمبراطور نقعور الذي رد بإرسال خمسين ألف درهم إسلامية ومئة
ثوب ديباح ومئتي ثوب بزيون، واثني عشر باراً وأربعة كلاب صيد وثلاثة براذير^(٤).

- ابن عساطر: تاريخ سلطنة بن عساطر، ص ٤٥٩، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٣٢١، لأردى:
تاريخ سوسل، ص ٣٠٩، ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ١٩٩، ابن شداد: الأعلام المخطوطة، ج ١، ص ٢٠٤،
ص ٢٥٤، لابن: موسوعة تاريخ العالم، ص ٤٨٦.

^١ - الأعصية: الحلوى المعبوسة، ابن منظور: لسان العرب، ج ١، ص ٧٨٥.

^٢ - الثرياق: بكسر التاء، اسم فارسي معرب وهو دواء يلعق من لدغ السموم والسموم، الجوهرى: تصحيح
في النعمة والعلوم، ج ١، ص ١٤١.

^٣ - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٣٢١.

يسرد الطبري بذكر حادثة تبادل الهدايا بين الرشيد وبقعور بعد فتح هرقلة، ولم تصدر في الآر وئائق تثبت هذه الحادثة أو تنفيها، ويبدو أن ما دفع المصادر السريانية إلى ذكر تبادل الهدايا بين هارون وبقعور سابقاً عام ١٨٧ هـ / ٨٠٢ م، هو هذه الحادثة التي أوردها الطبري .

هناك خلاف كبير حول الهدية التي عقدت بين الخليفة الرشيد، وبقعور في المصادر السريانية، فهذه المصادر تذكر أن الإمبراطور بقعور جهز جيشاً كبيراً لمواجهة المسلمين، وأن الخليفة هارون الرشيد عندما شاهد قوة هذا الجيش و ضخامته سارع إلى طلب الصلح من بقعور، وسلم لبقعور ما كان معه من أسرى الروم البيزنطيين، ولأن بقعور قبل الصلح أهده الرشيد جميع الخيام التي كان جنوده يستخدمونها .^(١)

وهذا الكلام لا أساس له من الصحة، و إنما أرادت هذه المصادر أن تحفظ ماء وجه الإمبراطور بقعور من هذا الصلح المهين و المذل له، فاختلقت رواية هذه القصة التي لا يستطيع أي عقل أن يتقبلها، خاصة و أن المصادر البيزنطية الرئيسة، والإسلامية العربية، قد ذكرت تعاضيل الهدية السابقة وذكرت أيضاً كيف تذلل بقعور للرشيد ليقبل الصلح.

كان للنصر الذي حققه الخليفة هارون الرشيد في هرقلة أثر كبير في نفوس الشعراء، لذلك فقد خلّدوه في قصائدهم.

فقد قال الشاعر المكّي في ذلك النصر العظيم:
 هوت هرقلة لما أن رأّت عَجَباً حوائماً ترغمي بالنعط و النار
 كأن نيراناً في جنب قلعتهن مصبات على أرسالٍ قصار^(٢)

^١ سريبي تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج ٢، ص ٤٤٠، ابن المبريد: تلويح الزمان، ص ١٧.

^٢ - الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٩٨.

قال أبو العتاهية أيضاً:

ألا نادت هرقله بالخراب من الملك الموفق للصواب

كذلك ذكر الشاعر أشجع بن عمرو السلمي^(١) هذا الانتصار فقال:

أحسنت هرقله مكلوماً جوائنها وباصر الدين بالتدبير يرميها^(٢)

بعد انتصار هرقله و عودة الرشيد إلى الرقة، اشعل الخليفة هارون الرشيد بالشاكل الدخيلة في عراسان، و توقع الإمبراطور نقفور بأن الرشيد لن يلتفت للأوضاع على الحدود الخارجية الإسلامية البيزنطية، فعاد و نقض الصلح مرة أخرى، وعمل على إعادة بناء أنقرة.^(٣)

وعندما علم الخليفة الرشيد بما فعل الإمبراطور نقفور سارع إلى إرسال القائد يزيد بن مخلد الهبيري في غزوة لبلاد الروم في عام ١٩١هـ / ٨٠٦م، فتوجه يزيد بن مخلد الهبيري، ومعه ما يقارب عشرة آلاف جندي، ودخل إلى منطقة آسيا الصغرى في قبادوقيا، و لكن الجيش البيزنطي استطاع أن يحصره في المضيق في تلك المنطقة، وتمكن البيزنطيون من قتل يزيد وقتل الحسين رجلاً

- أشجع بن عمرو السلمي. أشجع بن عمرو من ولد الرشيد بن مطرود السلمي، من بني سليم، وكان متصلاً بامر مكة، أعجب الخليفة الرشيد به كثيراً ومدحه وأمدّه بالمال، ابن خنيفة الشعر والشعر، ج ٢، ص ٨٨١، أبو تمام الطائي: ديوان الحماسة، ج ١، ص ٣٥٤.

^١ - مجموعة مؤلفين: الرقة ذرة الفرات، ص ١٠٥.

^٢ - ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ١٧.

آخر أما الباقون فقد تمكنوا من الفرار، واستطاعوا النجاة بحياتهم، ويبدو أنهم عادوا إلى طرسوس خاصة وأن المنطقة التي حدث فيها القتال لم تكن بعيدة عن طرسوس.^(١)

وهكذا، لم تسجّل هذه العزوة، بل قتل يزيد وأصحابه، وهناك مصدر وحيد يخالف ما ذكرته المصادر الأخرى في نتيجة هذه العزوة، فيذكر بأن يزيد استطاع أن يحصل على العديد من العائمين، ويعود سالماً إلى بلاده بعد هذه العزوة.^(٢)

وهذا، على الأرجح غير صحيح خاصة، وأن الرشيد توجه مباشرة بعد موت يزيد، ليستقم له على رأس جيش كبير، و رابط بعينه في منطقة الحدود في مدينة الحدث ما يقارب ثلاثة أيام، ومن هناك أرسل الرشيد صائفة في العام نفسه ١٩١ هـ / ٨٠٦ م، بقيادة القائد هرثة بن أعين، وكان معه حوالي ثلاثين ألف جندي من عراسان، و توجه هرثة إلى قبادوقيا، وكان مع هرثة مسرور الخادم الذي تسلم النعمات وتصريفها.

عاد الرشيد إلى الرقة بعد أن تمام ثلاثة أيام في الحدث، و أتاب عنه في مدينة الحدث عبد الله بن مالك، ليود محمات البيزنطيين عنها، ومحمد بن يزيد بن يزيد في طرسوس.^(٣)

- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٣٢٣، ابن الأثير الكامل، ج ٦، ص ٢٠٥، ابن شداد: لأعلاق الخطيرة، ج ١، ق ٢ ص ٢٥٦، مؤلف مجهول: الميوس و الحدائق، ص ٣١٢، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٢١١، عمرا (عمود سعيد). معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية (مدخل لدراسة التاريخ السياسي والحربي)، القاهرة، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠ م، ص ١١٨.

^١ - ابن حباط: تاريخ خليفة بن حباط، ص ٤٠٥.

^٢ - انصري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٣٢٤، ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٢٠٦، مؤلف مجهول: الميوس و الحدائق، ص ٣١٢-٣١٣، حيث يذكر بأن الخليفة هارون الرشيد وصل إلى (دير كرماسين) ومن هناك بدأ بسير الجيوش أي هرثة بن أعين و عبد الله بن مالك و لم يذكر المصدر بأن الرشيد رابط في حدث ص ٣١٢، من الجوري: للتظم، ج ٩، ص ١٩٤، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ج ١، ق ٢، ص ٢٥٧، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٢١١.

بعد صائفة هرثة التي كانت في عام ١٩١ هـ / ٨٠٦ م، تذكر المصادر بأن البيرونيين عادوا إلى الحدود الإسلامية، وهاجموا مرعش في العام نفسه، وتمكنوا من أسر عدد من المسلمين، و استطاع قائد الجنود المرباط في مرعش سعيد بن سلم بن قتيبة أن يقاوم هجوم البيرونيين، بن إب المصادر تذكر بأنه ((لم يتحرك سعيد من موضعه))^(١).

وهذه المصادر تذكر بأن البيرونيين هاجموا مرعش في أثناء تواجد الخليفة هارون الرشيد في مدينة الحدث، لكن هذا الافتراض يمكن أن يكون غير دقيق، فبعد أن ذاق البيرونيون مرارة الهزائم المتكررة من الخليفة هارون الرشيد، ولمسوا قوته وشجاعته من غير الممكن أن يتحركوا وعلى مهاجمة مرعش، وهم على علم بوجوده بالقرب من المدينة، فهو سيسارع لردّ الهجوم والتكهن بهم، كما أن موقف قائد الجنود المرباط في مرعش سعيد بن سلم ابن قتيبة، كان موقفاً سليماً وضعياً إلى حدّ كبير، فهذا القائد كما ذكرت المصادر لم يحرك ساكناً ضدّ الهجوم، بل ترك المدينة والمسلمين عرضة لهجمات البيرونيين، وهذا يدعو للاستعراب، فكيف استطاع هذا القائد أن يفعل مثل هذا الأمر والخليفة مرابط في الحدث، فلا شك أنه سيهاجم ويخشى من معاقبته، والأرجح أنّ الهجوم تم على مرعش بعد معاداة الرشيد الحدث، وتوجهه نحو الرقة كما أن موقف سعيد يدل على ضعفه وعدم كفاءته وقدرته على تسلم مثل هذه المهمة وهي الدفاع عن النعمور.

عصري تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٣٢٤، ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٢١٥، ابن شداد: لأعلاق الخيرة، ج ١، ص ٢٥٦، عمران: معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ص ١١٨.

بعد هذه الأحداث أمر الرشيد بأن يعاد بناء طرسوس وتحصيتها، وأمر بذلك هرثمة بن أعين، الذي أمر بدوره فرج الخادم، الذي بناها وبنى مسجدها، و أسكن فيها جنوداً من حراسه بلغ عددهم ما يقارب ثلاثة آلاف جندي، وجنوداً من المصيبة بلغ عددهم حوالي ألف جندي، وقد انتهى بناء المدينة عام ١٩٢ هـ / ٨٠٧ م^(١).

م تذكر المصادر العربية التي تحدثت عن صائفة هرثمة بن أعين نتيجة هذه الصائفة، إلا مصدر وحيد، حيث يذكر هذا المصدر بأن القائد هرثمة بن أعين بعد أن دخل بلاد الروم، توجه نحو الإمبراطور قمعور، ومعه جيش كبير، لمواجهة و بالمثل حدث قتال بين الطرفين، و لم يتم تحديد منطقة القتال، استمر القتال بين الطرفين إلى محيط الشمس، و استطاع المسلمون التغلب على قمعور وجيشه، ولكن بعد عودة هرثمة وجنوده عانى الجنود من نقص في الإمدادات والعتاد، وتحديد الطعام والمياه، لذلك أرسل الخليفة هارون الرشيد إمدادات هرثمة عن طريق إرسال عبد الله بن مالك (المربط في الحدث مع الخليفة هارون الرشيد) ومعه الإمداد بالطعام والمياه واستطاع إيصالها لهرثمة، وعاد الجنود المسلمون إلى ديارهم^(٢).

وعلى الرغم من أن هذا هو المصدر الوحيد الذي يذكر هذه الحادثة، فمن الممكن الأخذ بحرياتها، خاصة و أنه من عادة المصادر أن تذكر الصوائف بشكل مختصر دون أن تذكر نتيجة الصائفة، و لهذا فمن الممكن أن تكون هذه الصائفة قد أثرت بشكل إيجابي، وعلى أساس حسارة

١- أنيلادري. فتوح البلدان، ص ١٧٤، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٣٢٤، ابن العديم: معية النقيب، ج ٩، ص ١٨٩، ابن الأثير: الكامل ج ٩، ص ٢٠٩، ابن الشحنة: الدر المنقب، ص ٣٤٢.

٢- مؤلف مجهول: العيون و الحقائق، ص ٣١٣.

يقعور فيها و انشعاله بحروبه مع البعار ثم عقد صلح آخر، و حدث قتلاء بين المسلمين والبيزنطيين في عام ١٩٢ هـ / ٨٠٧ م. بالإضافة إلى انشغال الخليفة هارون الرشيد بالمشاكل في المنطقة الشرقية من الخلافة في خراسان، فقد حدثت فتنة كبيرة في خراسان بقيادة ربيع بن الليث ابن نصر بن سيار^(١).

م تحدث أية مواجهة بين الطرفين العربي المسلم، والبيزنطي بعد عام ١٩٢ هـ / ٨٠٧ م. مع أن البعض يذكر بأن البيزنطيين عادوا وأعتلوا بالصلح مرة أخرى، و هاجموا الحدود الإسلامية ومدن الثغور، ولكن انشغال الخليفة بالأحداث التي تجري في خراسان لم يسمح له بالرد على البيزنطيين^(٢).

والمصادر تذكر بأنه لم يكن للمسلمين صائفة منذ عام ١٩١ هـ / ٨٠٦ م حتى عام ٢١٥ هـ / ٨٣٠ م^(٣)

ويبدو أن السبب في ذلك هو موت الخليفة هارون الرشيد في عام ١٩٣ هـ / ٨٠٨ م، و تسلم ولده الأمين، و ما تلا ذلك من اضطرابات داخل حدود الخلافة الإسلامية، وهذا ما سيطهر في الأحداث التالية، ما عدا مصدر وحيد ذكر بأنه في العام ١٩٢ هـ / ٨٠٧ م قام الخليفة الرشيد بتولية ثابت بن نصر بن مالك الثغور، وتوجه ثابت في العام نفسه نحو الحدود البيزنطية ودخلها وتمكن من فتح مظمورة، و لم يحدد المصدر مكان المظمورة أو اسمها.^(٤)

١ - نظري تاريخ الرسل والملوكة، ج ٨، أحداث عام ١٩٢-١٩٣ هـ / ٨٠٨-٨٠٩ م.

٢ - علي: مختصر تاريخ العرب، ص ٢١٤، لاجم: موسوعة تاريخ العالم، ص ١٨.

٣ - الطبري: تاريخ الرسل والملوكة، ج ٨، ص ٣٣٧.

٤ - ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٢١٢

توفي الخليفة هارون الرشيد عام ١٩٣هـ / ٨٠٨م في طوس بعد أن عانى من المرض الشديد^(١) وقد حسر العالم الإسلامي ب وفاة الخليفة هارون الرشيد قائداً عسكرياً قوياً وسياسياً محكماً عرف بهذه الصعاب منذ أن كان شاباً في كنف والده المهدي واستمر بها بعد أن تسلم مقاليد الحكم وترجع على عرش الخلافة الإسلامية إلى أن توفي في العام ١٩٣هـ / ٨٠٨م.

واستطاع هذا الخليفة أن يحرر للمسلمين انتصارات باهرة على صعيد علاقاتهم مع العدو الدائمة الدولة البيزنطية، وتحديدًا في السنوات الأخيرة من حكمه، فقد كان عصر الرشيد تجسيدا للقوة الضاربة للخلافة العباسية الإسلامية فالأحداث التي سبق و ذكرت أثبتت بأنه حتى بنظر المؤرخين العربيين (كان واحداً من أعظم الحكام الذين جلسوا على العرش)^(٢).

وهناك من وصف حروب الخليفة الرشيد ومعاناته الشديدة لتحقيق الانتصارات بقوله "لست أقول إن هذا العور كان سهلاً على الرشيد، فإنه طوح من الرجال وأعق من الأموال ما هو حقيق بأن يُنظر فيه، فإن الروم أهل بأس ومراس شديد وهو يقاسي معهم الحروب الصعاب، وم يكن في شأنه معهم حيلة ولا سياسة، وإنما هي حروب تواصلت تباعاً وأخذ بعضها برقاب بعض لما يروم من نعوذ السلطان حتى يركب عليهم سيف الإسلام، وإلا فإن الخزية التي يُطمع فيها لا تعي بالقليل من الأموال التي تنفقها الدولة، وهي بمكائنها من المهاجمة ومكان الروم من المدافعة في طلال السوار، وفي ذلك تعاوت بعيد في خسائر القتال، والذي يدل ذلك على قوة الإسلام أنه غزاهم غزوات كثيرة ما أحقق في واحدة منها"^(٣).

^١ - الأردني: تاريخ الموصل، ص ٣٠٩، ابن الأثير: الكامل ج ٩، ص ٢١١، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٢، ص ٢٢٩، مؤلف مجهول: الميون والحنائق، ص ٣١٨.

^٢ - G.Finlay: Byzantine Empire, Oxford, 1877, p.95

^٣ - للدور: تاريخ العراق، ص ١٤٨.

مع أنه في الأعوام الأولى من حكم الرشيد لم تكن تحركات العرب المسلمين على الجبهة البيزنطية سوى تحركات دفاعية بعرض الجهاد، و لم تكن لتصل إلى المستوى المحمومي المنظم، وهذا تعبر في السنوات الأخيرة من حكمه كما سبق و ذكر، و يبدو أن ما ساعد الخليفة هارون الرشيد في إحراز هذا الرصيد المتجدد على الصعيد العسكري، هو تسلم عرش الإمبراطورية البيزنطية أباطرة ليسوا بصحاء، ولكنهم لا يرقون لمستوى القوة المنظمة التي كان يتمتع بها هارون، فالإمبراطورة إيريس و ولدها قسطنطين السادس، ومن ثم الإمبراطور ثقفور الأول كانوا مشغولين بالأحداث الداخلية و الصراع الديني والشخصي أكثر من التعاطف لتنظيم قوتهم لمواجهة محوم المسلمين، كما أن الإمبراطور الأخير ثقفور لم يكن يمتلك الحسكة السياسية التي كان لزاماً أن توجد بالباطرة، فقد كان يمتنع إلى الحسكة وبعد النظر، ولم يقدر قوة خصمه بشكل جيد و ربما تأثر بوظيفته المالية السابقة، مما أبعدته عن الحياة السياسية والعسكرية، وجلب لدولته الوليات والحروب، بسبب عدم التزامه بما عقده مع المسلمين و استطاع المسلمون أن يستولوا على مدن وتحصينات بيزنطية مهمة.

بما لا شك فيه أن عوامل كثيرة تضافرت مع بعضها، فكونت شخصية هارون المتميزة والتي جعلته فريداً عصره، فما كان لبداهته وفطنته وحذاقته كلها أن تسهم في تحقيق الانتصارات المتتالية التي حققها على بيزنطة، لولا أن انخرت جميعها بجرأته وشجاعته وحكمته التي جعلته يتمتع هات أعدائه وهواتفهم المتكررة، واستطاع توظيفها لتحقيق انتصاراته المتميزة.

ثانياً- العلاقات العباسية البيزنطية السياسية والعسكرية زمن الخليفة عبد الله المأمون ١٩٨-٢١٨ هـ / ٨١٣-٨٣٣ م:

بعد وفاة الخليفة العباسي هارون الرشيد في العام ١٩٣ هـ / ٨٠٩ م، تسلم ولده محمد الأمين مقاليد الخلافة، و مد استلامه للخلافة بدأ الخلاف بينه وبين أخيه عبد الله المأمون على منصب الخلافة، الذي كان الرشيد سابقاً قد أوصى له بالخلافة بعد أخيه الأمين، ومن ثم أوصى لولده القاسم، إلا أن الأمين لم يحافظ على هذه الوصية وبدأ بالتخطيط لتسليم ولده موسى الخلافة من بعده، فقد أمر في العام ١٩٤ هـ / ٨٠٩ م بإسقاط ما كان قد ضرب لأخيه المأمون من الدراهم والدنانير بخراسان، وأمر بالدعاء لولده موسى بن الأمين على المنابر، وقطع ذكر المأمون، ثم قام بعزل أخيه القاسم عن الجزيرة، وأبقاه على قنشرين والتغور والعواصم.^(١)

تأرمت الأوضاع الداخلية للدولة العباسية بشكل كبير على أثر الخلاف الشديد الذي جرى بين الأخوين (الأمين والمأمون) والذي انتهى بمقتل الخليفة الأمين في العام ١٩٨ هـ / ٨١٣ م، ومبايعة أخيه المأمون بالخلافة في العام نفسه.^(٢)

- بن قتيبة: المعارف، تح: ثروت حكاشة، مصر، دار المعارف، ١٩٦٩ م، ص ٣٨٤، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٤٧٨، السعدي: مروج الذهب، ج ٣، ص ٤٢٣، الخطيب البغدادي (أبو بكر أحمد بن علي ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م). تاريخ بغداد، بيروت، دار الكتاب العربي، ص ٣، ج ٢، ص ٢٣٦، ابن الأثير: الكاس، ج ٦، ص ٢٢١، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٩، ص ٢٣٤، ابن أبيك الصفي: الوافي بالوفيات، ج ٥، ص ١٣٥.

^١ - يزيد من التعاضل عن الحرب بين الأمين والمأمون ينظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٦٤٦، السعدي: مروج الذهب، ج ٣، ص ٤٢٥، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ١٨٣، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٠، ص ٢٧٢، الصفي: الوافي بالوفيات، ج ١٧، ص ٥٥٦، الفقهشي (أبو العباس أحمد بن عبد الله ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م): مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تح: عيد الستار أحمد فراج، بيروت ١٩٨٠، ج ١، ص ٢٠٨، الاعتبار (سبب): محمد الأمين بن هارون الرشيد، دمشق، مشورات دار الولد، ١٩٥٥ م، انكردي (إبراهيم سليمان): نظام الوزارة في العصر العباسي، مصر، ١٩٨٩ م، ص ١٢٣ و ما بعده، ص ١٠٠، إدارة العربية، ترجمة، إبراهيم أحمد عدوي، القاهرة، ١٩٥٨ م، ص ٢٨١.

شعش الخليفة الجديد عبد الله المأمون بالمشاكل الداخلية الكثيرة التي انتشرت داخل حدود دولته،
فمن ثورة مصر بن شبت العقيلي التي استمرت أكثر من اثني عشر عاماً ١٩٨ هـ/ ٨١٣ م.
٨٢٥ م. و ظهور ابن طباطبا في الكوفة، و الذي دعا إلى الرضا من آل محمد عليه الصلاة و
السلام عام ١٩٩ هـ/ ٨١٤ م^(١).

ومن ثم ظهور أبي السرايا^(٢) و غيرها من الحركات والثورات التي ظهرت ضد الخليفة المأمون و
الذي حاول أن يعيد طبيعة الدولة العباسية، إلا أن محاولته أدت إلى انتعاشات هائلة في جميع المدن
في الكوفة، و كيسوم، و مصر.

هذه الأوضاع الداخلية المتأزمة في الدولة العباسية جعلت الخليفة المأمون يهمل الجبهة الخارجية،
وخاصة علاقاته مع الإمبراطورية البيزنطية، والتي لم تكن في حال أفضل من حال الدولة العباسية،
فقد كانت الأوضاع الداخلية في الإمبراطورية متأرجحة بين المشاكل الخارجية مع البلغار، و
المشاكل الدينية التي كان كل إمبراطور يحاول أن يمرض قناعاته فيها، و خلال فترة حكم الخليفة
العباسي الأمين و المأمون تولى عرش الإمبراطورية البيزنطية أكثر من ثلاثة أباطرة، فبعد قتل
الإمبراطور نيقفور الأول Nicephorus على يد البلغار في العام ١٩٦ هـ/ ٨١١ م. تسلم
عرش الإمبراطورية ابنه ستوراكيوس Stauracius لكن هذا الإمبراطور كان مريضاً، فتوفي

١ - ابن طباطبا: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن أحمد بن علي
انصاري. تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٥٢٨، البيهقي: تاريخ البيهقي، ج ٢، ص ٤٥٤.

٢ - أبو السرايا السري ابن منصور القمي بأمر الحرب و الذي خرج بعد أن انتشر بين الناس بأن العسل من
سهل تغلب على المأمون و حمله عن أهله و بيته و قواده، البيهقي: تاريخ البيهقي، ج ٢، ص ٤٥٤،
مسعودي: مروج الذهب، ج ٣، ص ٤٢٥.

في العام نفسه، و لهذا انتقل عرش الإمبراطورية إلى ميخائيل الأول روح ابة الإمبراطور السابق
 مفعور Michael I والذي حكم فترة قصيرة ١٩٦ - ١٩٨ هـ / ٨١١ - ٨١٣ م، وعمل
 خلالها على إعادة الرهبان المبعين و عمل على إعادة عبادة الأيقونات، كما أنه أغفل السياسة
 الاقتصادية للبلاد، و عمل على تبذير ثروة البلاد على رجال الجيش و البلاط و رجال الدين،
 و انتهى به الأمر إلى أنه حصر خسارة كبيرة أمام البلغار، مما جعل الشعب يثور عليه، وهكذا خلع
 ميخائيل الأول عن العرش و تولى مكانه ليو الأرمني.^(١)

تسلم عرش الإمبراطورية البيزنطية الإمبراطور ليو الخامس في عام ١٩٨ هـ / ٨١٣ م الأرمني
 الأصغر، والذي كان قائداً لشعر الباطليق، و استطاع الإمبراطور أن يكسب ثقة الجيش و الشعب،
 و تمكن من أن يحقق انتصارات على أعداء دولته البلغار، و لكنه عاد ليتخبط في المشكلة الدينية
 عبادة الأيقونات ، فقد كان ليو الخامس من المحاربين للأيقونات و عبادتها و عقد المجمع اللا أيقوني
 في العام ٢٠٠ هـ / ٨١٥ م . والذي أقر بمع تحيل صور الموني والأيقونات وإشعال الشموع و
 إحراق البخور لها، واستمر ليو إمبراطوراً إلى عام ٢٠٥ هـ / ٨٢٠ م، فقد قتل على يد عدد من
 القادة المذهبيين له، و تسلم عرش الإمبراطورية ميخائيل الثاني للشلم stammerer.^(٢)

^١ - الطبري ج ٨ ص ٢٢٧، العربي: الدولة البيزنطية ص ٢٤٩-٢٥٣، ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية،
 ص ١٣٣-١٣٤، نومان: الإمبراطورية البيزنطية ص ١٥٨-١٥٩، علق: الإمبراطورية البيزنطية ، ص ١٨٢-
 ١٨٣.

^٢ من عربي تاريخ الرمان ص ٢٤، نومان: الإمبراطورية البيزنطية ص ١٦١، ربيع: دراسات في تاريخ الدولة
 البيزنطية، ص ١٣٤ ١٣٥ ، العربي: الدولة البيزنطية، ص ٢٥٤ ٢٥٩، علق: الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٨٦
 ١٨٩

تسلم الإمبراطور ميخائيل عرش الإمبراطورية البيزنطية بين عامي ٢٠٥-٢١٤ هـ / ٨٢٠-٨٢٩ م، وحاول أن ينهي الجدل في المسائل الدينية بطريقة محايدة، و مع الجدل حول تحييل الأيقونات ولم يسيئ لمخطمي الأيقونات أو لمؤيديها، بل أراد أن يهيئ الخلاف الداخلي المشتعل في الإمبراطورية، وأراد أن يهتم بأمور أخرى في إمبراطوريته، ورغب الإمبراطور ميخائيل في أن يكسب عرشه شيئاً من القوة والشرعية بزواجه من ابنة الإمبراطور قسطنطين السادس الأعشى أيجروسين.^(١)

توفي الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثاني في العام ٢١٤ هـ / ٨٢٩ م ، وتسلم عرش الإمبراطورية البيزنطية ابنه ثيوفيل والذي اشتهر بثقافته وعلمه ، وشهد ربه الموجة الأخيرة للحركة اللا أيقونية ، كما أن الإمبراطور ثيوفيل كان مهتماً بشكل كبير بالفن العربي الإسلامي وبالثقافة الإسلامية.^(٢)

في ظل هذه الأحداث كان الطرفان العربي المسلم والبيزنطي مشغولين بمشاكلهما الداخلية، ولم يحاول أي من الطرفين العربي المسلم والبيزنطي استغلال مشاكل الطرف الآخر، والقيام بحملات ضده، وهذا يلاحظ بشكل كبير في السوات الطويلة التي توقعت فيها غزوات وصوائف وشواقي المسلمين.

١ - ابن العربي: تاريخ الزمان ص ٢٤، أومان: الإمبراطورية البيزنطية ص ١٦٢، العربي: الدولة البيزنطية ص ٢٦٠ ربيع دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٣٥، عاقل: الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٩٠.
٢ - ابن العربي: تاريخ الزمان، ص ٣٧، العربي: الدولة البيزنطية ص ٢٧٤-٢٧٩، عاقل: الإمبراطورية البيزنطية ص ١٩٤.

م يتمكن الخليفة المأمون من ضبط أحوال دولته بشكل نهائي، ولكنه تمكن من تخفيف الصعوبات
عنه، لذلك عمد إلى تجهيز جيوشه وإعادة الخط القتالي مع البيزنطيين، وكان يوحد على المأمون
تأثيره للحرب مع البيزنطيين وإهماله لها حتى سبب إليه قوله: أخطر الحرب ما استطعت، فإن م
تجد منها بدأ، فاجعلها في آخر النهار.^(١)

وفي مجريات هذه الأحداث استغل المأمون الفرصة السانحة، ليعود و يثبت لشعبه بأنه سيسير على
خطى أبيه وأجداده بالحرب ضد الروم البيزنطيين، فبرطة اشعلت بالمحوم على صقلية^(٢)،
لذلك قرر المأمون التوجه مع جيوشه وولده العباس إلى الحدود الإسلامية البيزنطية في العام
٥٢١٥ هـ / ٨٣٠ م.

- مسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٤١٩، ابن نوري بردي: الهجوم الراهق، ج ٢، ص ١٣٦، محمد
العصر المباسي الأول ص ٣٨٥.

^١ - هجوم على صقلية فتحت جزيرة صقلية على يد ريادة الله بن إبراهيم بن الأعلم، وقد طار حصار
مسلمين بجزيرة هذا من عام ٥٢١٥ هـ / ٨٣٠ م وانتهى بفتح مدينة بلرم عام ٥٢١٦ هـ / ٨٣١ م، ولم يستطع
مسلمون الاستيلاء على الجزيرة كلها بالرغم ما كان يصلهم من الإمداد من إفريقية، ابن عسار: البيد
مغرب، ج ٢، ص ٩٦ ٩٧

وبالمعل توجه المأمون في العام ٢١٥ هـ / ٨٣٠ م، نحو الجزيرة العراتية، ووصل إلى حران وهناك لاحظ وجود الصابئة^(١)، وتوجه المأمون إلى مسج، ثم دابق، ووصل إلى أبط ساكية والمصبصة وطرسوس.^(٢)

ملاحظ هنا بأن عطف سحر المأمون الذي اعتنقه بهذه الطريقة يؤكد أنه أراد أن يشاهد بعينه الأوضاع السائدة في المدن الحدودية الثغرية بعد هذه المدة الطويلة من الإهمال، ليعلم مدى تجهيزاتها العسكرية، ووضع الجنود المسلمين وأحوالهم.

- الصابئة: أطلق هذا الاسم على فرقتين متميزتين تماماً وهما ١- للندبا أو الصبوة، وهي فرقة يهودية نصرانية تدرس تعبد في العراق، ٢- صابئة حران، وهي فرقة وثنية بقيت أمداً طويلاً في ظل الإسلام، وقد أهتمهم بحكم مبدئها، ولها أيضاً شأنها لما عرج من بين صفوفها من علماء، قسم من الصابئة يهودون الكواكب وقسم منهم يهودون لأوثان التي صنعها البشر، وللصابئة طقوس معينة في صلواتهم وطريقة حياتهم، وكان الصابئة أول الأمر مهتمين في أرجاء شمالي العراق، ومركزهم الأكبر في حران، يمارسون شعائرهم باللغة السريانية، وقد فكر الخليفة المأمون في اضطهادهم والقضاء عليهم، ولكن مرابهم العقلية تشفعت لهم فعملوا بمساحة، ومن أعلام هذه الفرقة، ثبت من قرة العالم الجليل بالمدسة والملكي الأصل والمترجم والفيلسوف، وثابت بن سنان الطيب والعالم بالظواهر الجوية، وعالم الملك المشهور البتاني، الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ت ٥٤٨ هـ / ١١٥٠ م): الملل والنحل، نج، حسين جمعة، دمشق، دمشق، بيروت، دار رانية، ١٩٩٠ م، ص ٢٠٣، مجموعة من الباحثين. دائرة المعارف الإسلامية، مادة الصابئة، مج ١٤، ص ٨٩-٩٠-٩١، حتى: تاريخ سورية، ج ٢، ص ١٧٨، هوبكه (ريبريد). شمس العرب تسطع على الغرب (أثر الحصار العربية في أوروبا)، نشره عن لأمانة، فاروق يحنون، كمال دسوقي، راجعه، مارون عيسى الخوري، بيروت، منشورات المكتب التجاري، ط ٣، ١٩٧٩ م.

^٢ من القديم نعمة الطلب، ج ١، ص ٦٧، للقريري: للفقهي الكبير، ج ٤، ص ٢٨٦، السيوطي تاريخ خلفاء، ص ٢٠٨، فاريليف: العرب والروم، ص ٩٢، مصطفى: العصر المباسي، ص ٢٨٠، العربي: الإمبراطورية البيزنطية، ص ٢٧٩.

ونتيجة الإهمال الذي كانت تعاني منه المدن الثغرية على الحدود، و لعدم وجود قوة كافية تحميها وترعاها و لعدم التصات الخلاء هذه المدة الطويلة لأوضاعها، تمكن البيزنطيون من الاستيلاء على عدة حصون كانت بحوزة المسلمين مثل حصن سنان، وحصن سلس، وحصن صملة وقرّة، وحصن ماجدة.^(١)

توجه الخليفة المأمون نحو طرسوس وبصحبته ولده العباس ومانويل (اللاجئ) البيزنطي لدى العباسيين، بالإضافة إلى القادة الأتراك مثل أشناس وجعفر الخياط.

عمل المأمون في هذه الحملة على تقسيم جيشه بحيث يتمكن من ضرب عدة نقاط لدى البيزنطيين، فالمأمون توجه من طرسوس إلى منطقة نيم الأناضول، وبدأت الصدامات تحدث بين المأمون وأهالي المنطقة الذين كانوا يتخذون من الكهوف الموجودة في تلك المنطقة ملاجئ تحميهم من ضربات المسلمين، وبدأت الحصون البيزنطية بالتهادي، ولم تعد تقوى على مقاومة المسلمين، فاستسلم في البداية حصن ماجدة، وتوجه المأمون لحصار حصن آخر، وهو حصن قرّة، ولكن أهالي الحصن واجهوا حصار المأمون بمقاومة شديدة وعملوا على مقاومة الحصار ما أمكنهم، فلم يستسلموا بسهولة، ولكن المأمون بدوره شدد عليهم الحصار، إلى أن توسل الأهالي لبأسهم على حياتهم، ومن ثم عمل المأمون على هدم الحصن تماماً، كيلا يتمكن أهله من العودة إليه والتحصن به.^(٢)

- مصطفى. التاريخ العباسي ص ٢٨٢ ، رفاعي (أحمد فريد): عصر المأمون، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٢٨م، ص ٢٩١

^١ - نصري تاريخ الرسل والملوكة، ج ٨ ص ٦٢٣، الأردني: تاريخ الموصل، ص ٣٩٩، بن الأثير انكس، ج ٦، ص ٤١٧ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٢ ص ٢٥٦ ، ميخائيل السرياني تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج ٣ ص ٤٠، فاريليف: العرب و الروم ص ٩٤-٩٥، ماجد: العصر العباسي الأول، ص ٢٨٥، العربي: الدولة البيزنطية، ص ٢٧٩.

وتوجه القائد أشاس إلى حصن سدس، وعمل على حصاره ولكن سرعان ما استسلم الحصن،
ونكس أشاس من أسر رئيس الحصن و التوجه به إلى المأمون، أما حصن ساد، فكان يحاصره
القائدان عجيف بن عيسى، و جعفر الخياط اللذان تمكنا من الاستيلاء عليه.^(٦)

أما بالنسبة إلى الجيش الذي كان بقيادة العباس بن المأمون و كان معه مانويل، فقد أرسله المأمون
إلى ملطية والحدث، وكان على هذا الجيش أن يحدد مسرح عملياته في المنطقة الشرقية من نيم
قبادوقيا و لكن لم تذكر المصادر أي عمل قام به العباس أو جنوده في هذه المنطقة، و لم يفتح
العباس أي حصن أو مدينة، وإنما عاد بجهوشه لينضم إلى والده.^(٧)

ويلاحظ في هذه الحملة نقاط عدة:

أولاً: المأمون و على الرغم من إهماله للجهة الخارجية البيزنطية لمدة من الزمن، إلا أنه لم يمس
هذا الصراع الدائم والمستمر بين الطرفين، خاصة وأن بيزنطة عملت على دعم الحركات الدخيلة
في الدولة العباسية كحركة بابك الخرمي.

ثانياً: يلاحظ أيضاً بأن العصر التركي بدأ يظهر بشكل كبير بين صفوف الجنود العباسيين،
كأشاس التركي، و جعفر الخياط، في حين بدأ النموذج الفارسي للسيطر في الحملات السابقة يقل،
ليظهر بدلاً عنه العنصر التركي.

- انصري تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٦٢٢. ابن الأثير: الكامل، ص ٤١٧، السيوطي تاريخ خلفاء
ص ٣٠٨، فاريليف: العرب و الروم، ص ٩٥.

^٦ انصري. تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٦٢٢. ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٤١٧، ابن خلدون تاريخ
بن خلدون تاريخ ابن خلدون، ج ٢، ص ٢٥٦، مؤلف مجهول: العيون والحقائق، ص ٣٧٥، فاريليف العرب
و الروم ص ٩٥، ملحد: العصر العباسي الأول، ص ٢٨٥.

ثالثاً. من هذه الحملة يلاحظ و بشكل واضح وجود أشخاص من الجانبين العربي المسلم، و البيزنطي تساعد كلا الجانبين، لتدل على نقاط ضعف الخصم، و ذلك ظهر بشكل واضح عندما ذكر (مانويل اللاتيني الرومي) في سياق هذه الحملة التي قادها المأمون، فقد ذكره بعض المؤرخين العرب، و أشاروا إلى أنه كان مشاركاً للعباسيين المأمون في التوجه نحو ملطية.^(١)

أما البعض فيذكر بأن مانويل البطريق هرب من قرّة عندما فتحها الخليفة المأمون، و لم تذكر المصادر وجهة مانويل، وماذا حدث له؟^(٢)

أما المصادر اليونانية، فتحدثت عن اللاتيني مانويل مطولاً، فمانويل قام بتمرد ضد الإمبراطور توفيليس، و هرب مع الحسين فارساً، و توجه نحو بلاد المسلمين إلى الخليفة المأمون، و تحالف معه على أن يهاجم المأمون الأراضي البيزنطية، و يساعد مانويل في سيره، و يدلله على نقاط الضعف والثغرات في الدولة البيزنطية.^(٣)

وبالعص فقد توجه مانويل مع المأمون في هذه الحملة، و تمكن المأمون من الاستيلاء على عدد كبير من الحصون البيزنطية، و أناب المأمون مانويل على هذه الحصون، و ترك معه عدداً من الجود، لحماية الحصون التي استولى عليها المسلمون، و عاد المأمون إلى بغداد.^(٤)

- انصري. تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٦٢٤، ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ٤١٨ أما ابن عسكون لم يذكر وجود مانويل مطلقاً. ابن عسكون ج ٣ ص ٢٥٩. ابن عياط لم يتحدث عن المأمون لهذا.

^١ - البهوتي: تاريخ البهوتي، ص ٤٦٥.

^٢ - ابن العربي: تاريخ الزمان، ص ٢٧. الرهاوي المجهول: تاريخ الرهاوي المجهول، ص ٣٧.

^٣ - الرهاوي المجهول: تاريخ الرهاوي المجهول، ص ٢٨، عزيليع: العرب و الروم، ص ٩٢.

بدأ أن مانويل لم يحافظ على علاقته مع المأمون، ونكث بعهده مع الخليفة المأمون وتحلى عن مجموعة الجنود للمسلمين الذين كانوا معه، وعاد إلى الإمبراطور توفيل بعد أن قدم له الاعتذرات، وصالحه وأعطاه الإمبراطور ولاية عدد من المدن الداخلية في الإمبراطورية.^(١)

وتذكر المصادر اليونانية بأن مانويل عند هروبه ومصالحته للإمبراطور، لم يؤذ أيًا من الجنود المسلمين.^(٢)

وهذا يخالف ما ذكره أحد المؤرخين العرب الذي ذكر بأن مانويل قام بطرد الجنود المسلمين من المنطقة التي كان مسؤولاً عنها، وأخذ أسلحتهم ومؤنهم، وتوجه إلى الإمبراطور.^(٣)

وهذا الوضع أقرب إلى الواقع، فمن غير الممكن أن يترك مانويل أسلحة المسلمين ومؤنهم معهم وهو يهرب، بل لابد من أن يكون قد استعاد بعدد من الجنود البيزنطيين فساعده في هروبه وعودته إلى الإمبراطور بعد أن طردوا المسلمين وأعدوا أسلحتهم.

أما السؤال الذي يطرح هنا هو، لماذا تم إهمال دور مانويل وهروبه ونكته لوعده مع الخليفة المأمون من قبل عدد كبير من المؤرخين العرب، ثم لماذا نجد عدداً من المؤرخين لم يذكروا مانويل مطلقاً؟

^١ - ابن العربي: تاريخ الرماح، ص ٢٨، الرهاوي المجهول: تاريخ الرهاوي المجهول، ص ٣٨.

^٢ - الرهاوي المجهول: تاريخ الرهاوي المجهول، ص ٣٨.

^٣ - ابن طيفور: تاريخ بغداد، ص ١٢٤.

فالعقوي والطيري وابن الأثير ذكروا اسم مانويل من دون أية تفاصيل، أما ابن خلدون فلم يذكر شيئاً عن مانويل، كما أن المؤرخ ابن خياط لم يتحدث مطلقاً عن حملات المأمون و
يذكر ولو إشارة بسيطة عنها.

لم يكن لمؤرخي العرب بشكل عام ليتوسعوا في ذكر تفاصيل الحملات، وأحداثها الداخلية، ولكن عندما ذكر البعض مانويل ولم يذكروا شيئاً عن دوره، فهذا يطرح تساؤلاً مهماً هو هل علم المؤرخون العرب بدور مانويل وبكيفية تعاونه مع المأمون بمساعدته في احتلال أراضي الإمبراطورية الرومية؟ ولم يذكر المؤرخون هذه الأحداث وقللوا من قيمتها على مبدأ أن مانويل ضحى على الخليفة المأمون، وكان أذكى منه في تقديره للأحداث، وهل كان مانويل يريد أن يظهر للإمبراطور توفيل بأنه قادر بعد هروبه من الإمبراطورية من كسب ود العدو اللدود والدائم للمسلمين ويلوح بهذه العلاقة بوجه الإمبراطور؟ ثم كيف استطاع أن يخدع الخليفة المأمون ويوهم بعلاقته الجيدة به؟ ويقوم المأمون بتصديقه وتسليمه قيادة ما فتحه من حصون، ومن ثم يهرب مانويل و يعود إلى الإمبراطور.

من هذه الحادثة غير موجودة، وتم اختلافاً من قبل المؤرخين اليونان، وتم نقلها كما هي العادة من مصدر إلى آخر، ليبين مدى ذكاء القادة البيزنطيين وقدرتهم على استعمال العدو الدائمة بين العرب والبيزنطيين والتحايل على خلفاء المسلمين وكسب ودهم؛ لتحقيق مصالحهم أولاً وأخيراً؟ وقصة مانويل تستدعي النظر إليها بعين الحيطة والحذر لعدم ثبات صحتها حتى الآن في المصادر.

وبما يلاحظ في هذه الحملة أيضاً بأن المأمون كان يسير على خطا آباءه وأجداده في العمل على وجود ولده معه في حربه ضد البيزنطيين، ليعمل على تصوير أولاده بأنهم قادرون على قيادة الأعمال الحربية، ولكن المأمون لم يكتف فقط بما حققه من نجاح في هذه الحملة، بل عدها بمنزلة التمهيد لحربه المنظمة والكبرى في العام التالي، لذلك توجه المأمون إلى دمشق، ليكون قريباً من منطقة الثغور، وليعيد تنظيم قواته لشن حملة ثانية على الروم البيزنطيين.

بعد هذا الانتصار الذي حققه المأمون على البيزنطيين شعر الإمبراطور ثيوفيل بالخزي، وأراد أن يعيد لدولته هيبتها ولشخصيته قوتها، فلم يقبل بهذه الهزيمة، وبعث عمل على الانتقام لتلك الهزيمة، ولذا جهز الإمبراطور ثيوفيل جيشاً كبيراً مزوداً بأفضل التجهيزات الحربية من عدة وعتاد، وتوجه هذا الجيش إلى الحدود الإسلامية وانقسم إلى قسمين، قسم توجه إلى شرقي المصبصة وطرسوس، وعمل الروم البيزنطيون على تخريب المدينتين بشكل كامل، وقتل الإمبراطور ثيوفيل ما يقارب الألفين من سكان المدينتين، والقسم الآخر من القوات البيزنطية توجه إلى حصص عرشة^(١) وتمكن هذا القسم من إلحاق هزيمة كبيرة بالقوة المسلمة الموجودة هناك، وكانت أعداد الأسرى العرب المسلمين الذين قام البيزنطيون بأسرهم ما يقارب (٢٥) ألف أسير.^(٢)

وعاد الإمبراطور ثيوفيل إلى القسطنطينية محتماً بانتصاره الكبير، خاصة وأنه منذ زمن بعيد لم يتمكن الروم البيزنطيون من أسر هذه الأعداد الهائلة من العرب المسلمين، وتم تحصيل

^(١) عرشة، يبدو أن ثغر عرشة كان تبعته في ذلك الوقت للمسلمين، وهذه حال عاليه الثغور وحصون وانقلاص مملكتها كأرجح بين العرب المسلمين والروم البيزنطيين.

^(٢) انصري. تاريخ الرسل والملوكة. الأردني: تاريخ اللوصل، ص ٤٠٥، ج ٨، ص ٦٢٥، ابن الأثير. كسح ج ٦ ص ٤١٨، ابن خلدون. تاريخ ابن خلدون، ج ٢، ص ١٥٦، هارطيف: العرب و الروم، ص ٩٦

استقبال ضخم للإمبراطور في القسطنطينية بحضور كبار الشخصيات البيزنطية الدينية و المدنية، وكان مع الإمبراطور موكب آخر لأسرى العرب المسلمين وللعائم التي حصل عليها البيزنطيون، ودلت (نجاح البيزنطيين و إظهار مدى قوة الإمبراطور، و قدرته على الانتقام لمرعته السابقة^(١) و لم يستمتع الإمبراطور كثيراً بانتصاره هذا، فسرعان ما كان عليه أن يعود للدفاع عن حدود دولته ضد هجوم الخليفة المأمون، فعندما علم المأمون بما قام به الإمبراطور من قتل وحبس و سبي في شرقي طرسوس والمصيصة، وما كان من موقف مانويل وحياته المسلمين، وبأن سكان الحصون التي فتحها في العام الماضي قد ثاروا ثانية على المسلمين و قتلوا أعداداً كبيرة منهم، فقد عمل المأمون على تجهيز جيش ضخم ضم ما يقارب مئتي ألف جندي، وكان مع المأمون في حملته هذه أخوه أبو إسحق المعتصم بالله وابنه العباس وعدد من القادة الأكفاء أمثال يحيى بن الأكرم^(٢).

وهكذا توجه الخليفة المأمون في عام ٨٢١٦ هـ / ٨٣١ م مختاراً الحدود إلى كبادوكيا، وهناك حاصر المأمون هرقله بعد أن عادت هذه المدينة إلى أيدي البيزنطيين، وهرقله أهمية إستراتيجية كبيرة في منطقة كبادوكيا، فهي من أمع مدنها وحصونها، و تمكن المأمون من دخول المدينة بعد حصارها، ثم تجاوزها وانتقل إلى مناطق متعددة، وها قرر المأمون تقسيم الجيش، لينمكس من

- مرید من اضماعیل عن احتضالات الإمبراطور ثيوفيل بانتصاره في عام ٨٢١٦ هـ / ٨٣١ م ينظر هاريليف العرب و الروم ص ٩٧-٩٨-٩٩-١٠٠.

^١ البقوي تاريخ البقوي، ج ٢ ص ٢٦٥، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٦٢٥، س لأثير النكس، ج ٦، ص ٤١٩، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٣ ص ٢٥٦، الرهاوي المجهول تاريخ الرهاوي المجهول، ص ٣٨-٣٩.

تحقيق انتصارات متعددة في وقت واحد، فقسم توجه من طوانة باتجاه المدد والحصون الأخرى وكان بقيادة يحيى بن الأكم^(١)، وقسم آخر من الجيش كان بقيادة الخليفة المأمون الذي توجه إلى إقليم المطامير ونمكس من فتح حوالي اثني عشر حصناً و مطمورة، و لإقليم المطامير، أهمية كبيرة خاصة وأن المطمورة كانت مكاناً لتخزين الحبوب و خاصة القمح فباستيلائه عليها يؤمن مخزوناً كبيراً من الحبوب لجيشه، وتوجه أبو إسحق أخو المأمون إلى داخل كبادوكيا، ونمكس من الاستيلاء على ما يقارب ثلاثين حصناً و مطمورة و منها "حصن جردلية" وتم تخريب هذه الحصون.^(٢)

أما القسم الآخر من الجيش الذي كان بقيادة العباس بن المأمون، فقد اصطدم مع قوات الإمبراطور ثيوفيل الذي توجه لمحاربة المسلمين، ولكنه أصيب بجرحه كبيرة على يد العباس، والذي

- يحيى بن الأكم: أبو محمد يحيى بن الأكم بن محمد بن قطر بن سماعيل بن مشيخ التميمي لأسدي المروزي من ولد أكم بن صبي التميمي حكيم العرب ، وقد اشتهر يحيى بجرته العسكرية وعلمه وقد قلده المأمون قضاء القضاة وتدير أهل مملكة بالبصرة، ابن حلكان : وفيات الأعيان، ج ٦، ص ١٤٧، الصفدي: تحفة دوي الأنساب ، ج ١، ص ٢٣٢.

١ - الجعفي. تاريخ الجعفي، ج ٢ ، ص ٢٦٥، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٦٢٥، لأردى. تاريخ الموصل ص ٤٠٥، ابن الأثير: الكامل ص ٤١٩ ، ابن حطاب: تاريخ ابن حطاب، ج ٣ ص ٢٥٦، ابن كثير. البداية والنهاية ج ١٠، ص ٢٧٨-٢٧٩، للقريري: القمى الكبير، ج ٤، ص ٢٨٦، انسيوطي تاريخ الخلفاء، ٣٠٨، تاريخ: العرب والروم ص ١٠١. الرهاوي المجهول تاريخ الرهاوي مجهول، ص ٣٩ ٤٠، يذكر المؤرخ السرياني ميخائيل بأن الحصن الذي توجه نحوه المأمون هو حصن لقلوب، ولم يملح في احتلاله، السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج ٣، ص ٤٠.

تكن من قتل أعداد كبيرة من جنود الإمبراطور وتكن من السيطرة على عدد من الحصون الرومية، الأبطيقيون، الأحرب، و حصين.^(١)

ويبدو أن الإمبراطور البيزنطي ثيوفيل لم تكن لديه الية المتابعة للحرب مع المسلمين أو حتى مواجهتهم، لذلك و منذ أن سمع بأن الخليفة المأمون احتار الحدود أرسل إلى المأمون وهو في أذنة سعيرو رومياً عرض على المأمون رسالة من الإمبراطور، يعرض فيها على المأمون إطلاق سراح خمسة أسير و قد بدأ الإمبراطور الرسالة باسمه، إلا أن المأمون رفض طلب الإمبراطور ثيوفيل، فكان لزاماً على الإمبراطور أن يعمل على الدفاع عن حدوده و لكن من دون فائدة.^(٢)

و لم تذكر بعض المصادر بشكل واضح أن الإمبراطور ثيوفيل عرض على المأمون فتح الأسمري والهدنة و لم تذكر أيضاً مدتها، و إنما ذكرت فقط بأن الإمبراطور ثيوفيل أرسل كتاباً للمأمون بداه بعينه، لذلك غضب المأمون، و تذكر المصادر بأن سبب حملة المأمون في هذا العام غضبه من الإمبراطور من طريقة الكتاب الذي أرسله للمأمون، ولم تذكر المصادر مضمون الكتاب، فهل وصل للمأمون كتابان من الإمبراطور ثيوفيل، وبسببهما توجه المأمون نحو الحدود؟ أم أن الكتاب الثاني وصل إلى المأمون بعد أن دخل المأمون الأراضي البيزنطية؟^(٣)

- انيقوي. تاريخ انيقوي ج ٢ ص ٤٦٥. هاريليف: العرب والروم ص ١٠٣ العربي النبوة ببيزطية ص ٢٨٠. مؤلف مجهول: الميون والحدائق ص ٣٧٥.

^١ - انصيري. تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٦٢٥. هاريليف: العرب و الروم ص ١٠٤ ابن الأثير الكامل، ج ٦، ص ٤١٩. مؤلف مجهول: الميون و الحدائق ص ٣٧٤-٣٧٥.

^٢ - انصيري. تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٦٢٥، ابن الأثير: الكامل ج ٦ ص ٤١٩، مؤلف مجهول الميون و الحدائق ص ٣٧٤-٣٧٥، هاريلي: عصر المأمون، ج ١ ص ٢٩١.

وهذا السبب (الكتاب) لا يمكن أن يكون هو السبب الحقيقي لحملة المأمون في هذا العام، ولكن ربما أراد المؤرخون أن يقاربوا بين ما حصل مع الخليفة هارون الرشيد و الإمبراطور بقعور الذي أساء للرشيد في كتابه، وشي الرشيد حملته عليه، واستولى بها علي هرقلة، مع ما حصل بين المأمون وثيوفيل من خلال هذا الكتاب، و هناك مصادر أخرى تذكر بأن الإمبراطور ثيوفيل أرسل للمأمون كتاباً مع العالم الحوي جان يعرض عليه مئة ألف دينار، وفك الأسرى وعددهم سبعة آلاف أسير وأن يترك للمأمون الحصون و المدن التي استولى عليها، وأن يعقد الطرفان هدنة مدتها خمس سنوات.^(١)

و لم يرد المأمون على كتاب الإمبراطور هذا، وإنما تابع مسيره إلى كيسوم، ومن ثم إلى دمشق، وعلى الأرجح بأن الخليفة المأمون وردة كتابان من الإمبراطور ثيوفيل، الأول عندما سمع الإمبراطور بأن الخليفة قد جمع جيوشه وتوجه إلى الأراضي الرومية، والثاني بعد أن تمكن المأمون من السيطرة على هرقلة وعلى عدد كبير من الحصون الرومية.

أما موقف الإمبراطور ثيوفيل هذا، فيرجع إلى أن الإمبراطور لم يكن في وضع يسمح له بأن يعنتج جبهتين مع المسلمين، جبهة في الأندلس، و الأخرى مع المأمون.

أما المصادر اليونانية، فتذكر بأن الخليفة المأمون ردّ على الإمبراطور ثيوفيل بكتاب جاء فيه: إني مبرم الصلح بشرط أن تناقوا بي ملكاً عليكم، أما الضريبة، كثيرة أم قليلة، فلست أعارضكم فيها، و لم يرد الإمبراطور على كتاب المأمون هذا.^(٢)

^١ - الحقوقي: تاريخ الحقوقي، ص ٤٦٥.

^٢ - السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني، ج ٢، ص ٤١، ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ٢٨.

لا يمكن هنا تصديق هذا الكتاب أو تكذيبه، خاصة و أن المصادر العربية لم تذكر هذا الكتاب، لذلك يجب أخذ هذه الرواية بحذر إلى أن تظهر مصادر أخرى تؤكد لها أو تنفيها، وتذكر المصادر اليهودية بأنه كان من نتائج هذه الحملة أن أمر المأمون بذبح ما يقارب عشرين ألف شخص، وبيع سباهم وأولادهم في معسكر للمسلمين، وحبس أموالهم، أما فيما يتعلق بالمدن والحصون والقرى التي سيطر عليها المسلمون، فقد عمل المأمون و قادته على تدمير أسوار المدن وحرق القرى والحصون، وهدم كل ما يمكن أن يستعمله البيزنطيون للدفاع عن مدعهم أو للتحصن بها.^(١)

ويلاحظ هنا بأن المأمون عمل على صرب الحياة الاقتصادية و المعيشية في هذه المدن و الحصون، لكي لا يتمكن البيزنطيون من إعادة إعمار ما هُدم إلا بعد مدة طويلة، أما بالنسبة إلى قيام المسلمين بقتل البيزنطيين، فهذا العدد من الممكن أن يكون مبالغاً فيه، فإذا أراد المسلمون أن يقتلوا البيزنطيين، فإنهم يقتلون أعداداً، ليسروا الخوف والرعب في قلوب السكان، ولكنهم يتركون الباقي معهم كأسرى، لتكون ورقة في يدهم، يعاوضوا من خلالها كما جرت العادة.

وهكذا وبعد هذه الانتصارات الكبيرة التي حققها الخليفة المأمون وجيشه عاد إلى كيسوم، بسبب قدوم الشتاء، خاصة و أن المسلمين يفضلون أن تكون غزواتهم في الصيف والربيع، لتمكنوا من تأمين الماء والكلأ لجيادهم، ولأنهم يفضلون الطقس المعتدل على الطقس البارد، وبعد ذلك عاد الخليفة المأمون إلى دمشق.^(٢)

^١ - الرحاوي المجهول: تاريخ الرحاوي المجهول من ٣٨-٣٩.

^٢ - ابن عسكوي تاريخ البقوي ص ٤٦٦. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٦٢٥ ابن الأثير الكشي،

ج ٩، ص ٤١٩. ابن عسكوي: تاريخ ابن عسكوي، ج ٢، ص ٢٥٦.

« يكس المأمون يرغب في أن يهيئ حربه قبل أن يحقق هدفه وطموحه، وهو التوجه إلى القسطنطينية، لذلك ما إن سحقت له الفرصة، واستتب الوضع الداخلي للضطرب في مصر^(١)، حتى عمل على تجهيز الجيوش من جديد والتحضير لحرب طويلة، كان الهدف منها الاستيلاء على أرض الروم البيزنطيين، وتوطين العرب المسلمين فيها، وهذا ما يثبت قوله حين جهر لحملته هذه: ((أوجه إلى العرب، فأني بهم من البوادي، ثم أنزلهم كل مدينة افتتحها حتى أصرب إلى القسطنطينية)).^(٢)

ولهذا، العرض أعد المأمون العدة، فجهز جيشاً كبيراً، وقام بعرض الأموال والقمع والثيران والجمال على كل المدن، وعاصمة مدن الجزيرة العراتية، وبلاد الشام، لتموين الجيش الذي سيتوجه نحو بلاد الروم البيزنطيين، ولأن طموح المأمون كان يكمن في توطين العرب المسلمين في المدن البيزنطية، فقد أخذ معه أعداداً كبيرة من الصاعيين و البائين والعمال من مختلف المدن لشعبه غنططه.^(٣)

- كان مصر تعاني من مشاكل واضطرابات داخلية كثيرة، فقد ثار الأقباط في مصر بسبب الضرائب الباهظة المفروضة عليهم، كما أنهم كانوا معرضين للعديد من القيود فقد كانوا عرضة للسطب والنهب، كما كانت كنائسهم عرضة للهدم وعاصمة أثناء ثورتهم ضد العباسيين بالإضاعة إلى سيطرة جماعة من عرب لأندلس المنفيين عن ديارهم على مياه الإسكندرية، هاروث: العباسيون الأوائل، ص ١٦٦، كامل تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ص ٧٩.

^١ ابن عثوني. تاريخ البعثوني ج ٢ ص ٤٦٩، المش: تاريخ الخلافة العباسية، ص ٩٧، رمعي عصر المأمون، ج ١، ص ٢٩٢.

^٢ مؤلف مجهول. العيون والحدائق، ص ٣٧٥، السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج ٣ ص ٤١، الرهاوي المجهول: تاريخ الرهاوي المجهول، ص ٣٩.

وبعد هذه التحيزات توجه المأمون في عام ٢١٧ هـ / ٨٢٢ م بجيش عرمرم يتجاوز عدد أفرادهِ مئتي ألف رجل، وها أيضاً يتابع المؤرخون عادتهم في تضخيم عدد أفراد الجيش العربي الإسلامي لیسوا أهمية العمل الذي يقوم به هذا الجيش، و أخذ الخليفة المأمون معه أولاده وإخوانه وأقاربه وصافة إلى عدد من القادة الأقوياء المشهورين في دولته ، وتوجه بجيشه الضخم إلى أن وصل حصن لؤلؤة، فحاصره ما يقارب مئة يوم.^(١)

فلماذا اختار الخليفة المأمون حصن لؤلؤة بالتحديد كي يكون الهدف الرئيس لحملة؟ إن لؤلؤة تعد منطقة حصينة لها أهمية كبيرة، كونها نقطة متوسطة على طريق منطقة كبلبك بين طرسوس والطوانة، وعندما يسيطر عليها يتمكن المأمون من السيطرة على منطقة دروب كبلبك.^(٢)

وعمل المأمون على تشديد الحصار على حصن لؤلؤة، ولكنه لم يتمكن من فتحه أو السيطرة عليه، أو حتى عقد صلح مع أهالي الحصن، و لذلك أصر الخليفة المأمون على السيطرة عليه وإسقاطه ولأجل هذا أمر ببناء حصنين يحيطان بحصن لؤلؤة، الحصن الأول: كان بقيادة أخيه أبي إسحاق والثاني: كان بقيادة قائد يدعى جيلة، و قام أبو إسحاق بوضع محمد بن العرح بن أبي العرح بن أبي اللبث بدلاً عنه في قيادة الحصن ربما ليتوجه إلى أخيه المأمون في سلجوس، وأشرف على قيادة القوات الموجودة، لحصار لؤلؤة القائد عفيف بن عتبة، وترك المأمون لؤلؤة بعد أن

انصري تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٦٢٧، الأردني: تاريخ اللوصل ، ص ٤٠٨، ابن الأثير الكامل،

ج ٦، ص ٤٢١، القريزي: المقفى الكبير، ج ٤، ص ٢٨٧.

^١ - لستريج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٦٦-١٦٧

أصابه القائد أحمد بن سبطام ليتابع مهمة الإشراف على القوات العربية المسلمة، وتوجه مع قوات أخرى نحو سلحوس ليكمل خطته في السيطرة على المدن والحصون البيزنطية.^(١)

ونكس أهل لؤلؤة من أسر القائد عحيق في أثناء الاشتباك مع عدد من الجنود البيزنطيين وأرسلوا إلى الإمبراطور ثيوفيل يلعبونه بأسرهم عحيق، ويطلبون العون منه، سارع الإمبراطور ثيوفيل بحش صخم لمواجهة به المسلمين معتقداً بأنه سيتمكن من هزيمة العرب المسلمين بعد أن تم أسر عحيق، ولكن الخليفة المأمون عندما علم بقدوم ثيوفيل أرسل للقوات العربية المرابطة في الحصين المهيطن بحصن لؤلؤة بالتوجه للتصدي للإمبراطور وقواته، وبالفعل تمكنت قوات التحصينات الموجودة من هزيمة الإمبراطور وقواته، والاستيلاء على غنائم كثيرة كانت بحوزة البيزنطيين، وها وصلت الأنباء إلى حاكم لؤلؤة بأن الإمبراطور ثيوفيل قد هزم، وهكذا فقد الحاكم أي أمل بمساعدة البيزنطيين له خاصة وأن المأمون كان قد مع دخول الطعام والمؤن للحصن، فسيطر الجوع والضعف على أهل الحصن، فرأى أن يتفاوض مع الأسير لديه، وهو القائد عحيق بأن يمنحه حريته على أن يعطي المأمون الأمان لأهل لؤلؤة، وحدث هذا بالفعل، واستنوى المسلمون على الحصن وأسكنه المأمون بالقوات العربية المسلمة.^(٢)

^١ - مؤلف مجهول: الميرون والحدائق ص ٣٧٥، هاريليف: العرب والروم ص ١٠٧.

^٢ انصيري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٦٢٩، الأردني: تاريخ اللوصل، ص ٤١٨ ابن الأثير: الكامل، ج ١٩، ص ٤٢١، مؤلف مجهول: الميرون والحدائق، ص ٣٧٥. ابن علقون: تاريخ ابن علقون، ج ٢، ص ٢٥٩، هاريليف: العرب والروم، ص ١٠٧، العربي: الدولة البيزنطية ص ٢٨٠.

كان المأمون ينتهج سياسة مختلفة عما سبقه من خلفاء بني العباس، فقد كان يهدف إلى توطيد القبائل العربية والعمل على استقرارها في المناطق المستولى عليها من الأراضي البيزنطية، لذلك فإنه عندما كان يستولي على مكان ما كان يعمل على إقامتهم هناك وجعل هذا المكان موطناً لهم^(١) وهكذا، بحيث خطة المأمون بالعمل على إسقاط الحصص اقتصادياً، فبعد أن يتم تدمير البنى التحتية للحصص لن تتمكن القوات للرباطة هناك من متابعة المقاومة، ولذلك فقد وجد حاكم لؤلؤة بالقائد الأسير لديه النقد الذي سيساعدهم في إنقاذ الحصص من التدمير، وقبل المأمون عرض حاكم لؤلؤة لأنه لم يكن يرغب بتدمير مثل هذا الحصص الاستراتيجية، بل كان يرغب في الاستعادة منه.

يلاحظ في حصار المسلمين لحصص لؤلؤة و السيطرة عليه، بأن المؤرخين السريان لم يذكروا تفاصيل حصار حصص لؤلؤة وكيفية الاستيلاء عليه، ولكن يلاحظ بأنه تم ذكر حصص آخر يدعى لقلون، وبأن عفيف هو من حاصره، ثم استسلم له الحصص ولكن يختلف المؤرخون السريان في تحديد العام، فيذكرون بأنه كان قبل عامين من تاريخ الحصار^(٢)، أما الكتاب الثاني لابن العربي، فهو يذكر تفاصيل حصار لؤلؤة والسيطرة عليه، وأسر القائد عفيف، ومن ثم سيطرة المسلمين على الحصص، وبما أن أسلوب المؤرخين هو نقل الأخبار عما سبقهم من

ابنعتوي تاريخ البعتوي، ج٢، ص٤٦٥ - ٤٧٠، ركاز: التاريخ العباسي، ص٧٢، العث تاريخ عصر الخلافة العباسية، ص٩٧.

^١ - السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني، ج٣، ص٤١.

المؤرخين، فقد تناقل المؤرخون السريان هذه الحادثة و أشاروا إلى أن عحيق حاصر لقلوب و من ثم استسلم الحصن.^(١)

وتجدر الإشارة إلى أن المؤرخين السريان ذكروا بأن المأمون قام بجمع العمال و البائسين وأعد جيشاً ضخماً للتوجه إلى بلاد البيزنطيين و لكن لباء مدينة الطونة.^(٢) وهذا يجب على القارئ أحد الرواية العربية و التاريخ العربي الدقيق، و ذلك لأن المؤرخين العرب المسلمين يذكرون الأفعال التي يقوم بها الخلفاء بدقة متناهية.

بعد هذا الانتصار الذي حققه العرب المسلمون بالاستيلاء على لؤلؤة، أحسن الإمبراطور البيزنطي ثيوفيل بأن الخليفة المأمون لم يقف عند هذا الحد بل سيعمل جاهداً للاستيلاء على أكبر قدر ممكن من الأراضي البيزنطية، لذلك فكّر بأن يرسل للخليفة المأمون الرسل للتفاوض معه و عرض عليه الصلح والعديّة وجاء في الكتاب الذي أرسله الإمبراطور ثيوفيل للخليفة المأمون وبداية بعينه ((أما بعد فإن اجتماع المختلفين على حظههما أولى بما في الرأي مما عاد بالضرر عليهما ولست حرباً أن تذرّح لحظ يصل إلى غيرك حظاً تحوره إلى نفسك وفي علمك كافٍ عن إخبارك وقد كنت كتبت إليك داعياً إلى المسالمة رغبة في فضيلة المهادنة لتصح أروار الحرب عما ويكون كل واحد لكن واحد ولياً وحرباً مع اتصال للرافق والفسح في المتاجر وفك المستأثر وأمن الطرق والبيضة، فإن أبيت فلا أدب لك في الخسر ولا أعرف لك في القول غايي لخائض إليك غمارها

^١ - ابن العربي: تاريخ الرماح ص ٢٨.

^٢ السرياني تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج ٢، ص ٤٩، الرهاوي المجهول تاريخ الرهاوي مجهول، ص ٢٢، ابن العربي: تاريخ الرماح ص ٢٨.

أحد عليك أسداها شأن خيلها ورجالها وإن أفعل فبعد أن قدمت المذخرة وأقمْتُ بيبي ويسث علم المحجة والسلام)).

بعد وصول الكتاب للمأمون رد عليه بكتاب آخر جاء فيه ((أما بعد فقد بلغني كتابك فيما سألت من الهدية ودعوت إليه من المواعدة وخلطت فيه من اللين والشدة مما استعطت به من شرح المناجر واتصال المرافق وفك الأسارى ورفع القتل والقتال فلولا ما رجعتُ إليه من إعمال التؤدة و الأعد بالخط في قلب المكرة وألا أعتقد الرأي في مستقبله إلا في استصلاح ما أوترته في معتقبي لمعت جواب كتابك خيلاً تحمل رجالاً من أهل البأس والحدة والبصرة يارعوكم عن ثكلكم ويتقربون إلى الله بدمائكم ويستقلون في ذات الله ما نالهم من ألم شوكتكم ثم أوصى إليهم من الإمداد وأبلغ لهم كافياً من العدة والعتاد هم أظما إلى موارد الدنيا مسكم إلى السلامة من مخوف ممرهم عليكم موعدهم إحدى الحسنى عاجل غلبة أو كرم منقلب غير إني رأيت أن أتقدم إليك بالوعظة التي يثبت الله بها عليك المحجة من الدعاء لك ولم معك إلى الوحدة والشرعية الخيرية فإن أبيت فهدية توجب ذمة وثبت نظرة وإن تركت ذلك فعي يقين المعايمة لبعوث ما يعني عن الإبلاغ في القول والإغراق في الصفة والسلام على من اتبع الهدى)).^(١)

وهناك خلاف حول من جاء بالكتاب للمأمون، فالبعض يذكر بأن من حمل الكتاب للمأمون هو وزير الإمبراطور و يدعى "صقيل"^(٢). والبعض الآخر يذكر بأن أحد خصيان الإمبراطور هو

^١ نصري. تاريخ الرسل والملوك، ج ٩، ص ٢٨٢.

^٢ لأردي. تاريخ الموصل، ص ٤٠٨.

من حمل الكتاب^(١)، وعلى الأرجح بأن من حمل الكتاب إلى الخليفة المأمون كان وزير
الإمبراطور ثيوفيل، وذلك لأن الخلفاء المسلمين كانوا يدققون كثيراً على الشخصيات التي تحمل
هم مثل هذه اللبائذات، و يظنون بشكل كبير لمكاتهم، أما عن نسخة الكتاب، فيلاحظ بأن
الإمبراطور البيزنطي ثيوفيل كان يرغب و بحدية أن تتوقف الحرب بين الطرفين، ودلت لعدم
قدرته على خوض غمارها، خاصة و أن العرب المسلمين كانوا قد سيطروا وبشكل كبير على
عدة أماكن ذات أهمية إستراتيجية بالنسبة للبيزنطيين، ولذلك جاء كتابه وهو يحمل في طياته شيئاً
من اللين .

أما عن رد المأمون و ما تضمنه خطابه، فيلاحظ بأن ما طلبه المأمون من الإمبراطور وهو الدخول
في الإسلام نوع من أنواع التهكم، فمس غير الممكن أن يقبل الإمبراطور بمثل هذا الطلب، و يبدو
بأن المأمون كان واثقاً بأن الإمبراطور لن يقبل عرضه، كما أن الخليفة المأمون كان قد أعد العدة
لاستكمال خطته التي رسمها، وهي الوصول إلى عمورية، ومن ثم إلى العاصمة البيزنطية
القسطنطينية.

ولذلك لم يكن البيزنطيون قد أفاقوا من صدمة استيلاء المسلمين على لؤلؤة حتى طلب الخليفة
المأمون من ولده العباس التوجه إلى الطوانة، و إعادة بنائها بشكل قوي ومتين، لتكون حصناً
مهيئاً قوياً يتمكنون من خلاله إرسال القوات باتجاه العاصمة البيزنطية.

وبالمثل توجه العباس في العام ٢١٨ هـ / ٨٣٣م باتجاه الطوانة، لإعادة بنائها وتحصينها، أخذ معه
العمار واليانيين والحرفيين وبدؤوا ببناء المدينة وقد بلغت مساحة الطوانة ميلاً عربياً مربعاً،

^١ - تاريخ: العرب و الروم، ص ١٠٨.

وأحيطت المدينة بسور امتداده ثلاثة فراسخ^(١)، وكان للسور أربعة أبواب على كل باب حصص لحماية المدينة.^(٢)

كان المأمون يأمل في أن يسكن الطوالة بالمسلمين، لذلك بدأ يعرض على البلاد الإسلامية إرسال الجنود لإسكان الطوالة والإعداد لحملة جديدة للاتجاه نحو العاصمة البيزنطية، وهذا كتب الخليفة المأمون بن أخيه أبي إسحاق بأن يعرض أربعة آلاف رجل على كل من فلسطين ودمشق وحصص والأردن، وبأن يعطى لكل فارس منهم مئة درهم، و لكلّ راجل أربعين درهماً، وأرسل إلى مصر وفرض عليهم إرسال العرساء، كذلك أرسل إلى الجزيرة و بغداد و قيسريين و أخذ منهم ألف رجل، و بعد أن تجمعت هذه الأعداد توجه قسم من هؤلاء العرساء نحو الطوالة، ليكنوا تحت إمرة العباس بن المأمون، ولدى توجه العباس إلى الطوالة دعا الروم البيزنطيين الموجودين بها إلى الإسلام، أو الجزية، أو السيف، فقبل البعض دفع الجزية، أما القسم الذي بقي مع المأمون ، فلا يعلم إن كان أسلم هذا القسم أم أن المأمون أخذهم معه كأسرى ، وقد توجه إلى داخل الأراضي البيزنطية.^(٣)

- الفرسنج: مقياس من مقياس الطول يقدر ثلاثة أميال أو ثمانية عشر ألف قدم، الجوهرى: الصحاح في اللغة والمعجم، ج ١، ص ٢٢٢.

^١ - الطبري. تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٢٩٥ ، الأردني. تاريخ الموصل ص ٤١٢ ، المسعودي: مروج الذهب، ج ٣، ص ٤٥٨، ابن الأثير. الكامل، ج ٦، ص ٤٤٠-٤٤١، ابن كثير البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٢٨٨، السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج ٣ ص ٤٢، ابن مسكويه: تجارب الأمم ص ٤٦٤.

^٢ - لأردني. تاريخ الموصل ص ٤١٢ ، ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٤٤٠-٤٤١، ابن علقون. تاريخ خلفون، ج ٣، ص ٢٥٦ ، ابن مسكويه: تجارب الأمم، ص ٤٦٤، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٢٠٨، السرياني تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج ٣ ص ٤٢، الوكيل (محمد السيد): العصر الذهبي للدولة العباسية، دمشق، دار انقشمة بيروت، الدار الشامية، ١٩٩٨م، ص ٢٧٢.

كان الإمبراطور ثيوفيل ما يزال يرغب في أن يتم عقد هدنة بين الطرفين العربي المسلم والبيزنطي، وأن يحفظ مصه و شعبه من خوض غمار حرب جديدة لا تعرف ما هي نتائجها، لذلك وجه إلى الخليفة المأمون خطاباً يعرض عليه بأن يتكفل الإمبراطور بإعادة بعثات حملة المأمون كاملة، وأن يعث ما لديه من أسرى من دون فداء، وأن يقوم البيزنطيون بإصلاح ما هدم و حرب من شعور العرب المسلمين، بشرط أن يوقف المأمون الحرب ضد البيزنطيين، و كالعادة رفض الخليفة المأمون عرض الإمبراطور ثيوفيل، و أرسل له مع الرسول البيزنطي قوله: "أما عرضت عن رد البعثات فإني أتبع ما جاء في كتابه تعالى على لسان بلقيس" و إني مرسله بمهدية مسطرة م يرجع لمرسلون، فلما جاء سليمان قال أتمدوني بما لك فما آتاني الله خير مما أناكم بل أنتم بمهديتكم تعرجون". أما ما عرضت من فك جميع من في أرض الروم من أسرى المسلمين، فليس لديك إلا أحد رجلين رجل أراد الله و الدار الآخرة قد أناله الله ما نعى، أو رجل أراد عرض الدنيا، فليس يعكك الله، أما ما عرضت من إصلاح ما خرب الروم من أرض المسلمين، فإني إن خربت أرض الروم إلى آخر حجر لم يحز ذلك في الثأر، و لا امرأة عثرت بعقلها فصرخت و محمد و محمد، ارجع إلى سيدك وليس بيني و بينه إلا السيف يا غلام اضرب الطبول".^(١)

بعد أن رفض الخليفة المأمون عرض الإمبراطور ثيوفيل، و أرسل جيوشه، و قد تمكن من الاستيلاء على عدد من الحصون (لم يتم ذكر أسماء هذه الحصون)^(٢)، و لكن المأمون لم تساعده الظروف لاستكمال مشروعه، فقد مرض مرضاً شديداً في البذندون، و من ثم توفي في عام

^١ - السموذي: مروج الذهب، ج٣، ص ٤٥٥-٤٥٦.

^٢ - هارزليفت: العرب و الروم ص ١١١، الوكيل: العصر الذهبي للدولة العباسية ص ٢٧٩.

٢١٨ هـ / ٨٢٣ م، ودفن في طرسوس في دار كانت لخاقان خادم الرشيد ووضعوا على الدار مئة رجل من أهل طرسوس وغيرهم لحراسة القبر.^(١)

بعد أن توفي المأمون تسلم عرش الخلافة الإسلامية أخوه أبو إسحاق و لقب بالمتعصم بالله ، وكان أول عمل قام به المتعصم بعد تسلمه الخلافة أن أمر بتخريب ما أمر المأمون بعمارته وبناؤه في مدينة الطونة ، و من ثم عمل على تحميل السلاح و الآلات التي أحضرها المأمون معه، و عمل على إحراق ما لم يستطع حمله من معدات و طعام و مؤن، وأعاد المتعصم الناس إلى بلادهم بعد أن كان يأمل في إسكانهم الطونة، و من ثم عاد إلى بغداد.^(٢)

ويبدو أن المتعصم قام بذلك لأنه لم يكن في وضع يسمح له في متابعة ما قام به المأمون على الجبهة الخارجية، فهو خليفة جديد عليه بداية أن يظم أمور دولته الداخلية بعد وفاة أخيه المأمون ومن ثم يلتفت للجبهة الخارجية مع البيزنطيين.

كما سبق يلاحظ بأنه في السنوات الأخيرة من حياة الخليفة المأمون كان يحاول خلالها أن يعيد ما فقدته هبة الخلافة العباسية من أخبار انتصارات المسلمين على العدو الرئيس الدولة البيزنطية، كما ويلاحظ بأن الخليفة المأمون ورث عن أبيه الخليفة هارون الرشيد الكبرياء و العفوان اللذين امتاز بهما الخلفاء العباسيون وتحمس ذلك في رفضهم لطلبات الأباطرة البيزنطيين في الصلح، والعمل على استغلال مواقف ضعفهم في السيطرة على حصونهم و قلاعهم.

١ - السعدي النسيب والإشراف، ص ٣٠٤، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٢٩٥، ابن الأثير: نكت من ص ٤١١، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٢٨٨، مؤلف مجهول: العيون و الحقائق ص ٤٦٧، الأربلي: خلاصة الذهب السبوك، ص ٢٢١، حتى: تاريخ العرب، ج ٢، ص ٣٧٣.

٢ - السعدي: مروج الذهب، ج ٣، ص ٤٥٧، ابن الأثير: الكامل ج ٩ ص ٤٣٩، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٢٨٩، ابن مسكويه: تحارب الأمم ص ٤٧٠.

كما وتغير الخليفة المأمون بحولية حرية كانت تهدف وتخطط بشكل منظم للسيطرة على العاصمة البيزنطية، ولكن المية وافته قبل أن فلم يتمكن من تحقيق حلمه، في إسكان العرب في المدن البيزنطية، ويلاحظ أنه في عصر الخليفة المأمون، بدأ العصر التركي يظهر بشكل واضح في قيادة الحملات العسكرية، ونما يثر الاستعراب بأن هناك عدداً من المؤرخين والكتاب كانوا يردون سبب توجه المأمون إلى الحرب مع الروم البيزنطيين هو العالم ليون، حين علم المأمون بوجود عام مدع يدعى ليون موجود في القسطنطينية، وعرف عن المأمون حبه و تعلقه الكبير بالعلوم الرياضية، لذلك طلب الخليفة المأمون رؤية العالم ليون، إلا أن الإمبراطور ثيوفيل رفض طلب المأمون، لذلك تأثر الخليفة المأمون وأعلن الحرب^(١). و هذا سبب غير منطقي، وإنما يدور على قصر في نظر من أخذ بهذه الرواية ، مما دفعهم إلى اختلاق الأسباب الواهية، لعدم قدرتهم على البحث عن السبب الحقيقي.

أما البعض الآخر فيذكر بأن الحرب قامت فحاة من دون سابق إنذار أو سبب واضح^(٢)، وينقل الكثير من المؤلفين الأحداث هكذا، وهذا أيضاً غير منطقي، ويبدو أن إهمال المأمون للجهة الخارجية جعل المؤلفين يسمون واجب الجهاد الإسلامي المفروض على كل مسلم، لحماية حدود دولته وأمنها، وبالفعل أهمل الخليفة المأمون الجانب الحدودي لدولته، ولكن حتى نتمكن من تنظيم أمور دولته الداخلية ، وقد عمل جاهداً على توجيه حملات منظمة و دقيقة وناجحة إلى عمق الدولة البيزنطية.

^١ - سبنو: تاريخ العرب ، ص ١٨٨.

^٢ - العربي: الدولة البيزنطية ، ص ٢٧٧.

ثالثاً : العلاقات العباسية البيزنطية السياسية والعسكرية زمن الخليفة المعتصم بالله

٥٢١٨ هـ / ٨٣٣ م.

تسلم أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد الملقب بالمعتصم عرش الخلافة الإسلامية في عام ٥٢١٨ هـ / ٨٣٣ م، و منذ اليوم الأول لاستلامه رمام الحكم و السلطة، بدأت الأزمات الداخلية والاضطرابات تتطور في أرجاء البلاد الإسلامية، فمن رفض عدد من القادة والجند مبايعة المعتصم، والمطالبة بابن المأمون العباس خليفة لأبيه، إلى خروج الخرمية^(١) وانتشارهم بشكل كبير، ومن ثم ثورة الرط وما ترتب عليها من ضغط على الخلافة، و ما إلى ذلك من الثورات الداخلية التي انتشرت في أنحاء الدولة بأكملها، لذلك عمد الخليفة الجديد المعتصم بالله منذ البداية إلى العمل على التخلص من هذه الثورات، مما أثر على سياسته الخارجية، إذ لم يهتم كثيراً بالأحداث خارج حدود دولته، بل كان همه الأكبر محاولة نشر الهدوء في أنحاء دولته.^(٢)

وفي الجانب الآخر كان الإمبراطور البيزنطي ثيوفيل في وضع غير جيد ، فقد كان يعمل على استعادة صقلية من المسلمين، لذلك لم يسع لاستغلال الأوضاع الداخلية المضطربة للخلافة العباسية ومهاجمة حدودهم.^(٣)

^١ - سبتم الحديث عن الخرمية في الفصل الرابع من الرسالة.

^٢ - بعتوني تاريخ البعثوني، ج٢ ص٤٧١، ابن عياط: تاريخ خليفة بن عياط، ص٤٧٥-٤٧٦، لأردى. تاريخ بوض، ص٤١٥، الجوزي: المنتظم، ج١١ ص٢٥. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤ ص٤٨، شعبي سر اعلام النبلاء، ج١٠ ص٢٩٠، السوطي: تاريخ الخلفاء، ص٣٩٩.

^٣ - لمريد من التعاصيل حول حرب صقلية ينظر هاريليف: العرب و الروم، ص١٢٩ وما بعدها.

ويلاحظ في السوات الأولى لحكم الخليفة المعتصم أن هناك اختلافاً في الروايات التاريخية حول ما قام به المسلمون من غارات باتجاه الحدود الإسلامية البيزنطية، و هناك مصدر وحيد يذكر بأن الخمس بن مصعب غزا بلاد الروم البيزنطيين في عام ٢٢٠هـ / ٨٣٤م، و لكنه لم يسجح في غزوته هذه، وإنما أسر مع جيشه.^(١)

و لم يتم تحديد المنطقة التي توجه إليها الخمس، كما أن المصادر العربية الأخرى و حتى اليهودية لم تذكر مثل هذه الحادثة. وعلى الرغم من ذلك لا يمكن نفي هذه الحادثة، فهناك العديد من الغزوات التي لم يرد ذكرها إلا في مصدر واحد، فإن كانت وقعت هذه الغزوة فإن المؤرخين العرب كالطبري، وابن الأثير، وغيرهم لم يذكروها، ربما لاهتمامهم أكثر بالأحداث الداخلية التي كانت تجري في تلك السوات، ومن المرجح أن غزوة الخمس بن مصعب باتجاه الروم البيزنطيين كانت ردّاً على الهجوم الذي قام به البيزنطيون باتجاه ثغر عين رربة، فقد كان الخليفة المعتصم بالله قد نقل أعداداً كثيرة من الزط إلى ثغر عين رربة، و هناك تعايشوا مع أهلها واستوطنوا بها، وقد تعرض أهل الثغر، والزط الموجودون هناك إلى القتل والسي، وكان ذلك في العام ٢٢٠هـ / ٨٣٤م.^(٢)

وما أيضاً يلاحظ الأمر ذاته، وهو أنه هذا هو المصدر الوحيد الذي ذكر هذه الحادثة، وهجوم البيزنطيين على عين رربة، وكما ذكر سابقاً بأنه لا يمكن نفي هذه الحادثة أو تأكيدها حين صدور وثائق أخرى تثبت أو تنفي ذلك.

^١ - ابن حباط: تاريخ خليفة بن حباط، ص ٤٧٦.

^٢ - مؤلف مجهول: العيون و الحقائق، ص ٤٧٢.

بالإضافة إلى أن المصادر السريانية تذكر حادثة أخرى، لتوجه عدد من جنود ملطية وأبنائها في عروة باتجاه الروم البيزنطيين، فقد قام شخص يدعى عمر (ربما كان المسؤول الإداري والعسكري عنها، والبعض يذكر بأنه صاحب ملطية، وربما كان قائد الجند المربطين في ملطية) وعدد من أبناء ملطية بإنشاء كمائن على الحدود الإسلامية البيزنطية للروم البيزنطيين، ولكن الإمبراطور ثيوفيل استطاع أن يواجههم و يتمكن من هزيمتهم في البداية، إلا أن العرب المسلمين لم يستسلموا وعملوا على جمع قواهم من جديد، وتنظيم أمورهم، ومن ثم توجهوا نحو الروم البيزنطيين واستطاعوا تحقيق انتصار بامر عليهم، وقتل العديد منهم، وعندما أحس الإمبراطور ثيوفيل بأنه لن يستطيع مقاومتهم، هرب مع عدد من حاشيته وجنوده، وهما تمكن العرب المسلمون من الدخول إلى معسكره، والاستيلاء على كل ممتلكاته حتى ثيابه وفراشه وأمواله، وكانت هذه الحادثة في العام ٥٢١هـ / ٨٣٥م.^(١)

لم يرد ذكر هذه الحادثة في المصادر العربية، وربما يعود السبب كما ذكر من قبل لاهتمام المصادر العربية في هذه السنوات بالأحداث الداخلية التي كانت تجري في شتى أنحاء الخلافة الإسلامية. ولكن من المرجح بأن مثل هذه الحادثة قد وقعت بالفعل، لأن المصادر اليونانية لم تكن لتذكر مثل هذه الهزيمة الشكراء، وهرب الإمبراطور والاستيلاء على ثيابه وفراشه لو أنها لم تحدث بالفعل. وعلى الأرجح أيضاً بأن أبناء ملطية استغلوا وجود الإمبراطور في مكان قريب من الحدود، وتوجهوا إلى معسكره الموجود هناك، وتمكنوا من إلحاق الهزيمة به.

^١ - السرياني: تاريخ مباحثيل السرياني الكبير، ج ٢، ص ٥٢، ابن العبري: تاريخ الزمان، ص ٢٩.

استمرت هذه التحركات المتفرقة من قبل المسلمين أو من قبل البيزنطيين إلى عام ٢٢٣هـ / ٨٣٧م، إلى أن قرر الإمبراطور ثيوفيل إعداد حملة ضخمة باتجاه الثغور الإسلامية بتحريض من قبل رعيم الخرمية بابك الخرمي، فقد كان الإمبراطور ثيوفيل لديه الية مسبقاً للتوجه إلى الحدود الإسلامية البيزنطية ، خاصة بعد أن حقق بعض النجاحات على جبهة صقلية، ولذا، حصل اتصال بين ثيوفيل و بابك الخرمي، للتنسيق حول الهجوم، فقد كان بابك يهدف إلى إشعال المسلمين عن حربه بعد أن ضيقوا الخناق عليه، و لهذا أرسل إلى الإمبراطور البيزنطي ثيوفيل رسالة كتب فيها: «إني ملك العرب قد وجه جميع عساكره و مقاتليه إليه "إني بابك" حتى وجه خطبته، يعني جعفر بن دينار وكان يعرف بالخطاط، ووجه خطبته ، يعني بيتاخ، وكان يعرف ببيتاخ الطباخ، فلم يبق على يابه أحد، فإن أردت الخروج إليه فاعلم أنه ليس في وجهك أحد يمشي، فإن خرجت الآن استعدت أضعاف ما أخذته أبوه وأخوه منكم»^(١).

بعد أن وصل إلى الإمبراطور ثيوفيل هذا الكتاب، نظم أموره و رتب أوراقه و قرر أن يستعيد هيئته على الجبهة الإسلامية، ولهذا جمع الإمبراطور ثيوفيل جيشاً يضم مئة ألف جندي، سبعون ألف جندي كانوا من بيرطة والآخرين كانوا من الأنباغ والمطوعة من جنسيات مختلفة من البلغار والسلاف ومن العرب أنباغ بابك، وبدأ الإمبراطور حربه بإرسال موفدين إلى أرمينية، لجمع الضرائب منها تحت ضغط التهديد بتدمير المدن و إحراقها في حال عدم دفع الضرائب،

انصري تاريخ الرسول والملوك، ج٩ ص٥٩، الأردني: تاريخ الموصل، ص٤٢٤، ابن الأثير الكامل، ج٩، ص٤٧٩، ابن خلدون تاريخ ابن خلدون، ج٣، ص٢٦٢، مؤلف مجهول: العيون والحقائق، ص ٢٨٩، ٢٩٠، السريدي تاريخ مختلبي السرياني الكبير، ج٣ ص٥٧، الخصري بك: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية، ص٣٣٢

وهذا، وحوفاً من تدمير مدينتهم، ولأن أرمينية لم تكن غلثك جيشاً قوياً لحمايتها، فقد أرسلت
الصرائب للإمبراطور ثيوفيل.^(١)

بعد تأدية الصرائب في أرمينية توقع الإمبراطور أن الأمور ستسير حسب خطته مع حلفائه، وبأنه
سينمك من السيطرة على الأراضي التابعة للخلافة الإسلامية بسهولة ومن دون أن يتعرض
لمقاومة تذكر.

بعد أخذ الضريبة من أرمينية احتار الإمبراطور وحيشه الحدود الإسلامية البيزنطية ودخلوا إلى
ربطرة، ولم يكن أهل ربطرة يتوقعون مثل هذا الهجوم للعاجئ عليهم، وقام أتباع بايث والحدود
البيزنطيون بقتل النساء والأطفال والرجال وشق البطون وهناك الأعراض والتمثيل بالأشخاص
من قطع للأذان والأنوف، فقد تم التعامل بوحشية كبيرة مع أهالي المدينة، ولم يقتصر الأمر على
ذلك، بل قام البيزنطيون ومن معهم بحرق المدينة، و سبي من بقي فيها، ونهب ممتلكاتهم.

لم يكتف البيزنطيون بما فعلوه في ربطرة، بل توجهوا إلى مدينة سمسياط، وحاصروا المدينة،
وعبرهم الإمبراطور، بين ترك المدينة أو دفع الجزية، وعمل أهالي سمسياط على مقاومة الحصار
على أمل أن تصل المساعدات من الخلافة المعتصم وقواده، لكن المساعدات المرجوة لم تصل، وتم
تطبيق الحصار وتشديده على سمسياط، لذلك عمل عدد من أهالي ملطية من آل ربيعة على
مهاجمة الروم لتخفيف الضغط عن أهل سمسياط لكن المسلمين هزموا، وقتل البيزنطيون منهم ما
يقارب أربعة آلاف شخص، بعد هذه الحادثة دخل الروم البيزنطيون إلى سمسياط، وأحرقوها
بالكامل، وتم تدميرها بشكل نهائي.

^١ - السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج ٣، ص ٥٧، فاريليف: العرب و الروم، ص ١٢٥.

بعد سمياط سار البيزنطيون إلى أرمينية، وتم حرق عدد من أراضيها، وسي أعداد كثيرة من سكانها، بعد هذه المجازر التي ارتكبتها البيزنطيون بحق المسلمين في ربطة و سمياط، توجهوا نحو ملطية وحاصروها و أرسل إليهم الإمبراطور تهديدات بأنه سيحرب المدينة و يحرقها ويدمرها مثل المدن الأخرى، إن لم يفتحوا أبواب المدينة، ويستسلموا له، فإن استسلموا يعطيهم الأمان، وإن لم يفعلوا يقتلهم و يسيبهم، تشاور أهل ملطية حول ما قدمه الإمبراطور من عرض عليهم، ورأوا أن يستسلموا له بدلاً من أن يقتلوا، لذلك توجه قاضي المدينة و عدد من الزعماء إلى معسكر الإمبراطور ثيوفيل، وطلبوا منه أن يعطيهم مهلة، لفتحوا أبواب المدينة، وأعادوا أسرى الروم الموجودين في المدينة وأعطوه بعض الهدايا، ولكي يتأكد الإمبراطور من موقعهم هذا تركوا عددهم رهاًل منهم، لكي يطمئن بأنهم لا يلدغوه أو يصبوا كمائن له و لخودده، وعلى هذا النحو سلم أهل ملطية المدينة للإمبراطور فدخلها و أخذ منها الأموال.^(١)

- الطبري، تاريخ الرسل والملوكة، ج٩، ص٥٩، البيهقي: البدء والتاريخ، ص١١٨، لأردى تاريخ موص، ص٤٢٤. المسعودي. مروج الذهب، ج٣، ص٤٧٢-٤٧٣، ابن الأثير. الكامل، ج٦، ص٤٧٩، ابن كثير البداية و النهاية، ج١٠، ص٢٩٤، ابن علقون: تاريخ ابن علقون، ج٣، ص٢٦٢، أبو العلاء، المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص٢٢، ابن الوردي: تنقيح المختصر، ص٢٢٢، السرياني. تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج٣، ص٥٧، ابن العبري: تاريخ الرومان، ص٣١، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٢٤٢، دريلف العرب و الروم، ص١٢٦-١٢٧، مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ص٣٩٠.

وهالك خلاف بين المؤرخين حول العام الذي حدثت فيه حملة الإمبراطور على ربطة وملطية، فهالك مصدر يذكر بأن هجوم الإمبراطور على ربطة كان في عام ٢٢٢ هـ / ٨٣٦ م، والمحموم على ملطية كان في العام التالي ٢٢٣ هـ / ٨٣٧ م.^(١)

بعد أن حقق الإمبراطور ثيوفيل هذا الانتصار الباهر على الأعداء الدائمين العرب المسلمين، عاد إلى عاصمته يحمل نصره المظفر، ولتخليد ذكرى انتصاره أمر ببناء قصر له وررع حدائق، وتشبيد قناة خاصة للقصر في منطقة بريس على الشاطئ الآسيوي، ومن ثم توجه نحو العاصمة القسطنطينية، وكانت الاحتمالات قد جهزت لأجله و عرج للقاء الإمبراطور الأطلان مزبين بالورود، وهكذا حمل الإمبراطور نصره في مدن الثور لأهالي بيزنطة، ولم يعكر في عواقب هذا النصر.^(٢)

وبلاحظ في حملة الإمبراطور على ربطة و المدن الأخرى نقاط عدة: أولاً: استعمال الإمبراطور ثيوفيل العرص للعمل على استعادة هيته أمام شعبه و دولته، و للتأكيد بأنه قادر على هزيمة الأعداء الدائمين للإمبراطورية البيزنطية العرب المسلمين، و للبالعة الكبيرة من قبل المؤرخين حول تجهيزات الحملة، والأعداد الكبيرة من الجنود للتوجهة مع الإمبراطور، ثانياً: وجود عاصر من جنسيات مختلفة في جيش الإمبراطور ثيوفيل، فقد وجد في جيشه، السلاف، والبلغار، والفرس، والسؤال الذي يطرح ها هل كان هؤلاء السلاف والبلغار أسرى

^١ - الأردني تاريخ الموصل ص ٢٢٤-٢٢٦.

^٢ - هازيلجيت: تاريخ العرب و الروم ص ١٢٧.

لدى الروم البيزنطيين يستعيون بهم في حروبهم، خاصة وأن بيزنطة كانت على عدااء دائم مع البلغار والسلاف؟.

أما العرس. فقد ذكرت المصادر بأن عدداً كبيراً من أتباع يابك الخرمي قد اعتنقوا المسيحية عندما لجؤوا إلى الإمبراطور ثيوفيل و عمل الإمبراطور على تزويجهم و ضمهم إلى جيشه. ثالثاً: للمرة الأولى يتم ذكر محوم الإمبراطور على أرمنية في الوقت ذاته الذي يهاجم فيه المدن الثعرية الإسلامية، فهل كان الإمبراطور يظن بأن مساعدات ستقدم للمسلمين الموجودين في المدن الثعرية من أرمنية، خاصة و أن الحدود بينهما قريبة جداً.

رابعاً: هناك جدل كبير من قبل المؤلفين حول سبب اختيار ربطرة هدفاً للإمبراطور البيزنطي ثيوفيل، ليهدمها و يدمرها ، فقد عمل البعض على وضع مقارنة بين محوم ثيوفيل على ربطرة و محوم المعتصم لاحقاً على عمورية، و عمل هؤلاء على ذكر أن مدينة ربطرة هي موطن المعتصم، وأن الإمبراطور كان يقصد أن يهدمها و يدمرها كونها موطن المعتصم، و هذا يخالف الواقع فالمصادر العربية لم تذكر مطلقاً أن ربطرة كانت موطن المعتصم أو بلده، وإنما هذه المقارنة قام بها المؤلفون والباحثون المتأخرون ليبوا مدى أهمية الانتصار الذي حققه الإمبراطور في ربطرة وغيرها من المدن.

بعد أن أصاب أهالي الثعور الشامية والجزرية ما أصابهم من خراب على يد الإمبراطور ثيوفيل، توجه قسم منهم إلى الخليفة المعتصم، وقد كان موجوداً في سامراء، وأطلعوه على ما جرى لهم ولدمهم وبيوتهم وأموالهم وأوراقهم من قتل وتدمير وحرق و هتك للأعراض، وطلبوا من الخليفة المعتصم تأميتهم وحمايتهم.

وقد قال أحد الوفدين "يا أمير المؤمنين نحن من وراء الدروب، وليس يسا وبين القسطنطينية جبل ولا شجر يجمع منا، فإن أعتنا وإلا فأعنا على الرحيل".
وأجاب المعتصم: "ما يتعبنا لي فيكم شيء أو نخرج من أمر بابك، فإذا أفرغت منه ظله على أن أبلغ غايقي، فلو لم يحركني لكم إلا مناخاتي من بلدكم".
وقال المعتصم:

يَا أَيُّ الْخَلَائِفِ مِنْ رَوَاقِ هَاشِمٍ ذَهَبَتْ بِلَادُكَ مِنْكَ إِنْ لَمْ تَأْتِهَا ^(١)

ويذكر البعض بأن "أهل نعلور الشام و الجزيرة و أهل الجزيرة قد خرجوا إلّا من لم يكن عنده دابة و لا سلاح". ^(٢)

من الممكن أن يكون أهالي النعلور قد نزحوا من أراضيهم و مدغم باتجاه المدن الشامية و الجزيرة بعد ما أصابهم على أيدي البيزنطيين، فتوجه قسم إلى المعتصم و القسم الآخر بقي في المدن الأخرى، وهذا ما يلاحظ من قول الوفد للمعتصم "فإن أعتنا و إلا فأعنا على الرحيل" أي المحجرة و التروح من مكانهم إلى مكان أكثر أمناً وطمأنينة.

لم يتمكن المعتصم من حدة أهالي ربطة وسمياط و أرمية، لاشعاعه أكثر بالقضاء على بابك و أتباعه، لذلك أرسل القائد عفيف بن عيسى و معه عدد من القادة كعمر المرغاني و محمد كونه و غيرهم إلى ربطة لحدثها، ولكن عندما وصل القائد عفيف وجموده وجدوا بأن الإمبراطور

^١ - الأزدية: تاريخ الموصل ص ٤٢٥.

^٢ - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٩، ص ٥٦، ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٤٧٩.

ثيوفيل قد رحل عنها بعد أن تركها خراباً، قرأى القائد عفيف في أن يبقى في المدينة، ليشرع أهلها بالاطمئنان ويساعدهم في العودة إلى منازلهم وأراضيهم والعمل على إعادة بناء ما تهدم^(١) و، يستطع العرب تحمل ما لاقاه أهلهم وأخوانهم من ذلّ على يد الإمبراطور ثيوفيل و شعروا بأن المعتصم قد تأخر عن نجدة أهلهم وأقاربهم، ولذا عمل البعض على تذكر المعتصم بما عليه من واجب الجهاد، ومنهم الخليفة المرحول إبراهيم بن المهدي الذي أشد الخليفة المعتصم قصيدة شملت أبياتها معاناة أهل ربيعة و المدن الأخرى، و دعوته بالإسراع في الانتقام من البيروطين فقال له :

يا غارة الله قد عانيت فانتهمي هتك النساء و ما منهن يرتكب
هب الرجال على أحرابها قتل ما بال أطفالها بالذبح تنهين؟^(٢)

وتذكر المصادر العربية حادثة عن استنقاذ امرأة عربية مسلمة بالمعتصم أثناء سبيها من قبل الروم فصاحت، وامتصاه، فعندما سمع المعتصم ذلك وهو في سامراء قال لها: ليك لبيك، وصاح العير العير، أما المصادر والمراجع السريانية فتجاهل كاتبة المرأة الهاشمية التي استنقذت بالمعتصم و بادته حين أسرها الروم وامتصاه وهي في ربيعة، وقد أثر هذا الداء بالخليفة المعتصم كثيراً، وأحس بأن هذه المرأة تمثل الكرامة و العرض العربي للمسلم الذي انتهكه الروم، ولهذا سارع لتلبية نداءها و الدفاع عن المسلمين.

انصري تاريخ الرسل والملوك، ج ٩، ص ٥٧، ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٤٨٠، مؤلف مجهول - نعيون
و لحدائق ص ٣٩٠.

^١ - المسعودي: مروج الذهب، ج ٢، ص ٤٧٤، هارظيف: العرب و الروم، ص ١٢٩.

وقد ذكرها الشاعر أبو تمام الطائي في قصيدته:

ليست صوتاً وبطرياً هرقت له كأس الكرى و رضاب الخرد العرب^(١)

بعد أن تمكن الخليفة المعتصم من القضاء على حركة بابك الخرمي و قتله، بدأ يستعد و يعدّ العدة لحملة كبيرة باتجاه الأراضي البيزنطية، ووضع المعتصم في ذهنه أن يهاجم مدينة عمورية، ويقال بأنه عندما بدأ يحضر معه للحرب سأل عن أي بلاد الروم أوسع وأحص، فقبل له عمورية فلم يتعرض لها أحد من المسلمين، وهي عين النصرانية وهي عندهم أشرف من القسطنطينية كما أنها بلد الإمبراطور ثيوفيل و موطن الأسرة الحاكمة العمورية.^(٢)

جهز المعتصم قوة عسكرية ضخمة لحرب البيزنطيين وكانت وجهته المباشرة هي عمورية، فقد أخذ معه كميات كبيرة وضخمة من العدة والعتاد والسلاح والآلات وحياض الأدم^(٣) والروايا^(٤)

- مساع (هاشم صالح). روائع من الأدب العربي (المصر الجاهلي، الإسلامي، الأموي، العباسي)، بيروت، دار الرسام، دار الهلال، ١٩٩١م، ص ٢١٦-٢١٧-٢١٨.

^١ - الطبري تاريخ الرسل والملوك، ج ٩، ص ٥٨، ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ٤٨٠، مؤلف مجهول نهبون و الخدائق، ص ٣٩٠.

^٢ - لأدم أن تكون الجنب من الجلد وكذا السيور وللعاليق التي تعلق بها، حيث ذكر المرحشي لأدم عندما تحدث عن تجهيز الفلاتين والجيش فيقول ((ليكونوا على متنو عيلهم بجماعهم وهي مع سيورهم ومعاليقهم أدم))، المرحشي: مختصر في سياسة الحروب، ص ٤٨.

^٣ - الروايا: الروايا من الإبل الخواصل للماء، ابن منظور: لسان العرب، ج ١، ص ١٢٩١.

والقرب^(١) وآلات الحديد والبار والنعط والجواش^(٢) والزرديات^(٣) والدروع والبغال^(٤).

والسؤال الذي يطرح هنا هو لماذا اختار الخليفة المعتصم عمورية ولم يختار غيرها من المدن؟

اختار الخليفة المعتصم عمورية هدفاً لحملته لأسباب عدة، فهناك عدد من المؤرخين يذكر بأن اختيار عمورية مسقط رأس الأسرة الحاكمة هدفاً للمعتصم كان رداً على هجوم الإمبراطور ثيوفيل على ربطة مسقط رأس المعتصم كما يقولون، لكن الوقائع تدل على عكس ذلك، فالخليفة المعتصم وما عرف عنه من شجاعته وبسالته لم يكن يعاقل عن أراضي الروم البيزنطيين، وعن فكرة الجهاد الإسلامي ضد أعداء الدولة العربية الإسلامية، لكن المعتصم كان همه الأول منذ استلامه الخلافة القضاء على بابك الخرمي وثورته، وما إن حقق هذا الانتصار الكبير على بابك حتى بدأ يتساءل عن أهم وأمنع المدن البيزنطية فكانت عمورية.

فعمورية هي مسقط رأس الأسرة البيزنطية الحاكمة، كما أنها من أهم الحصون الرومية فعليةا أربعة وأربعون برجاً لحمايتها، والاستيلاء عليها يعدّ خطوة أساسية للاستيلاء على العاصمة البيزنطية، القسطنطينية، وكان لعمورية أهمية ديمية كبيرة فقد كانت تعج بالأديرة، والكنائس

^١ - القرب: ما يسقي فيه الماء، الجوهري: الصحاح في اللغة والمعلوم، ج ١ ص ٢٨٩.

^٢ - الجواش مردها جوش، وهو الدرع الذي يوضع على الصدر، الجوهري. الصحاح في اللغة والمعلوم، ج ١ ص ٢٢٢.

^٣ - الزرديات مردها ررد، الرراد، عيط يخط به البصر لكلا يدسج بخرته فيملاً راكمه، والررد مائحريرت هي اندرع المزودة، الجوهري: الصحاح في اللغة والمعلوم، ج ١ ص ٥٣٣.

^٤ - انطري. تاريخ الرسل والملوك، ج ٩ ص ٥٧، مؤلف مجهول: الصيوان والحدائق، ص ٣٩١، الرهاوي مجهول. تاريخ الرهاوي، ص ٤٨، حني: تاريخ العرب، ج ٢ ص ٢٧٢.

وقد كانت أسفعية مستقلة، و من ثم رفعت إلى مطرانية، وباستيلاء الخليفة المعتصم عليها يوجه صرية قوية و موجهة للإمبراطور و يضعف هيئته من خلال الاستيلاء على موطنه.

ويلاحظ هنا بأن المعتصم لم يكن ليحكر بحملة بسيطة كالحملات السابقة على الحدود الإسلامية البيزنطية وحسب، بل كان يخطط للوصول إلى العمق البيزنطي وإلى مناطق لم يصل إليها المسلمون من قبل.

قام الخليفة المعتصم بتقسيم الجيش وفق خطة دقيقة ومحكمة، ليتحكموا من السيطرة على المدن البيزنطية، فقد كان في مقدمة الجيش القائد أشناس، وبعده محمد بن إبراهيم، وعلى مهمته القائد إيتاخ، وعلى مسيرته جعفر بن دينار بن عبد الله الخياط، وعلى ساقته بها الكبير، وعلى القلب عفيف بن عبيدة.

وكان يتراوح تقدير الجيش بين مئتي ألف و خمسمئة ألف رجل، فقد كان تعداد جيش المعتصم خمسين ألفاً، وجيش الأفضين ثلاثين ألفاً، وكان فيلق المخابرين لوحده قوامه خمسون ألف محارب، وكان يتواجد مع الجيش ثلاثين ألف ناجر و مكار، و معهم خمسين ألف جمل، وثلاثين ألف بع، وكان يتواجد معهم ثلاثون ألف شخص من السودان و غوهم من المعاربة والأثرار.^(١)

ويعود المؤرخون ثانية إلى تضخيم عدد الجيش للتوجه مع الخليفة من حدود وحيون وممثلومات، وهذا لا بد من التساؤل هل كانت الدولة العباسية بوضع يسمح لها في تجهير مثل هذا الجيش الكبير، لا سيما أن الطرق طويلة وصعبة ومن الممكن أن تطول مدة إقامة القوات

الرهوي المجهول: تاريخ الرهاوي، ص ٤٨، عازيليف: العرب و الروم، ص ١٣١، حسن التاريخ لإسلامي

العام، ص ٤٦٨

لحين تحقيق الهدف المنشود، إلا أن المؤرخين أرادوا أن يظهروا بأن هذا الحدث له أهميته بالنسبة للمسلمين خاصة وأن الخليفة هو من يقود الحملة؟.

بعد أن تم توزيع القادة في جيش المعتصم توجه المعتصم نحو الأراضي البيزنطية و على نروسة والوية جيشه نقش عمورية، فقد كان هدفه الأساس الوصول إلى عمورية.

وكان لمعتصم يتمتع بدكاء حربي وحكمة عالية، لذلك فقد قرر أن يعاجئ الروم و يهاجمهم من جهات مختلفة ومتعددة من الشرق و الغرب، بهدف أن يشتت انتباههم و تكون الجيوش مستعدة للهجوم في حال هزم جيش يكون الآخر ينتظر ليهاجم.

فقد عسكر المعتصم بجيشه الضخم على بحر اللامس، و من موقعه بدأ يوجه عساكره إلى المدن البيزنطية، فقد توجه الأفشين حيدر بن كاوس مع جنوده إلى مدينة سروج، وكانت توجهات المعتصم بأن يدخل الأفشين من درب الحدث، وكان قد انضم إلى الأفشين والي منطقة مع جنوده وعدد من الجنود الأرمس الذين من الممكن أن يكونوا قد جازوا من أرمينية، وكانت خطة المعتصم أن يلتقي الجميع في أنقرة لكن الأفشين سار بجيشه و انقطعت أخباره عن المعتصم، ومن ثم أمر المعتصم بأن يتوجه أساس وجوده الذين كانت غالبيتهم من الأتراك نحو درب طرسوس وبأن يعسكر في الصفصاف، وبالمعل توجهت جيوش أساس وتوقعت في مرجع الأسقف^(١) ^(٢)

- مرجع الأسقف على الطريق من طرسوس إلى القسطنطينية، وموضعه عند المخرج الشمالي بدرب

طرسوس، فاريليف: العرب والروم، ص ١٣

^٢ انصيري. تاريخ الرسل والملوك، ج ٩، ص ٥٨، مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ص ٣٩٢، للمسعودي مروج

الذهب، ج ٢، ص ٤٤١، فاريليف: العرب و الروم، ص ١٣٣.

لم تكن تحركات المعتصم شعبة على الإمبراطور ثيوفيل، بل جهز جيشه وغادر عاصمته القسطنطينية وتوقف في دروليه، ولكن عندما وصلت أخبار عظمة جيش المسلمين وعدته وعتاده صحبه عدد من المقربين إليه من القواد والموظفين بإخلاء عمورية من سكانها ونرحيلهم إلى أماكن أخرى، خاصة وأن هدف المعتصم الرئيس كان عمورية، إلا أن الإمبراطور رأى بأن هذا صعباً من جانبه، فقرر أن يحصن عمورية و يضع عليها قائداً محكماً هو ايتيوس المسؤول عن حشد أباطولية، وأرسل إمدادات إلى المدينة مع الخصى تودور كراتيوس.^(١)

في الوقت الذي كان يتهاى فيه المعتصم للسير إلى أنقرة وصلته الأخبار بأن جيش الروم يقترب من نهر اللامس، ليعبروا النهر و يهاجموا المسلمين ، و لذلك أرسل المعتصم كتاباً لأشاس يعلمه بأن يأخذ حذره، وألا يتابع طريقه قبل أن تصله الإمدادات والمؤن، وبعد ثلاثة أيام طلب المعتصم من أشاس محاولة أسر بعض الروم البيزنطيين ليأخذ منهم بعض المعلومات عن جيش الإمبراطور. توجه القائد عمر المرغاني و معه مئتا فارس لهذه المهمة، وبدأ عمر وجنوده بجوبون حول حصن قره القريب من موقع أشاس، لكن عمر لم يكن يتوقع بأن قائد حصن قره، قد نصب له كميناً في الخيل المتوسط بين حصن قره ودرة، واستطاع عمر أن يعلم بالكمين في الوقت المناسب، لذلك قام بتقسيم مجموعته إلى ثلاثة أقسام و أمرهم بالتوجه نحو الحصن مع بزوع الفجر بسرعة كبيرة و أن يأتوه بالأسرى، و كان مع كل مجموعة دليلان يعرفان الطرق و نمرعاتها ، و بالعمل تمكنت هذه المجموعات من أسر عدد من الروم البيزنطيين الذين أطلعوهم على تحركات الإمبراطور، وأنه معسكر مع جيش ضخم منذ ثلاثين يوماً ينتظر تحرك المعتصم من نهر اللامس.

^١ - فاريليف: تاريخ العرب و الروم، ص ١٢٢.

ليهاجه من الخلف، وبأن الإمبراطور ثيوفيل قد علم بأن هناك جيشاً عربياً مسلماً (وهو جيش الأفشين) قد دخل الأراضي البيزنطية من ناحية نيم الأرمياق، لذلك عيّن الإمبراطور نائباً عنه في بحر اللامس، وتوجه بعسكته للقاء جيش الأفشين، أرسل أشخاص إلى المعتصم ما وصله من معلومات، فعمل المعتصم على إرسال رسول من قبله و معه عدد من الأدلاء ليخبروا الأفشين و يحذروهم من تحرك الإمبراطور باتجاههم، إلا أن كتاب الخليفة وصل متأخراً، فقد كان الأفشين قد توغل في الأراضي البيزنطية، لذلك أمر المعتصم الجيش بالتحرك إلى أن وصلوا بالقرب من أنقرة.^(١)

عندما تحرك جيش المعتصم هذه المسافة، عانى عسكره وحيولهم من قلة المياه و المرعى، و لم يتمكنوا من إيجاد مكان يتزودون به بالمياه و الطعام، فتوقفوا قريبين من أنقرة، يسما تابع أشخاص طريقه مع جنوده وتمكن من الاستيلاء على مدينة نيسا الواقعة جنوبي المويس^(٢)، و تابع طريقه نحو أنقرة، واستطاع أسر أعداد كبيرة من البيزنطيين كان مصيرهم القتل إلا شيخ كبير نجى بعسكته بعد أن أخبر أشخاص عن مكان المياه و الطعام و المراعي، فأرسل أشخاص معه خمسة فارس بقيادة مالت بن كيدر، وأخذهم هذا الشيخ إلى منطقة قرية تحتوي على مساحم الملح، وقد كان هناك أهل أنقرة يختبئ فيها بعد أن تزودوا بالطعام والمياه وهربوا من المدينة، واستطاع مالت وجنوده من هزيمة رجال أنقرة واستولوا على ما كانوا يحملونه، وعلموا منهم أخباراً عن الأفشين،

١- ابن عبط تاريخ خليفة بن عبط، ص ٤٧٧، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٩، ص ٥٩-٦٠، بن الأثير انكس، ج ٦، ص ٤٨١، ابن عطلون: تاريخ ابن عطلون، ج ٢، ص ٢٦٢، الشريفي التاريخ الإسلامي، ص ١٤١.

٢- السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج ٢، ص ٦٢-٦٣.

ومعركته مع الإمبراطور ثيوفيل، حيث شارك الكثيرون من أهل أنقرة في هذه المعركة، فقد «قطعت أخباره عن الخليفة المحتصم منذ أن توجه إلى داخل الأراضي البيزنطية.

وهكذا علم مالك ما جرى مع الإقشين والإمبراطور ثيوفيل، فبعد أن علم الإمبراطور ثيوفيل بتوجه جيش الأقشين إلى داخل ثيم الأرمياق، توجه الإمبراطور للقائه ومباغتته من دور أن يعلم، وهاجمه الأقشين ورجالهم في ساعات الصباح الباكر في ٢٥ شعبان ٨٢٢٣ هـ / ٢٢ يوليو، وتمكن الإمبراطور وجنوده من تحقيق انتصار على المسلمين، وقتل أعداد كثيرة منهم، ولكن بعد ساعات قليلة تحول هذا الانتصار إلى هزيمة ساحقة، فقد تمكن المسلمون من جمع شملهم من جديد وحاربوا البيزنطيين بقوة وبسالة وتمكنوا من قتل أعداد كثيرة وشتينتهم، وكانت المعركة تجري، والأمطار العزيرة تعطل، ولم يتمكن الإمبراطور من الاستمرار، فهرب مع مجموعة قليلة ناجياً بعينه من مطاردة المسلمين، وشاع الخبر بأن الإمبراطور قد مات، لذلك اضطرب الجيش وأصابه الذعر، لكن الإمبراطور عاد مع عدد قليل من الجنود، وكان مع الإمبراطور مانويل الذي وصلت إليه أخباراً بأن الفرس في جيش الإمبراطور بدؤوا يتواصلون مع العرب المسلمين، لخدمة الإمبراطور وتسليمه للأقشين، فعزل مانويل على إعماق المخططة، ونصح الإمبراطور بالهرب والعودة إلى مقر جيوشه، وبالفعل تمكن الإمبراطور من الهرب، وعما عن رؤساء جيشه الذين هربوا، ولكنه أمر بقتل قائد عسكره الذي لم يلتزم بتعليماته والعمل على القبض على الجنود «غاريين، وجلدهم وكانت هزيمة الإمبراطور عند درفون»^(١).

انصري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٩، ص ٢٦١-٢٦٢، للسعودي: مروج الذهب، ج ٣، ص ٤٤٥، بن خلفون: تاريخ ابن خلدون، ج ٢، ص ٢٦٤، مؤلف مجهول: العيون و الحقائق، ص ٣٩١-٣٩٢، هزليط: العرب والروم، ص ١٣٩-١٤٠-١٤١.

بعد هزيمة الإمبراطور أمام الأفشين أرسل من قبله حصياً من حصيانته اسمه طواشيا إلى أنقرة للدفاع عن المدينة، لكن طواشيا وصل متأخراً، فقد كان المحتصم وأشلاس وقواتهما قد حاصروا المدينة، ومن ثم انضم إليهما الأفشين، و دخلوا إلى المدينة و تم تدميرها وأمر المحتصم بدم سور المدينة، وقبض المسلمون على تسع مركبات ووضعوا فيها من بقي من أهل أنقرة وساقوهم إلى معسكرهم.^(١)

بعض المصادر اليونانية تذكر شيئاً عن مؤامرة كانت تحاك ضد الإمبراطور للإطاحة به في القسطنطينية، وتصيب إمبراطور آخر مكانه، فبعد أن هزم ثيوفيل في معركة داريمون (أزن) مع الأفشين وصلته أنباء من والدته في القسطنطينية بأن الجنود الذين هربوا من المعركة قد أشاعوا خيراً في العاصمة بأنه قد مات في المعركة مع المسلمين، فعاد الإمبراطور ثيوفيل مسرعاً إلى العاصمة و قتل من كانوا يتآمرون عليه.^(٢)

وهناك خلاف حول الوقت الذي وقعت فيه هذه الحادثة، فالبعض يذكر بأنها كانت قبل معركة عمورية، والبعض يذكر بأنها كانت خلال معركة داريمون (أزن)، وهناك من يذكر بأن أطراف هذه المؤامرة كانوا من العرس بقيادة ثيوفوب العارسي، الذين أرادوا أن يحبسوا ثيوفوب ملكاً عليهم بعد أن شاهدوا ضعف الإمبراطور و هروبه من وسط المعركة.^(٣)

^١ - السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج٣، ص٩٢.

^٢ - السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج٣، ص٩٤، ابن العري: تاريخ الزمان، ص٣٢.

^٣ - هازيلجف: العرب و الروم، ص١٤٢.

على أية حال فإن الإمبراطور وإن تمكن من أن يحمي عرشه في القسطنطينية من الروم، لكنه حصر مدناً وحصوناً مهمة في الإمبراطورية، خاصة عمورية التي كانت تقاوم لوحدها صربات المسلمين، ويشك كثيرون في صحة الرواية حول وجود مؤامرة ضد الإمبراطور، فإن كانت هناك مؤامرة، فقد تمكن الإمبراطور أن يقضي عليها، وإن لم تكن هناك مؤامرة فإن المؤرخين قد وصعوا، مثل هذه الحادثة ليسوغوا للإمبراطور هربه من ساحة القتال وتشتت جيشه وهربته أمام المسلمين.

بعد أن انتصر العرب المسلمون في أنقرة توجهوا نحو عمورية، وها أحس الإمبراطور بأن فرصته في حماية عمورية قد أصبحت ضعيفة، لذلك لجأ إلى محاولة عقد هدنة مع الخليفة المنتصم، فأرسل إلى الخليفة المنتصم بطريق باسيلوس، ومعه الهدايا ورسالتين، الأولى: يعترف فيها الإمبراطور بذنبه وعطاءه عندما توجه إلى زبطرة، وبأن قواده قد تصرفوا عكس أوامره ولم يستمعوا إليه، بل تجاوزوه وأحرقوا ونهبوا وقتلوا أهل زبطرة من دون علمه، ووعد الإمبراطور الخليفة بأن يعيد بناء مدينة زبطرة المهدمة، ويعيد أهلها الذين أسرههم بالإضافة إلى جميع الأسرى الموجودين عنده من العرب، وأن يسلم الإمبراطور الخليفة البطارقة الذين ساهموا في غزب زبطرة، لكن الخليفة المنتصم رفض عرض الإمبراطور ثيوفيل وأهم البيزنطيين بالحبس والضعف، فقام بطريق باسيلوس بإعطاء الخليفة المنتصم الرسالة الثانية وكانت تحوي تحديداً وشماً للمسلمين، وها غضب الخليفة المنتصم كثيراً وقال للمحوتين انتظروا الحرب إذا.^(١)

البيغوي تاريخ البيغوي، ج ٢، ص ٤٧٦، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٢، ص ٢٦٤، السريدي تاريخ

مبداً السريدي الكبير، ج ٢، ص ٦٤، ابن العربي: تاريخ الروم، ص ٢٢.

بعد إحقاق المفاوضات جهاز المعتصم بعنه للتوجه نحو عمورية، أما الإمبراطور، فقد توجه نحو درولييه. أعاد المعتصم تنظيم جيشه وتسلم قيادة وسط الجيش (القلب)، وأشاس على الميسرة، أما الأوشين فقد كاد على قيادة الميسرة، وأمر الجيش بعدم التهاون مع البيزنطيين، بل يجب أن يقوم الجيش بحرق وتخريب كل ما يصادفه في طريقه، و يأخذ جميع الأشخاص الأطقار والنساء والرجال والعجائز سبياً، و من ثم عسكر الجيش الإسلامي حول عمورية وحاصرها، وورع المعتصم قادة جيشه على أجراء سور المدينة، و ورع لهم الأبراج لبحموا أنفسهم، فقد كان كل قائد يملك ما بين البرجين إلى العشرين برجاً يحيطون بالمدينة، وهكذا بدأ الحصار والعرب المسلمون قد أحسوا الاستعداد له، أما أهل عمورية ففقدوا الحرم على المقاومة، فتحصصوا داخل المدينة وبدؤوا يستعدون للدفاع عن مدينتهم، وتمكنوا من إبعاد جنود الخليفة، وعندما شاهد المعتصم ساعة الأسوار وقوتها قرر أن يحضر عنادق حول المدينة ليحتمي بها مع جنوده، وأحاطت العنادق بالسور وبدأت المنحيفات والعزادات تقذف حجارة ضخمة على الأسوار، وقامت فرقة رماة السهام برمي سهاماً كثيرة لدرجة أن كثافتها حجب نور الشمس، وتمكن رماة السهام من قتل من كان فوق السور بحمي المدينة، وكان قسم آخر من الرماة يملكون عجلات ضخمة يرمون الحجارة والبراز على السور، كل هذا بهدف تدمير القوة المدافعة فيها، ولكن الحاسب البيزنطي لم يستسلم، بل كان أهل عمورية من جانبهم يلقون حجارة المنحيفات والمقارع والسهام والأثربة وأحجار اللبن والحصى لإبعاد المسلمين، وكانوا يقتلون من يقترب من السور، واستمرت المعركة على هذا الحو ثلاثة أيام مات فيها أكثر من ثلاثة آلاف شخص من كلا الطرفين، وشعر الخليفة المعتصم بأن خطته لن تلاقي النجاح وبأنه لن يتمكن من السيطرة على المدينة، ولكن لحسن حظ المسلمين جاءهم أسير مسلم كان يعيش في عمورية، وقد تنصر وتروح

فيها، فأحير المعتصم بأن هناك مكاناً ضعيفاً في السور، فقد انهار جزء منه بسبب الأمطار العريرة والسيون، وكان الإمبراطور تيوفيل قد طلب من عامل عمورية إعادة بنائه لكنه لم يعد أوامر الإمبراطور، و بعد اقتراب الجيوش العربية من المدينة قام عامل عمورية بوضع بعض الحجارة في هذا الجزء من دون أن يقويها و وضع فوقها الحراس لكنها بقيت ضعيفة، و بالفعل توجه المعتصم إلى المكان الذي أخبره عنه هذا المسلم المنتصر، و نصب المجانيق و العرصات أمام هذا الجزء و بدأ المسلمون بالحجور و يرمي الحجارة عليه و بعد عدة أيام تمكن المسلمون من هدم هذا الجزء، و هنا سارع البيزنطيون إلى وضع أحشاش ضخمة على السور لكن المسلمين تمكنوا من فتح هذه الفتحة و هزيمة البيزنطيين الموكلين بالدفاع عنها، و كان المسؤول عن الدفاع عن هذه الجهة من السور القائد (ويدو) فرأى أن يعاوض المعتصم و يسلمه السور خاصة وأنه فقد كثيراً من رجاله، و بالفعل ذهب القائد ويدو إلى المعتصم لتفاوض معه، وفي هذا الوقت دخل المسلمون إلى عمورية و هاجموا و نقضوا الوعد الذي كان بين المعتصم و ويدو، فقد طلب ويدو الأمان وعدم تحرك المسلمين نحو عمورية إلى حين انتهاء التفاوض بين الطرفين، لكن المسلمين دخلوا المدينة و أحرقوا كنيساتها وأديرتها ومارها وقتلوا الكثيرين من أهلها وأخذوا اليقين أسرى.^(١)

- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٩ ص ٦٥-٦٨، الأردني. تاريخ الموصل، ص ٤٢٦-٤٢٧، البغدادي: تاريخ البغدادي، ص ٤٧٦، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٢ ص ٢٦٤-٢٦٥، ابن الجوزي: المنتظم، ج ١١ ص ٨٠، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١ ص ٢٩٤-٢٩٥-٢٩٦، مؤلف مجهول: العمون و الحدائق، ص ٣٩٣-٣٩٤، الأرنؤلي. الأتيق في الساجق، ص ٢١، السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج ٣ ص ٦٥-٦٦، ابن العربي: تاريخ الرماد، ص ٣٣-٣٤، الرهاوي المجهول: تاريخ الرهاوي المجهول، ص ٤٩-٥٠، انوكس: عصر الذهبي للدولة العباسية، ص ٤٤٨-٤٤٩، العربي: تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٢٨٢-٢٨٣، محمود: في الحرب عند العرب، ص ٢٠٠-٢٠١.

وبما تقدم ذكره حول تفاصيل هذه المعركة يتبين بأن صعوبات كثيرة واجهت الجيش الإسلامي في أثناء حصار عمورية لكن حكمة القادة المسلمين العسكرية مكنتهم من تجاوز هذه الصعوبات فكيف حدث ذلك؟

أولاً: عرف عن العرب المسلمين حيلهم العسكرية، و تمتعهم بالدكاء الحربي، و إتباعهم المخطط الحربية، لتحقيق هدفهم و غاياتهم، وهذا ما حدث في وقعة عمورية، فالخليفة المعتصم وضع في ذهنه فتح عمورية، ولم تنه تحصيناتها و متانة أسوارها وأبراجها عن ذلك، ولكن عمورية كانت محاطة بخندق ضخم لم يتمكن المسلمون في البداية من اختراقه، لذلك فكر المعتصم بخطة تمكنه من اختراق الخندق إذ قام بحشو جلود الأغنام التي كانوا يتناولونها بالتراب، وأمر برميها في الخندق لردمه، و بالفعل تم ذلك إلى أن امتلأ الخندق بالجلود، و لكن لم تكن مستوية بشكل جيد فأمر المعتصم بملء الخندق بالأتربة إلى أن أصبح الخندق مساوياً للأرض التي بجانبه، ليتسكنوا من وضع المحيقات مقابل السور لضربه، كما ظهر بوضوح اعتنام العرب بالآلات الحربية والعمل والتفكير بتطوير هذه الآلات، ليسعيدوا من استخدامها بشكل جيد كما حدث في وقعة عمورية، فقد أمر المعتصم بصنع عربات كبيرة كل عربة تتسع لعشرة رجال، و وضع لها عجلات نجرها، لينتقل من مهاجمة الأعداء و هم داخل هذه العربة لحماية أنفسهم.

ثانياً: وجود فرق للاستطلاع مورعة مع الجيش، لتبني المسلمين على أماكن الخطر وتحركات العدو لأخذ الحيلة و الحذر.

ثالثاً: عمل الخليفة المعتصم و قواده على إيجاد ثغرات في خطوط الدفاع لدى البيزنطيين، و عملوا أيضاً على اقتناص الفرص، واستمالة العدد الأكبر من الأشخاص لمساعدتهم، إن كان بالمال أو

بأهدايا أو بالوعود بإعطائهم ما نصب في حال انتصارهم، و يطلق البيزنطيون على هؤلاء اسم الخوة ويرى البيزنطيون بأن هؤلاء الخوة (كما يطلقون عليهم) هم من سلموا عمورية للعرب المسلمين.

فأول من ساعد العرب المسلمين في حصارهم على عمورية الشخص المسلم الذي تنصر في عمورية، ودلهم على مكان الضعف في السور، أما الشخص الثاني فهو القائد (وبدو) وهو من كان يتسلم قيادة المجموعة التي حاربت في مكان الضعف في السور، وهو من قرر أن يسلم المدينة للمعتصم عندما رفض أصحابه في أن يساعدوه في مواجهة هجوم العرب.

وهناك من يذكر بأن بطريق من بطارقة عمورية قد سلم عمورية للمسلمين، و البعض يقول بأن هناك شخصاً بيزطياً استطاع المعتصم شراءه بعشرة آلاف درهم هو من سلم المدينة و دلهم على مكان الضعف في السور، وعلى الرغم من كثرة هذه الروايات و الاختلاف حول من سلم المدينة، فقد كانت النتيجة واحدة وهي سقوط المدينة بأيدي العرب المسلمين.

بعد أن اقتحم المسلمون المدينة دخلوها و هدموا أسوارها و أحرقوا كنائسها وأديرتها ومارتها، وقد قتل منها ما يقارب الأربعين ألف شخص، وأخذوا منها غنائم لا تعد و لا تحصى وتم أسر الآلاف من النساء والأطفال والرجال، وتوجهوا إلى معسكر المعتصم، الذي أمر بأن يعصّل بين الأسرى الأشراف والأسرى العاديين كل على حده، و كان من بين الأسرى الأشراف، ياطس قائد القوات في عمورية، وثيوفيل البطريق الاستراتيج، و تيودور الخصي الأسباطير الأول، وكان

يلقب كراتيروس القوي، و قسطنطين الدنجار السباق و باسويس، و غيرهم و والي تورما قلوبية و كان يدعى كاتوس ملبوس الذين حبسوا لمدة سبع سنوات.^(١)

بعد أن هدم الخليفة المعتصم عمورية بأسوارها وكنائسها وأبراجها، أمر بترميم رباطه وإقامة حصون أخرى حولها، لحمايتها، وهي الحسية، وبو اللوس، وابن رحوان، وطبارجي.^(٢) ولكثرة أعداد الأسرى و السبايا الذين أسرههم العرب للمسلمون، فقد قام الخليفة المعتصم بتقسيم الأسرى على قواده الأربعة الأفشين و أشناس و إيتاخ و جعفر الخياط، وحدد المعتصم خمسة أيام لبيع العالم، فلكترة الرقيق والسبايا كان يادى على الرقيق خمسة خمسة وعشرة عشرة لمدة ثلاث مرات، والمتاع والأثاث الكثير يباع جملة واحدة، و قد باع المسلمون خلال هذه الأيام الخمسة الكثير وأما الباقي من المتاع والأثاث فقد أمر المعتصم بأن يحرق لئلا يعيقهم في مسيرتهم.^(٣)

لم يكن المعتصم يرغب في إنهاء حربه، خاصة وأنه علم بأن الإمبراطور ثيوفيل كان يجهز ليهاجمة ويهبط عسكره، لذلك أرسل من يستطلع له أخبار الإمبراطور، أما هو فقد سار من عمورية إلى منطقة يقال لها وادي الجور، وهو وادٍ قحط لا ماء فيه ولا ررع، ولم يستطع الأسرى متابعة المشي، لشدة العطش، فس امتنع منهم عن المشي ضرب عقه، وهكذا كان الناس والدواب يموتون عطشاً، وتمكن بعض الأسرى من قتل بعض الجود والحرب وعندما علم المعتصم بما فعله

^١ - فاريلف: العرب و الروم، ص ١٥٢، العربي: الدولة البيزنطية، ص ٢٨٥.

^٢ - فاريلف: العرب و الروم، ص ١٥٢، أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج ٢، ص ٣٣-٣٤.

^٣ - نصري تاريخ الرسل والملوك، ج ٩، ص ٦٩، مؤلف مجهول: العمود و الحقائق، ص ٣٩٤، السري تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج ٣، ص ٦٧، الحميدي (عبد العزيز بن عبد الله): التاريخ الإسلامي، ص ٧٨-٨٩. جهاد المسلمين مع الروم، ج ١، ص ٧٨-٨٩.

الأسرى البيزنطيون، أمر جوده بتعريق الشخصيات المهمة من البيزنطيين كالقادة والأشراف، وبأن يأخذ جميع الأسرى إلى الجبال، فتقطع أعناقهم ويرمون في الوادي، وقد قتل منهم ما يقارب ستة آلاف في وادي الجور^(١)، وفي منطقة أخرى لم تذكرها المصادر، ولعلها قرية من وادي الجور، لأن قتل الأسرى حدث في اللفة ذاتها.^(٢)

ويبدو أن ما دفع المعتصم إلى مثل هذا العمل، وهو قتل الأسرى، عدم قدرته على تلبية متطلباتهم من الماء والزاد، خاصة وأن المسافة التي يحتاجها للوصول إلى الحدود الإسلامية طويلة وتحتاج إلى عدة أيام.

خلد الشعراء العرب نصر عمورية العظيم في قصائدهم، فقال محمد بن عبد الملك الزيات:

أقام الإمام مناراً لله . . . لذي وأغرّس ناقوس عمّور . . .

وقد أصبح الدين مُدَّ ثَوْسَقاً وأضحت زناد الهدي مؤربه^(٣)

و لم يكن الشعراء بمدح المعتصم و نصره العظيم، ولكنهم أيضاً قاموا بمدح القائد الأفسس، فقد قام الحسين بن الضحّاك الباهلي^(٤) بمدحه، خاصة بعد وقعته مع الإمبراطور ثيوفيل ونصره الكبير عليه:

^١ - وادي الجور: لم أجد لها تعريفاً في المصادر والمراجع التي تمت العودة إليها.

^٢ - لأردي: تاريخ الموصل، ص ٤٢٧، حيث يذكر بأنه قد قتل خمسة آلاف من السجود تحديد المكاب، العنبري. تاريخ الرسل والملوك، ج ٩، ص ٧٠، الرهاوي المجهول: تاريخ الرهاوي المجهول، ص ٥٠.

^٣ - الأردي: تاريخ الموصل، ص ٤٢٧.

^٤ - الحسين بن الضحّاك: الحسين بن ياسر الباهلي، شاعر من بدماء الخلفاء، قيل أصله من حرسان ود نشأ في البصرة وتوفي في بغداد، اتصل بالأمين العباسي وناداه ومدحه ولما ظهر المأمون حاه الحسين فأنصرف إلى البصرة حتى صارت الخلافة للمعتصم فعاد ومدحه ومدح الوثائق الأصمعي لأعبي، ج ٩، ص ١٦٥-٢٠٥، ابن حنكاد: وفيات الأعيان، ج ١، ص ١٥٤.

أثبت المغصوم عزاً لأي	حسب أثبت من ركن يضم
كأن مجد دون ما أدله	لبي كاوس أم بلاك العجم
بما الأفتين سيف سله	قدر الله بك ف الملة مصم
م يدع بالبد من ساكية	غم مر أمك مال كأمثال إرم
ثم أمدي ... لمأ بابكة	رأى من حجلين نحو ما للندم
وقرأ ثوبيل طعناً صادقاً	فض جنته في جبهه أ و مزم
قتل الأكثر منهم و بها	من بها لحناً على ظهر وضم ^(١)

والشاعر العبد الذي شاعت قصيدته بين بلاد العرب، و خلدت هذا النصر الكبير، هو الشاعر أبو تمام وقصيدته المشهورة في فتح عمورية، فأبيات هذه القصيدة تحمل في طياتها وصفاً دقيقاً لسير الجيوش نحو عمورية وتبين السبب الذي دفع المحصن لتجهيز هذا الجيش العرمرم، ومن أبيات هذه القصيدة:

السيف أصدق أنباء من الكتب	في حله الحد بين الحد والعب
يا يوم وقعة عمورية انصرفت	عنك للي شعلاً معسولة الخلب
أبقيت حد بني الإسلام في صمد	والمشركين و دار الشرك في حيب ^(٢)

١ - انطري تاريخ الرسل والملوك، ج ٩، ص ٧٠-٧١، البلخي: البدء والتاريخ، ص ١١٩، الأرنؤي علامة انذهب المسبوك، ص ٢٢١.

٢ - محاسني شعر الحرب عند العرب، ص ١٨٨، ١٨٩، صاع (هاشم صالح): رواقع من الأدب العربي (نصر الجاهلي، لإسلامي، الأموي، العباسي)، بيروت: دار ومكتبة النهضة، ١٩٩١م، ص ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨

بها قصيدة سجلها التاريخ في سجله الخافل بالانتصارات لأنها ارتبطت بذلك النصر الكبير الذي حققه المعتصم في عمورية.

بعد هذا النصر أحس الخليفة المعتصم بالصخر والاعتزاز بما حققه في وقعة عمورية وما استرده من كرامة للعرب.

وتذكر المصادر اليونانية بأن الإمبراطور ثيوفيل أرسل إلى الخليفة المعتصم وفداً برئاسة البطريرق باسيل قائد غرسيون، يعرض عليه مبلغ مئتي ألف قطار من المال^(١) فداءً لأسرى عمورية، ولا سيما أقرباؤه و عاصته، ولكن الخليفة المعتصم رفض عرض باسيل خاصة وأن حملته هذه كلفته مئة ألف قطار، و طلب المعتصم تسليم نصر الكردي وموكل، ولم يجب الإمبراطور طلبه^(٢)، وم تذكر المصادر العربية هذا الوفد.

كما أن المصادر اليونانية تذكر أيضاً وفداً أرسله الإمبراطور ثيوفيل إلى المعتصم في عام ١٠٢٧ م، ممثلاً بالهدايا ويعرض الإمبراطور على الخليفة تبادل للأسرى، وكان رد الخليفة المعتصم بأن قبل هدايا الإمبراطور و أمر بتسلم هدايا مصاعمة للإمبراطور ثيوفيل و لوفده، وم يرفض عرض الإمبراطور، لكنه أجاب الوفد عن العرب بأن أن تقارن المسلمين بالروم، لأن الله أعطاهم كرامة أعظم، ولكن إذا قدمت لي أسرى المسلمين من دون مقابل، فسكافلكم أضعافاً، وأعلم أنا عن المنتصرون، وقد عاد الوفد البيزنطي بهذه الرسالة و بالهدايا للإمبراطور وم

١- نصر ورد بمبادل مائة رطل ، القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج٣ ص٥١٢.

٢- هريفيغ: العرب و الروم ص١٥٥.

يحدث تبادل للأُسرَى، ولكن جرت هدية بين الطرفين، لاشتغال كل شخص منهم بأمور أخرى.^(١)

وبما أن المصادر العربية لم تذكر مثل هذه الحادثة، لذلك يجب النظر بجدو في مثل هذه الروايات، لحين صدور روايات أخرى تصدقها أو تنفيها. وعلى هذا النحو انتهى رسم الخليفة المعتصم وهو يحمل في طياته فرحاً بانتصارات المعتصم على الأعداء البيزنطيين .

لا بد في نهاية الحديث عن هذا الصراع العسكري خلال المئة عام الأولى من تاريخ العباسيين بذكر بعض النقاط المهمة، فالعباسيون لم يتخذوا لخروجهم العسكرية ضد بيزنطة سياسة توسعية واضحة للعالم بشكلٍ كافٍ ، بل كانت غالبية هجماتهم وتوجهاتهم ردات فعلٍ على ما تقوم به الجيوش البيزنطية من تحركات، أو كانت صوائف يعلب عليها الدافع الديني، فقد كانت السياسة الدفاعية هي الطاغية على تحركاتهم أكثر من السياسة الهجومية.

وقد شعلت الحالة الخارجية العامة دوراً مهماً في هذه السياسة ، فشوء إمارة عبد الرحمن الداخل في الأندلس أثر سلباً على الخلفاء العباسيين، فانسلاخ بلاد الأندلس عن الدولة العباسية قد فت في عضدها ولم يتمكن الخلفاء العباسيون من إعادة فرض سيطرتهم على هذا الإقليم المعز، فكان هذا سبباً وجيهاً بالنسبة للعباسيين للعمل على الاحتفاظ بما يملكون من أقاليم تحت سيطرتهم.

كما أن ظهور الامبراطورية الكارولنجية دفع العباسيون إلى إقامة علاقات جيدة مع الأباطرة الكارولنجيين، كونهم كانوا على خلاف مع الإمبراطورية البيزنطية .

^١ - السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج ٢، ص ٧٢، ابن العربي: تاريخ الزمان، ص ٢٥.

هذه الأسباب مجتمعة أثرت في سياسة العباسيين تجاه بيزنطة وجعلتهم يسلكون الخط الدفاعي في أغلب الأحيان كما سبق وذكر، وذلك لانشغالهم في ثوراتهم الداخلية ومحافظتهم على هبة الدولة العباسية التي غالباً ما تتطلب بعض المحرمات والتي تمثلت بصوائف متتالية أحياناً ومتباعدة في أحيان أخرى.

رابعاً: العلاقات الدبلوماسية بين الطرفين العباسي والبيزنطي ١٣٢-

٨٢٣٢ هـ / ٧٥٠-٨٤٧ م:

كانت الحرب في العصر العباسي الأول سجالاً بين العباسيين و العدو الدولة الإمبراطورية البيزنطية في البر والبحر، وهذه الحرب التي كان المسلمون يشوقونها ضد بيزنطة لحماية حدودهم، أو تلك التي كانت تشنها بيزنطة ضدهم للاستيلاء على الممتلكات الإسلامية، كانت تعرض وجود الأسرى، والسبايا بين الطرفين الغالب والمغلوب.

وعمل المسلمون وبشكل دائم على إعادة أسرهم وسباياهم من البيزنطيين، ولهذا كان لزماً أن يتم تنظيم فداء للأسرى بين الجانبين الإسلامي والبيزنطي، كما أنه في كثير من الأحيان احتاج الطرفان العباسي والبيزنطي إلى مدة من الهدوء والراحة، لإعادة هيكلة وتنظيم الشؤون الداخلية، ولذلك عقدت معاهدات الصلح بين الطرفين.

وما يميز العصر العباسي الأول في موضوع فداء الأسرى، هو أن فداء الأسرى بين الطرفين أخذ شكلاً مطلقاً لأول مرة يعتمد على أسس وقواعد، فقد بدأ يظهر ما يسمى بالمراسلات بين الطرفين، لتنظيم عملية الفداء للأسرى والسبايا.

أولاً: الاتفاقيات للبرمة بين الطرفين العباسي والبيزنطي في العصر العباسي الأول:

شعلت معاهدات الصلح حيزاً كبيراً في تاريخ العلاقات العباسية البيزنطية، فكثيراً ما كان أحد الجانبين يطلب الصلح من الآخر، فإما أن يقابل بالرفض أو بالقبول، وفي العصر العباسي كان الجانب البيزنطي هو من يبادر في طلب الصلح ولذلك اعتمدت الإمبراطورية البيزنطية بالعلاقات الدبلوماسية بشكل كبير.

فقد سارت الدبلوماسية البيزنطية حياً إلى جنب مع القوة العسكرية في خطين متوازيين يعملان معاً، وقد يسبق أحدهما الآخر أحياناً لكنهما يمثلان جناحا السياسة البيزنطية الخارجية، وكثيراً ما ودائماً ما عوضت الدبلوماسية النقص الذي كان يعانيه القوة العسكرية في معظم الأزمات، فالدبلوماسية كانت سلاح بيزنطة التقليدي.^(١)

وكان أول طلب للصلح قد تم في العصر العباسي الأول في العام ١٣٩ هـ / ٧٥٦ م لكنه قوبل بالرفض.

إذ عمل الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الخامس على طلب الصلح من المسلمين، وذلك بعد أن تعرض لمجرمين مسلحين قويتين من قبل المسلمين، ولم يتمكن الإمبراطور و جنوده من رد هذين المجرمين.

وفي العام ١٣٩ هـ / ٧٥٦ م توجه القائد جعفر بن حنظلة البهراني من ملطية و نوغس في بلاد الروم واستطاع أن يستولي على عدة حصون بيزنطية، ولم يتم ذكر أسماء هذه الحصون، ولذلك

- عبد الحميد (رأفت): الإمبراطورية البيزنطية العقيدة والسياسة، القاهرة: دار فضاء للنشر والطباعة، ٢٠٠٠م، ص ٢٥٩.

عندما أحس الإمبراطور قسطنطين الخامس أن المسلمين قد استعادوا قوتهم وأنه في وضع لا يسمح له بالمواجهة طلب الصلح من المصور لكنه رفض طلب الإمبراطور.^(١)

وفي العام ١٥٥ هـ / ٧٧١م، عرض الإمبراطور قسطنطين الخامس الصلح على الخليفة المصور، ودفع له الجزية تأميناً لحدوده مع المسلمين، وذلك كي يتفرغ لأمواره الداخلية وحروبه مع البلغار، إذ أن المصور رفض طلب الإمبراطور، وأدرك أن البيزنطيين يعانون من نقاط ضعف وتبهة لذلك قاموا بطلب الصلح منه، فقرر استغلال هذه الفرصة والمبادرة بالهجوم عليهم، وهكذا مرَّ عصر الخليفة المصور، من دون أن يعقد فيه الطرفان العربي المسلم والبيزنطي أية معاهدة للصلح.

وجاء عصر الخليفة محمد المهدي، واستطاع المسلمون تحقيق انتصارات باهرة ضد بيزنطة، خاصة وأن الإمبراطورة إيرين كانت كثيرة الاشتغال بالشؤون الداخلية الدينية لدولتها، وكان هدفها الكبير قد يقتصر على إعادة عبادة الأيقونات وإعطائها الشرعية الدينية، وفي العام ١٦٦ هـ / ٧٨٢م عقدت معاهدة صلح بين العباسيين و البيزنطيين بعد أن تمكن ابن الخليفة المهدي هارون من قيادة حملة كبيرة في العام ١٦٥ هـ / ٧٨١م، واستطاعت هذه الحملة الانتصار على الجيوش التي أرسلتها إيرين، واستطاع قائد الجيش العباسي هارون الوصول إلى خليج بحر البوسفور الذي تقع عليه القسطنطينية. وها طلبت الإمبراطورة إيرين من الصلح، فوافق هارون على طلبها .

انصيري، تزيح الرسل والفلوك، ج٧، ص٥٠٠، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٤٨٨، ابن كثير: البداية و النهاية ج١٠، ص٧٤، ماجد: العصر العباسي الأول، ص١٤٧.

حيث عقدت معاهدة الصلح بين الطرفين في عام ١٦٦ هـ / ٧٨٢ م، ونصت على شروط عدة هي:

- ١- عقد معاهدة صلح بين القوتين المتحاربتين لثلاث سنوات .
 - ٢- تدفع إربس جزية سنوية للعباسيين وتسدد لها على دفعتين في شهري نيسان وحريز من كل عام ، ومقدارها يتراوح بين سبعين ألفاً وتسعين ألف دينار.
 - ٣- يتم تبادل الأسرى بين الطرفين .
 - ٤- يلتزم البيزنطة بفتح الأسواق للتجار العرب في رحلة العودة، وتقوم بإمداد جيش هارون بالأدلاء في طريق العودة.
 - ٥- يسمح للجيش بالرجوع بكل غنائمه و من دون اعتراض أو مقاومة.^(١)
- وهناك خلاف بين المصادر العربية والمصادر البيزنطية حول الطرف الذي طلب الصلح أولاً، فالمصادر العربية تذكر بأن صائفة عام ١٦٥ هـ / ٧٨١ م كانت صائفة مهمة على صعيد الساحات التي حققت، وبأنه بعد الساحات الباهرة التي حققها هارون وقواده، تمكن هارون من الوصول إلى الخليج، ووصل إلى وادي نهر سابخاريوس المطل على البحر الأسود، ولكنه تعاضاً بقدم القائد البيزنطي انطوبو مع قواته في محاولة لقطع الطريق عليه للتقدم، وحاول هارون التخلص من هذا الحصار، لكنه تعاضاً بأن البيزنطيين قد أرسلوا قوات أخرى لمحاصرته من
-
- انصري. تاريخ الرسل والملو، ج ٦، ص ٦٦، باب شداد : الأعلام الخطيرة ، ج ١، ص ٢، ص ٢٣٦-٢٣٧، و
 الجوري المسظم، ج ٨، ص ٢٧٧، مؤلف مجهول : العيون والحدائق، ص ٢٧٩، ربيع دراسات في تاريخ
 الدولة البيزنطية ، ص ١٢٦، سيدو : تاريخ العرب العام ، ص ١٨٧، جلوب : إمبراطورية العرب،
 ص ٥٣٢، لاجر : موسوعة تاريخ العالم، ص ٥١٨ .

الخلف، وهكذا كان موقف هارون حرجاً، وهو محاصر بين الطرفين، وموجود بين الحبس والبحر ولا يستطيع الحراك.^(١)

بعد هذه الحادثة تذكر أغلب المصادر العربية بأن الإمبراطورة إيرين طلبت الصلح من هارون ووافقت على شروطه، وأعطته العديّة^(٢).

يسمى المصادر البيزنطية تذكر أحداثاً لم تذكرها المصادر العربية، وهي حياة القائد البيزنطي تاترايتس قائد الثيم (البد) البوكلاري، الذي تمكن من أن يرسم خطة للمسلمين استطاعوا من خلالها قلب حصارهم إلى انتصار.

وم تذكر المصادر أسباب انضمامه إلى جانب العرب المسلمين، ومن الممكن أن يكون الرشيد قد استماله بلدان، أو استطاع أن يقنعه بأن يعطيه مكاسب إن تمكن الرشيد من الخروج سالماً مستصراً.

فقد استطاع هارون أن يكسب تاترايتس إلى صفه، وهو الذي أشار عليهم بطلب التفاوض مع البيزنطيين، وتكسب تاترايتس من أن يقع القائد بين أنطويو، وبيترستوراكوس، بقبول التفاوض مع هارون، وتوجه هؤلاء القادة إلى معسكر هارون، وهناك تم إلقاء القبض عليهم، وحدثت

- انطري. تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ١٥٢ حيث يقول "دخل مدعلاً صبياً"، ابن الأثير الكاس.

ج ٦، ص ١٥

^٢ من حياض. تاريخ خليفة بن حياط ص ٤٢٨، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ١٥٣، لأردي تاريخ موصل، ص ٢٤٦، ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٦٦، ابن شداد الأعلام الخطيرة، ج ١، ق ٢، ص ٢٣٧، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ١٤٧، مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ص ٢٧٩.

العوصى في الجيش البيزنطي، وسار هارون حتى وصل إلى أبواب القسطنطينية، فحاتت إيرين، وأرسلت إليه تطلب الصلح.^(١)

إن ما ذكره المؤرخون السريان والبيزنطيون بأن السبب الذي جعل إيرين تطلب الصلح من الرشيد، هو ضعف النساء، وبأن المسلمين في البداية، هم من كانوا قد طلبوا الصلح، وذلك بسبب التصديق الذي حدث لهارون وحبيشه، و الحصار الذي فرض عليه ، وقد تم الحديث عن ذلك بالتفصيل في الفصل الثالث.^(٢)

ثم مضى عصر الخليفة محمد المهدي، وحل في طياته هذا الصلح مع الإمبراطورة إيرين بشروطه القوية .

وبعد عصر الخليفة محمد المهدي، جاء عصر الخليفة هارون الرشيد الذي استحوذ على اهتمام المؤرخين والكتاب، للأحداث المهمة التي جرت في عصره، وخاصة فيما يتعلق بالبيزنطيين، فقد استطاع هذا الخليفة أن يجبر أباطرة بمرطبة على طلب الصلح أكثر من مرة، واستطاع أن يأخذ الجزية من الإمبراطور نفسه.

ففي العام ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م، تحرك الخليفة هارون الرشيد مع جيش ضخم ومجهز بشكل كبير، ضم قواداً أقوياء أمثال عبد الملك بن صالح، وولده عبد الرحمن بن عبد الملك، واستطاع الخليفة وقواده شن غزوات وغارات مظمة، ومستمرة دامت حوالي عامين من عام ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م

^١ - عبدالله العلاقات السياسية، ص ٢٢٩-٢٢١-٢٢٢.

^٢ انطري. تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ١٥٣، ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٦٦، ابن شداد لأعلاق لمصر، ج ١، ص ٢٢٧، السرياني: تاريخ ملو ميخائيل السرياني الكبير، ج ٢، ص ٤٢٤.

حتى عام ١٨٢ هـ / ٧٩٨ م تمكن خلالها جيش المسلمين من الاستيلاء على حصص الصمصام واستولى المسلمون على المعسكر البيزنطي ومعداته في ليديا، واحتلوا مالا جيا^(١) و أفسوس^(٢) وطرأ هذه الانتصارات المتتالية التي حققها المسلمون، والتي كبدت بئرطة خسائر فادحة، فقد أرادت الإمبراطورة إيرين أن تحفظ ماء وجهها أمام شعبها، وأرسلت سفارتها تطلب الصلح مع المسلمين في العام ١٨١ هـ / ٧٩٧ م، لكن طلبها رفض وتابع المسلمون تحركهم وعادت إيرين وطلبت الصلح مرة ثانية، وأيضاً رفض الرشيد الصلح معها، إلى أن تعرضت الحدود الإسلامية لهجوم الخزر في العام ١٨٣ هـ / ٧٩٩ م حيث قبل الرشيد طلب الإمبراطورة للصلح، وهكذا عقدت هدنة بين الطرفين العباسي والبيزنطي مدتها ثلاث سنوات، وتم الاتفاق على أن يتم تبادل للأسرى، وأن تدفع الإمبراطورة الجزية للرشيد، ولم يحدد مقدار الجزية والأرجح أنها كانت تساوي الجزية السابقة التي كانت تدفعها من قبل.^(٣)

بعد أن خلعت الإمبراطورة إيرين لم يحافظ البيزنطيون على معاهدة الصلح التي عقدتها الإمبراطورة إيرين مع الخليفة هارون الرشيد، فقد قام الإمبراطور بقمور بنقض الصلح، وأرسل

- ليديا ومالاجيا: لم تذكر المصادر التي تمت المودة إليها موقع هذه الأماكن ولكن بعض المراجع ذكر بأنها حصون تقع على أطراف الإمبراطورية البيزنطية، العربي: الدولة البيزنطية، ص ٢٤٢.

^١ - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٢٦٩، الأردني: تاريخ الوصول، ص ٢٩٢، ابن الأثير: الكاس، ج ٦، ص ١٩١، ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ٢٢٣، ماجد: العصر العباسي الأول، عيد الله العلاقات السياسية، ص ٢٧٣.

^٢ - سعودي: السبب والإشراف، ص ١٩٥، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٣، ص ٣٢٥، الموري: مدية لأرب في فنون الأدب، ج ٢٢، ص ١٤٨ ١٤٩، لايجر: موسوعة تاريخ العالم، ص ٤٨٦، علي: مختصر تاريخ العرب، ص ١٨٧، مصطفى: التاريخ العباسي، ص ٢٧٧، ماجد: العصر العباسي الأول، ص ٢٨٨.

رسالة إلى الخليفة يحثه بنقض الصلح، وبطالبه بإعادة الأموال التي أخذها الرشيد من إيرين، ونتيجة لذلك قام الرشيد بشن حملة ضد الإمبراطورية البيزنطية في العام ١٨٧ هـ / ٨٠٣ م، واستطاع أن يصل إلى أبواب هرقلية، وهنا سارع نقفور إلى طلب الصلح، وأرسل للرشيد يتوسله بقبول الصلح فوافق الخليفة الرشيد وعاد المسلمون إلى بلادهم متصربين^(١).

والملاحظ هنا بأن الإمبراطور الجديد لم يتمكن من مقاومة الرشيد، والسبب في ذلك يعود إلى أن بيزنطة كانت لا تزال تعاني من أثار ثورة القائد باردانس توركس، الذي تمكن من فرض سيطرته على ثغور آسيا الصغرى، وتعاونت معه أعداد كبيرة من الجيش البيزنطي^(٢).

فرض الخليفة هارون الرشيد على الإمبراطور نقفور في هذا الصلح ألا يبني البيزنطيون أي حصص من الحصون المهتدة، وأن يدفع الإمبراطور نقفور للرشيد جزية، وقد ثبت أبو العتاهية الجزية التي دفعها نقفور للرشيد شعراً فقال:

تَحَلَّتِ الدُّنْيَا هَارُونَ ذِي الرُّضَى وَأَصْبَحَ نَقْفُورُ هَارُونَ ذِمًّا.^(٣)

م تذكر المصادر مقدار الجزية بشكل واضح، والأرجح أنها كانت تساوي مقدار الجزية التي كانت تدفعها الإمبراطورة إيرين للرشيد.

- انطري. تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٣١٨، ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ١٨٥، السيوطي تاريخ خلفاء، ص ٢٨٨، ابن العربي مختصر تاريخ الدول، ص ٢٤٤، ابن عسكاري: البياد للعرب في أخبار أندلس، ص ٢٩٠، ص ٢٩٠.

^١ - العربي: الدولة البيزنطية، ص ٢٤٢.

^٢ - مجموعة من الباحثين: الرقة ذرة الفرات، ص ١٠٣.

يحافظ البيزنطيون على الصلح مع المسلمين، وإنما يقضوه مستعينين قلوب الشتاء خاصة، وأن المسلمين كانوا معتادين على العزو في الصيف والربيع، وبأدنى ما كانوا يعززون في الشتاء؛ لعدم تحملهم برودته، ولعدم توفر المراعي للحياة، وهكذا هاجم الإمبراطور مرعش، وأحد أعداد كثيرة من الأتالي وكان هذا قد تم في عام ١٩٠ هـ / ٨٠٥ م، وقرأ على ذلك، فقد جهز الخليفة الرشيد حملة ضخمة وتوجه إلى الأراضي البيزنطية، وتمكن من الاستيلاء على هرقلية، وأرد أن يتابع مسيره لكن الإمبراطور نقفور أرسل يطلب الصلح، ويؤكد للرشيد بأنه سيدفع له لمخمين ألف دينار مقابل الانسحاب، لكن الرشيد رفض الرحيل هكذا بل طلب من نقفور أن يرسل الجزية عن رأسه، ورأس ولده، وعدد من البطارقة، إضافة إلى أهل بلده كل عام.

قبل نقفور طلب الرشيد، وأرسل ثلاثمائة ألف دينار للرشيد، واشترط الخليفة هارون الرشيد على الإمبراطور نقفور ألا يعيد إعمار هرقلية، وبالمقابل طلب من الرشيد عدم تخريب حصون ذي الكلاع وسان وصملة.^(١)

وتجدر الإشارة هنا إلى أن معنى الحرية الذي كان يطلقه المسلمون على المبالغ المالية التي كانوا يأخذونها من الأباطرة البيزنطيين، لا يأخذ معنى الحرية الحرة في الإسلام، أي أن البيزنطيين تحولوا من أمن ذمة للمسلمين، لا بل كان لهم سيادتهم السياسية والعسكرية المستقلة.

ويلاحظ هنا بأن العصر العباسي الأول، كان عصر الخلفاء الأقوياء، وكان يحمل في شأه معاهدات الصلح ذات الشروط القوية والمُلزمة للبيزنطيين بمطالب كبيرة وأموال ضخمة، استطاع

١ من عباط تاريخ خليفة بن عباط، ص ٤٥٩، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٣٢١، لأردى تاريخ

موصول، ص ٣٠٩، ابن شداد: الأعلام المخطوطة، ج ١، ص ٢٥٤، لا بحر: موسوعة تاريخ العالم، ص ٤٨٦.

الخلفاء بحكمتهم وقوتهم وشجاعة جودهم أن يحققوا لدولتهم هذه الانتصارات، وعالياً ما كان البيزنطيون هم الذين يطلبون الصلح .

ثانياً: فداء الأسرى بين العباسيين والبيزنطيين:

١- معنى الأسر والسبي لغة واصطلاحاً:

في البداية لا بد من تعريف الأسير، و توضيح الخلاف بين الأسرى و السبايا .
فمعنى "الأسر" في اللغة العربية الخبس و الشد و الأخذ و الخلق، ومصدره "الأسر" بضم الهمزة وسكون السين، و الإسار: القيد الذي يؤسر به، يقال: ليس بعد الإسار إلا القتل و الجمع أسرى، ومنه الخيل الذي يشد به الكتف، ولذلك سمي المأخوذ في الحرب "أسيراً" لأنه كان يشد به، ثم أطلق عليه ذلك و إن لم يشد بالخيول.

و الأسير: الأعيد و كل محبوس في قف أو سجن.

ويقال: أسرت الرجل أسراً وإساراً، فهو أسير و مأسور و الجمع أسرى و أسارى^(١).

وقوله تعالى: "و يطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً"^(٢).

وقد عرّف الماوردي الأسرى في الاصطلاح بقوله: "الأسرى هم للقاتلون من الكفار، إذا طهر المسلمون بأسرهم أحياء"^(٣).

^١ - ابن منظور: لسان العرب، ج ١، ص ٩٠، الرازي: مختار الصحاح، ص ٣١.

^٢ - القرآن الكريم: سورة الإنسان آية ٨.

^٣ - الماوردي: الأحكام السلطانية، ص ١٦٧.

و لا يقتصر إطلاق لقب الأسير على المقاتل الذي يؤسر في الحرب، وهو يحمل السلاح، بل يدخل في لفظ الأسير كل من حمل السلاح ضد الإسلام، و هو قادر على الحرب، سواء أكان حديداً أصلياً، أو متطوعاً، أو مرتزقاً، أو جاسوساً، والجندي الذي لم يوجد في ساحات القتال، والتجار، وأهل الصاعات، والمسافرون من الدولة العدو الذين وصلوا إلى دار الإسلام صالين، فيمكن أن يأخذوا أسرى، واللاحقون من أهل الحرب إلى أحد المسلمين في أثناء القتال أو بعد انتهائه.^(١)

وأوضح الماوردي هذه الحالات من الأسر بقوله إن الأسير هو: "من كان منهم مهيباً أو مكترى م يباشر قتلاً ولا جرحاً، ولا أخذ مالا... عزز وحزر وجار حيسه، ولا يجار به إلى قطع ولا قتل...".^(٢)

ويخرج من هذا اللفظ كل من لا يقدر على حمل السلاح من أطفال، أو شيوخ، أو نساء، أو رهبان، ومطلق العنزة الذين كان يطلق عليهم السبايا.^(٣) هذا ما كان يدل عليه لفظ الأسير، أما السبي، فهي اللغة العربية يقال سبيت النساء سباً و سباً ووقع عليهن السباء، و هذه سبية فلان: للحرارية للسبية.^(٤)

^١ - عامر: أحكام الأسرى والسبايا في الحروب الإسلامية، ص ٨٤.

^٢ - الماوردي: الأحكام السلطانية، ص ٥٩.

^٣ - سلطان (محمد سامي محمد صبر): معاملة الأسرى في الحروب الصليبية، بيروت، جامعة بيروت العربية، ٢٠١٠م، ص ٢٣.

^٤ - الفيروز آبادي (محمد بن يعقوب ت ٨٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م): القاموس المحيط، بيروت، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، ٥، ت، ص ٣٣٩، مجموعة من المؤلفين: المعجم الوسيط، ١٩٩٠م، ص ٤٣١.

أما السبي اصطلاحاً: فهو لا يكاد يخرج عن التعريف اللغوي للتقدم، و كذلك التعريق بين السبايا والأسرى.

فالسبايا هم الصبيان والنساء الذين ظفر المسلمون بأسرهم أحياء، و الأسرى هم الرجال، والمقاتلون الذين ظفر المسلمون بأسرهم أحياء.^(١)

عندما م يكن هناك معرّة من صدام المسلمين بعيرهم، كان لا بد من أن ترتب على هذا الصدام نتائج، وأن يكون من بين هذه النتائج وقوع الأسرى و السبايا من الطرفين المتحاربين، وأن تجري المراسلات، لإنقاذ هؤلاء الأسرى و السبايا من الطرفين.^(٢)

أما فداء الأسرى الذي كان يتم بين الطرفين العباسي والبيروني، فإما أن يكون شرطاً من شروط معاهدات الصلح يتفق عليه الطرفان، وإما أن يحدد الطرفان موعداً للفداء من دون أن يسبق بمعامدة صلح.

وفي العصر العباسي الأول نظمت عملية الفداء بشكل واضح، ولم تعد تتم بشكل عشوائي، بل كان يسبقها سفارات، لتحديد موقع الفداء وتاريخه، ومن سيمتدى وإلى ما هنالك من ترتيبات تتعلق بذلك، ويلاحظ في أمر الفداء اختلاف المؤرخين حول تحديد تاريخ كل فداء، وعدد الأفدية التي حدثت بين الطرفين.

ولهذا سيتم الحديث عن جميع الأفدية مع ذكر الخلاف بين المؤرخين حولها.

^١ - اللوردي: الأحكام السلطانية، ص ١٢٧، الزحيلي: آثار الحرب في الفقه الإسلامي، ص ٢٦٤.

^٢ - الزحيلي: آثار الحرب في الفقه الإسلامي، ص ٨٥.

ولا بد من التمييز بين العداء والتبادل لعويًا، فالعداء ما يقدم من مال وغيره لتحليص المَعْدَى، وفداء أي استنقاذه بمال أو غيره فخلصه مما كان فيه فعداه بماله وفداه بنفسه.^(١)

فالعداء بشئ عام كان يتم بدفع الأموال، لإنقاذ الأسير، أما التبادل فهو من كلمة (بادل) أي بادل الشيء بعيره مُبادلةً وبدلاً أخذته ببدله وبادل فلاناً أعطاه شيئاً منه ببدله.^(٢) وعلى الرغم من الخلاف في معنى اللعوي للكلمتين، إلا أن الأقدية في العصر العباسي كان يتم فيها التبادل ودفع الأموال.

جرى أول فداء بين العباسيين والبيزنطيين رمس الخليفة المصور، وعلى الرغم من اختلاف المؤرخين أمثال ابن خياط، و اليقوي، والمسعودي في تحديد تاريخ هذا الفداء، إلى جانب عدم اهتمام المصادر الإسلامية بتفاصيل هذا الفداء، وعدم ذكرها، فقد رفض المصور طلب الإمبراطور قسطنطين الخامس للصلح في العام ١٢٩ هـ/ ٧٥٦م، ولكنه قبل أن يتم تبادل للأسرى بين الطرفين.^(٣)

لم يحدد المكان الذي جرى فيه هذا التبادل، كما لم يحدد عدد الأسرى، أو حتى طريقة التبادل، والعداء الثاني الذي حدث في عصر الخليفة المصور كان عام ١٥٢ هـ/ ٧٦٩م، حيث شعر الطرفان العربي والبيزنطي بحاجتهما إلى التهدئة، لإعادة تقوية جيوشهما وتنظيمهما فقاما بتبادل للأسرى في عام ١٥٢ هـ/ ٧٦٩م، وكان التبادل يتم رجل برجل وامرأة بامرأة وطفل بطفل،

^١ - الرازي: مختار الصحاح، ص ٣٦٧، مجموعة مؤلفين: للمصم الوسيط، ص ٧٠٣.

^٢ - الرازي: مختار الصحاح، ص ٥١، مجموعة مؤلفين: للمصم الوسيط، ص ٤٥.

^٣ - انصاري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ٥٠٠، ابن الأثير: الكامل، ج ٥، ص ٤٨٨، ماجد العصر العباسي، لأ.، ص ١٤٧.

وكان المصور قد اشترط على الأسرى البيزنطيين أن يطلقوا لحاهم ويعطوا رؤوسهم^١، و يذكر المكان الذي جرى فيه العداء.

وبالملاحظ أن القديسين السابقين لم يتم ذكرهما عند غالبية المصادر، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو، هل كانت هذه الأقدية تتم بشكل عشوائي؟ ألم تجر مراسلات بين الطرفين لتنظيم عمليات التبادل؟.

بما لا شك فيه أن هناك طرفاً ثالثاً كان يتوسط بين الطرفين العربي المسلم والبيزنطي، لتنظيم مثل هذه الأحداث ولكن المصادر لم تذكر هذه التفاصيل .

بعد هذه الأحداث توفي الخليفة العباسي أبو جعفر المصور والإمبراطور البيزنطي قسطنطين الخامس في العام نفسه ١٥٨ هـ / ٧٧٥م، وتسلم عرش الخلافة الإسلامية الخليفة محمد المهدي ابن الخليفة المصور، وسار على خطا والده في الدفاع عن حدود دولته من خطر البيزنطيين، وتسلم عرش الإمبراطورية البيزنطية ابن الإمبراطور قسطنطين الخامس الإمبراطور ليو الرابع.

كانت الأجواء العامة للعالمين العربي الإسلامي والبيزنطي آنذاك توحي بأن العلاقات بين الخليفة المهدي والإمبراطور ليو الرابع ستميل نحو الهدوء والسلام، والسبب في ذلك هو أن الإمبراطور ليو الرابع عمل على إطلاق سراح الأسرى المسلمين الذين كانت الإمبراطورية قد أسرتهم لديها

^١ - ابن شداد: الأعلام الخطيرة، ج ١، ص ٢٣٠، عبيد الله: العلاقات السياسية، ص ١٦٦.

من قبل، ورد الخليفة المهدي بالمثل فقد أطلق سراح الأسرى البيزنطيين لديه مع من أطلق سراحهم من السجون^(١).

في يكن هذا العداء متعمقاً عليه بين الطرفين، وإنما كان مبادرة سلمية قام بها الطرف البيزنطي لأول مرة تجاه المسلمين، ولم يكن الخليفة العباسي للمهدي أقل كرمًا من الإمبراطور ليو الرابع لإطلاقه سراح الأسرى المسلمين، بل ردّ بالمثل عندما أطلق سراح من لديه من الأسرى البيزنطيين. كان هذا أول تحرير للأسرى في عصر المهدي، أما تبادل الأسرى الثاني، فقد كان هناك خلاف بين المؤرخين حول تاريخ هذا العداء، ففي عام ١٦٦هـ / ٧٨٢م تم تبادل للأسرى بين كلا الطرفين نتيجة للصلح الملقود بين العباسيين والبيزنطيين^(٢).

وهناك مصدر وحيد ذكر بأن العداء جرى في العام ١٦٧هـ / ٧٨٣م، وجرى العداء بإشراف القائد عبد الحميد بن الضحاك^(٣).

وم تذكر المصادر تفاصيل هذا التبادل والأرجح أنه تم إطلاق الأسرى من دون أية مراسم.

- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ١١٧ بالأردنية: تاريخ للوصول، ص ٣٦٨، ابن الأثير: الكاس، ج ٦، ص ٤١، مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ص ٢٧٠، السرياني. تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج ٢، ص ٤٢١-٤٢٢-٤٢٣.

١ - انطري. تاريخ الرسل والملوك، ج ٩، ص ٦٩، ابن شداد: الأعلام المخططة، ج ١، ص ٢٣٦-٢٣٧، ابن الجوزي: المنتظم، ج ٨، ص ٢٧٧، مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ص ٢٧٩، ربيع دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٢٦، سبنو: تاريخ العرب المعاصرة، ص ١٨٧، جلوب: إمبراطورية العرب، ص ٥٣٢، لاجر: موسوعة تاريخ العالم، ص ٥١٨.

٢ - ابن عياط: تاريخ خليفة بن عياط، ص ٤٢٩.

وحدث فداء آخر للأسرى بعد أربع سنوات من تاريخ معاهدة الصلح، علماً أن البيروطين كانوا هم الذين يادروا بهذا الفداء، فقد قدموا ليعدوا أسراهم بأسرى المسلمين.^(١) وكان هذا الفداء مع بداية تسلم الخليفة هارون الرشيد عرش الخلافة الإسلامية في عام ١٧١ هـ / ٧٨٧م.

ولا يمكن نفي هذا التبادل أو تأكيده، لعدم وجود مصادر كافية تساعد في ترجيح حدوثه أو نفيه، ومن الممكن أن تكون الإمبراطورة إيريس أرادت أن تتمثل بزوجها حين أطلق سراح أسرى المسلمين لديه عندما تسلم الخليفة المهدي عرش الخلافة كمبادرة سلمية تجاه المسلمين.

ويلاحظ الاختلاف في تحديد العام كما يلاحظ أيضاً عدم إجماع المؤرخين حول فداء الذي تم في عام ١٨٣ هـ / ٧٩٩م، ويذكر بأن هذا الفداء كان بناء على معاهدة الصلح التي عقدت مع إيريس في هذا العام، فقد ذكر البعض بأنه في عام ١٨٣ هـ / ٧٩٩م حدث فداء بين البيروطين والمسلمين، ولكنه فداء منتظم، فقد شارك فيه من الطرف العربي المسلم ابن الخليفة هارون الرشيد القاسم، وكان هو من تولى القيام بالفداء وكان مع القاسم أبو سليم فرج الخادم التركي بلوكل بالاهتمام بطرسوس، والذي أحضر معه ما يقارب من ثلاثين ألف رجل من المرتزقة، أما من الجانب البيروطي، فقد كان - كما ذكر المصدر - الملك يعقور الذي توجه ومعه بالطبع عدد من الشخصيات البيروطية المهمة، وحضر هذا الفداء أعداد كبيرة من العلماء والأعيان

^١ - ابن حياط: تاريخ خليفة بن حياط، ص ٤٤٨.

لمسلمين، والكثير من أهالي وسكان النعور، وتم فداء ثلاثة آلاف وسبعمئة أسير من الطرف
لمسلم، ولم يحدد عدد الأسرى البيزنطيين.^(١)

ما يلاحظ في هذا العداء بأن المصدر إن كان قد قصد أن الإمبراطور يقعور هو من قام
بالعداء كونه إمبراطوراً، فقد أخطأ، وذلك لأن الإمبراطورة إيريس كانت ما تزال على رأس
السلطة هي وابنها قسطنطين، أما إن كان المصدر قد قصد بأن يقعور شارك بالعداء بصعته
وريراً للمالية فهذا ممكن، ولكن المصدر حين ذكر الحادثة قال: الملك يقعور، فلاحتمال الورد
هنا بأن المصدر أخطأ في ذكر اسم الإمبراطور البيزنطي، وبأنه من الممكن أن يكون هذا العداء
قد حدث في عهد إيرين.

أما المصادر العربية الأخرى، فلا تذكر تاريخ هذا العداء في عام ١١٨٣ هـ / ٧٩٩ م وما تذكر أن
هذه التفاصيل والأحداث، كانت خاصة بالعداء الذي حدث في عام ١١٨٩ هـ / ٨٠٤ م، فبعد
أن حاصر الخليفة هارون الرشيد مدينة هرقلة طلب يقعور الصلح والاتفاق على عملية فداء تتم
بين الطرفين ويذكر بعض المؤرخين أن هذا الفداء كان أول فداء جرى في العصر العباسي الأول،
وكان في عصر الرشيد، والعداء جرى على نهر الاملس القريب من طرسوس، وكان المسؤولون
على إجراء الفداء القاسم بن الرشيد وكان معه أبو سليم فرج الخادم المسؤول عن طرسوس،
وسام البلسي البربري الذي أحضر معه ثلاثين ألفاً من المرتزقة، ويذكر أنه أيضاً حصر العداء
أهل النعور جميعاً، بالإضافة إلى توافد أعداد هائلة من سكان المدن الأخرى، ووصل ما يقارب

ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ١٥، دحلان: الفتوحات الإسلامية، ص ١٩٨، فرياد (عبد الكريم)

أسرى الحرب عبر التاريخ، بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٩ م، ص ١١٥.

خمسة ألف شخص إلى منطقة نهر اللامس، وعمد العباسيون إلى الحضور بعده واعتاد من أفصل ما يكون، فقد كان الخيل والسلاح والعتاد الإسلامي على درجة كبيرة من الاهتمام والرعاية حتى اللبس كان متعبراً، وكان هذا أيضاً حال البيزنطيين الذين قدموا بالمراكب الحربية إلى نهر اللامس، وهم مرتدون اللباس المتميز أيضاً ومعهم أسرى المسلمين .

وقد تم فداء عدد كبير من الأسرى ، لذلك أخذت عملية العداء وقتاً طويلاً ثم خلالها فداء ثلاثة آلاف وسبعة أسير من المسلمين، وقد بقي المسلمون في اللامس ما يقارب أربعين يوماً في المنطقة، ما بين تحضير للعداء وأحداث العداء، ومن ثم الرحيل عن المنطقة، ونظراً للأعداد الكثيرة التي تمكن العباسيون من فك أسرها، فقد قيل في حينها إنه: «لم يبق بأرض الروم مسلم إلا فودي به»^(١).

وعند الشعراء هذا العداء في قصائدهم فقد قال فيه مروان بن أبي حفصة :

فُكْتُ بِكَ الْأَسْرَى الَّتِي شَدَدَتْ لَهَا عَاهِسَ مَا فِيهَا حَيْمٌ يَزُورُهُ
على حين أعيا المسلمين فكأنهم . . . وقالوا سحونَ المشركين قبورهم . . .^(٢)

- السعدي . التيه والإشراف ، ص ١٦٠ ، الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٨ ، ص ٣١٨ ، ابن الأثير انكس ، ج ٦ ، ص ١٩٣ ، ابن شداد . الأعلام المخططة ، ج ١ ، ص ٢٤٢ ، ابن كثير البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ٢٠١ ، ميكن . جغرافية دار الإسلام البشرية ج ٢ ، ص ٢٤٧ ، مرحان : أسرى الحرب عبر التاريخ ، ص ١١٥ ، عثمان : الحدود الإسلامية البيزنطية ، ج ٢ ، ص ٤١٧ .
١ - الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٨ ، ص ٣١٨ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٦ ، ص ١٩٣ ، ابن شداد : أعلام المخططة ، ج ١ ، ص ٢٤٢ .

وما يلاحظ في هذه الرواية بأنه اتفق أغلب المؤرخين حول هذا الفداء، ولكن البعض ذكر بأنه أول فداء كان أيام بني العباس.^(١)

وهذا ليس مطلقاً، فهو يحاكي الحقيقة، لأنه جرى بين العباسيين والبيزنطيين أكثر من فداء كما سبق وذكر. وربما قصد المؤرخ بأنه الفداء الأول المنظم والذي جرى على نحر اللامس، ومن ثم درجت العادة على جعل منطقة اللامس المنطقة التي تتم فيها عملية الفداء غالباً.

أما بالنسبة للأعداد الكبيرة التي كانت تجتمع في المنطقة التي يجري فيها الفداء، والتي يذكر بأنها قاربت حوالي خمسة آلاف شخص، فيلاحظ بأن هذا الرقم مبالغ فيه، فكيف ستسع هذه المنطقة لثلاثين ألفاً من المرتقة وخمسة آلاف من سكان الأمصار؟ هذا غير أعداد الأسرى الذين كانوا حوالي أربعة آلاف أسير وأعداد البيزنطيين القادمين إلى الفداء، فهذه مبالغة واضحة، وربما ذكر المؤرخون هذه الأعداد الكبيرة ليبينوا أهمية هذا الحدث بالنسبة للمسلمين.

وم يتوقف المسلمون والبيزنطيون عن شس المحرمات المتبادلة والمتكررة من كلا الطرفين على أرضي الدولتين، وبعد مدة اتفق الطرفان العباسي والبيزنطي على عقد الصلح وتبادل الأسرى في العام ١٩٢ هـ / ٨٠٧م، وتم الفداء بإشراف أمير الثغور الشامية ثابت بن نصر بن مالك الخراساني، وحصر إجراءات الفداء مئاة الألوف من الأشخاص، ودام الفداء ما يقارب سبعة أيام وتم تحرير العيين وخمسة أسير مابين رجل وامرأة.^(٢)

^١ - المسعودي: التبيين والإشراف، ص ١٦٠.

^٢ - المسعودي: التبيين والإشراف، ص ١٦١، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٣٣٨، ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ٣٤٠، عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية، ج ٢، ص ٤١٨.

والسؤال الذي يطرح هنا هو ما سبب هذه المبالغة في نسبة حضور السكان الذين شاركوا في إجراءات العداء؟ ربما يكون هذا التضخيم في أعداد المسلمين الذين شاركوا للدلالة على أهمية هذا الحدث.

وهناك خلاف حول المكان الذي جرى فيه العداء، فالبعض يذكر بأنه كان في اللامس^(١) والبعض الآخر يذكر بأنه كان في البندنون^(٢).

من الممكن أن يكون هذا العداء جرى في البندنون^(٣)، ولكن على الأرجح بأن العداء كان قد حصل في اللامس كما هي العادة التي درجت في العصر العباسي الأول.

ويعتمد المؤرخ الطبري بذكر حدوث فداء آخر في عصر الأمين في العام ١٩٤ هـ / ٨٠٩ م^(٤).
وم تذكر المصادر الأخرى هذا العداء، وإن كان قد حدث، فعلى الأرجح بأنه كان عبارة عن تبادل عدد قليل من الأسرى.

أما في عصر الخليفة المعتصم فقد عرض الإمبراطور ثيوفيلوس على الخليفة المعتصم أن يجري تبادل للأسرى بين الطرفين عدة مرات، وردّ الخليفة المعتصم على طلب الإمبراطور بقوله: "إن أردت أن تردّ عليا من كان لديك من المسلمين من دون أن تطلب مقابلاً لذلك، فإنا نرد عليك أضعاف من تطلق سراحهم وجرى تبادل للأسرى بين الطرفين ولكن الخليفة المعتصم لم يرح

^١ - المسعودي . التنبيه والإشراف ص ١٩١ .

^٢ الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ج ٨ ص ٣٤٠ .

^٣ البندنون قرية بينها وبين طرسوس يوم من بلاد الثغرى مات بها المؤمن فقل إلى طرسوس ودمى وطررسوس باب يقال له باب بندنون ، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٣٩١-٣٩٢.

^٤ - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٣٤٢، عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية، ج ٢، ص ٤١٨.

عن كل الأسرى لديه، فقد أبقى على القائد ايتيوس أسيراً لديه.^(١) وربما استبقاه ليستعيد من خبرته ، أو للاستمرار في إحباط الجيش البيزنطي الذي كان يرى في هذا القائد الملهم الذي يرفع من معنويات هذا الجيش ويزيد من همته وقوته.

والعداء الأكثر أهمية من حيث التفاصيل التي ذكرت عنه، كان العداء الذي جرى في عصر الخليفة الونداني، إذ سبق هذا العداء شعارات قدمت من بيزنطة إلى الخليفة الونداني لتفاوضه من أجل إجراء فداء بين الطرفين العباسي والبيزنطي، ووصلت رسل البيزنطيين إلى الخليفة الونداني وطلبت منه قبول إجراء تبادل للأسرى، وبدوره أرسل الخليفة الونداني أحمد بن أبي قحطبة صاحب عراق، الخادم في بلاد الروم، ليعلم عدد الأسرى المسلمين، عاد أحمد وذكر بأن أعداد المسلمين بلغت ثلاثة آلاف رجل وخمسة مائة امرأة، واتفق الطرفان على إجراء العداء، ومن ثم جرى خلاف بين الوفدين العباسي والبيزنطي بخصوص الأسرى، فقد رفض البيزنطيون أخذ امرأة عمجور أو شيخ كبير أو صبي صغير؛ ولذلك استمرت المفاوضات مع ابن الزيات إلى أن أقتنعهم بأن يتم التبادل أسير بأسير.

م تتوفر لدى الونداني الأعداد اللازمة لإجراء التبادل، لذلك أرسل الونداني أشخاصاً إلى بغداد والرقعة لشراء الرقيق، ولكن لم تجهز الأعداد الكافية، فعمد الونداني إلى إخراج النساء الروميات العرائز والشيوخ الكبار في السن من قصره إلى أن اكتملت الأعداد.

J.B.Bury, A History of the Eastern Roman Empire, 1912, p274.

١، سلطان: معاملة الأسرى في الحروب الصليبية، ص ٣٦.

عمل الوثائق على إرسال عدد من الشخصيات المهمة إلى هذا العدا، فقد ذهب أحمد بن سعيد بن سلم بن قتيبة الباهلي وإلى الثعور، وأخذ الباهلي معه سبعة عشر رجلاً من عمال البريد، ووجه الوثائق يحيى بن آدم الكرخي ويكي أبا رملة، وجعفر بن أحمد بن الحذاء، وأرسل معهما الكاتب طالب بن داود، وطلب منهم امتحان الأسرى في القول بخلق القرآن، فقد كانت سياسة الدولة تعتمد على القول بالقرآن.

تحدد موعد العدا في محرم من عام ٢٣١ هـ / أيلول ٨٤٥ م، وكان المشرف على العدا من الجانب العباسي عاقان الخادم التركي، وكان معه الأسرى البيزنطيون، ولم يحدد عددهم بالضبط، واجتمع في مكان العدا ما يقارب أربعة آلاف فارس وراجل من المسلمين والمطوعة، ومن الجانب البيزنطي جاء قائدان يقال لأحدهما: أنقاس وللثاني الآخر لمسوس.

واجتمع الطرفان على نهر اللامس، المسلمون على الجانب الشرقي من النهر، والبيزنطيون على الجانب الغربي، وتم إنشاء جسر من على النهر، يرسل البيزنطيون أسيراً من عندهم ويرسل المسلمون أسيراً إلى أن يصل الأسير المسلم إلى المسلمين فيكبروا ويصل الأسير البيزنطي إلى البيزنطيين فينادوا بكلامهم وهكذا إلى أن انتهى العدا، ويذكر بأن الأسرى المسلمين كانوا يتحنون بقولهم بخلق القرآن وبأن الله عز وجل لا يرى في الآخرة، فمن قال بذلك فودي، ومن لم يقل ترك في أيدي البيزنطيين، وأمر الوثائق بأن يعطى كل أسير، قال بخلق القرآن، ديناراً، فقد كانت سياسة الدولة آنذاك تقول بخلق القرآن..

تجاوزت أعداد من فودي بم أربعة آلاف وستمئة شخص بين رجال ونساء وأطفال مسلمين ومسيحيين، فمن النساء والأطفال فودي ستمئة شخص، ومن أهل الذمة فودي ما يقارب

خمسة شخص، والباقيون من الأسرى كانوا رجالاً من شتى المدن والبلدان، استمر العداء أربعة أيام، ولم عقد اتفاق بين المسلمين والبيزنطيين مدته أربعين يوماً لا يعززون فيها إلى أن يعود كل طرف إلى بلاده.^(١)

أما الأماكن التي كانت تجري فيها عمليات الفداء في العصر العباسي الأول، فللمصادر م تذكر أسماء الأماكن بشكل واضح، وربما لأن الاقتداء كان هو الأهم، ومن ثم بدأ يلاحظ ذكر اسم نهر اللامس والبيدودون بأحما أماكن رئيسة لمبادلات الأسرى، والأرجح أن هناك أماكن أخرى كان يجري فيها العداء، ربما كان يجري في إحدى مدد الثغور الحدودية التي تربط بين الدولتين العربية الإسلامية والبيزنطية، والأرجح بأن الطرفين كانا يختاران منطقة فسيحة تتسع لأسرى. والملاحظ في هذا العداء بأنه أمد الدارسين بمادة مهمة عن طريقة الفداء وأسلوبه، ومن الممكن أن تكون معظم الأفندية السابقة قد نمت على هذا النحو.

ويلاحظ أيضاً بأن المسلمين قد تمتعوا بروح متسامحة إذ إنه بقي بحورهم ما يقارب مئة أسير بيزنطي بعد أن انتهت مراسم الفداء فعمل المسلمون على إطلاق سراحهم دون مقابل.^(٢) من خلال ما ذكر يلاحظ بأن العباسيين عملوا على إطلاق سراح رعاياهم من مسلمين وبنساري ولم يفرقوا بينهم، وهذه كانت من أهم المزايا الحميدة التي ميزت العربي في ذلك العصر.

- سمودي. القسبة والإشراف، ص ١٩١-١٩٢، الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج ٨، ص ١٤٠-١٤١-١٤٢-١٤٣-١٤٤-١٤٥، ابن الأثير: الكامل، ج ٧، ص ٧٧، الدوري (عبد العزيز): دراسات في العصور العباسية المتأخرة، بغداد، مطبعة السريان، ١٩٤٥م، ص ٣٩، ميكيل: جغرافية دار الإسلام البشرية، ج ٢، ق ٢، ص ٢٧٤، مرجح: أسرى الحرب عبر التاريخ، ص ١١٥-١١٦.

^١ - عواد (محمد حسن): بحر الرقيق مطبوع من عهد الملكة القاهرة، مؤسسة دار الشعب، ١٩٧٦م، ص ١٢٧.

٢- معاملة الأسرى في الأسر:

أما فيما يتعلق بمعاملة الأسرى للمسلمين في يزرطة، فلا شك بأن الأسر يجر مصائب كثيرة على صاحبه، فلم يكن الأسير يعامل معاملة حسنة، بل على العكس كانوا يجبرون على العمل في ساحم اللحم والدم، ويكرهون على الخدمة في الجيش، و كانوا يستبدون ويستعملون في الصانع، ولكنهم في المقابل لا يكرهون على أكل لحم المختبر، ولا تثقب أبوفهم أو تشق ألسنتهم، وكان للمسلمين دار يجتمعون فيها مع بعضهم إذا أسروا.

أما إذا كان الأسير من الشخصيات الرفيعة فيوضع في مكان يليق به وبمكاته، ويذكر بأن داراً كبيرة خصصت للشخصيات الرفيعة من الأسرى.^(١)

ويذكر بأن الأسرى الذين كان الإمبراطور قسطنطين الخامس يأخذهم لدى مهاجمته الثور كان يسكنهم في تراقية مع سكان المدينة.^(٢)

أما عن معاملة المسلمين للأسرى البيزنطيين، فعلى الأرجح بأن مصيرهم كان الاسترقاق إلى أن يعتديهم البيزنطيون، وغالباً ما كان يستعاد من المتعلمين منهم في تعليم أولاد المسلمين، أو في ترجمة الكتب والمؤلفات، وكان بعضهم يعمل في المنسوخات والقصائد التي يتقنها.^(٣)

١ - بر رسته (أبو علي أحمد بن عمر) ٨٢٩٠ هـ/ ١٤٠٣ م: الأعلام النبوية، بيروت، مطبعة بريل، ١٨٩١ م، ص ١٢٠-١٢١، مكيال: جغرافية دار الإسلام البشرية، ص ٢٤٨.

٢ - عياط تاريخ خليفة بن عياط، ص ٤١٠، السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج ٢، ص ٤١٣.

٣ - ريدير (جرجي): تاريخ التمدد الإسلامي، مراجعة وتطبيق: حسين مؤنس، القاهرة، دار الفلاح، ١٩٥٨ م، ج ٥، ص ٢١-٢٢.

كما أن بعض الأسرى كانوا يباعون مثلما حدث في عام ١٩٠ هـ / ٨٠٥ م، عندما وصل القائد العباسي حميد بن معيوف إلى قبرص، وتمكن من سبي وأسر أعداد كثيرة جرى خلاف بين المؤرخين حول أعدادهم، فالبعض ذكر بأنهم كانوا عشرة آلاف أسير^(١)، والبعض الآخر قال: إنهم ستة عشر ألف شخص^(٢)، ونظراً لعدم الدقة في هذه الأعداد يجب أخذ الحذر والحيطه، ومع هذا، الاختلاف إلا أن مصيرهم كان واحداً وهو بيعهم في الرافقة، وكان بينهم كثير أساقفة قبرص وبيع بالقي ديار^(٣).

ومن الآثار الأخرى للأسر أنه أصبحت تجارة الرقيق رائجة جداً، وذلك لأنها كانت تعتمد على الأسرى بالدرجة الأولى، فقد استعمل العبيد والعلماء والمختصين والمخواري في قصور الخلفاء والأمراء والقادة بشكل كبير^(٤).

٣- أنواع الأسرى وكيفية الفداء :

نظراً للربطة الدينية القوية والمتينة بين المسلمين ، فقد عمل الخلفاء على المحاولة لإطلاق سراح جميع الأسرى المسلمين لدى البيزنطيين، فبالسلم عندما يخرج غارياً في سبيل الله يعلم بأنه إما أن يحرر النصر أو الشهادة أو أن يقع في الأسر، لذلك فإن هو وقع في الأسر، فهو في ذمة المسلمين بمحموه وهو في الأسر إن استطاعوا، ويعملون على خلاصه من الأسر بوسائل عديدة ، منها دفع بدل أو الفداء شخص مقابل شخص^(٥).

^١ - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٩ ص ٢٢٠.

^٢ - السبوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٢٨٩.

^٣ - عهد الله. العلاقات السياسية، ص ٢٩٩.

^٤ - فرحان: أسرى الحرب عبر التاريخ، ص ١٥٣-١٥٤.

^٥ - علم: أحكام الأسرى والسياسا في الحروب الإسلامية، ص ٢٦٧.

وأن عالية المسلمين من رعاية الدولة وأبنائها، لهذا كان المسلمون يعملون على فدائهم شخصاً مقابل شخص، وإن لم يستطيعوا ذلك كانوا يلجؤون لدفع الأموال لفك أسرهم، ولكن بظراً لتزايد أعداد الأسرى المسلمين كان العمل على فك أسرهم واجباً دينياً وإسلامياً، لهذا فقد شارك أهل الورع والتقوى وميسورو الحال في إنفاق الأموال لفك الأسرى.

ولهذا فإن استطاع الأسير المسلم الفرار من أيدي الأعداء نجح بنفسه، وإن لم يستطع فيحب على المسلمين معاوضة الأعداء لفك أسره.^(١)

وكان المسلمون يمتكّنون أسراهم الرجال والنساء، الأطفال والشيوخ، إما بالتبادل أسير مقابل أسير، وإما بدفع الأموال، أمّا الروم البيزنطيون فقلما كانوا يدفعون الأموال لفك أسراهم، فإن استطاعوا فكهم بالتبادل شخص مقابل شخص فعلوا، وإن لم يستطيعوا فيلاحظ بأنهم لا يتشجعون لبذل الأموال في سبيل هذا الأمر.^(٢)

ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن أسرى البيزنطيين غالباً ما يكونون من العرباء المناحورين (المرتقة) وليسوا من البيزنطيين أنفسهم، ولم تذكر المصادر مصر الأسرى البيزنطيين في العصر العباسي الأول الذين لم يتم فداؤهم، فعلى الأرجح أنهم يقعون في حيرة المسلمين ومهم من يمضي بقية حياته في بلاد المسلمين.

والطريقة في فك الأسرى، التبادل، ودفع الأموال، استخدمتا في العصر العباسي الأول في الأقدية التي حورت أيام الخلفاء العباسيين، ومن خلال ما ذكرته المصادر عن طريق التبادل، أحياناً

^١ رجبلي آثار الحرب في الفقه الإسلامي، ص ١٢٢.

^٢ ريدان تاريخ التمدد الإسلامي، ج ٥ ص ٣١.

كان يتم التبادل رجل برجل، وامرأة بامرأة، وطفل بطفل، وفي أحياناً كان يتم التبادل شخص مقابل شخص.

وعلى هذا النحو كانت تتم معاهدات الصلح، وفداء الأسرى بين الطرفين العباسي والبيروني، ويلاحظ أنه غالباً ما كانت تعقد معاهدات الصلح بين الطرفين للاتعاف إلى الأوضاع الداخلية للطرفين المتحاربين، وعادةً كان الطرفان يستعلان معاهدات الصلح، لإصلاح ما تهدم في مناطق الثغور، و تخصيصها وإعادة هيكلتها من جديد و الالتعاف إلى الأمور الداخلية من ثورات وانتفاضات تحدث في الدولتين بين الحين والآخر.

أما فداء الأسرى، فقد كان مميزاً في العصر العباسي الأول بما تخلله من تنظيم وسعادت بدأت تظهر بشكل واضح في هذا العصر، لتعطي لهذه العملية أهميتها .

وبما لا شك فيه أن حالات فداء الأسرى ومعاهدات الصلح كان يتبعها علاقات جيدة على الصعيد الاقتصادي والثقافي، فضلاً ما كانت تمنح الطرق للتجارة والتبادل التجاري بين الطرفين، وأرسلت السفارات العلمية من قبل الخلفاء العباسيين ووررائهم إلى بيزنطة للتعرف على الثقافات الأخرى .

وهكذا، انتهى عصر الخلفاء العباسيين الأوائل وهم في حالتهم متصادمين لا تشرق مع الدولة البيزنطية؛ الحرب والسلام.

الفصل الرابع:

الحياة الاقتصادية والاجتماعية والدينية والسياسية في مدن الثغور.

أولاً: الحياة الاقتصادية في مدن الثغور.

أولاً - الزراعة.

ثانياً - الصناعة والحرف.

ثالثاً - التجارة.

ثانياً: الحياة الدينية في مدن الثغور.

ثالثاً: سياسة توطين السكان في الثغور الإسلامية زمن العباسيين.

العناصر السكانية:

- بنو وائل
- بنو تغلب
- الفرس
- الزط
- البياطرة المراتقة
- الخراجمة
- المتطوعة

رابعاً: دور مدن الثغور في الأحداث الداخلية في الدولة العباسية.

- ثورة نصر بن شيث العقيلي في كيسوم ١٨٩-٥٢١٠ هـ / ٨١٣-٨٢٥ م.

خامساً: الحركات الانفصالية و دورها في العلاقات العباسية البيزنطية:

١'- ثورة توماس الصقلي.

٢'- الحركة الخرمية وعلاقتها بالروم البيزنطيين.

سادساً: دور أرمينية في العلاقات العباسية البيزنطية في العصر العباسي الأول

١٣٢-٥٢٣٢ هـ / ٧٥٠-٨٤٧ م.

أولاً: الحياة الاقتصادية في مدن الثغور:

تغيرت مدن الثغور الإسلامية بطبيعة جغرافية خصبة، فموقعها على أطراف البلاد الإسلامية ، يكرّس موقعاً للحماية فقط، بل كان اختيار هذا الموقع له أهمية اقتصادية كبيرة، فمناطق الثغور تغيرت بوفرة المياه من خلال الأنهار الكثيرة التي كانت تمر في أراضيها، كما تغيرت بتربة زراعية خصبة قابلة للزراعة مختلف أنواع المرووعات، إضافة إلى الموقع التجاري المميز.

فالحياة الاقتصادية و بالأخص (الزراعة و الصناعة) تقوم على عاملين رئيسيين هما التربة الخصبة، والمياه الوفيرة ، وهما متوفران في مدن الثغور و هذا يساعد على قيام زراعة و صناعة جيدة، فالجود المرابطون في مدن الثغور كانوا بحاجة لتوفير دخل دائم و حياة معيشية تضمن لهم دوام استمرارهم في هذه المناطق، و هذا بالفعل ما حققته مدن الثغور.

ولكن عند الحديث عن اقتصاد المدن الثغرية، فهناك مشكلة تواجه الدارس في هذا المجال، وهي أنه لا توجد في المصادر العربية إشارات صريحة و واضحة عن الحياة الاقتصادية في المدن الثغرية، والذي يحد الدارس بهذه المعلومات حقيقة المصادر الجغرافية، ولا سيما أن الجغرافيين يعتمدون على وصف ما يشاهدونه في البلد وصفاً دقيقاً للأشجار والأحجار وغير ذلك، و لهذا على الدارس أن يستشف من هذه المصادر الجغرافية واقع الحياة الاقتصادية.

أولاً- الزراعة:

تعد الزراعة من أهم الموارد الاقتصادية لأغلب المدن، و قد شجعت جغرافية مدن الثغور وتوسع نصارىها على اهتمام السكان بالزراعة، فالسهول والأراضي الزراعية والمياه الوفيرة القادمة من

نَقَضَ الَّذِي أُعْطِيَتْهُ نَقَعُورُ وَعَلَيْهِ دَائِرَةُ آلِهِ حَوَارِ تَدَوُّرُ
أَبَشَرَ أَمِيرَ الْمُرُومِينَ فَرَانَهُ غَنِمَ أَنْتَاكَ بِهِ الْإِلَهِ كَثِيرُ
فَلَقَدْ تَبَاشَرَتِ الرَّعِيَّةُ أَنَّ أُنَى بِالنَّقَضِ عَمَّةً وَافْدً وَبَشَرُ
نَقَعُورُ إِنَّكَ حِينَ تُغْدِرُ إِنَّ نَأَى عَنْكَ الْإِمَامُ لِحَاجِلٍ مَعْرُورُ
مَلِكٌ تُحَرِّدُ لِلْحَمَادِ بِنَفْسِهِ فَغَدُوَّةً أَبَدًا بِوَقْفِهِ .^(١) حور

عندما سمع الخليفة هارون الرشيد الأبيات غضب كثيراً، وقرر العودة إلى الحرب للانتقام من الإمبراطور نقعور، جهز الخليفة هارون الرشيد جيشاً كبيراً بلغ تعدادُه مئة وخمسة وثلاثين ألفاً من الجند غير الأتباع والمتطوعة ومن لا ديوان له، وسار الرشيد بهذا الجيش الكبير مخلفاً ولده عبد الله المأمون في الرقة، عمل الخليفة هارون الرشيد على تقسيم جيشه عدة أقسام تحت إشراف قادة أكفاه، ليتمكنوا من تحقيق انتصارات كثيرة في الوقت نفسه، وبالفعل استطاعوا تحقيق ما طمحوا إليه، فقد توجه عبد الملك بن مالك إلى ذي الكلاع^(٢) (ذي القلاع)، وتمكن من الاستيلاء عليه، وفتح شراحيل ابن مع بن رائدة ومسرور الخادم، حصن الصقالبة، ودبسة، وتمكن يزيد ابن مخلد من فتح الصمصاف وملقوية، أما داود بن عيسى بن موسى، فقد توجه معه سبعون ألفاً من الجنود المسلمين، ليحاربوا في أراضي البيزنطيين، يعملون على تخريبها

- الطبري. تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٣٠٨-٣٠٩، التوحيدي: غاية الأرب، ج ٢٢، ص ١٥٤-١٥٦، لأصمدي. الأعالي ج ١٨، ص ٢٤١، ابن شداد: الأعلام المخطوطة، ج ١، ق ٢، ص ٢٥٠، الحميري الروم ص ٥٩٢.

^١ حصن ذي القلاع (ذي الكلاع) : من بواحي الثغور الرومية قرب اللصيصه ، وأصله بالقاف، وسمي بمد لاسم لأنه على ثلاث قلاع، وتفسير اسمه بالرومية الحصن الذي مع الكواكب ،ابن العديم معه نطلب، ج ١، ص ٢٢٩، ابن عبد الحق البغدادي: مرصد الإطلاع، ج ١، ص ٤٠٧.

أما المصيبة، فقد اشتهرت بـ نباتيها على طرفي نهر جيحان، مما ساعدها على تربية ماشية، ولذا فقد اشتهرت بكثرة الكراع، ووفرة المراعي وكثرة الماشية.^(١)

كما اشتهرت سمياط بأنواع العاكمة المختلفة المزروعة في أراضيها، والتي تنمو في الجبال والأراضي فقد وجد فيها حسب الجغرافيين (سائر الفواكه الصرود والجروم^(٢))^(٣)، وربما قصد المؤرخون أنواع العاكمة و الأشجار التي تنمو في الجبال كالسرو، البلوط، التين، الحنظل، الخور والخور وغيرها من أنواع، وعرفت مسج بأن أراضيها تنتج أنواع البقول المختلفة.^(٤)

وجد في مدن الثعور ثروة حيوانية لا بأس بها، فقد وجدت الأرايب في ربطرة.^(٥)

ووجدت الكلاب السلوقية القادمة من سلوقية، و الطيور الجارحة كالصقور والسنور في طرسوس.^(٦)

وامتدعت المصيبة بوجود الجواميس فيها^(٧)

وانتشرت في الجبال أوكار البزاة^(٨) في طرسوس وحصن الجوزات.^(٩)

- بن حوقل: صورة الأرض، ص ١٨٢.

^١ - الجروم: الثمر اليابس، ابن منظور: لسان العرب، ج ١، ص ٤٤٥.

^٢ - بن شداد: الأعلام الخطيرة، ج ١، ص ٢١٩، ابن الشحنة: الدر المنصوب في تاريخ مملكة حلب، ص ١٩٨.

^٣ - ابن الشحنة: الدر المنصوب في تاريخ مملكة حلب، ص ٢٢٦.

^٤ - كي كسريج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٥٤.

^٥ - ابن العديم: بنية الطلب، ج ١، ص ١٨٠.

^٦ - البلادري: فتوح البلدان، ص ١٧٢.

^٧ - البراءة: مفردات الباري نوع من أنواع الصقور، ابن منظور: لسان العرب، ج ١، ص ٢١٠.

^٨ - ابن العديم: بنية الطلب، ج ١، ص ١٨٠-٢١٢.

ثانياً- الصناعة والحرف:

وحدثت في مدن الثعور مصاعف و حرف عدة، وكانت هذه المصاعف محلية بسيطة اعتمدت على المواد الأولية الموجودة في مدن الثعور من مواد زراعية وحيوانية و معدنية، لذلك فقد وحدثت في مدن الثعور مصاعف غذائية، سبكية و معدنية.

فمدن الثعور لم تكن مجرد مدن حدودية، فهي أيضاً مراكز استهلاكية كبيرة، وذلك لأن السوق العسكري يؤدي لاستدعاء الكثير من الناس و من الجنود والعداء والألبسة والأسلحة ومواد البناء، وبطراً لهذا فقد انتشرت الأسواق و المحال و الخانات والحمامات والعنادق في مدن الثعور، مما يدل على ازدهار الصناعة و التجارة في آن واحد.^(١١)

فقد ساعدت وفرة الكروم إلى انتشار صناعة الزبيب و المربيات في مدن الثعور مثل النصبة و طرسوس و ملطية.^(١٢)

كما ساعد توفر الصوف و الوبر على توفير المادة الأولية للصناعة السبكبة والتي اشتهرت بها مدن الثعور فقد وجد في ملطية وحدها اثنا عشر ألف بول لعمل الصوف.^(١٣)

- من حوئل. صورة الأرض من ١٨٤٤، لومبارد (موريس): الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون لأربعة الأولى، عبد الرحمن حمدي، دمشق، دار الفكر من ١٩٧٩ م، ص ١٧٨، لوبيون (عوستاف) حصارة العرب، ترة عادل زعبي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٤٥ م، ص ٥٤٠.

^{١١} ابن الندم: بنية الطلب، ج ١، ص ١٥٩-١٨٠.

^{١٢} من الشحة الدر للسحب في تاريخ مملكة حلب، ص ١٩٥، القرماني: أخبار الدول و آثار الأول، ص ٤٨٨، لأول، ص ٤٨٨، الحارون (وليم): الحضارة العباسية، بيروت، منشورات الجامعة اللبنانية، ١٩٨٤ م، ص ٧١.

واشتهرت طرسوس أيضاً بصناعة الملابس و الثياب التي كان يطلق عليها اسم الشعاب^(١) أما المصيصة، فقد غيرت بصاعة القراء و لدقة إتقان أهلها لهذه الصناعة، فقد كانت أسعار القراء عالية جداً وقد ذكر بأنه قد بلغ ثمن القرو منها ثلاثين ديناراً.^(٢) وكانت المصيصة أيضاً مركزاً لصنع عيدان السروج و كانت أسعارها عالية جداً أيضاً.^(٣) ويبدو أنه مدد الثعور وجدت فيها المادة الخام من الحديد، لذلك اشتهرت المصيصة بالصاعات المعدنية، والتي اعتمدت على الحديد بشكل رئيس، فقد اشتهرت بصاعة الحديد المحرور الخاص بالكراسي الحديد واشتهرت بصاعة اللحم و للهاميز و العمد و الذهبيس^(٤)

ثالثاً- التجارة :

على الرغم من هذه الصاعات المحلية البسيطة، فقد تمكنت مدن الثعور من إنشاء علاقات تجارية مع مدن المنطقة بما، وذلك لما عرف عن هذه الصاعات من إتقان ومهارة، ووجدت تجارة داخلية مع مدن المجاورة، و تجارة خارجية مع بلاد الروم البيزنطيين، فخشب الصوبر كان يصدر إلى الشام و مصر و إلى مدن الثعور الأخرى.^(٥)

- ابن الندم: بنية الطلب، ج١ ص١٨٠، فرج: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية، ص٢٥٢.

^١ - ابن الندم: بنية الطلب، ج١ ص١٥٥. الحسوي: معجم البلدان، ج٥ ص١٤٤-١٤٥.

^٢ - ابن الندم: بنية الطلب، ج١ ص١٥٩.

^٣ - ابن الندم: بنية الطلب، ج١ ص١٥٩، لوبيون: حضارة العرب، ص٥٤١.

^٤ - ابن الندم: بنية الطلب، ج١ ص٢٢٢، ابن شداد: الأعلام الخطيرة، ج١ ص١٦٥.

كما أن الجوز وفراخ البزاة كانت تنقل من حصن الجورات إلى طرسوس، ليتم بيعها هناك في أسواق طرسوس الكبيرة.^(١)

وعلى الرغم من أن العرب كانوا أعداء البيزنطيين وكان البيزنطيون، ألد أعداء العرب المسلمين، إلا أن هذا التناقض السياسي والديني بين الطرفين لم يقف عتبة أمام ضرورات الانصراف التجاري والاقتصادي، لذلك فقد قامت علاقات تجارية بين الطرفين (العرب المسلمين والبيزنطيين)، ولا توجد معلومات واسعة حول هذه التفاعلات، وإنما بعض الإشارات البسيطة في كتب المؤرخين والجغرافيين، فقد استورد العرب المسلمون من بيزنطة الأواني الذهبية والفضية والدباير الذهبية الخالصة والأعشاب الطبية الرائحة والمسوحات الموشاة والخيول القوية والمجواري والأواني الحاسية والكلاّب والأسود.^(٢)

كما صدر المسلمون إلى بيزنطة العراء المصنوع في المصيص، وعيدان السروج واللباب العاهرة التي كانت تصنع في طرسوس، والصوف المصنوع في ملطية، والطيور الجارحة كالصقور والنسور، والجور وعشب الصنوبر.^(٣)

^١ - ابن المني: بغية الطلب، ج ١ ص ٢١٢.

^٢ - العهد الذهبي: الحدود البيزنطية الإسلامية و تنظيماً الثغرية، ص ٤٠-٥٠.

^٣ - ابن المني: بغية الطلب، ج ١، ص ١٥٥، ١٥٦، ١٨٠، ٢١٢، ٢٢٣، ابن شداد: الأعلام لمختصره، ج ١، ص ٢١٥، ابن الشحنة: الدر المنصوب في تاريخ مملكة حلب، ص ١٩٥، القرماني: أخبار الدول و تبار الأول، ص ٤٨٨.

وأشارت الكتب السريانية إلى قيام علاقات تجارية بين الطرفين العربي المسلم والبيروني في أوقات السلم والمدينة مثلما حدث أيام هارون الرشيد.^(١)

وهالك من يشير إلى أن طرسوس كانت من أهم المدن التي استوردت من بيرطة كلاب الصيد والصفور.^(٢)

وعلى الرغم من هذه الإشارات حول العلاقات التجارية، فلا يمكن للدارس أن يؤكد هذه العلاقات ولا يعميها بشكل قطعي، ولكن المنطق يقر بأنه لا بد من حدوث اتصال بين الطرفين، فمهما كانت العلاقات عدائية بينهما إلا أن الحياة لا تقتصر على الحروب والمشاحنات، بل هناك أسس كالحياة الاقتصادية والحضارية والتي لا بد للطرفين أن يكونا قد تأثرا بها، نتيجة للاحتكاك الدائم بينهما.

ويجب الإشارة إلى أن هالك مدأً نظرية مهمة كانت كمراكز تجارية ضخمة مثل مرعش وطرسوس ويدل على ذلك أسواقها وخاناتها وحماماتها وفنادقها الكثيرة والتي انتشرت في أنحاء المدن.^(٣)

كما وقد شكلت بعض المدن الثرية نقاط اتصال بين المدن الأخرى، مما كان يساعد في تسهيل حركة التجار والأفراد مثل سمساط، والتي كانت تعد من أهم المواقع الإستراتيجية، والمعبر المهم للعرب، وفي سمساط كانت تنقضي الطرق المصحبة إلى العرب، والقادمة من الجزيرة والرقعة عن

^١ - ينظر لإمبراطورية البيزنطية، ص ٣٧١، السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج ٢، ص ٤٥٠.

^٢ - العبد القمي: الحدود البيزنطية الإسلامية وتنظيماتها الثغرية، ص ٤١.

^٣ - ابن حوقل: صورة الأرض، ص ١٨٤، الجوزي: الثغور البرية الإسلامية، ص ١٦٢.

طريق سروج، ومن أمدح طريق الرها ومن محسبات أيضاً كانت نمر الطريق الرئيسة إلى ملطية و مرعش ودلوك.^(١)

وكانت المدن النهرية محطات للطرق التجارية بين بلاد الشام والجزيرة وأسيا الصغرى، فهالت طريق يربط الجزيرة بساحل بلاد الشام، ويسير من الرقة إلى دوسر (قلعة جسر) ويستمر حتى يصل جسر مسيح فمسيح، ويدخل إلى داخل بلاد الشام، فيمر بحلب والأنارب، ويجتاز عمق أنطاكية إلى أنطاكية، ثم يصل اللاذقية على ساحل البحر الأبيض المتوسط.^(٢)

وما سبق يلاحظ بأن الحياة الاقتصادية في النجور كانت مزدهرة إلى حد ما، حسب ما وفرته الأراضي من مواد أولية ساعدت في قيام صناعات محلية، كما أسهمت في إنشاء علاقات تجارية مع المدن المحيطة، فللمدن الحدودية لم تكن فقط مدناً عسكرية صبحت بالحياة العسكرية والحديثة دائماً، بل كانت أيضاً مدناً عامرة بالسكان والحياة الطبيعية كالصناعة والزراعة والتجارة.

وكان نهر العرات من أهم الطرق النهرية التجارية وأكثرها أمناً، وكانت الملاحة على العرات تبدأ من محسبات إلى بغداد ونقل عبره بضائع كثيرة، أهمها الخشب من جبال أرمينية وريت الزيتون والرمان من الشام، وصنع لقل الرمان مراكب كبيرة مطلية بمادة خاصة تدعى القراقير،

^١ - عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية، ج ١، ص ٢٤٩.

^٢ - عثمان : الحدود الإسلامية البيزنطية، ج ٢، ص ٢٢٩.

كما نقلت عبر مدن الثعور وخاصة سمسيات بضائع متعددة، مثل العسل والسمن والخبز والجور والزبيب وسمك الطريخ المملح والصاعكات السهيحة.^(١)

وهالت مدد ثعريه كانت على الطريق التجارية الواصلة إلى بيزطة ، وذكر ابن حردادة هذه الطريق، وهو طريق درب السلامة إلى أسيا الصعري حتى خليج القسطنطينية، ويبدأ من طرسوس إلى العليق (١٢ ميلا) ، ثم إلى الرهوة ، و منها إلى الخورات (١٢ ميلا) ، ثم إلى الخرد قوب (٧ أميال) و بعدها إلى حصن الصقالية ، ثم إلى البدندون (٧ أميال) .^(٢)

أما ملطية، فقد كانت بمثابة نقطة تجارية تنقل إليها البضائع، ليتم شحنها في العرات، ونقلها بعد ذلك من البلاد الإسلامية إلى أرمينية وبيزطة، فقد كان التجار العرب للمسلمون ومن يعملون معهم ينقلون البضائع عبر الجبال إلى ملطية، ليتم نقلها عبر العرات، وكان للتجار الأرمين دور في هذه العمليات التجارية، وأهم البضائع التي كانت تنقل إلى ملطية ثياب الكتان البواني، وثياب الصوف، و الدياج، والأكسية الرومية.^(٣)

وبما يدل على وجود علاقات تجارية واسعة مع أرمينية، العثور على نقود سكنت في الجزيرة العراتية في بعض مدن أرمينية، مثلاً وجود قطعة نقدية سكنت في حران في عهد أبي جعفر المنصور

- أبو دلف. رحلة أبي دلف، ص ١٥. السيد (أديب): أرمينية في التاريخ العربي، حلب، المطبعة الحديثة، ١٩٧٢م، ص ٢٥١. متر: الحضارة الإسلامية، ص ٢٣٥-٢٣٦، كحالة (عمر رضا): دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية، دمشق، المطبعة التعاونية، ١٩٧٣م، ص ١٦٠، الخازن الحصاره العباسية، ص ٨٩-٩٠.

^١ - ابن حردادة: المسالك والممالك، ص ١١٣.

^٢ - كسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٦٨.

في أرمينية. كما أن الكتابات العربية المكتشفة في أرمينية كانت تدل على الاتصال الحصري، والتجاري بين العرب للمسلمين وأرمينية ومدى أهمية هذا الاتصال.^(١)

وبما يدور على ازدهار التجارة في المدن الثرية، اهتمام أهلها بإنشاء أماكن لاستراحة التجار كالحانات، والصادق، والعمل على تنظيم الأسواق، والاهتمام بما لبيع هذه السلع، وكان هناك مكاييل خاصة للتعامل كالمكوك^(٢) والمد^(٣) والقعير^(٤).^(٥)

ولا بد من الإشارة إلى أن الحركة التجارية و الحياة الاقتصادية بشكل عام كانت تتأثر بالحالة السياسية التي كانت تمر بها البلاد، فالتجارة كانت تزدهر في أوقات السلم، فيتم نقل البضائع

- مجموعة من الباحثين: ضرب النقود العربية في أرمينيا وتداولها داخل وخارج الإمبراطورية العربية، اثر الكسندر كشيستان، حلب، الجمعية الخيرية العمومية الأرمينية، ١٩٩٧م، ص ٩١، معاشاتريان (الكسندر): ديوان النقوش العربية في أرمينية (دراسة تاريخية لغوية باليونانية)، اثر، شوكت يوسف، دمشق، دار سلام للنشر والنشر، ١٩٩٢م، ص ٧٢.

١ - المكوك: مكبال وهو ثلاث كلجات والكليحة مآ وسيمو نجاد مآ ولما رطلان والرطل اثنت عشر أوقية ولأوقية رستر وثلاث إستر والإستار أربعة مثاقيل ونصف والمثقال درهم وثلاثة أسباع درهم والدرهم ستة دويق والدنيق قيراطان والقيراط طسوجان والطسوج حبات والحية سنس ثمن درهم وهو جزء من الفدية وأربعين جزء من درهم والمصع مكابيك، الجوهري (إسماعيل بن حماد) تاج اللغة وصحاح العربية، نج، أحمد عبد الغفور عطار، مصر، دار الكتاب العربي، د.ت، ج ٤، ص ١٦٠٩.

٢ - مدّ مكبال وهو رطل وثلاث عدد أهل الحصار ورطلان عدد أهل المراق والشام، الجوهري. تاج اللغة، ج ١، ص ٥٣٤.

٣ - قعير: مكبال وهو ثمانية مكابيك، الجوهري: تاج اللغة، ج ٢، ص ٨٨٩.

٤ - من حوص صورة الأرض، ص ١٨٤، للقدسني: أحسن التقاسيم، ص ١٢٩، العهد العبي الحدود البيزنطية لإسلامية، ص ٤٠، ٤١.

بحرية، ويتبادل التجار السلع والمنتجات، ولكن الوضع كان يتغير أيام الحروب، فتخضع التجارة بشكل واضح، وتصبح البضائع معرضة للسلب والتهب من قبل قطاع الطرق.^(١)

وقد لوحظ أيضاً انتشار التجار البيزنطيين في كثير من المدن الإسلامية، وفي الوقت نفسه كان التجار العرب يتوجهون نحو بيزنطة لإنتاج أعمالهم، وأهم مركز للاتصال التجاري بين الطرفين كان طبربرود وأكد المسعودي على دورها المهم كمركز تجاري، بقوله "لها أسواق في السنة يأتي إليها كثير من الأمم للتجارة من المسلمين و الروم و الأرمن وغيرهم".^(٢)

ثانياً: الحياة الدينية في مدن الثغور :

كان لبعث الثغور و الرباطات وتطرفها عن مراكز التجمعات السكانية في المدن أثر كبير في توفير الجو للزهاد والصالحين والراغبين ورجال الدين بشكل عام هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى وجدت المذاهب الدينية المضطهدة من قبل السلطات الحاكمة موطاً ملائماً في الثغور وهذا كان حال طائفة البوليسيين المخرطة.

وسبقت الإشارة إلى أن المسلمين لدى تأسيسهم المدن الثغرية كانوا يزودونها بالجويع، وكان العديد من القادة العسكريين يهتمون بالمساجد كونها مراكز العبادة للمسلمين، فكانوا يرممون ما تهدم منها، ويضعون إليها الأسوار لحمايتها من هجمات الأعداء.^(٣)

^١ - الخازن: الحصار المباسية، ص ٧٨.

^٢ - بيزن: الإمبراطورية البيزنطية، ص ٣٧١.

^٣ - ينظر الفصل الأول من الرسالة

وقد كان لشوء الروابط علاقة وثيقة مع تطور فكرة الجهاد في سبيل الله، وانتشار حياة التقشف والرهف وإطلاقاً من ذلك كله فقد تطورت الحياة الدينية في المجتمع الإسلامي في الروابط.^(١)

وبما أن الشعائر الدينية للمسلمين في الثعور هي نفسها في الأعياد وفي جميع المناسبات، فلن يتم الحديث هنا عن المسلمين في الثعور، ولكن سيتم الحديث في هذه الفقرة عن أحوال الصاري في الثعور، خاصة وأن مدن الثعور كانت تضم أعداداً كثيرة من الصاري فما هي أوضاعهم؟ وكيف كان يتم التعامل معهم؟ وما هي الإحراجات التي كان يتخذها الخلفاء العباسيون بالنسبة للصاري؟.

وجدت في الثعور طوائف مختلفة من المسيحيين كالسريان الساطرة والأرمن النعاقبة، تميز الصاري في مدن الثعور بأوضاع جيدة ومن العباسيين في أغلب الأوقات، فقد انتشرت الكنائس والأديرة في مدن الثعور، وكانت هذه الكنائس تتميز ببساتنها المنقوشة وثرائها، ومن أكثر هذه الكنائس تميزاً كانت كنائس كهسوم ومرعش وملطية.^(٢)

كما انتشرت الأديرة في مدن الثعور، وكان من أشهر هذه الأديرة دير برصوما الموجود في ملطية، وكان هذا الدير موجوداً على رأس جبل يشبه القلعة ومحاطاً بالسائين، ولعل أهم ما يميز هذا الدير كثرة الصدقات والدرر المخصصة له، فقد كانت الذر تأتيه من ديار بكر وربيعة والشام وبلاد الروم.

- Loranzo, Elribate, p15.

^١ ترتون (أسس). أهل الدعة في الإسلام، مصر، مطبعة الاعتماد، ١٩٤٩م، ص ١٦٢، الجغرافي الثعور
 انيرية الإسلامية، ص ١٦٨، J.de Morgan, Histoire du peuple Armenien, Paris, 191, p175

كما كان رهبان هذا الدير يجمعون في كل عام عشرة آلاف دينار ويعطونها للإمبراطور البيزنطي.^(١)

وبما أن النصارى شكلوا نسبة كبيرة من سكان مدن الثغور فقد تأثروا بشكل عام بطبيعة العلاقات العباسية البيزنطية في أحيان كثيرة، خاصة وأن بعض الخلفاء كانوا يخشون من أن يحدث اتفاق بين النصارى الموجودين على الحدود وبين الدولة البيزنطية، وأن يتمكن البيزنطيون من استمالة النصارى ويصبحوا عيوماً لبيزنطة ضد الخلفاء، لذلك فقد اتخذت في بعض الأحيان إجراءات تعسفية بحق النصارى، وبدأت الإجراءات تتخذ في زمن الخليفة المنصور منذ العام ١٤٠ هـ / ٧٥٧ م فقد أمر بحظر بناء كنائس جديدة ومنع إنشاء الترابيم الدينية خارج جدران الكنيسة. وفي العام ١٥٠ هـ / ٧٦٧ م أمر بتزع الصليان من قبب الكنائس، أما في العام ١٥٤ هـ / ٧٧٠ م فقد أمر النصارى بحلق اللحى وبارتداء قلانس طويلة طول الواحدة ذراع ونصف، أما في العام ١٥٧ هـ / ٧٧٣ م فقد أمر بوسم وكى النصارى الموجودين بمدن الثغور

- لأصمدي (أبو الفرج علي بن الحسين): الديارات، نج، جليل المطبعة، هرمس، دار ريمس الرئيس للكتاب والنشر، ١٩٩١م، ص ٢٥، الحموي (أبو عبد الله يلقب بن عبد الله): الخزل والندال بين الدور والندرات والندوة، نج، يحيى زكريا عبارة، محمد أديب حمران، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩٨م، ج ١، ص ٢٨٧، البعدادي: مرصد الإطلاع، ج ٢، ص ٥٤٤، القرويني: آثار البلاد، ص ٥٢٩، برصوم (أعاسطوبس أمراء الأور): الفلوكو للشور في تاريخ العلوم والآداب السريانية، قدم له ونشره، عريعر يوسف يوحنا إبراهيم، دمشق، مطابع ألف بلاء الأديب، ط ١٩٨٧، ٥٥٠ م، ص ٢١.

بالحديد، الخمي وتحديدًا الذين كانوا يهربون إلى الأراضي البيزنطية لتمييزهم عند العودة إلى مدعهم.^(١)

تذكر هذه التفاصيل والإجراءات التعسفية في المصادر والمراجع العربية التي نمت العودة إليها ، وري تم ذكر حادثة أخرى فقد وصلت أخبار إلى الخليفة المنصور بأن بعض أهالي مرعش وشمساط من الصاري يعملون عيوناً ورسائلاً للبيزنطيين ، ويقولون إليهم أخبار المسلمين ويمدوهم بالنعوة والمساعدة، ولذلك فقد أرسل المنصور العباس بن محمد على رأس جيش في العام ١٥٢ هـ / ٧٦٩م نحو مرعش وشمساط ، وقام بأسر العديد من السكان وإحلالهم في الرملة في فلسطين، ووضع حاميات جديدة في هذه المدن.^(٢)

وهنا لابد من التساؤل عن السبب الذي دفع الخليفة المنصور إلى إجلاء سكان الثعور إلى الرملة في فلسطين، فلماذا اختار المنصور الرملة ولم يختار أي مدينة قريبة من منطقة الثعور كالجزيرة العراتية وبلاد الشام؟.

من الممكن أن يكون هؤلاء السكان من الرملة وقدموا مع الجيود الذين قام المنصور بتوطينهم في الثعور، ومن الممكن أن يكون المنصور قد رغب في إبعادهم عن منطقة الثعور ، لكي لا يتمكنوا من القيام بمثل هذه التصرفات مرة أخرى، ولكي لا يقضوا مصاجع العباسيين، خاصة وأن فلسطين بعيدة عن الحكم المركزي في بغداد وبعيدة عن خطوط التماس مع البيزنطيين

سرياني تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج٢ ص٥٢٢، ابن العربي: تاريخ الرمان، ص٩، سبعل الرها، ص ٢٤٢، فيه (جان موريس): أحوال الصاري في علاقة بني العباس وخراساني زينة، بيروت، دار شرق، ١٩٩٠م ص٥٨-٥٩.

^١ - ابن العربي: تاريخ الرمان، ص٩، عهد الله: العلاقات السياسية، ص١٩.

وعلى هذا النحو استمر الخلفاء العباسيين بإصدار القرارات ضد أهل الذمة في الثعور، وتذكر بعض المصادر أن الخليفة أبا جعفر المصور أمر في عام ١٥٦هـ / ٧٧٢م بتخريب الكنائس التي بسيت أيام العرب المسلمين وبيع العبيد الصاري.^(١)

وم يتم ذكر هذا الموقف من قبل المصادر العربية، وهذا يجب النظر بحذر لمثل هذه مقلوبات في أن تظهر وثائق جديدة تثبت هذه الإجراءات.

وبقيت مشكلة الصاري الموجودين في الثعور تظهر في مدد متتالية بين الحين والآخر ، خاصة وأن بعض الصاري كانوا يعملون كعبيون وجواسيس لبيزطة ضد المسلمين، وأدت السياسة الخارجية بين المسلمين والبيزنطيين إلى نوع من التعصب الإسلامي ضد الصاري خاصة سكان الثعور، فقد حدث أكثر من مرة أن تعاون أهالي الثعور من الصاري مع البيزنطيين ، لذلك اتخذ الخليفة المهدي قراراً بإعدام راعب من الرفقة يدعى رومانوس اتهم بالتجسس لصالح البيزنطيين، كما أنه رد بعض الأسرى البيزنطيين إلى المسيحية بعدما اعتنقوا الإسلام.^(٢)

وحدث في زمن الخليفة هارون الرشيد أن تعاون الصاري من سكان الثعور مرة أخرى مع البيزنطيين، لهذا أصدر الرشيد أمراً بزيادة الجزية على الصاري، كما أمر بهدم الكنائس في الثعور،

١- ميه: أحوال الصاري، ص ٧٢.

٢- ميه: أحوال الصاري، ص ٧٢.

ومن الكنائس التي هدمت كانت كنيسة كيسوم وأمر الرشيد باستخدام أحجار الكنيسة المهدمة في إعادة بناء حصص الحدث ، وكان ذلك في العام ١٩٠ هـ / ٨٠٧ م.^(١)

والسؤال هنا ما الذي دفع الخليفة الرشيد للقيام بمثل هذا العمل (إن صح ذلك)، وهو هدم المعام الدينية للمسيحيين لبناء مدن الثعور؟.

من الممكن أن يرجع سبب هذا التعامل إلى التشدد الذي بدأ يظهر بشكل واضح زمن الرشيد، ولكن ليس هناك من أدلة أو وثائق تثبت ذلك، وبالتالي تظل هذه الاستنتاجات أو التحليلات قائمة حتى صدور ما يدحضها.

وعلى هذا النحو فقد تأثر النصارى في الثعور ، بالصبر والمزعة ، التي كان المسلمون يحققونها ضد بيزنطة، فعلى أثر المزعة التي مي بها الرشيد في العام ١٩١ هـ / ٨٠٦ م، فقد أصدر الرشيد أوامره في هذا العام بهدم الكنائس في الثعور ومخالفة أهل الدمة هيئة المسلمين في لباسهم وركوبهم، وأن لا يسوا كنيسة أو بيعة لهم إلا بأمر من الخليفة، وأن لا يظهرُوا صليباهم في الأمصار، وذكر بأن الرشيد تراجع عن قراره بمخالفة النصارى المسلمين باللباس.^(٢)

- الطبري. تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٣٢٤، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ٢٠٦، السريدي. تاريخ مبعث النبي الكبير، ج ٢، ص ٤٣٢، هيبه: أحوال النصارى، ص ٨٨، تروتون. أهل الدمة في الإسلام، ص ٥١، حتي: تاريخ سورية، ج ٢، ص ١٦٨.

^١ أبو يوسف القاضي (يعقوب بن إبراهيم): الخراج، القاهرة، للطبعة السلفية، ١٩٣٢ م، ص ١٢٧، الطبري تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٣٢٤، هيبه: أحوال النصارى، ص ٩٤، زيدان: تاريخ التمدد الإسلامي، ج ٤، ص ١٣٩-١٤٠، تروتون: أهل الدمة في الإسلام، ص ١٢٥، عمر: العباسيون الأوائل، ص ١٧٣.

وعلى الرغم من هذه القرارات فإن الرشيد كان يحكم عقله عند سماعه وشاية ما عن النصارى،
 ممثلاً في العام ١٨٠ هـ / ٧٩٧ م كان الرشيد متوجهاً نحو الحدود البيزنطية لمحاربتهم، فمر في
 طريقه بالرُّها، وهناك وصلته شكوى من قبل المسلمين بأن أهالي الرُّها جواسيس للبيزنطيين،
 وبأن الإمبراطور البيزنطي يصلي في كنيستهم، وطلب منه المسلمون هدم الكنيسة، لكن الرشيد
 لم يصغ إليهم، وعلم بأن هذا الإدعاء كاذب وأمر بجلد الواشين.^(١)

وهذه الحادثة ذكرتها المصادر السريانية، و أغمعتها المصادر العربية، ومن الممكن أن تكون هذه
 الحادثة قد وقعت بالفعل، وأن المسلمين حاولوا تأليب الخليفة ضد النصارى للتواحديين فيها .
 وقد سار الخليفة المأمون على خطى سبقة في التعامل مع المسيحيين ، فقد كان متسامحاً معهم
 إلى حد كبير، إذ أمر بالاحتفال بكنيسة في أي مكان إلا بموافقة شخصياً.^(٢)

كما أن الخلفاء العباسيين قربوا إليهم عدداً كبيراً من النصارى مثل آل يحيى بن يوسف الأتباء، حيث
 كان أفراد هذه الأسرة مقربين من المصور والمهدي والرشيد، وعمل هؤلاء على تحسين علاقة
 الخلفاء مع النصارى في أحيان كثيرة.^(٣)

وبما سبق يستخلص بأن النصارى عاشوا في الدولة الإسلامية حباً إلى جنب مع المسلمين،
 وتعرضوا مثلما تعرض المسلمون للأضرار جراء الحوادث المتعلقة على الخلاف، وعموا بالعيش

^١ - السرياني: تاريخ ميخائيل الكبير، ج٢ ص ٤٢٣، سبأ: الرها، ص ٢٤٧.

^٢ - سبأ: الرها، ص ٢٤٩.

^٣ - هبة: أحوال النصارى، ص ٥٢-٩٤.

لمشترك بينهم، وما كان يحدث لهم من مشاكل إنما كان نتيجة غير مباشرة لما تعايه الخلافة في بعض الأحيان من ضغوط خارجية أو مشاكل داخلية.

ثالثاً: سياسة توطيئ السكان وحياتهم الاجتماعية في الثغور الإسلامية زمن الخلافة العباسية. تغيرت مدن الثغور الحضرية والشامية في العصر العباسي الأول بتنوع العاصر السكانية التي قطنها، فمن سكان أصليين إلى سكان وافدين من أحباس وأعراق مختلفة، اختلطت ببعضها البعض وكونت نسبياً سكانياً متنوعاً ومتآلفاً.

وقد فرضت حالة التأهب والاستعداد الدائمة في مدن الثغور ضد البيزنطيين وغيرهم وجود عاصر سكانية قوية قادرة على حماية حدود الدولة الإسلامية من هجمات الإمبراطورية البيزنطية، فمما أن عمرت مدن الثغور من قبل الخلفاء المسلمين، أو من قبل الولاة على بلاد الشام والجزيرة وضعت فيها عاصر سكانية أولى، ثم ما لبثت مع الزمن أن تغيرت بعض هذه العاصر، ودخلت عاصر أخرى جديدة، ويلاحظ في العصر العباسي بروز ظاهرة جديدة، هي ظاهرة نقل السكان من مكان إلى آخر، وذلك بهدف تشييط الحركة الدفاعية لهذه المدن، ويلاحظ أيضاً أن العباسيين استبدلوا في حروبهم مع البيزنطيين سياسة حرق المحاصيل، وتدمير الأراضي الزراعية على الحدود، بإنشاء المعاقل والحصون، ووضع الحاميات، وتوطيئ السكان والحدود فيها، واستقرت في مدن الثغور حشود هائلة من الحدود والمتطوعين والرباطيين والمجاهدين والمعمرين، ومن خلال دراسة سكان الثغور سيلاحظ بأن ظروف كل ثغر تختلف عن الآخر، كما أن بعض الثغور تشابهت في إقامة عاصر سكاني أو أكثر بها.

وقد كان أول من أرسل عناصر سكابية جديدة في العصر العباسي الأول إلى الثغور الخليفة العباسي المنصور، وكان ذلك عندما أرسل إلى ملطية - بعد أن أعاد بناء المدينة عام ١٤٠ هـ / ٧٥٦م أربعة آلاف مقاتل من سكان الجزيرة الفراتية و شجعهم على سكها، وإقامة فيها من خلال الزيادة التي منحها إياهم، فقد قام بزيادة العطاء للرجال عشرة دنانير لكل رجل، و مائة لهم مئة دينار.^(١)

وقد أرسل المنصور هذه الأعداد المتزايدة من السكان إلى ملطية بعد أن تم تخريب ملطية أكثر من مرة من قبل البيزنطيين، فترك أهلها المدينة خوفاً من بطش البيزنطيين، فمهم من توجه نحو الجزيرة هرباً ومهم من أسره البيزنطيون، ونتيجة لذلك قرر المنصور إعادة إعمار هذه المدينة المهمة على الحدود الإسلامية البيزنطية، وحشد بها بالرجال ليكونوا درعاً حصيناً يقف في وجه البيزنطيين.

وفي العام نفسه ١٤٠ هـ / ٧٥٦م، أرسل المنصور، القائد جعفر بن حنظلة البهراني^(٢) على رأس جيش يضم عناصر عربية مختلفة إضافة إلى عناصر من عراسان، لمواجهة غارة بيزنطية على

^١ - ابن حباط: تاريخ خليفة بن حباط، ص ٤١٨، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٧، ص ٥٠٠. من لأثر الكامل، ج ٥، ص ٤٨٩، الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ١٩٢، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٧٤.

^٢ - جعفر بن حنظلة البهراني: وهو من بنو بحر و بنو بحر من المدائنية وهم بنو بحر بن امرئ القيس بن كنة، انقششدي (أبو العباس أحمد بن علي): نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، بيروت: دار الكتب العلمية، د ب،

ملطية، وقد تمكن حصر من دخول المدينة و عسكر فيها مدة من الزمن، عمل خلالها على إقامة
 لمزارع و البساتين في المدينة و أبقى عدداً من جنوده في المدينة.^(١)
 وبسبب الموقع الإستراتيجي المميز للمطية، فقد تعرضت باستمرار لهجمات البيزنطيين، و في كل
 مرة كان أهالي المدينة يتقلون بين الثعور ، ومنهم من يأخذ كأسير، لذلك كان على الخلفاء
 العباسيين الاهتمام بإعمار هذه المدينة دائماً وحشدتها بالمقاتلة، ولم تقتصر مهمة ملطية على
 الدفاع فقط، بل تعدت مهمتها إلى كونها المركز الأساس أيضاً للجيوش المهاجمة على بيزنطة،
 ومقر لتزويد المسلمين باللؤلؤ، وكان سكانها يتقلون من قبل الخلفاء إلى مناطق الثعور الأخرى،
 ليشدوا من عزيمتهم، وليقدموا لهم المساعدة في مواجهة الهجمات التي يشنها البيزنطيون ضدهم.
 وهذا ما حدث في عام ١٦٦٩ هـ / ٧٨٥م، عندما نقل علي بن سليمان^(٢) والي الجزيرة إلى مدينة
 الحدث أربعة آلاف مقاتل من ملطية ومحيطها.

و لم تقتصر المهمات الدفاعية و الهجومية و الاقتصادية على ملطية فقط، بل شاركتها أيضاً ثعور
 ومدن أخرى أهمها مرعش التي تولى تحصنها و تزويدها بالخدمات صالح بن علي^(٣) والي الشام

^١ - الذهبي: المعر، ج ١ ص ١٨٨.

^٢ - علي بن سليمان. علي بن سليمان بن عبد الله بن عباس الهاشمي العباسي أبو الحسن، أمير من نولاة وبي
 مصر موسى المدي سنة ١٦٦٩ هـ ، أقره هارون الرشيد في مكانه و طمع بالخلافة فكتب أهل مصر بالرشيد
 معمر سنة ١٧١ هـ . و عاد إلى العراق، هواء الرشيد بعض الأعمال في الجيش. الزركلي الأعلام، ج ٤ ص ٢٩١

^٣ - صالح بن علي صالح بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي الأمير العباسي، عم السجاح و المنصور ، وبي
 مصر ثم فلسطين ثم الحريقة، ولاء للمنصور الجرجرة وكانت له الديار الشامية، و أنشأ مدينة أده و كسر الروم في
 و دافع متعددة، الزركلي: الأعلام، ج ٢، ص ١٩٢-١٩٣.

في خلافة أبي جعفر المنصور، فبعد أن تعرضت مرعش لحجوم من قبل البيزنطيين عام ١٤٢ هـ / ٧٥٨م، قام صالح ببناء المدينة وإصلاح ما تهدم منها، وبنى لها سوراً لتحصيتها كما قام بنقل سكان من فلسطين إليها و راد في عطائهم.^(١)

ويلاحظ هنا نقل عناصر سكانية من مناطق بعيدة عن مدن الثعور مثل سكان فلسطين، فما هي أسباب نقل سكان فلسطين إلى الثعور؟ ولماذا لم يكونوا من المناطق القريبة كالعراق والشام مثلاً؟.

من الممكن أن تكون رغبة أهالي البلاد الإسلامية جميعاً، المشاركة في الدفاع عن حدود دولتهم ضد البيزنطيين، لذلك كان يدفعهم شرف المشاركة في حماية الحدود، هذا من جهة، ومن جهة أخرى ربما شعر المنصور بتور همة أهل الجزيرة و الشام في محاربة البيزنطيين، لذلك رأى أن يجدد لقاتلين في الثعور، واعتار عناصر من فلسطين أملاً أن تكون همتهم عالية في مواجهة الخطر البيزنطي، وربما قد يكون اعتباره عناصر من فلسطين ليضعي على هذه الثعور صفة القداسة، كون سكان فلسطين قدموا من مدن تحمل في طياتها طابعاً مقدساً (القدس، حيفا)، لجذب بذلك العرب من مسلمين ومسيحيين معاً.

أما الحدث فكان شائعاً مختلفاً عما سبق ذكره عن مرعش، إذ إن السكان الذين نقلوا إليها كانوا من مناطق قريبة وليست بعيدة كملطية وسمسباط وكيوم و دلو و درعيان، ويقال إنه نقل إليها حوالي ألفي رجل بأمر من علي بن سليمان في خلافة المهدي عام ١٦٩ هـ / ٧٨٥م.

^١ - البلادية قسج البلدان، ص ١٩٢، ابن المديم: بنية الطلب، ج ١، ص ٢٤٠-٢٤٧، ابن شداد: الأعلام لمختصره، ج ١، ق ٢، ص ١٦٩-١٨١

كما قام محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بإرسال سكان إلى الخدث من مناطق قرية من أهل الشام والجزيرة ومن مناطق بعيدة من عرسان، وقد راد في أعطيائهم أربعين ديناراً، وأعطى كل رجل ثلاثة درهم، ليشتجعهم على البقاء والاستقرار في المدينة بعد أن تم بناؤها من جديد^(١) وكانت مسميات مثلها مثل مدن الثغور الأخرى ينقل منها وإليها سكان من مدن مختلفة، ففي عام ١٥٢ هـ/ ٧٦٩م، وصلت أخبار إلى الخليفة المنصور بأن بعض أهالي مسميات ومرعش يعملون رصداً وعموماً للبيروطين، لذلك أرسل العباس بن محمد^(٢) على رأس جيش إلى المدينة، فقام بأسر عدد من سكانها، وإحلالهم إلى الرملة في فلسطين، و أعاد وصح حاميات جديدة فيها وإسكانها بالناس^(٣).

والسؤال الذي يطرح هنا هو، لماذا تم إرسال أهالي مسميات ومرعش نحو فلسطين؟ من الممكن أن يكون هؤلاء السكان من فلسطين قدموا مع الخوادم الذين أسكنهم المنصور في الثغور، ومن الممكن أن يكون المنصور قد رغب في إبعادهم عن منطقة الثغور، لكي لا يعودوا،

- بلاذري، فوج البلدان، ص ١٩٤. ابن شداد: الأعلام، ج ١، ص ١٧٤. ابن العديم: نزهة الطلب، ج ١، ص ٢٤٠. الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٢٨.

^١ - عباس بن محمد. العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أبو الفضل الهاشمي، وهو أخو المنصور و انسبح، ولده المنصور بلاد الشام كلها و ولي إمارة الجزيرة أيام الرشيد، أرسله المنصور لغزو الروم مرات عدة، البركاتي: الأعلام، ج ٣، ص ٢٦٤-٢٦٥.

^٢ - انصاري: تاريخ الرسل والملوكة، ج ٨، ص ٤٣، ابن العبري: تلخيص الرمان، ص ٩، عبد الله العلاقات بسببه، ص ١٦٠، الجتوري: الثغور الميرة الإسلامية، ص ١٥٤.

في تصرفاتهم من جديد ولا يقضوا مضاجع العباسيين، وخاصة أن فلسطين بعيدة عن الحكم المركزي في بغداد، و بعيدة عن خطوط التماس مع البيزنطيين.

وكذلك الأمر في حصن منصور و كيسوم و ربطة، فقد تم شحنهم بالرجال و المقاتلين من قبل الرشيد في علاقته و علاقة أبيه المهدي.^(١)

وقام المعتصم بالله بشحن ربطة بالمقاتلين من جنسيات متعددة.^(٢)

ومثلما اهتم الخلفاء العباسيون بتزويد مدن الثور الجزرية بالمقاتلين و شحنها بالجنود أيام الحروب، اهتموا أيضاً بإسكان الناس في هذه المدن من خلال إعطائهم للزراع والأراضي، لتشجيعهم على الاستيطان فيها، كذلك كان الحال بالنسبة لمدن الثور الشامية.

وقد شكلت المصيبة محطة مهمة بالنسبة للخلفاء العباسيين الذين أبدوا اهتماماً فائقاً بها، حيث أرسل أبو العباس السعاح إليها أربع مئة رجل ليستقروا بها، ثم نجح الخليفة المنصور فحده عندما أرسل مثلهم في بداية حكمه، ثم زاد عليهم ألف رجل و زاد في أعطيائهم، ثم نقل إليها أمه من

^١ - البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٩٩، ابن المديم: بغية الطلب، ج ١ ص ٢٤٩.

^٢ - الحموي معجم البلدان، ج ٣ ص ١٣١، عيد الله: العلاقات السياسية، ص ٣٩٥، الجتروري: الثور البرية الإسلامية، ص ١٥٢.

الخصوص^(١) - من المرجح أن هؤلاء من عاصمة المصور - من فرس و صقالبة^(٢) وأساط
وبصاري^(٣).

ويذكر أحد المؤرخين السريان بأن الخليعة المصور أرسل ما يقارب ثلاثئة ألف شخص من
فارس إلى كمنخ، والسبب الذي دفع الخليعة المصور لفعل ذلك ، كون هذه الجماعة من الناس
كانت تعيش في الجبال الوعرة في فارس ، ولم تكن تحت أي سيطرة سوى قطع الطرق و اللصوصية،
وقاموا بمهاجمة خزينة الخليعة المصور متوجهة من فارس إلى بغداد ، لذلك وجه المصور إليهم
جنود تحاصر ممتلكاتهم وتم قتل رؤسائهم و أمر بأسرهم وقتلهم، ولكن أشار عليه مجموعة من
الأشخاص بإرسالهم إلى منطقة الحدود وقالوا (وهناك يقتلون أو يؤسرون بأيدي الروم)، لذلك
قام المصور بإرسالهم إلى كمنخ، لكن هؤلاء لم يكونوا متعادين على برودة الطبيعة هناك، فمات
أكثرهم في الشتاء ومن بقي على قيد الحياة عاد إلى عاداته في قطع الطرق واللصوصية.^(٤)

يلاحظ في هذه الرواية بأن المصور قام بإرسال مجموعة من قطاع الطرق و اللصوص إلى كمنخ،
وم يتم ذكر هذه الرواية إلا من قبل هذا المصدر السرياني الوحيد، فإن كانت هذه الرواية

- أهل الخصوص: الخصوص من مادة خصص و الخصوص الثمر يدعى الشيء مما لا تشاركه به الجملة،
الرهدي (محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق): قاج العروس من جواهر من جواهر القاموس،
الفاخرة، ج٣، ص ٣٩٢.

^١ - هشانة جبل حر الألوان صهب الشعور يتاخون بلاد الحر في أعالي جبل الروم و بلادهم بين بلخاري
و قسطنطينية، الحسوي: معجم البلدان، ج٣، ص ٤١٩.

^٢ - أنبلادري: فتوح البلدان، ص ١٧٠، ابن الفقيه الحمدي: مختصر كتاب البلدان، ص ١١٢، الجوزي: الشعور
البرية الإسلامية، ص ١٤٨.

^٣ - القلمحري: تاريخ الروقي للمحول، ص ١٤٩.

صحيحة من المصور وما أراد إعادة تأهيل هذه المجموعات للإفادة منها في حماية الثغور، ولكن ما تم قوله من قبل ناصحي المصور لنقل هذه المجموعات «وهناك يقتلون أو يؤسرون بأيدي الرومان»، فهذا يدل على أن العباسيين لم يكونوا يرجون من هذه المجموعات فائدة، وحسب هذه الرواية فإن هؤلاء عادوا إلى عادتهم ولم يقدموا شيئاً للعباسيين بتواجدهم في منطقة الثغور والسواحل الذي يطرح هنا هو كيف سيقوم المصور بإرسال مثل هذه المجموعات للتصويبة وقطاع الطرق إلى منطقة الحدود، هذه المنطقة الحساسة وربما تعامل هؤلاء مع البيزنطيين وتحالفوا معهم، ومن الممكن أن يهملوا مهمة الجهاد والدفاع عن الحدود، فمن سيسكن في هذه المدن الثغرية ويربط فيها سيكون على علم بأهمية مكانه ومدى حساسيته، وبأن هم الأول هو الدفاع والحدود عن حدود بلده، ولذلك يجب أخذ مثل هذه الروايات بحذر حين صدور حقائق جديدة.

والملاحظ أن سياسة المصور كانت تنحى نحو تنوع جنسيات للقائين والجنود للتواجد في الثغور.

ولأسباب المذكورة آنفاً، وما لا شك فيه أن هذه العناصر أثرت في خبرة العرب العسكرية والإستراتيجية، حيث لها عقليتها الخاصة والمختلفة عن عقلية العرب، ولها عاداتها وتقاليدها الخاصة، وما أيضاً خططها الحربية المختلفة، فربما رغب المصور في إحضار هذه العناصر ليحدث اندماجاً بينهم وبين العرب، وليتم تبادل الخبرات، كي يستطيعوا مواجهة البيزنطيين، وربما وجد في ذلك خطوة نحو توحيدهم في صف واحد، وإعادةهم عن فكرة الانقسام والحساسية المذهبية، وليشكلوا نسيجاً واحداً وكلاً متكاملًا في وجه جيوش البيزنطيين.

أما طرسوس فقد تم إعادة إعمارها في عهد الرشيد من قبل أبي سليم فرح الخادم، وتوجهت نحوها مجموعتان من السكان، وهاتان المجموعتان اختلطت فيهما عناصر السكان، المجموعة الأولى. كانت حوالي ثلاثة آلاف رجل من أهل حرسان، والثانية: كانت حوالي ألفي رجل من أهل المصيص، وألف من أهل أبطاكية، وكان ذلك حوالي ١٧٢ هـ / ٧٨٨ م، ولتشجيعهم على البقاء في المدينة والمشاركة فيها راد الرشيد في عطائه عشرة دنانير لكل رجل.^(١)

ومن الممكن أن تكون هذه الأعداد الكبيرة من الرجال والمقاتلين الذين نقلوا إلى المدن مبالغاً فيها من قبل المؤرخين، فربما كان المؤرخون عند ذكرهم هذه الأعداد يرغبون بأن يظهروا للناس أن هذه المدن كانت كبيرة ومحصنة بالرجال والسلاح، وليبينوا مدى اهتمام الخلفاء فيها، وبأن هذه المدن استطاعت أن تقف بوجه البيزنطيين وتقاومهم وتحمي حدود الدولة الإسلامية، وربما تكون هذه الأعداد حقيقية، وذلك لاهتمام الخلفاء بمنطقة الثغور و شعورهم بحجم الخطر البيزنطي الذي ما إن يصاب بكيوة حتى تراه قد تمضى وبدأ يهاجم العرب من جديد.

بالإضافة إلى طرسوس، فقد أمر الرشيد أبا سليم فرح الخادم التركي بإعمار أذنة وعين رربة وشحهما بالرجال، وهذا ما حدث فقد قام أبو سليم ببناء أذنة و تحصينها وبذب إليها رجالاً من أهل حرسان وزاد في أعطيائهم.^(٢)

^١ - البلادري: فتوح البلدان، ص ١٧٤.

^٢ - البلادري: فتوح البلدان، ص ١٧٢-١٧٣، ابن المديم: بغية الطلب، ج ١، ص ١٧٩، الحسوي: معجم البلدان، ج ١، ص ١٣٢-١٣٣.

أما عين رربة فقد بيت كذلك من قبل أي سليم فرح الخادم بأمر من الرشيد، وأرسل إليها عددًا من أهل حراسان، وفي عهد المعتصم بالله ثم نقل أعداد من الزط - وهم هود برحو - من شمر، همد إلى العراق وكانت أجورهم أقل من غيرهم من الخوادر إلى المدينة ليقعوا إلى جانب أهلها في الدفاع عن المدينة.^(١)

وبما يلاحظ هنا الاهتمام الكبير من قبل الرشيد ببناء هذه المدن على الحدود، وهذا لا بد من التساؤل عن أسباب هذا الاهتمام الكبير بإنشاء المدن؟

لعل أسباب نشأة الخليفة الرشيد المحموفة بالشجاعة والقوة هي التي تكمن وراء ذلك، فمن المعروف عن الخليفة هارون الرشيد قوته وشجاعته واعتماده الكبير ببناء أركان أساسية و متينة للدولة العباسية طامحاً بتشكيل وبناء دولة إسلامية كبرى مرهوبة الجانب و محصنة الحدود، ولا سيما أن أباطرة و قياصرة من الشرق والعرب حاولوا التقرب منه بعد أن وجدوا فيه، وفي دولته قوة يعتد بها و خطراً يهدد دولهم، فمما أن كان شاباً يافعاً سلمه والده الخليفة المهدي قيادة الجيوش نحو بيزنطة، وقد حقق بحارات باهرة، لذلك ررع فيه حب الانتصار والتعوق على أعداء الدولة الإسلامية، كما وقد ساعدته الظروف المحيطة به ليهتم بحدود دولته، فهو من أشأ العواصم والتي ضمت (ربيعان، دلوكة، مبيج، أنطاكية)، لتعصم مدن الثغور، وتساعد في تزويدها بالمواد والسلاح.

^١ - البلاذري: فتوح البلدان ص ١٧٩.

و بعد الخليفة المأمون عن سياسة أسرته العباسية تجاه مدن الثعور ، فقد قام ببناء كمبريا في الحجاب ، الآخر لهر جيجان مقابل المصبصة، و نقل إليها عناصر من سكان مختلفة الجنسيات، و هذا ما يوضحه قول ابن العديم "و أهلها أعلاط من الناس".^(١)

- العناصر السكانية:

و بما ذكر سابقاً يتبين بأن هناك عناصر سكانية مختلفة الجنسيات سكنت مدن الثعور، فمنها من كانت عربية، و أخرى غير عربية، كالعرس و الزط و غيرهم، وكان من أهم القبائل العربية التي اشتركت في استيطانها مدن الثعور بنو وائل وبنو تغلب.

أ- بنو وائل: بطل من ربيعة من العدنانية، وهم بنو وائل بن قاسط بن هيب بن ربيعة، كان لوائل من الولد بكر، وتغلب و عتر والشخيصة والحارث^(٢)، فأولاد وائل كانوا يقطنون في المدينة قبل الإسلام، ثم هاجروا إلى بلاد الشام بعد الفتوحات الإسلامية، و بعضهم استقر في مناطق الجزيرة و الشام الشمالي و من أهم قبائلهم تغلب.

ب- بنو تغلب: سكنوا الجزيرة العراتية و كانت المسيحية غالبية عليهم، لمجاورتهم الروم البيزنطيين.^(٣)

^١ - ابن العديم: بنية الطلب، ج ١، ص ١٥٩.

^٢ - القلقشندي: نهاية الأرب، ص ٣٩٥. كحالة: معجم القبائل العربية القديمة، ج ٤، ص ١٢١٠.

^٣ - القلقشندي: نهاية الأرب، ص ١٧٦.

وتقسم العناصر غير العربية الرئيسة التي سكنت الثغور الحزورية و الشامية إلى عدة أقسام كان من أهمها.

العنصر الأول:

ج- الفرس، فقد كان أهل عراسان كما ذكر سابقاً من العناصر التي اشتركت في سكن منطقة ومرعش وحمياط وغيرها، وعمل الخلفاء على إرسالهم بشكل دائم إلى الثغور ليستوطنوا بها، ولا يخفى دور الفرس في المساعدة في قيام أركان الدولة العباسية منذ المرحلة السرية للدعوة العباسية إلى إعلان الدعوة وقيام الدولة، وهالك شخصيات فارسية لا يستهان بدورها كأبي مسلم الخراساني وما قام به هذا الرجل و جيوشه من دور كبير ساعد في قيام هذه الدولة، وكبي طاهر أيضاً و البرامكة وبي الفضل والحسن وغيرهم من القادة الذين شاركوا في حملات الخلفاء العباسيين على بيزطة.

واستمر اعتماد الخلفاء العباسيين عليهم، لما لديهم من خبرات و إمكانيات عسكرية جديدة قد تكون أغنت الخبرات العسكرية العربية وأسهمت في تطويرها، و هكذا تعاون الطرفان في مساهمة البيزنطيين، و لذلك استمر دورهم و بدؤوا يتسللون و يتدخلون في جميع ساحي الحياة السياسية و العسكرية و الاجتماعية لما حصلوا عليه من مؤذ منحهم إياه الخلفاء العباسيون.

أما العصر العريب الثاني الذي وجد في الثغور فقد كان:

د- الرط^(١): و هم الجماعة التي أرسلها المحتصم إلى عين روية لتستوطن فيها، وحسب ما ذكر بلورخون بأن "أهلها انتصروا بهم".^(٢)

وربما يقصد بأن الرط شاركوا الأهالي في الدفاع عن حدود مدينتهم من هجمات البيزنطيين، ومن الممكن أن يكونوا اختلطوا بهم و تعايشوا معهم في حياتهم الاجتماعية والاقتصادية، ولا سيما أنه كان لدى الرط أرضية خصبة في الاندماج بالشعوب الأخرى بسبب عورهم المادي، فكانت أجورهم أقل من أجور العناصر الأخرى، وهذا أسهم في سرعة تعايشهم مع الشعوب الأخرى.

والرط تعريب للفظ (رحت) بالفارسية و هم خليط من الشعوب أقرب إلى العبر، نزحوا أول أمرهم من شمال غرب الهند، فسكنوا شواطئ الخليج العربي الفارسي، واستولوا القنطرة التي وقعت بين الأمن والمأمون، فاستولوا على البصرة التي عاثوا فيها فساداً و قطعوا الاتصال بين البصرة

- رط - اسم قوم والاشتقاق رط من الفارسية كانت أو رجات، ويذكر بأن بهرام كور ملك فارس سأل ملك هند أن يرسل إليه عشرة آلاف لوري من الرجال والنساء البارعين في العرف على العود وهكذا توجهت هذه مجموعة إلى منطقة الخليج الفارسي، مجموعة من المؤلفين: دائرة المعارف الإسلامية، تر، أحد الشهابي، إبراهيم ركي محورشيد، القاهرة: دار الشعب، بيروت، الهيئة العامة للكتاب، ٥، د، ج، ١٠، ص ٣٤٩-٣٥٠.

^١ - البلادية: فتوح البلدان، ص ١٧٦.

وبعدد، ولم يستسلموا إلا في عهد الخليفة المحتصم بالله، الذي استطاع أن يقضي على نورهم، وأن يستعيد منهم بعد ذلك يقوم بإرسالهم إلى مدن الثعور.^(١)

بالإضافة إلى هذه العناصر السكانية التي استوطنت الثعور، فقد عمل العباسيون على التحالف مع عناصر أخرى وجدت قريبة من الثعور كالجراجه، وعناصر أخرى بمرتبة الأصل لكنها تحالفت مع المسلمين، وسكنت الثعور كالبلاطة المراتقة.

هـ - البلاطة المراتقة: وجدوا في مناطق الثعور واستقروا بين الأرمس النازلين بأرض العرب وخاصة في ملطية، كان يطلق عليهم البتالكة أو البلاطة أو البياصة والبوليسين المراتقة^(٢) وهم

- مجموعة من المؤلفين: دائرة المعارف الإسلامية، ص ٣٤٩-٣٥٠-٣٥١. أيوب (إبراهيم): التاريخ العباسي السبسي والحضاري، بيروت، الشركة المطبعة للكتاب، ١٩٨٩م، ص ٨٣. دارليف: العرب و الروم، ص ١٩٦. الحزوري: الثعور البرية الإسلامية، ص ١٥٥.

٦ - لبوليسون المراتقة: هم أتباع فرقة مسيحية شرقية انتشرت في آسيا الصغرى وأرمينية منذ القرن الخامس الميلادي، وقد أعتدوا اسمهم من اسم بولس السبطاني أسقف أنطاكية وأقاموا تعاليمهم على الإنجيل ورسائل بولس، وظهر فيهم رئيس اسمه قسطنطين سبب إلى منطقة على الفرات الغربي لأعلى اسمها Mananli وبظم دعوتهم، تعرضت للاضطهاد من قبل أباطرة بيزنطة في القرن التاسع الميلادي، وأومر: إمبراطورية البيزنطية، ص ١٦٧-١٦٨. وعلمنا من تراثها الأدبي ملحمة كتبت أولاً في القرن العاشر الميلادي ثم كتبت في القرن الحادي عشر الميلادي اسمها دانيوس قريظش (رجل الثعور أو مظل الثعور) ويعتقد أن هؤلاء تحولوا إلى الإسلام الشيعي في العصر العثماني أثناء الصراع ما بين الصليبيين و العثمانيين، وهم من أطلق عليهم العثمانيون اسم (قزل باشي) (حوي الرؤوس الحمراء) و يعرفون الآن في تركيا باسم العلويين ويقال بأن عددهم يتجاوز العشرين مليون بينما تقول السلطات التركية أن عددهم لا يتجاوز نصف ذلك، يرى بعضهم أن الصدمة الموجودة في إيران باسم (علي إلهي) مرتبطتين بهم من حيث الأصول وغير ذلك، ينظر

Mavrogordato John.Digenes Akrites,Oxford,1963.

طائفة من الروم البيزنطيين، لكنها تخالفهم في أفكارها الدينية، فقد شكلت أفكارهم تحديداً لبعض
الباطرة المناصرين للأيقونات، لأنهم يعتقدون بالثنائية بأن هناك إلهاً للخير وإلهاً للشر، وإله
الأول هو مؤسس الكون، ولهذا عيسى بن مريم ليس حقيقة، بل خيال، ويكررون عبادة العذراء
والقديسين، ويأبون الركوع للصليب، ويكررون صحة العشاء الرباني، وكانت عبادتهم خالية
خلواً تماماً من الطقوس، ويتهمهم البيزنطيون بالزندقة وبأن أفكارهم تقوم على تقاليد المناوية
أتباع ماني لأنهم يؤمنون بالثنائية مثلهم، ولم يكن للبيالقة كهنة ولذلك كرموا الكنائس
والأيقونات والآثار المقدسة.^(١)

وقد اختلف المؤرخون القدامى والمحدثون حول أصل كلمة البيالصة أو البيالقة، فيرى القدامى أنها
اشتقت من اسم ولدي امرأة مانية بسمساط تدعى كاليس وهما بولص وماني، أما المحدثين
فإنهم يشكون في هذا الكلام خاصة وأن المعلومات لدى القدامى قليلة وغامضة، وبعضهم
اشتقاق اسم البيالصة من اسم القديس بولص، ويررون اقتراحهم هذا بأن البيالصة يكون التقدير
لرسول بولص كما أنهم يطلقون اسمه على أسماء تلاميذه وبعض قناديم، البعض الآخر يرجع هذا
لمصطلح البيالقة Paulikiani إلى أصل أرمني، وهذا ينشأ من معرقات الاسم، فالأصل هو
paul واللاحقة ik وبالتالي paulikiani كلمة أرمنية مشتقة من pauliani والتي تعني حرفياً

- مرشد من المعلومات عن أفكار اليوليبيين المرافقة واختلافهم مع الأرثوذكس ينظر توماس لإمبراطورية
البيزنطية، ص ١١٨، رسيماك. الحضارة البيزنطية، ص ١٢٦. Editions E. DE Boccard, Travaux
ET Memoires, Paris, 1970, p16-17-18 John, Digenes Akrites, p54.

أتباع أو أبناء القديس يولس الصغير، وبذلك فهم لا يقصدون اسم القديس يولس لكن اسم أحد الببالصة الأوائل والذي يحمل اسم يولس أيضاً، ويختار يولس المعلم الأول للببالصة الذين اشتقوا اسمهم من اسمه.^(١١)

لذلك فقد كانت كنيسة القسطنطينية تعدهم ملاحدة وهراطقة، فقررت الحكومة البيزنطية إرجاعهم إلى الأرثوذكسية، فشق الببالقة بالآلاف وأغرقوا وذبحوا ونزعت أملاكهم لأنهم رفضوا العودة إلى الأرثوذكسية، لذلك عمل الأباطرة على نقلهم من القسطنطينية إلى تركيا في القرن السابع الميلادي وانتشروا غرباً من خلال بلغاريا، و نتيجة لذلك فقد اضطهدوا بشكل كبير في القرن التاسع الميلادي، الثالث الهجري، وغالباً ما وجهت بيزنطة حملات عسكرية ضدهم بتحريض من رجال الدين.^(١٢)

انتشرت آراء هذه الطائفة بشكل كبير لدرجة أن الإمبراطور ميخائيل وجد أنه من الضروري إيقافهم عدد حدهم، لأنهم بدأوا يشكلون خطراً على عرشه، ونتيجة لسياسة التعذيب والاضطهاد التي تعرض لها البوليسيون - إذ تعرضوا لتعذيب وحشي من قبل جنود الإمبراطورية لا سيما في وصاية ثيودورا - لذلك فقد توجهوا مع رعيهم ويدعى سرجيوس إلى ملطية، ولدى وصولهم استقبالهم العرب بشكل جيد، ووجدوا فيهم خير مساعد في خروجهم مع البيزنطيين.^(١٣)

١ - سمودي. التبيين والإشراق، ص ١٤٩، مقدمة بن جعفر: الخراج، ص ٢٥٤، البشير (هاني عبد الهادي)

انببالصة في آسيا الصغرى، (مجلة المشرق المصري)، العدد ٢٤، القاهرة، منشورات كلية الآداب، ص ٤٥

٢ - رسم ج ١، ص ٣٣٤، الجغرافي: الثغور البحرية الإسلامية، ص ١٧٢، البشير الببالصة في آسيا الصغرى،

ص ٤٥

٣ - علق: الإمبراطورية البيزنطية، ص ٢٠٢.

لقد استعاد الطرفان العربي المسلم، والبيالقة من هذا التحالف، فقد رأى سرجيوس في لجوئه إلى المسلمين الأعداء التقليديين لبيزطة إفادة كبرى وخاصة من حروبهم ضد بيزطة، وبالمثل عندما وصل البوليسيون إلى ملطية وجد فيهم أمير ملطية عمر ابن عبد الله الأقطع خير مساعد له في حماية مدينته، ولخدمهم أكثر منهم قريتي أرجاءون Argoun وأمارا Amara على حدود أرمينية، في منطقة سيواس الجبلية و هما قريتان من ملطية، وهكذا عاش البيالقة في منطقة الجبال واستمرت روح الاستقلال حية في الجبال، ودافع البيالقة عن حريتهم وديانتهم ومعتقداتهم لما يزيد عن قرن، ودأبوا على إثارة الاضطرابات في أطراف الإمبراطورية، مستمرين بتحالفهم مع أعداء الإمبراطورية العرب المسلمين.^(١)

ومن هنا بدأ التحالف العسكري الحربي بين الطرفين ضد بيزطة، ولم يكن اختيار عمر بن عبد الله لتلك المناطق عن عيب، فهو في إسكانه للبوليسيين على الحدود المباشرة مع بيزطة، يحسن الروم البيزطيين يتعاركون مع بعضهم البعض وتعود العودة النهائية للعرب.

وبعد سرجيوس تسلم قيادة البوليسيين كرياس، الذي كان يمتلك من الحسنة العسكرية الكثير، وعمل كرياس على مد نشاطه أكثر، فقد تحالف مع أمير طرسوس علي بن يحيى الأرمي، كما أنه قابِل الخليفة المحتشم بالله، والذي أحس استقباله، وقدم له ما يحتاجه هو وأتباعه من المعونة، وشجعة لسياسة العرب معه نزحت أعداد كبيرة من البوليسيين مع عائلاتهم إلى أرجاءون وأمارا، وقام العرب والبوليسيون بعمليات كثيرة ضد البيزطيين من سلب وحبس للأراضي المجاورة للحدود، وعملوا على قطع الطرقات وانتشروا كثيراً على شكل جماعات في هذه الطرقات وفي

John,Digenes Akrites,p43

بشير البيالقة في أسيا الصغرى، ص ٥٤.

لممرات الحلبية وعلى النخوم ، ينتظرون البيزنطيين جوداً كانوا أو تجاراً يتقصون عليهم ويهوبون ممتلكاتهم، ومن ثم يتفاحمون العائث مع حلفائهم العرب ، وذكرت ملحمة دايجيوس أفريطش البياقة بشكل معصل، ووصفتهم بقطاع الطرق واللصوص وشن دايجيوس هجمات كثيرة ضدهم.^(١)

بعد مدة من الزمن قام كريس ببناء مدينة خاصة به وأتباعه هي تعريك^(٢)، وأسباب بناء هذه المدينة كثيرة، فيذكر البعض بأن كريس أسس هذه المدينة لاستيعاب الأعداد المتزايدة من البوليسيين وليكون قريباً من الأراضي البيزنطية، والأهم من ذلك لتخلص من التبعة المباشرة للمسلمين.^(٣)

من الممكن بأن كريس قد أحس بأنه بدأ يمتلك من القوة والقدرة ما يجعله يعتمد على نفسه وأتباعه في هجماته ضد البيزنطيين ، كما أن أتباعه بدؤوا يتذمرون من استغلال العرب لهم، ومن حرماتهم من العائث التي كانوا يحصلون عليها من نحر كائهم حسب ما ذكره البعض ، ولكن هذا الاحتمال ليس يقوي، فكيف سيسمح لهم العرب ببناء مدينة بالقرب منهم ، ومن ثم يستقلون عنهم مباشرة، خاصة وأن التحالف بين الطرفين استمر لسنوات طويلة، لا يمكن أن نسي الرغبة

- دريليف العرب والروم، ص ٢٠٣، توماس: الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٦٨، البشير البياضة في أسب انصري، ص ٥٧. John.Digenes Akrtes,p50

^١ - تعريك: تقع على نهر إربيق ، وللمسمى بذلك نسبة إلى قلعة إربيق القائمة على أعاليه ، وهي على بعد سير ميل أو أكثر عن كعج ، والبعض يسمي القلعة تعريك Tephrike وأفريك Aphrike، شهر حد موضوع بكونه معقلاً للبياقة، لترجيح: بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٥١.

^٢ - فازيليف: العرب والروم، ص ٢٠٣-٢٠٤، البشير: البياضة، ص ٥٦.

يأخذوا نصيبهم من العائث ممن يقتلون من أعداء المسلمين إذا شاركوا معهم في حروبهم وعرواتهم.^(١)

استمرت هذه الميراثات للمجاعة ومن الخلفاء المسلمين في عصورهم، وكان المجاعة يساعدون المسلمين، ويخلصون لهم في وقوفهم معهم ضد عدوهم الرئيس الروم البيزنطيين، وأحياناً أخرى كانوا يتحالفون مع الروم البيزنطيين ضد المسلمين، فيقوم المسلمون بإحلاء بعضهم من مدينتهم إلى مكان آخر، وهذا ما حدث معهم عندما قام صالح بن علي بإحلاء أعداد كثيرة منهم إلى قرى غنطلة.^(٢)

وم يتم ذكر العام الذي تم إحلاء المجاعة فيه، ولكن يمكن أن يكون ذلك في أثناء خلافة المنصور، عندما تم إحلاء عدد من سكان الثغور كوتهم خافوا المسلمين، وتعاونوا مع البيزنطيين. وفي زمن الخليفة الواثق بالله، فرض العمال على المجاعة الجزية، وهم لم يكونوا يدفعونها منذ زمن طويع، وتمكن المجاعة من إيصال ذلك إلى الخليفة الواثق بالله، فأمر الخليفة مباشرة بإسقاطها عنهم.^(٣)

لقد أدى نقل المجاعة من موطنهم وقيولهم عقد التحالف مع العرب إلى التصاق حدود الدولتين الإسلامية والبيزنطية ومناخها بعضها البعض ومن دون جماعات حاجزة، وقد سهل هذا على

- أنبلادري، فتوح البلدان، ص ١٦٥-١٦٦، ابن المقدم: بغية الطلب، ج ١، ص ٢٢١، مجموعة من الباحثين: دائرة المعارف الإسلامية، مج ٩، ص ٢١٨.

^١ أنبلادري، فتوح البلدان، ص ١٦٦-١٦٧، عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية، ج ١، ص ٣١٧، جغوري: الثغور البرية الإسلامية، ص ١٥٩.

^٢ - ابن المقدم: بغية الطلب، ج ١، ص ٢٢٢.

لمسلمين اختيار الحدود البيزنطية بحرية أكبر، كما مكنهم من توسيع رقعة عملياتهم الحربية لتمدّد شمالاً، من دون أن يخشوا أي خطر حتى لو طالّت خطوط مواصلاتهم.^(١)

ز- المتطوعة^(٢):

بالإضافة إلى القوات النظامية التي وجدت في الثغور، كان هناك عدد من المتطوعين القادمين من مختلف ولايات الخلافة العباسية إلى مناطق الثغور بهدف المراقبة والجهاد في سبيل الله، والواقع أن أولئك المجاهدين والمرابطين في سبيل الله كانوا أشداء في الحرب حتى شهد لهم أعداؤهم بذلك، لأن جهادهم كان خالصاً لوجه الله لا يتحون أحراراً في الدنيا، ويشكل هؤلاء المتطوعون جزءاً رئيساً من حاميات مدن الثغور، وكان هناك قسم كبير من المتطوعة الذين استوطنوا المارونية، كما أن المتطوعة كانوا يعدّون الجهاد هو الخرفة الوحيدة لهم، وكانوا يتدربون تدريبات مستمرة على فنون الحرب وأدوات القتال كي يكونوا على أتم الاستعداد عند الحاجة.^(٣)

- فرج (وسام عبد العزيز). العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادي، الإسكندرية، ١٩٨١م، ص ٤٥.

١ - المتطوعة: المتطوع وفي الترتيل العزيز "الذين يلمسون المتطوعين" أي من يتطوعون للجهاد ونحوه ويقفون هم المتطوعة، المعجم الوسيط، ص ٥٩١. والمتطوعة هم الخارجون عن الديوان، من الذين يلبسون المير الذي يذب الله تعالى به نفوه "انعموا عملاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون" سورة التوبة ٤١، وهؤلاء يشتركون في الجيش وقت الحرب فقط ثم يسرحون في وقت السلم ليردّوهم مهتهم لأصناف سواء أكانت زراعة ثم تجارة ثم غير ذلك. هندي: الجيش العربي في عصر الفتوحات، ص ١٢.

٢ - أنبلادري هوج البلدان، ص ١٧٢ - ١٧٥، ابن حوقل: صورة الأرض، ص ١٦٨، الجوزي: الثغور البرية الإسلامية، ص ١٥٨.

هذه العاصر السكانية المتنوعة والتي قطعت الثور كوت في النهاية مجتمعاً متكاملأ غير بأحلاق أباته الكرية، فقد اهتم أهل الثور بترية أولادهم والعمل على تثقيفهم بثقافة المجاهدين من أخلق حميدة وصوص كرية وهم عالية ، وكانت هذه الصغات تميز أولاد مكان الثور سوء أكانوا من العرب أم من الغرب.^(١)

وما يميز مجتمع الثور أيضاً بأن ثلثا أهله كانوا من العارين والثلث الآخر من المتأهلين.^(٢) ويبدو أن ما دفع العارين لسكن الثور أكثر هو حاجتهم للتعرف للحياة العسكرية من دفاع عن الأراضي العربية الإسلامية والروء عنها من خطر الأعداء ، ولكي لايشغلوا بأمور الأسرة والأولاد وما شابه.

واختصر ابن العديم بكلمات موجزة وصعه لسكان أهل الثور بوصفه أهل طرسوس، وبالطبع هذا الوصف يطبق على مدن الثور جميعاً، فقد قال:

«فأما أهل البلد فكانوا من سائر أقطار الأرض بخلق حسن وألوان صافية، وفيهم رقيق وأجسام عبلة، والأغلب على ألوانهم البياض والحمرة والسمرة الصافية وكان في أكثرهم جماء وغلظة على العريب، إلا من كان منهم قريب عهد بالعربة، وكذلك الشح كان فيهم فاشياً إلا في العريب، وغلب على السوق والمستخدمين قوم من الخور وسعة العجم، ومن كانت فيه فسولة

^١ - ابن العديم: معية الطلب، ج١ ص١٨٠.

^٢ - ابن العديم: بغية الطلب، ج١ ص١٨٤.

عن الحرفة وكسل عن طلب المعاش فأظهروا رهداً وورعاً، وأعلنوا بالنصب، فأحدهم الله أحد عزيز قدير)).^(١)

وبما تقدم ذكره يلاحظ بأن السكان في ذلك العصر كانوا يتألفون من عناصر مختلفة في عقليتها وعاداتها و تقاليدها و مهج تفكيرها، امتزجت كلها في أنون بوتقة واحدة، مع أنها كانت تتكون من أمم مختلفة، وتقاليم متنوعة، فالعصر العربي و العصر الفارسي الوارد من بلاد فارس، والبطيون والصقالية والروم الذين كانت تسوقهم الحروب بين المسلمين والبيزنطيين وغيرهم من العاصر والأجناس الأخرى، اتحدوا وشكلوا سبيحاً واحداً وخطّ دفاع ثابت في وجه جيوش بيزطة، وهذا الاتحاد وهذا الاندماج سببه عائد إلى المصالح والأهداف المشتركة بين هذه العاصر. وكان لكل من هذه العاصر عقلية خاصة، وأخلاق متباينة، و لكل عصر مزاياه و لكن مهم أدب و علم و ثقافة خاصة، وهؤلاء كلهم يتراوحون فيما بينهم، فتخرج منهم أجيال تحمل جزءاً من طبائع آبائهم، وجزءاً من طبائع أمهاتهم، و جزءاً آخر اكتسب من المجتمع الجديد، فهذه العاصر في تزاوجها و اندماجها و اتحادها مع بعضها لا بد من أن تكون سبيحاً مترابطاً ومتآلفاً في مجتمع يتطور بشكل دائم، بسبب تراوح هذه الأفكار والرؤى و النظرات.

^١ - ابن المقدم: بنية الطلب، ج ١ ص ١٧٩.

رابعاً: دور مدن الثغور في الأحداث الداخلية في الدولة العباسية:

أولاً: ثورة نصر بن شيث العقبلي في كيسوم ١٨٩-٢١٠ هـ / ٨١٣-٨٢٥ م:

تلك مدن الثغور وحصونها بما في من الأحداث الداخلية التي تجري في أنحاء الدولة العباسية، فقد كانت الثورات تشتعل بين الحين والآخر في مدن الدولة العباسية، وهي ثورات بين القبائل، وثورات ضد الخلفاء العباسيين، وثورات ضد تسلط الأعاجم وغيرها، فقد رقب أهل الشام والحزيرة على العباسيين، بسبب حرماتهم من مكائهم ومكاسهم التي كانوا يحظون بها أيام بني أمية، واستمرت الاضطرابات في بلاد الشام مدة طويلة ضد العباسيين.

وكان العباسيون في الوقت نفسه يشعلون الفتنة بين القبائل العربية، لإشغال القبائل عن الثورة ضدهم، وذلك من خلال سياستهم المنحازة إلى فرع قبلي دون آخر، فاعتمدوا على العرب اليمنية في المراحل الأولى اعتماداً كلياً مما أدى إلى حقد القبائل القيسية وشوب التفاعات، وانقلبت الحال بعد ذلك، وبدأت القبائل اليمنية ثور على العباسيين، نتيجة إهمال اليمنية و إهمال العباسيين نحو القيسية.^(١)

والذي أشعل نار الثورة اليمنية والقيسية، وعمل على جمع القبائل العربية ضد العباسيين، سياسة الإهمال التي بدأ الخلفاء يتبعونها ضد العرب، وبدأت هذه السياسة واضحة بشكل كبير في أثناء خلافة المأمون، وشعور العرب بدو مكائهم، وانحطاط شأنهم مقابل علو شأن ومكانة العرس.^(٢)

١- يصدر أمية) الحياة السياسية و أهم مظاهر الحضارة في بلاد الشام ١٣٢-٢٥٨ هـ / ٧٥٠-٩٦٨ م، دمشق، مشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، ١٩٨٠، ص ٥٣.

٢- ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٢٢٧، بيطار (أمية): موقف القبائل العربية في بلاد الشام و العراق، دمشق، مشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، ١٩٨٦، ص ١١٨-١١٩.

وبعد مقتل الأمين واستلام المأمون السلطة ثارت التركة العربية لدى شعب الجزيرة، وعدو، مقتل الأمين هو حسارة للحرب العربي، وأن استلام المأمون هو انتصار للحزب العارسي، فتوَّج العرب غصبهم بثورة مصر بن شيت العقيلي.^(١)

فمدن الثور لم تكن فقط مدن حدودية عسكرية مهمتها الدفاع عن الحدود مع الدولة البيزنطية، بل كانت تتأثر بما يجري حولها من أحداث داخلية، وهكذا اشتعلت نار الثورة في كيسوم، فأوضاع لم تهدأ في الجزيرة و شمال بلاد الشام بعد مقتل الأمين، إذ قامت القبائل العربية بثورة ضد العوذ العارسي الذي استأثر بالسلطة العباسية، وقد تزعم هذه الثورة رجلٌ عربي يدعى مصر بن شيت العقيلي، وكان مصر من بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر يسكن في منطقة كيسوم، وكان يميل للأمين و تطوع في الجيش الذي شكله عبد الملك بن صالح بن علي لصد الأمين، و بعد مقتله استاء كثيره من العرب، وشعر بانحطاط مكانة العصر العربي، نتيجة لسياسة المأمون، فأعلى عروجه عن سياسته في أواخر عام ١٩٨ هـ / ٨١٣م، و استطاع التغلب على مناطق متعددة شمال الشام وانضمت إليه أعداد كثيرة من سكان الجزيرة و شمال الشام، وما جاورها رغبة، أو رهبة، أو طمعاً، فمهم من كان صادقاً بشعوره، ومهم من كان طامعاً بالأموال.

- للماضبي (مأشع): دولة بني عقيل في الموصل من سنة ٣٨٠ - ٥٤٨٩ هـ بغداد، مطبعة شعب، ١٩٨٦م، ص ٤١.

وهكذا تجمع بصر مع جيشه كيسوم وعبر العرات إلى الجانب الشرقي منه، واستولى على منطقة العرات بكاملها، وقام بمحاصرة حران.^(١)

كان هائلت ظروف عدة قد ساعدت بصر على الاستيلاء على كيسوم وما جاورها من المناطق، إذ استعاد بصر من الاضطرابات، والمشاكل التي كانت تمر بها بلاد الشام، فقد غرقت وحدة شهاب بلاد الشام بعد مقتل الأمين، وتسلم المأمون، و سيطر على كل منطقة شخص رأى بعينه القوة، فعندما تسلم المأمون العرش كان أحمد بن عمر بن الخطاب الربيعي على نصيبين وما والاها، وموسى بن مبارك الشكري على ميا فارقين، وحبیب بن الخهم على رأس عين وكفرنوت، وعثمان بن ثمامة العيسبي على كور قنسرين، والعباس بن رفر الحلالی على كور الثعور، وبصر بن شيبث على كيسوم وما والاها من ديار مصر، و كان أقوى الزعماء و أشدهم معة.^(٢)

أفضت ثورة بصر مضاجع العباسيين، و سببت الكثير من الفوضى في الجزيرة ومطقة العرات وشمال بلاد الشام، فقد باتت هذه المنطقة مستقلة بذاتها عن السلطة، لذلك قرر المأمون إرسال قائده طاهر بن الحسين، وكان معروفاً عن طاهر شجاعته وحكمته العسكرية والسياسية، أمر المأمون طاهر بالتوجه نحو الرقة بعد أن ولاء الشام والجزيرة وللوصول عام ١٩٨ هـ / ٨٨٣ م، وكان طاهر آنذاك يجمع ثمار انتصاراته في خراسان وكان يتولاها، ولهذا أمره الخليفة المأمون بأن

- بن الأثير الكامل، ج٦ ص ٢٩٧، ابن عسكون: تاريخ ابن عسكون، ج٢ ص ٢٤١، مؤلف مجهول: نبوءة والحدائق، ص ٢٦٢ - ٢٦٣، كرد علي (محمد): خطط الشام، دمشق، للطبعة الحديثة، ١٩٢٥ م، ج١، ص ١٨٧-١٨٨، للماضيدي: دولة بني عقيل ص ٤١.

^٢ البيهقي تاريخ البيهقي، ج٢ ص ٤٤٥، ابن رستق: الأعلام النفيسة، ج٧ ص ١٠٧، الرهاوي مجهول: تاريخ الرهاوي المجهول، ص ٢١ - ٢٢.

يسلم ما بيده من كور الجبال و قارس والأهوار و البصرة و اليمن و الكوفة إلى الحسن بن سهل و بأن يتوجه هو نحو الرقة.^(١)

توجه طاهر بن الحسين لمحاربة نصر و سار نحو الرقة، و من هناك قام بعراصة نصر، و كتب إليه يدعوه إلى الطاعة، لكن نصر لم يقبل كتاب طاهر حتى أنه لم يكلف نصر الرد عليه، و استمر القتال بين الطرفين، و لكن بشكل متقطع من دون أن يحقق طاهر بن الحسين أي انتصار على نصر بن شيث.^(٢)

بدأت ثورة نصر تلمت أنظار العديد من الأشخاص، وبدأ يصمم إلى صعوده الكثير من الشيعة إلى عام ١٩٩ هـ / ٧١٤ م، أحس نصر بقوته نتيجة للجموع الكثيرة التي انضمت إليه، وبدأ أنصاره يطالبونه بأن يبيع خليعة آخر بدل الخليعة المأمون، و لكن نصر فاجأ الجميع بأفكاره، و بين لهم بأن طموحه ليس تنحي المأمون أو إلغاء سلطة العباسيين، فقد قال له عدد من المجتمعين لديه: "قد ورتت بي العباس و قتل رجائهم و أغلقت عنهم العرب، فلو بايعت خليعة كان أقوى لأمرك، فقال نصر: من أي الناس، فقالوا: بايع لبعض آل علي بن أبي طالب، فقال: أبايع بعض أولاد السودات، فيقول إنه هو خلقي و رقي؟ فقالوا: فبايع لبعض بني أمية، فقال: أولئك قد أدير

- لأردى تاريخ الموصل ص ٣٣٢، ابن كثير: البداية و النهاية، ج ١٠ ص ٢٤٤، ابن سعد: طبقات وفيات لأعيان، ج ٢ ص ٥٢. مؤلف مجهول: الميون و الحقائق ص ٤١٩.

٢ - ابن قتيبة: المعارف، ص ١٦٩، الطبري: تاريخ الرسل و الملوك، ج ٨ ص ٥٨٠، ابن الجوزي: المستمع، ج ١٠ ص ٤٢. ابن طيفور: تاريخ بغداد، ج ٩ ص ٣٤، السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج ٢ ص ٤٥٩. الرهاوي المجهول: تاريخ الرهاوي المجهول ص ٦٢.

أمرهم، وللدبر لا يقبل أبداً، ولو سلم علي رجل مدير لأعدائي إداره، وإما هو أي في بي عباس، وإما حاربتهم محاماة على العرب، لأنهم يقدمون عليهم العجم"^(١).

فبصر م يكن يهدف لسر الفوضى في أنحاء الدولة العباسية، ولكنه ثار على المأمون لتعصيه العرس على العرب، ولاخطاط مكانة العرب وشأنهم في جميع المجالات، فهو ليس ضد الدولة وإنما معها، ولكنه ضد سياستها المنحازة للعرس.

استمر القتال بين بصر وبين القائد طاهر حتى عام ٨٢٥ هـ / ٨٢٠ م، و بصر يحقق الانتصارات المتتالية على طاهر، فقد هزمه في كيسوم والرقه وقتل أعداداً كثيرة من جنود طاهر، ونتيجة لهذه الهزائم المتتالية فقد تم استدعاء طاهر إلى بغداد لمقابلة المأمون، والذي طلب من طاهر تسليم قيادة الموأجهة مع بصر لولده عبد الله ابن طاهر بن الحسين.^(٢)

في هذه الأثناء كان بصر يعمل على تحصين كيسوم، لمقاومة أي هجوم محتمل من قبل العباسيين، ولذلك أحاط كيسوم بثلاثة أسوار، ومن ثم ساعد رجاله في إعادة بناء سور سمياط.^(٣) انضم طاهر بن الحسين بخيانة المأمون في حربه هذه ضد بصر، وذلك لأنه كان متساهلاً، فقد استمر ما يقارب خمس سنوات وهو يحارب بصر، ولم يتمكن من تحقيق انتصار عليه، ويؤكدون هذا الاتهام ببعض التصرفات التي كان طاهر قد قام بها في أثناء تكليف المأمون له بحرب بصر.

^١ - الأردني. تاريخ الموصل، ص ٣٣٤، ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ٣٠٨، ابن خلدون. تاريخ ابن مغلطوب، ج ٣، ص ٢٤١.

^٢ - النعماني. تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٥٨٠، ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ٣٦٢، ابن طبريز. تاريخ بغداد، ج ٩، ص ٣٥.

^٣ - النعماني: تاريخ مبعثات السرياني الكبير، ج ٢، ص ٤٥١.

فتوره في محاربة نصر يرجع إذاً إلى الصدمة التي تلقاها من آل سهل حين حرموه من ثمار فتوحه في العراق، فطاهر قائد عسكري شجاع له باع طويل في الحروب ويتميز بحمة كبيرة في وضع أدق الخطط الحربية، ولكن طاهر لم يستطع أن يتقبل فكرة استلام منصب مثل هذا، كما أن طاهر لم يصح كل إمكاناته في محاربة نصر، بالإضافة إلى أن نصر اجتمع لديه الكثير من المؤيدين ممن دفعتهم النخوة العربية كما أنهم أصبحوا يشعرون بقوتهم واستقلالهم.

لذلك بعد أن هزمت قوات المأمون أمام نصر، ارتأى المأمون أن يسلم مهمة القضاء على نصر لقائد قوي ويتمتع بحمة عسكرية تمكنه من تحقيق ذلك، ولذلك وقع اختياره على عبد الله بن طاهر الذي ولاه المنطقة الممتدة من الرقة إلى مصر، وكلعه بقتال نصر والقضاء على ثمرته، لكي يعيد الاستقرار والأمان لمنطقة شمال بلاد الشام، خاصة وأن العوضى انتشرت بها وهذا بالطبع يؤثر على عملية الدفاع عن الحدود.

عندما تسلم عبد الله منصبه أوصاه والده القائد طاهر وصية مهمة، فقد جمعت بين حماس الآداب والسياسة ومكارم الأخلاق، إذ لم يترك طاهر شيئاً من أمر الدين والدنيا والتدبير والرأي والسياسة وإصلاح الملك والرعية وحفظ البيعة وطاعة الخلفاء وتقوم الخلاف إلا وقد ذكره في وصيته.^(١)

ابن عسكروني تاريخ البقوي، ج ٢، ص ٤٥٦. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٥٨٢، ابن طهمر: تاريخ بغداد، ج ٩، ص ٣٩-٥٣، مؤلف مجهول: الميون والحدائق، ص ٤٥١-٤٥٢، ابن الجوزي: المنظم، ج ١٠، ص ٤٩.

استمر عبدالله بن طاهر بمحاربة نصر ما يقارب خمس سنوات ٢٠٥ - ٢١٠ هـ / ٨٢٠ - ٨٢٥ م، جرت خلال هذه السنوات معارك كثيرة، لكن عبد الله لم يحسم أيًا منها، وقد جرى أيضاً خلال هذه السنوات محاولات للصلح و إنهاء الحرب، لكن كلا الطرفين أي (نصر والخليفة المأمون) بقيا متشددين في موقعهما لا يقبلان أن يتارلا^(١).

ولا أن عبد الله تمكن في النهاية من أن يحسم النتيجة لصالحه، فقد بدأ يحاصر نصر عام ٢٠٩ هـ / ٨١٤ م، ويصيق عليه حتى يجبره على طلب الأمان، في أثناء هذا الحصار عمل عبد الله على إرسال شخص من أهل الجزيرة يعرف بدهائه ولبه في الوقت نفسه يدعى جعفر بن محمد العامري، ليعاوض نصر، وبالمعل توجه جعفر والتقى نصر في سروج، وأبلغه طلبات الخليفة المأمون بالاستسلام ووقف الثورة، قبل نصر طلب الخليفة و لكن كان لديه شرط بأن لا يطا بساط المأمون أبداً، وعندما علم المأمون بشرطه، غضب و أجاب جعفر: " لا أحبيه و الله إنى هذا أبداً، ولو أفضيت إلى بيع قميصي حتى يطا بساطي و ماله يعر مي"^(٢).

كان احتجاج المأمون بأن نصر كعيره من الكثيرين الذين أخطأوا و طلبوا العفو و مثلوا بين يديه، ولهذا، استهجن طلب نصر، فيماذا يختلف نصر عمن سبقه من الثائرين، أما نصر فقد تشدد في موقفه، و لم يقبل بالذهاب إلى المأمون وطلب العفو، وسبب ذلك أن نصرأ كان يعتد بنفسه لأن ثورته هي ثورة عربية، ودعم العرب له يجعله في موقف قوي، وكان يستهزأ من جيوش المأمون،

١ - انصري، تاريخ الرسل والملوكة، ج٨ ص٥٩٨، ٥٩٩، ابن طيفور: تاريخ حنك، ج٦ ص١٤١، بن حنك: تاريخ ابن حنك ج٣ ص٢٥٢.

٢ - البغوي، تاريخ البغوي، ج٢ ص٤٥٩، الأردني: تاريخ اللوصل ص٣٦٦. ابن حنك: تاريخ ابن حنك، ج٣ ص٢٥٢. مؤلف مجهول: العيون و الحقائق، ص٤٥٤ - ٤٥٥.

كونها صعبة لا تقوى على قتال العرب، فهي لم تستطع القضاء على ثورة الزط، وكان يقول
 "ويلي عليه وهو لم يقو على أربعمئة ضمدع تحت جناحه - يعني الزط - يقوى على جلبة
 العرب".^(١)

عاود نصر القتال ضد عبد الله، و تمكن القائد عبد الله من محاصرته في كيسوم، وكانت قوات
 عبد الله تقارب أربعين ألف فارس، وعشرة آلاف من الرماة، وقام عبد الله بأمر جنوده بحفر
 خنادق حول المدينة، ليمسوا نصر من محاولة الهرب، والعمل على قطع أي إمداد يأتي إليه،
 وهكذا حاصر عبد الله كيسوم، ونصب حول المدينة ثلاثين مسجيقاً، وبدأت المسجيق تضرب
 المدينة بالحجارة والنيران واشتد الحصار على نصر ومسانديه، وكان عبد الله يخطط للتخلص من
 الأشخاص المساندين لنصر، ليصبح في النهاية وحيداً، وتمكن عبد الله من تحقيق ما يهدف إليه،
 فقد تضايق سكان المدينة وماسرو نصر، وطلبوا الأمان والصصح عما فعلوه إن سلموا أنفسهم،
 وبالمعنى أعطاهم عبد الله الأمان وبقي نصر لوحده، وجرى في أثناء الحصار أحداثات بين نصر
 وعبد الله، وتم خلالها تبادل الرسائل والكتب^(٢).
 وأخذ عبد الله يضيق على نصر حتى دفعه إلى طلب الأمان، وعندها أرسل عبد الله إلى المأمون
 يعلمه أن نصر يطلب الأمان، فأمره أن يكتب له كتاباً بالأمان^(٣).

^١ - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٥٩٨. ابن طيفور: تاريخ بغداد، ج ٦، ص ١٤٢.

^٢ - انصري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٥٩٩. حمادة (محمد ماهر): الوثائق السياسية والإدارية العائدة
 للعصر العباسي الأول (دراسة و تصحيح)، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٧٩م، ص ٣٦٢.

^٣ - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٦٠٠، ابن طيفور: تاريخ بغداد، ج ٦، ص ١٤٠، بيوس: الرسائل
 السياسية في العصر العباسي الأول، ص ٢٤٥ - ٢٤٦.

لدى فحص لغة النص، يتضح في الخطاب وصياغته استعمال الشدة والعظمة في مخاطبة الخصم (نصر) وذلك بسبب اللوم على ما فعله، و السبب الذي دفعه إلى استعمال هذه الصيغة من اللوم والتأنيب، هو لكون عبد الله قد تأكد من هزيمة نصر، وأنه أشرف على الهلاك، ووصل إلى درجة من الانهيار بحيث يسارع هو لطلب الأمان، وهذا ما حصل مع نصر.

فقد لوح عبد الله وأندره بالعاقبة الوخيمة التي سيهاها إن بقي على عبادته، وحذّره من سوء المصير إذا استمر في غروره وتجرده، فسلّك معه طريق القسوة مستبدلاً باللين الشدة، ولقد سارع نصر بعد أن علم أن نهايته محتومة بالخسارة أن يقبل بالأمان و أن يصرّح لحكم عبد الله بن طاهر، بعد أن طلب نصر الأمان، توجه نحو بغداد في عام ٨٢١ هـ / ٨٢٥ م، وبعد أن ترك نصر كيسوم، أمر عبد الله بخدمها وتخريبها^١.

لم تكن بيزنطة غافلة عن الأحداث التي تجري على الحدود الإسلامية البيزنطية، ولكنها لم تتدخل بسبب الاضطرابات التي كانت تعيشها، كتمتلئ إمبراطور، وتسلم آخر، ولهذا لم تستغل هذه الأزمة وتساند نصر، كما أن نصر لم يطلب مساعدة أية جهة خارجية إلى عام ٨٢٦ هـ / ٨٢١ م، أحس نصر بأن موقفه بدأ يضعف عند توجه الخليفة المأمون إلى بغداد، وخاف أن يرهب قدوم الخليفة أنصاره، لذلك عمد إلى توجيه رسالة إلى القائد مابويل يدي فيها رغبته في التحالف مع الروم البيزنطيين ليشكلوا قوة تسانده ضد المأمون، عندما علم الإمبراطور ميخائيل بأمر نصر أرسل إليه وفداً ليلتقي به ويتفاوض معه، توجه الوفد إلى كيسوم وعندما وصل إليها أخبر نصر أنصاره بأمر الوفد وطلب نصر مساعدة الإمبراطور البيزنطي، وهذا التحالف مع أعداء المسلمين

^١ - النظري تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٦٠١. الرهاوي المجهول: تاريخ الرهاوي المجهول، ص ٢٨.

لا شك بأنه سيعصب أنصار نصر وبالفعل طالبه أنصاره بطرد الوفد فوراً وكان ردهم "أتريد أن
تجحد وتعصب الله" وبالفعل استطاعوا تعيير موقف نصر ورفض مقابلة الوفد حتى أنه أمر بقتل
أعضاء هذا الوفد.^(١)

م يتم ذكر هذه الحادثة إلا من قبل هذا المصدر السرياني، لذلك يجب أخذها بعين الحذر والحيطه
لحين ظهور مصادر ومراجع تؤكد أو تنفي مثل هذه الحادثة، ولكن من المرجح حدوث مثل هذه
الاتصالات بين نصر و البيزنطيين، خاصة وأن الطرف الناصر عندما يشعر بأن موقعه سيضعف
يبدأ بالبحث عن أطراف تمنحه القوة، ولهذا فكر نصر بالاتصال مع الإمبراطور البيزنطي
ميخائيل، ويبدو أن الإمبراطور ميخائيل كان متحمساً لفكرة التحالف مع شخص نال في وجه
الخلافة العباسي المأمون، ولكن قبل أن يتم هذا التحالف عاد نصر إلى رشده وعرف بأنه إن
تحالف مع أعداء أمته، فإن أنصاره سيتركونه، خاصة و أن ثورته لم تقم بالتحالف مع بيزنطة
وبما كانت دفاعاً عن العنصر العربي المضطهد.

وبما سبق يلاحظ بأن ثورة نصر و التي استمرت ما يقارب اثني عشر عاماً، وقعت في وجه
جيوش المأمون، وكبدت الدولة العباسية خسائر كبيرة، فقد كان الخلافة مهتماً بشكل كبير
بالقضاء على تمرد نصر، خاصة وأنه قد بدأ ثورته بمكان له خصوصية كبيرة في منطقة الثغور
المتاخمة للحدود البيزنطية، فقد كان المأمون يخشى من قيام تحالف بين نصر والبيزنطيين، أو
استغلال هذه الثورة من قبل البيزنطيين و مهاجمة الحدود، وبما لا شك فيه بأن ثورة نصر أثرت
على تنظيم العمليات العسكرية الخارجية، و أحدثت خللاً في مدن الثغور، كما أنها خلعت نتائج

^١ - السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج ٢ ص ٤٦٢.

سلبية اقتصادية واجتماعية في مناطق شمال بلاد الشام، خاصة و أن نصر كان يحتاج إلى أموال كثيرة، لإمداد جيوشه ومناصريه بالعتاد والمؤن وكان يقع عبء هذا الإمداد على سكان مدن الجزيرة العراتية و المدن الأخرى.

وبعد انتهاء هذه الثورة كانت هذه المدن قد حصرت كثيراً من أموالها و مرروعاتها وصاعاتها وتوقفت تجارتها لمدة، بسبب قطاع الطرق الذين يستولون مثل هذه الظروف، كما أن الثلث من سكان هذه المدن قد قتلوا خلال هذه السنوات الطويلة من الثورة، وربما أن هذه الخسائر في الأموال والمزروعات والصاعات والأرواح التي فقدت في مراعات داخلية لو استعلت بتحالف ضد بيزنطة لكانت قد حققت نتائج عظيمة للعرب ضد عدوهم التقليدي (بيزنطة).

خامساً: الحركات الانفصالية ودورها في العلاقات العباسية البيزنطية :

أولاً: ثورة توماس الصقلي: ٨٢٠٥ - ٨٢٠٨ م. / ٨٢٠ - ٨٢٣ م:

قامت في راس الأباطرة البيزنطيين ثورات و تمردات متعددة منها ما حقق نجاحات، و منها من أتعق إخفاقاً شديداً، ومن أهم الثورات التي حدثت في عصر الإمبراطور ميخائيل الثاني كانت ثورة توماس الصقلي، وسنم الحديث عنها في هذا البحث، لارتباط توماس الصقلي بالخليفة العباسي المأمون، وتأثير هذه الثورة على مجريات العلاقات الحربية بين الطرفين العربي المسلم والبيزنطي.

كانت ثورة توماس ذات أهمية على ثلاثة أصعدة، السياسية والاجتماعي والديني.

على الصعيد السياسي: كما سبق وذكر عن التحالف الكبير الذي حدث بين توماس والخليفة العباسي المأمون.

وعلى الصعيد الاجتماعي: كون توماس أعلن بأنه مناصر للعقراء وبأنه سيخلصهم من انتصر من الضرائب الباهظة التي كانوا ملزمين بأن يدفعوها، ولهذا انضمت إلى ثورته أعداد هائلة من العقراء والمطلومين، فقد وجدوا فيه المخرج لمشاكلهم كما أن ثورة توماس كانت لها أهمية دينية، كونه رفع شعار مناصرة الأيقونات وعبادتها، وقد ادعى توماس بأن الإمبراطور قسطنطين السادس هو الذي انتزع منه عرض الإمبراطورية بالقوة، فقد كانت بيزنطة تعج بالناصرين للأيقونات، و لكن هؤلاء الناصرين كانوا بحاجة لمن يجمع شملهم ويترأس حركتهم ولهذا التعمد حول توماس.^(١)

اختار توماس مكاناً عصبياً لثورته هذه آسيا الصغرى، وذلك لأسباب متعددة أهمها أن آسيا الصغرى اشتهرت باختلاط عناصر سكاتها، ووجود أعداد كبيرة من الصقالبة فيها فقد درج الأباطرة البيزنطيون على عادة نقل الآلاف من الصقالبة إلى آسيا الصغرى ولم يتوقع هؤلاء الأباطرة أن هؤلاء الصقالبة سيقفون بوجه أباطرتهم بثورة مثل هذه.^(٢)

استطاع توماس مد رس الإمبراطور ليون الخامس أن يعرض سيطرته على ثغر خالديا وبعض المواقع في ثغر أرمياق، ومن ثم بدأ يعمل على تجهيز جيش ضخم، ضم أعداداً كثيرة من الأرمن

١ - عمروس معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٢٤-١٢٥، عاقل: الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٩١، توماس إمبراطورية البيزنطية، ص ١٦٢، عجم (١٩٨٢): الإمبراطورية البيزنطية وكريت لإسلاميه، لإسكندرية، دار المعارف، ص ٧٥.

٢ - العربي: الدولة البيزنطية، ص ٢٦٢، هارليف: العرب و الروم، ص ٣٠.

والبيزنطيين (المخووجيين) ^(١)، بالإضافة إلى أن توماس تمكن من أن يجمع حوله عمال الصرائب في آسيا الصغرى، وبهذا يكون قد أتم لنفسه الأموال الضرورية لثورته، ثم عقد توماس مع الخليفة المأمون تحالفاً قوياً. ومبدأ هذا التحالف هو أن يمد الخليفة المأمون توماس بجيش قوي يساعد توماس على مهاجمة القسطنطينية، وإسقاط حكم الإمبراطور ميخائيل الثاني، وأن يحترف المأمون بتوماس إمبراطوراً شرعياً للإمبراطورية البيزنطية، وبالفعل طلب الخليفة المأمون من بطرك أنطاكية البطريرك أيوب التابعة للخلافة العباسية، أن يتوج توماس إمبراطوراً على أن يصبح توماس بعد وصوله للعرش تابعاً يدفع الحرية للمأمون، وبما شجع الخليفة المأمون على التحالف مع توماس، كونه وجد في توماس وأنصاره قوة كبيرة قادرة على الإطاحة بالإمبراطور ميخائيل الثاني، وبهذا يضمن المأمون حدود دولته بتحالفه مع توماس. ^(٢)

تمكن توماس من السيطرة على قسم كبير من آسيا الصغرى، ونتيجة لانتصاره هذا قرر أن يهاجم القسطنطينية، وبالفعل توجه توماس مع جيشه الكبير الذي ضم في صفوفه أعداداً من جنود العرب والفرس وحاصر القسطنطينية، لم يتوقع الإمبراطور ميخائيل الثاني أن تكون قوة هذا اللاتر على هذا النحو، كما أن توماس توقع أن تفتح القسطنطينية أبوابها له ظناً منه بأن أهلها

- درلوف: العرب والروم، ص ٢٩، العربي: الدولة البيزنطية، ص ٢٦٢، غنيم: الإمبراطورية البيزنطية، ص ٧٧.

^١ عجم الإمبراطورية البيزنطية، ص ٧٨، الشيخ (محمد مرسي): تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، الإسكندرية، دار المعرفة للمطبعة، ١٩٩٤م، ص ١٦٠، العربي: الدولة البيزنطية، ص ٢٦٢، عمرا. معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٢٩، عاقل: الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٩٢. هزلييف: العرب و الروم، ص ٢٩. العربي: أنباكية، ص ١٨٢. الثمامي: أحداث التاريخ الاسلامي، ص ١١٨٩، ١١٧٩.

سيساعدونه ويناصرونه، وحاصر المدينة واستمر الحصار ما يقارب عاماً واحداً ولكن المدينة قاومت كما أن حيرة الإمبراطور ميخائيل العسكرية مكنته من مقاومة الحصار وقد وصلت إمدادات ومساعدات من خان البلغار (أمور تاج) والذي تمكن مع قواته من استئناف قوات توماس التي حاولت جاهدة أن تنتصر على قوات البلغار، ولكن كل ذلك من دون فائدة فقد استمر الحصار ما يقارب عاماً ونصف، ولم يحقق توماس أي انتصار حاسم، لذلك بدأ أنصاره يتدمرون، ومن ثم تركته أعداد كثيرة من مناصريه، والتحقوا بقوات الإمبراطور ميخائيل، وأعلن الإمبراطور بأنه سيعفو عن أنصار توماس إن تركوه، و لهذا فقد وجد توماس نفسه وحيداً إلى أن تمكن الإمبراطور من القبض عليه، ومن ثم قتله كما أخذ بعض الأسرى، وكان منهم عدد من العرب.^(١)

وعلى هذا النحو أضعفت ثورة توماس الصقلي في تحقيق أهدافها، لأسباب متعددة ولعل أبرز هذه الأسباب مشاركة العرب في ثورة توماس وتحالفه مع الخليفة العباسي، فعندما عقد توماس هذا التحالف تذر الكثيرون من حلفائه من عقد هذا الاتفاق مع أعداء البيزنطة الرئيسيين (العرب) وأحسوا بالإهانة كون توماس تحالف مع الكفار - حسب تعبيرهم - هذا كان حال أنصار توماس، فكيف كان حال البيزنطيين المحاصرين في القسطنطينية من قبل جيش توماس؟ والذي ضم في صفوفه أعداداً كثيرة من العرب، لقد كان البيزنطيون يحاربون ويقاتلون أعداءهم العرب،

- دريفت: العرب و الروم، ص ٤٤-٤٥-٥٠-٥١، العربي: الدولة البيزنطية، ٢٦٤، حلق: الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٩٢ ١٩٣، توماس: الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٦١ ١٦٢. محمود سعدي عمران معاً: تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٢٩-١٢٧. الترماسي: أحداث التاريخ الاسلامي، ص ١١٩٦. محمد مرسي: انشبح تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٦١.

وهم يقاتلون توماس، وقد اعتبر العديد من المؤرخين الروم بأن انخراط توماس كان في الأساس،^(١) عملاً للخليفة المأمون في شخص توماس.

كما أن بعض المؤرخين السريان يذكرون دور بعض الأسرى العرب (الموجودين في القسطنطينية لدى الإمبراطور ميخائيل الثاني) في مساعدة البيزنطيين في الدفاع عن العاصمة بعد أن وعدهم الإمبراطور بالحرية إلا أن الإمبراطور في النهاية لم يف بوعده.^(٢)

مثل هذه الحادثة يجب أن تؤخذ بحذر كون المصادر العربية لم تذكر دور الأسرى العرب في هذه الحادثة، كما أن هالك عدداً من المؤرخين الروم يعدون هذا الكلام أسطورة اختلقها بعض الأشخاص.

تذكر بعض المراجع بأن المأمون لم يف بوعده كاملاً للثائر توماس، وإنما توقف عن إمداده بالمال والسلاح بعد مدة من الزمن فلماذا هذا التوقف؟

لم يتمكن المأمون من متابعة إمداد توماس بما يحتاج إليه من مساعدات عسكرية، وذلك لأن الخليفة المأمون كان مشتتاً ومهتماً بالقضاء على الحركة الخرمية، فقد استترفت أغلب قواته في المعارك التي كانت القوات العباسية تشنها ضد ثوار الخرمية.^(٣)

ولسواءً ما كيف ساند الخليفة المأمون مثل هذه الحركة البيزنطية الاجتماعية إن صبح التعبير؟ فهو لن يتقبل مثل هذه الحركة إن حدثت على أراضي الخلافة العباسية، ويبدو أن المأمون وجد

١- هاريليف: العرب و الروم، ص ٥١.

٢- السرياني: تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج ٣، ص ٣٧، هاريليف: العرب و الروم، ص ٥٠.

٣- رستم: الروم، ج ١، ص ٢٢٢.

في ثورة نوماس ميرة مهمة كون هذه الثورة قد جمعت حولها أعداداً كثيرة من الأنصار، فهو سيتمكن من إضعاف قوة خصمه الإمبراطور ميخائيل الثاني، و يحمي حدود دولته من هجمات الروم البيزنطيين لمدة من الزمن بينما يتم القضاء على ثورة بابك الخرمي .

ثانياً: الحركة الخرمية و علاقتها بالروم البيزنطيين:

شهدت أذربيجان و القسم الشمالي من إيران و جزء من أرمينية في بداية القرن الثالث الهجري الثامن الميلادي انتفاضة واسعة ضد الخلافة العباسية استمرت ما يقارب عشرين عاماً حمل لواءها شخص يدعى (بابك الخرمي)، و قد ضمت هذه الحركة في صفوفها الطبقات المهدومة و المستعلة في تلك المناطق من فلاحين و باعة و حرفيين و تجار و غيرهم.^(١)

وقد اعترض عقد التحالف الذي انعقد في العهد الأموي بين العباسيين و الموالين المستائين، فقد كان مكتوباً لهذا التحالف الإيعاق لأنه تحالف بين قريضين جمعتهم مصلحة آية (التخلص من الحكم الأموي)، أما الأهداف البعيدة للأطراف المتعاقدة فمختلفة، فالطبقات المظلومة والمستضعفة كان هدفها التخلص من الحكم والسيطرة والاستغلال الإقطاعي، أما الطبقات الأرستقراطية والإقطاعية المحلية كان هدفها التخلص من السيطرة الأموية، لتتبرد في استعمال شعوبها واستثمار هذا الاستغلال لصالحها، أما العباسيون فقد كان هدفهم إسقاط الحكم الأموي وتسلم مقاليد الحكم للأسرة العباسية، وعلى هذا النحو بعد تحقيق العباسيين لهدفهم قامت حركات وثورات

^١ - بارتولد: الحصار الإسلامية ص ٥٩ .

متعددة في أنحاء الدولة العباسية ضد تصرفات العباسيين وسياساتهم، فمنهم من كان يشد
 «إصلاح، ومنهم من كان يشد السلطة و الاستقلال.

والخرمية حركة متطورة عن المردكية تؤمن بالثنوية صراع الخير (إله النور أهوارمردا) مع الشر (إله
 الظلمة أمرمان)، ودعت الحركة الخرمية إلى مقاومة الظلم والاستغلال والامتناع عن طاعة
 السلطة و«قطاعيين ورفض دفع الضرائب، ودعت إلى الشيوعية في توزيع الأراضي، وتعميم
 «الاستفادة من المنافع والشهوات وإلى غير ذلك.^(١)

- لمزيد من التفاصيل عن الخرمية مبادئها تطورها ينظر المقدسي (مظهر بن طاهر): البدء و التاريخ، بغداد،
 مكتبة الشبي، ١٩١٩م، ج ٤، ص ٣٠، التنوخي (أبو علي الحسن بن علي ت ٣٨٤ هـ/): جامع لتواريخ،
 دمشق، مطبعة النفيد، ١٩٣٠م، ج ٨، ص ٧٢-٧٣، النهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ت
 ٥٤٣ هـ/ ١١٥٠م): الملل و النحل، نج، حيدر جعة، دمشق، بيروت، دار رابية، ١٩٩٠م، ج ١، ص ١٥٢، بن
 لأثير (أبو الحسن علي بن محمد ت ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢م): اللباب في تحديق الأسباب، القاهرة، مكتبة
 المقدسي، ١٩٣٨م، ص ٣٥٨، النديم. الفهرست، القاهرة، مطبعة الاستقامة، د ت، ص ٤٩٣، ٤٩٤، الهدادي
 (عبد القاهر بن طاهر ت ١٠٩٣ هـ/ ١٧١٤م): الفرق بين المرق، القاهرة، مطبعة الهلال، ١٩٢٤م،
 ص ٢٦٦، السمعاني. كتاب الأسباب، ص ٧٢، ركاز: التاريخ العباسي، ص ٦٧، السريملوي (عبد الفتاح):
 التمرات لاستقلالية في الخلافة العباسية، القاهرة، دار الكتب الأهلية، ط ١٩٤٥م، ص ٣٦١-٣٦٢، بوبرد
 الحفراب التاريخة للعالم الاسلامي، ص ٢٠٣-٢٠٤، هدارة (محمد مصطفى). للأمنون الخليفة العالم، مصر، اندار
 مصرية بتأليف والترجمة، ١٩٦٦م، ص ٨٣-٨٤ و ما بعدها، حسن: التاريخ الإسلامي العام، ص ٤٦٦، رفاحي
 عصر، الأمنون، ج ١، ص ٢٨١، كاهن: تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ص ٨٠، شريف الاصرار بن الموي
 والعرب، ص ٥٥ ٥٦، مجموعة من المؤلفين: دائرة المعارف الإسلامية، مادة الخرمية، مج ٨، عدد ١، ص ٢٩٩

- ٣٠٠

أما سبب ذكر هذه الحركة في سياق البحث فهو لارتباط قائد الحركة بابك الخرمي بالإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثاني وإقامة تحالف بين الطرفين ضد الخليفة المأمون، ومن بعده الخليفة المعتصم و تبعات هذا التحالف وتأثيره على المدن الحدودية وسكانها. لذلك لن يتم الحديث بشكل مطور عن الحركة واتجاهاتها وما رافقها من أحداث في مناطق متعددة كما سبق وذكر في أدبيات وأرمينية وإيرن وغيرها، وإنما سيقصر الحديث عن علاقة بابك بالدولة البيزنطية وما تم تقديمه لبابك من مساعدات.

تم الحديث سابقاً عن أن الخليفة العباسي المأمون قد قدم المساعدة للثائر البيزنطي توماس الصقلي وم ثمر مساعدة المأمون لهذه الثورة مروراً عادياً بالنسبة لأباطرة بيزنطة، بل على العكس كانوا ينتظرون الفرصة المناسبة للرد على الخليفة المأمون نتيجة لموقفه هذا، ولذلك وبعد أن امتدت الحركة الخرمية لتنتشر في أنحاء واسعة من البلاد التابعة للخلافة العباسية كما سبق وذكر فإن البيزنطيين رأوا بأن مساعدة بابك في حربه ضد الخليفة المأمون والمعتصم سيسهم إلى حد كبير في إضعاف الدولة العباسية. فقد كانت بيزنطة ملحقاً لأعداد كبيرة من الخرميين الذين توجهوا إلى أراضيها بعد هزيمتهم الكبيرة في معركة همدان ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م، و هناك استقبالهم للإمبراطور ثيوفيل وأسكنهم ورؤجهم من النساء البيزنطيات، وكانوا خير مساعد للإمبراطور ثيوفيل في تحركاته نحو البلاد الإسلامية.^(١)

^(١) مسعودي. النسيب والإشراف، ص ١٦٩. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٣٤٦، العريز البسكي،

ص ١٨٤ - ١٨٥.

^(٢) فقد هاجم الإمبراطور ثيوفيل بيطرة وسمسباط ومطبة. العبد الغني: أرمينية وعلاقاتها السياسية، ص ١٠٩.

وكان التحالف الذي عقد بين ثيوفيل و بابك، لإمداده بالسلاح ومساعدته في تثبيت قوات الجيش العباسي بمهاجمة مدن الحدود الإسلامية، و لم يتطور التحالف إلى أكثر من ذلك^(١) وهالك بعض من المؤرخين يحدون أنّ الإمبراطور ثيوفيل لم يكن صادقاً و ملتزماً بتحالفه مع الثائر بابك، ويؤكدون هذا القول: بأن الإمبراطور لم يقم بأي عمل حربي موسع باتجاه الدولة العباسية خلال أربعة أعوام ٢١٨ - ٢٢٢ هـ / ٨٣٣ - ٨٣٦ م^(٢).

فلماذا لم يهاجم ثيوفيل الحدود الإسلامية بعد أن انسحبت الجيوش العباسية منها و توجهت نحو أراضي أذربيجان؟

وقد كان الخليفة المعتصم قد وضع جميع موارد دولته في خدمة جيشه للتوجه لمحاربة الخرميين^(٣).

لماذا هاجم الإمبراطور ثيوفيل الحدود بعد أن سقطت البلد بيد العباسيين؟

وهل كان جاهلاً بالأمور الحربية حتى يترك فرصة مثالية كهذه كون المسلمين مشغولين بحرب بابك؟

يلاحظ بأن موقف الإمبراطور ثيوفيل من استنحاد بابك، وموقفه من تحالفه معه يشوبه بعض العموض، فهذه التحالف في النهاية، بابك و ثيوفيل، كان القضاء على الجيوش العباسية وتحطيم السيادة العربية لكن من الناحية الشخصية فإن الأباطرة ومسلمي السلطة لم يكونوا يتقبلون مثل هذه الأفكار حول الانتفاضات الشعبية ضد السلطات الحاكمة.

^١ - العمري: البانكة، ص ٢٠٤. كيو: تاريخ أرمنية، ج ٢، ص ٤٣٥. علي: مختصر تاريخ العرب، ص ٢٣٣.

^٢ - العمري: البانكة، ص ٢٠٤.

^٣ - اندريوي: الأخير الطوال، ص ٣٣٩، ابن الأثير: الكامل، ج ٦، ص ٢٣٤، ابن كثير: البداية و النهاية، ج ١٠، ص ٢٨٢ - ٢٨٣، الدوري: العصر العباسي الأول، ص ٢١٩ و ما بعدها.

من الواضح بأن ثيوفيل كان يقدم المساعدات لبابك ليستخدمه أداة للقضاء على قوة العباسيين في تلك المدن، ولكن عندما لاحظ بأن الدولة العباسية ستتمكن من إنهاء أمره، لذلك رأى بأنه من الأفضل أن يترشح حتى تنحلي الأمور، فالحياة السياسية والعسكرية تتبدل بشكل دائم، ولا تدوم مطولاً، كما أنه عندما يستقبل الخرميين العائدين من أيدي الدولة العباسية، لم يستقبلهم حباً بهم، ولا يقوم بإعجاب الخليفة تجاه حليقه، بل يستخدمهم أدوات تساعد، وتدله على نقاط الضعف في الجيش العباسي، خاصة وأن المدة التي قضاها الخرميون في حربهم مع الدولة العباسية طويلة جداً، لذلك فهم يعلمون مدى حامية الجيوش العباسية وطريقة قتالهم وتحركاتهم.

وعلى هذا النحو انتهت ثورة بابك بالقضاء عليه في العام ٨٢٢ هـ / ٨٣٧ م، و انتهى بذلك عقد التحالف بين الطرفين بابك الخرمي والإمبراطور ثيوفيل بعد أن أثرت هذه الحركة على موارد الدولة الاقتصادية بشكل كبير في المناطق التي قامت بها، كما أنها أعطت الضوء و الأمل للعديد من الأشخاص لثورتهم ضد الدولة العباسية ويشكلوا استقلالية خاصة بهم.

هناك خلاف بين المؤرخين حول رغبة بابك في التوجه نحو بيزنطة بعد هزيمته في البذل ٨٢٢ هـ / ٨٣٧ م ، فقد هرب بابك متوجهاً نحو أرمينية مع أخيه عبد الله وكان يرغب بالهجرة إلى بيزنطة لدى الإمبراطور ثيوفيل.^(١)

وهناك من يرفض هذه الفكرة و يرى أن بابك لم يكن يرغب بالهجرة إلى بيزنطة، وإنما كان يأمل من الإمبراطور ثيوفيل تقديم المساعدة له حتى يشتت جيوش المعتصم.^(٢)

عبد انبي أرمينية و علاقاتها السياسية، ص ١٠٨.

.M.Rekaya,Mis au Point sur theophobe,Byzantion,1974, p.59.

ولكن مع اختلاف هذه الآراء يعتقد بأنه لو سحقت العرصة لبابك و بقي على قيد الحياة، لعصل بالتاكيد التوجه نحو بئرطة على أن يقع بين يدي الخليفة المحتصم و هو يعلم بأن محايته ستكون وخيمة.

سادساً: دور أرمينية في العلاقات العباسية البيزنطية في العصر العباسي الأول ١٣٢-٥٢٣٢ / ٧٥٠-٨٤٧م:

إن علاقات أرمينية مع الدولة العباسية تشكل بحثاً واسعاً ومهماً في التاريخ، فهالك الثورات و التمردات الدخلية التي كانت تحدث بين الحين والآخر ضد السلطات العباسية ، وفي الوقت ذاته كانت لأرمينية علاقات اقتصادية و تجارية مع مدن الجزيرة وبلاد الشام ، وهذا لم يتم الحديث عن أوضاع أرمينية بشكل مفصل ،ولكن سيتم الحديث عن المحركات الأرمينية التي توجهت من الأراضي الأرمينية إلى الأراضي البيزنطية ،وما كان لهذه المحركات من أثر في سياق الأحداث بين الدولة العباسية والإمبراطورية البيزنطية من جهة، ومن جهة أخرى سيتم الحديث عن الهجوم الخنزري الذي تعرضت له أرمينية ودور مدن الجزيرة المرتية ونعورها في مساعدة الأرمس للتصدي لهذا الهجوم.

لقد شغلت أرمينية دوراً مهماً في العلاقات بين العرب المسلمين والبيزنطيين وخاصة في علاقاتهم السياسية والعسكرية، وذلك نظراً للموقع الاستراتيجي المهم لأرمينية ،فهذا الموقع دفع كلا الطرفين العربي المسلم والبيزنطي إلى محاولة استمالة الأرمس لصعه ، لما للأرمس من تأثير في بحريات

الأحداث، وكانت علاقات الأرمس مع هذين الطرفين متأرجحة بين التأييد والخصوع وبين الثورة والانتفاضة .

فالأرمس كانوا يتطلعون دائماً لاستقلالهم الإداري والمذهبي ، ولذلك فقد شهدت علاقات أرمسية مع الإمبراطورية كثيراً من الخلاف وقليلاً من الاتفاق، فعلى الرغم من أن الدين المسيحي كان يجمع بينهما ، إلا أن الخلاف للمذهبي كان يعرق بينهما، فقد كان الشك والنعور طاغياً على العلاقة بين الطرفين خاصة وأن الإمبراطورية البيزنطية كانت دولة مركزية متعددة الموارد وتحاول نظرياً أن تكون وريثة الإمبراطورية الرومانية بكل امتداداتها الجغرافية ، وعرف عن أرمسية كرمها الشديد للمركزية حيث كان هدف أرمسية المحافظة على كيان سياسي مستقل وخاص بها بعيداً عن الإمبراطورية البيزنطية، مع الأخذ بعين الاعتبار بأن فترات تقارب حصلت بين البيزنطيين والأرمس ، ولكن الأرمس كانوا يحاولون التخلص من هذا التقارب كلما سمحت لهم الفرصة.

أما عن علاقة الأرمس مع العرب المسلمين فقد اختلفت قليلاً عن علاقاتهم مع البيزنطيين، فالعرب المسلمون عملوا على تقوية الترعات الانفصالية الإقليمية والفردية لدى الأرمس بما يناسب مصالحهم ، كما سمحوا لهم بممارسة شعائرهم الدينية من دون أي تأثير عليهم، وذلك لا يعني بأن الأرمس قد استسلموا لفكرة سيطرة العباسيين على بلادهم ، بل كانوا في كثير من الأحيان يتقلون بولانهم بين العباسيين والبيزنطيين حسب مصالحهم، خاصة وأنه في العصر العباسي كان الولاة الذين استلموا أرمسية من أشد الولاة وأقساهم، وعملوا كثيراً على إرهاب السكان

بالصرايب، كما أنهم سعوا كثيراً لتوطين قبائل عربية خاصة في المناطق القريبة من مدب الشعور الإسلامية.^(١١)

فقد كان هدف العرب المسلمين تأمين حدود بلادهم من هجمات البيزنطيين، ولأن أرمينية تنحدر بالموقع الإستراتيجي المهم، فقد استقرت فيها قبائل عربية متعددة، وفي العصر العباسي قويت العلاقات كثيراً بين بلاد الشام والجزيرة العراتية وأرمينية عن طريق استيطان قبائل من ربيعة^(١٢) ومضر^(١٣) وبكر^(١٤) في أرمينية، وخاصة قبيلة سُلَيم والتي شاركت بشكل كبير في الحروب العربية الإسلامية والبيزنطية.^(١٥)

- العهد العبي: أرمينية وعلاقتها السياسية، ص ٨١، عبقوتيان(أرام) الإمارات العربية في أرمينية البقرادونية، فر، ألكسندر كشيشان، لشبونة، مؤسسة كالوت كوليكياك الدولية، حلب، م.٥، ٢٠٠٣م، ص ٣١-٣٢، Chevond, Histoire des Guerres et des conquetes des Arabes en Armenie, Paris, 1856, p31-32.

^{١٢} - ربيعة: حي من مضر المدنية، وهم بو ربيعة بن راز بن مضر، القلقشندي(أبو العباس أحمد بن علي) : بحاية الأرب في معرفة أنساب العرب، علي الخاقاني، بيروت، دار الكتب العلمية، د ت، ص ٢٤٢، كحلة (عمر رط): معجم القبائل العربية القديمة والحديثة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٧٨م، ص ٤٢٤.

^{١٣} - مضر. قبيلة من المدنية وهم بو مضر بن معد بن عدنان، القلقشندي. بحاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص ٣٧٧، كحلة: معجم القبائل العربية، ج ٣، ص ١١٠٧.

^{١٤} بكر. بطن من عدوة بن زيد اللات بن كلاب بن وائل بن قاسط بن هب بن أخصي بن دغمي بن جذيلة بن أسد بن ربيعة بن مزل بن معد بن عدنان، القلقشندي: بحاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص ١٩٩.

^{١٥} - السيد (أديب): أرمينية في التاريخ العربي، حلب، للطبعة الحديثة، ١٩٧٢م، ص ١٠٩.

وكان للوالي يزيد بن يزيد بن رائدة الشيباني والي أرمينية من قبل الرشيد دور كبير في توطيد أعداد كبيرة من القبائل العربية في أرمينية.^(١)

فقد انتقلت بعض هذه القبائل العربية وتحديدًا قبيلة سليم إلى المقاطعات المتاخمة للأراضي البيزنطية وتحديدًا مدينتي باغيش و قاليقلا.^(٢)

واستوطنت هذه القبائل العربية فيما يعرف لدى الجغرافيين العرب بأرمينية الرابعة^(٣)، والتي تتألف من شمشاط وخلاط وأرجيش وباجنيس.^(٤)

-
- الهمقوي: تاريخ الهمقوي، ج ٢، ص ٤٣٦، السند لأرمينية في التاريخ العربي، ص ١١٠، صفوتيهان: الإمارات العربية في أرمينية البيزنطية، ص ٤٣.
- ^١ - صفوتيهان: الإمارات العربية في أرمينية البيزنطية، ص ٤٥.
- ^٢ - هالك علاف بن الجغرافيين العرب الأوائل حول تقسيم أرمينية، هالك من يجعلها أرمينية أرمينية المدعلة وتضم (دبيل وشوى وقاليقلا واللد التي عليها شمالاً، وأرمينية الخارجة وهي بركري وخلاط وأرجيش وسبسجان، والروان، ابن حوقل. صورة الأرض، ص ٢٩٥، أما الاصطعري فمتبرها إقليم واحد مع الران وأدرجهان الإصطعري: المسالك والممالك، ص ١٨١، ويسمى للقدسي أرمينية بإقليم الرحاب، المقدسي: لمس التماسيم، ص ٣٧٤، وبشكل عام فقد تم تقسيم أرمينية إلى أربعة أقسام هي: أرمينية الأولى: تضم السبسجان و آران وتقليس وبردة و البيقان وقيله و شروان . أرمينية الثانية : تضم حرزان، صفديل، باب قروز، قياد، واللكر. أرمينية الثالثة: تضم البسفرجان، دبيل، سراج طبر، بغروند، وشوى. أرمينية الرابعة : شمشاط ، خلاط، قاليقلا، أرجيش، وباجنيس، ابن خردادبة: المسالك والممالك، ص ١٢٢، انبلادري: فوج البلدان، ص ١٩٧ .
- ^٣ - ابن خردادبة: المسالك والممالك، ص ١٢٢.

وقد كان لهذه المدد أهمية عسكرية كبيرة في أثناء الحروب العربية البيزنطية، وذلك لأن القوات العربية تركزت في هذه المناطق لتتوجه باتجاه الأراضي البيزنطية، ومنها من كانت ترفد المدد للحرية بقوات احتياطية عند الحاجة، ومن هنا يستنتج أن دور هذه المدد كان يتورع في مهمتين معاً، الأولى التوجه إلى الأراضي البيزنطية في أثناء الحروب، والثانية رفد المدد الحرية و إمدادها بقوات احتياطية كلما دعت الحاجة.^(١)

كان لهذا الاستيطان آثار سلبية وإيجابية في الوقت عينه على أرمينية والدولة العباسية وعلاقتها مع البيزنطيين، فالقبائل العربية التي استوطنت هناك ساعدت في تشكيل خط حماية للعباسيين من البيزنطيين، ولكن بالمقابل أدى هذا الاستيطان من قبل القبائل العربية إلى هجرات جماعية للأرمن لأسباب سياسية واقتصادية والانتقال إلى الأراضي البيزنطية والاستقرار هناك.^(٢)

وبدأت التدخلات البيزنطية بالشؤون الأرمينية أواخر العصر الأموي، فقد استغل الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الخامس الأحوال المضطربة للدولة الأموية في زمن الخليفة الأموي مروان بن محمد، وعمل على تشجيع الأرمن على الثورة ضد المسلمين، وبالفعل اندلعت الثورة خلال عامي ١٣٢-١٣٣ هـ / ٧٤٩-٧٥٠ م بقيادة أمراء أسرة الماميكويين بالتحالف مع بيزنطة، وعمل الأمويون على إخماد هذه الثورة باستخدامهم العنف والقسوة، ولكن من نتائج هذه الثورة كانت

^١ - جيموتياك: الإمارات العربية في أرمينية البيزنطية، ص ٤٩.

^٢ - Chevond:Guerres , p119.

محركات جماعية من مناطق أرمينية إلى الإمبراطورية البيزنطية ،وقد لاقت هذه المجموعات الترحيب من قبل الإمبراطور قسطنطين الخامس الذي قام بتخصيص مناطق لهم ليعيشوا فيها ^(١) وبعد قيام الدولة العباسية بعامين قام الإمبراطور قسطنطين الخامس بالهجوم على مدينة ثودسيوبوليس (قاليقلا) في عام ١٣٤ هـ / ٧٥٢م، وقام بحرق أسوار المدينة وتخريب المنازل والأراضي ومن ثم الاستيلاء على كتورها ، وقام بأسر أعداد كبيرة من سكان المدينة وصوابعها من العرب وقتل أعداد منهم ، أما بالنسبة للسكان الأرمن فقد عمل على ترحيلهم إلى تراقيا ، كما أن أعداداً من الأرمن انضموا إلى الإمبراطور بناء على رغبتهم ، وذهبوا معه وتم توطينهم في الأراضي البيزنطية ، ولم يتم تحديد أماكن استيطان هؤلاء الأرمن. ^(٢)

ويلاحظ هنا موقف الإمبراطور قسطنطين المتحار للأرمن الموجودين في قاليقلا، فهو لم يقتلهم كما فعل مع العرب القاطنين هناك، فلماذا هذا الموقف؟.

ربما أراد الإمبراطور بتصريفه هذا مع الأرمن أن يشمل معهم ما يستطيع إلى صف البيزنطيين، مدعياً بأنه لا يريد أن يلحق بهم الضرر ،ولكنه كان يقصد بحملته هذه العرب المسلمين الموجودين في قاليقلا وليس الأرمن، وبالفعل استطاع استئصالهم وتوجه مع الإمبراطور أعداد من الأرمن طوعية ، بعد أن وجدوا أن البيزنطيين قد انتصروا ونجحوا من السيطرة على المدينة.

- عمومات الإمارات العربية في أرمينية البيزنطية ص ٥٠ ، Chevond,Guerres, p607 ,
Toumanoff,Armenia and Georgia,Cambridge Medieval History,1966,p119.

^٢ - البلادية: فوج البلاد ص ١٩٩، عيفوتيان: الإمارات العربية في أرمينية البيزنطية ص ١٢٩
Chevond:Guerres,p ٥١

وبما تحذر الإشارة إليه هو أنه لم تتوقف هجرات الأرمن باتجاه بيزنطة في العصر العباسي بل رددت بشكل ملحوظ، خاصة وأن الولاة العباسيين كانوا يتبعون سياسات غاية في القسوة والاضطهاد تجاه الأرمن، وهؤلاء كانوا يردون بالثورات و بالتمردات، وكانت الموجة الكبرى للهجرات بعد معركة بجرماند في عام ١٥٩هـ / ٧٧٥م ، عندما هاجرت أسر أرمنية بكاملها مثل أسرة بقراطوني إلى الحدود الشمالية الحرة لأرمينية و القرية من الحدود البيزنطية والالتحاء هناك، وذلك بعد ثورة قام بها الأرمن ضد السلطات العباسية في هذا العام، وتمكن العباسيون من إرسال قوات قضت على هذه الثورة بطرق قمعية وقاسية بشكل كبير ، لذلك لم يجد هؤلاء مخرجاً سوى الالتحاء إلى بيزنطة.^(١)

بما لا شك فيه أنه كان لهذه الهجرات آثار كبيرة على البنية السكانية لأرمينية، فقد استوطنت قبائل عربية في الأراضي الأرمينية المهجورة، وأدى استيطان هذه الجماعات العربية إلى تأرم العلاقة بين الكنيسة الأرمينية والدولة العباسية، وذلك لأن عدداً من السكان الأرمن لم يتمكنوا من الرحيل إلى مناطق أخرى بسبب فقرهم، وكان لابد لهم من إيجاد حل لتأمين احتياجاتهم، وهذا رادهم استعباداً وفقراً.^(٢)

١ - بعد النبي أرمينية وعلاقتها السياسية ، ص ٨٩ ،

Chevond:Guerres,p129,J.Laurent,Armenie entre Byzance et Islamdepuis la Conquete Arabe Jusqu en 886, Paris,1919,p190.

٢ - جيموسيان الإمارات العربية في أرمينية البيزنطية، ص ٥٠ ، جيباشيان (مانويل) علاقات الكنيسة بالنبوة لأرمينية في حقبة المهينة العربية (من الاحتياج العربي وحتى الفترة العباسية المبكرة) ، تر، ألكسندر كشيشان، لشيونة، مؤسسة كالوست كوليكيان الدولية، حلب، ٢٠٠٥ ص ١٦٥ ،

به تتوقف المحركات الأرمينية باتجاه الأراضي البيزنطية ، خاصة وأن سياسات القمع استمرت من قبل الولاة العباسيين ، فقد رادوا الجزية و الضرائب على السكان ومن الخليفة هارون الرشيد، وهذه السياسات التعسفية أدت إلى إردياد الفقر في المدن الأرمينية ، ولذلك فقد حدثت هجرات جماعية جديدة للأرمن، فقد توجه اثنا عشر أرمياً بقيادة الأمير الأرمي شابوه أمادوني وولده همام باتجاه الأراضي البيزنطية القريبة من الحدود الأرمينية.^(١)

وكان على الدولة العباسية أن تقوم بإجراءات لتعيد التوازن لهذه المنطقة المهمة، لذلك فقد قامت السلطات العباسية بنقل قبائل عربية كبرى وتوطينهم في أراضي الأرمن المهاجرين، وكانت هذه الأعداد من قبائل نزار وربيعة ومضر.^(٢)

وكان لازماً على السلطة العباسية إيجاد حلول لمنع تعميق العلاقة بين الأسر الأرمينية الكبرى وخاصة (الأسرة البقراذونية) وبيزنطة ، ولأسيما أن هذا التقارب البقراذوني البيزنطي يشكل تحدياً خطيراً للحكومة بغداد.

ووجد الخليفة هارون الرشيد الحل لهذه المعضلة بالاعتراف بأحد أمراء الأسرة البقراذونية بصعة أمير الأمراء في أرمينية ، للعمل على استماته وإيقاف مد النموذج البيزنطي على أرمينية.^(٣)

وعلى هذا النحو يضمن الخليفة العباسي وضع عامل للتوازن السياسي بين الأسر الأرمينية، واستمرت الأوضاع في أرمينية على هذا النحو، مما أدى إلى نشوب الخلاف بين الأسر الأرمينية ،

^١ - جيباشيان: علاقات الكنيسة بالدولة الأرمينية ص ١٦٥

^٢ - البحتوي : تاريخ البحتوي، ص ٥١٥.

^٣ - عبد العي - أرمينية وعلاقتها السياسية ، ص ٩٨ ، جيباشيان:علاقات الكنيسة بالدولة الأرمينية، ص ١٧٠

والعمل من قبل العباسيين على توطيد معوذهم أكثر في أرمينية، وذلك بالعمل على دفع يدور
الاشتقاق بين الأسر الأرمينية وحتى بين أفراد الأسرة الواحدة.

استمرت أرمينية تتأثر بالأوضاع العامة في مقر الخلافة العباسية ، خاصة أن الخلافة اشتعلت مدة
طويلة بالحرب الأهلية التي نشبت فيها ، بسبب فتنة الأمين والمأمون، فهذه الحرب الأهلية بين
الأخوين منحت الأسر الأرمينية العرص للقيام بحركات تمرد ضد الخلافة العباسية ^(١)، وإن تدهور
معد الخليفة العباسي واشتعاله بالأوضاع الداخلية جعله يبتعد عن فكرة تدمير الإمارات الأرمينية
وإخضاع أمرائها لسلطته، كما أن هذه الظروف جعلته يقترب أكثر من فكرة مساعدة الأمراء،
وذلك لتقوية إماراتهم واتخاذ حلفاء أقوىاء من الأرض ليكونوا عيلاً له في المنطقة والبدل عن
سلطته المباشرة. ^(٢)

وعلى الرغم من محاولات العباسيين تثبيت مراكزهم ومعوذهم في أرمينية ، إلا أن الأوضاع
الداخلية فيها كانت تتأثر بشكل مباشر مع مشاكل الخلافة ، فتور باهك الخرمي أثقلت
العباسيين بشكل كبير على الرغم من أنها قامت في مناطق بعيدة عن أرمينية ، إلا أنها انعكست
على أرمينية بكامل أخطارها السلبية ، فقد لفت انتصارات بابك على الخلافة العباسية أقطار
الأمراء الأرمينيين ، وبدؤوا بالتحالف مع بابك الواحد تلو الآخر على أمل التخلص من هممة
الخليفة وولاته عليهم وإعادة امتيازاتهم القديمة. ^(٣)

^١ - من هذه الحركات التي قامت ضد الخلافة العباسية حركة اسماعيل بن شعيب، وحام من هرة ،
وهذافة بن علي، البعقوي. تاريخ البعقوي، ج ٢ ، ص ٤١٨، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ١٦٤،
جيبشيان: علاقات الكنيسة بالدولة الأرمينية ص ١٧٠.

^٢ - المبد المني : أرمينية وعلاقتها السياسية ص ١٠٠.

^٣ - . Geor. Toumanoff: Arm, p609.

وعلى هذا النحو فقد كان موقف أمراء الأرمن باتخاذ جانب التأيد لهذه الثورة ضد العباسيين في المرحلة الأولى منها.

رحب بابك بهذا التحالف لأنه كان بحاجة كبيرة لمؤارره، بالإضافة إلى أهمية أرمينية الاستراتيجية بالنسبة لبابك، ولكن بعد أن بدأت القوات العباسية بتحقيق انتصارات على بابك، قام الأمراء الأرمن للمساندة لبابك بالتخلي عنه، سيما أن طبقة العلاحين الواسعة في أرمينية تأثرت بأفكاره التحررية الاجتماعية، ولذلك فقد قام الأمراء بطرد المدعويين الموجودين في أراضيهم.^(١)

والسؤال الذي يطرح هنا هو لماذا اعتمد الخلفاء العباسيون وبابك بأرمينية وعمل كل طرف منهما على استمالة الأرمن؟

كما لا شك فيه بأن موقع أرمينية الجغرافي كان مهماً لكلا الطرفين، فالعباسيون قلقوا من مساعدة الأرمن لبابك، أو قيام بعض الأرمن بالتحالف مع العدو الدائمة بيزطة واستغلال بيزطة لهذه المسألة، وهذا بالفعل ما حدث.

أما بابك فقد كان يرغب في فرض سيطرته على أرمينية لتأمين ظهره في حال هاجمه العباسيون. اشتعلت الخلافة العباسية بالقضاء على بابك، ولذلك قام الأخير بالاستناد بالإمبراطور البيزنطي ثيوفيل، والذي توجه بعد مدة لمهاجمة بيزطة وسميساط و ملطية، توقع الإمبراطور ثيوفيل أن يقف الأرمن إلى جانبه في حملته هذه، ولذلك عندما وصل إلى الثغور قام بتوجيه رسائل إلى الأمراء

عبد الحفي أرمينية وعلاقتها السياسية، ص ١٠٢-١٠٣-١٠٤-١٠٥.

الأرمس يعرض عليهم تقديم المساعدة إن ثاروا ضد النعوذ العباسي، إلا أن الأرمس رفضوا عروض ثيوفيل وفصلوا البقاء على ولائهم للعباسيين، وعملوا على عرقلة مشاريعه في المنطقة.^(١) إن موقف الأرمس هنا يدعو للتساؤل، فلماذا اتخذ الأرمس هذا الموقف من الإمبراطور مع أن الأحوال العامة للخلافة العباسية لم تكن في أفضل حالاتها؟.

ربما اتخذ الأرمس هذا الموقف من عرض الإمبراطور ثيوفيل لخوفهم من الانتقام الذي سيقوم به ولاية الخليفة العباسي إن هم ساندوا ثيوفيل، أو ربما أراد الأرمس حصد نتائج هذا التدخّل البيزنطي في الأراضي الإسلامية لأنفسهم، خاصة وأن إشغال الخلافة الإسلامية بمثل هذه التحاورات البيزنطية سيحطي الأمراء الأرمس فرصة أخرى للاستقلال بإماراتهم والابتعاد عن عوذ الولاة.

هذا ما حصده الأرمسيون بعد ثورة بابك فقد أصبح الأرمس بعد ثورته أكثر قوة وتطلعاً لتحقيق استقلالهم الذاتي، ولذلك بدأوا يثيرون المشاكل ضد الحكم العباسي، فقد استعلوا الثور الذي أصاب العلاقات العباسية البيزنطية بعد هجوم ثيوفيل على رهطرة ورد الخليفة المعتصم بقيامه بحملته نحو عمورية، و بدأوا يتدمرون من الولاة العباسيين المتشددين معهم، يطالبون بتسحيهم وبالعزل استجاب الخليفة المعتصم لمطالبهم خاصة وأن العلاقات العباسية البيزنطية كانت متوترة جداً في تلك المرحلة، وكان هو بحاجة إلى كسب الأرمس لحابه كيلا يستعملهم البيزنطيون^(٢)

سرياني. تاريخ ميخائيل السرياني الكبير، ج٢، ص٨٨، العبد الغني: أرمينية وعلاقاتها السياسية، ص١٠٩

^٢ - البقوي: تاريخ البقوي، ج٢، ص٤٧٥.

واستمر الأرمن في إثارة المشاكل ضد الولاة العباسيين ومن الخليفة الواثق، مستغلين إشعار الخلافة بالمشاكل والاضطرابات الداخلية، إلا أن حل الواثق كان جذرياً من خلال إرسال ولاة أقوىاء، تمكنوا من القضاء على موجة الثورات هذه، كما قام بإحضار جماعات كبيرة من المسلمين للاستيطان في أرمينية، كي يضحوا مواقف الأرمن في قادم الزمن.^(١)

وهنا وفي هذه المرحلة الرسمية يلاحظ أن جميع المصادر والمراجع التي تم الرجوع إليها سواء الأرمينية منها أم العربية، لم تذكر بشكل واضح وصريح مشاركة الأرمن بيزنطة في حروبها ضد المسلمين، ولكن الواقع والمطلق يشير إلى أن من هجر وسلبت أرضه وممتلكاته، لا شك بأنه سيعمل جاهداً إلى اللجوء إلى من يساعده في إعادة ما فقد، فإن لم يستطع استرداد ما أخذ منه فإنه لن يعمر ويسامح لمن هجره، بل سيبقى يشترك في أي تحرك ضد العاصب لأرضه، وهذا ما كان عليه حال الأرمن مع من شردهم من أرضهم في حقبة زمنية لاحقة.

وعلى هذا النحو كان الأرمن يتمتعون بوضع أهل الذمة في علاقاتهم مع الخلافة العباسية، بالإضافة إلى أنهم كانوا يتمتعون بحريتهم الدينية، وكان الأرمن بشكل عام يفضلون أن يعيشوا في ظل السيادة العباسية، خاصة إذا ما قاربوها بالسيادة البيزنطية، كما اشترك الأرمن مع المسلمين أكثر من مرة في مواجهة البيزنطيين، وقد وافق أمرؤؤهم على تزويج بناتهم لأمرء المسلمين، وكانوا يستقبلون الولاة العباسيين بمحاوة وود إلى أن يتعرفوا على شخصية هؤلاء الولاة، فإن كانوا أقوىاء أدوا لهم الجزية والمخراج والطاعة، أما إذا كانوا ضعفاء فإنهم يستنعمون بأمرهم ويقومون بالعصيان والتمرد للحصول على استقلالهم.

^١ - العبد المي - أرمينية وعلاقاتها السياسية بين ١١٢-١١٣.

وهذا كان حال كل من الخلافة العباسية والإمبراطورية البيزنطية لا تستطيعان إنعمال أهمية التعامل مع الأسر الأرمنية ذات النفوذ، فلم تكن أي منهما قادرة على إحكام سيطرتها الكاملة على أرمينية من دون أن تستعين بإحدى هذه الأسر أو بعضها، وهذا الوضع أعطى أمراء أرمينية الفرصة لتقليب ولائهم بين هاتين القوتين الكبيرتين سعياً وراء مصالحهم الشخصية، ولتحقيق مكاسب أكبر لهم هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كانوا يستعينون بإحدى هاتين القوتين لطرد الأخرى أو للتصدي لها، مستعدين من التزاع بين العباسيين والبيزنطيين بما يخدم مصالحهم ويجعلهم محط أنظار واهتمام هاتين الدولتين المتنازعتين.

كما كانت العلاقات تبادلية بين الطرفين العربي المسلم و الأرمني، فمثلما شارك الأرمن المسلمين حروبهم ضد بيزنطة، أسهم العرب المسلمون في الدفاع عن أرمينية ضد هجمات الخزر، فلم يقتصر دور مدن الثغور على محاربة البيزنطيين وحماية حدود الدولة العربية الإسلامية من خطرهم، بل إنهم شاركوا في حماية أرمينية من هجمات الخزر المتتالية عليهم.

ففي عام ١٤٤١ هـ / ٧٥٨ م تعرضت أرمينية لهجوم واسع من قبل الخزر الذين توجهوا نحوها وعلى رأسهم عقاقان الخزر، وقاموا بأعمال القتل والتخريب وانتشرت المذابح الجماعية، ولم يتمكن والي أرمينية يريد بن أسيد السلمي من الوقوف في وجههم، لذلك طلب العون من الخليفة أبي جعفر المصور الذي أمدّه بعشرين ألف مقاتل من أهل الشام والجزيرة وثورها،

ونكس هؤلاء من إيقاف بلد الخزري، أمر الخليفة المصور ببناء مجموعة من الدفاعات والحصون، لتكون بمثابة ثغور في وجه الخزر.^(١)

وتعرضت أرمينية لمحموم خزري جديد في العام ١٨٣ هـ / ٧٩٩ م، كان هذا المحموم يطلب من أحد الرعماء المحليين في أرمينية للوقوف في وجه المسلمين، استجاب خاقان الخزر لهذا الطلب، وهما جيشاً ضخماً توجه نحو أرمينية، ولم يستطع الوالي سعيد بن مسلم الوقوف في وجه الخزر، وقام الخزر بقتل الأرمن والمسلمين وسبوا أعداداً كثيرة منهم، واستمروا على هذا النحو مدة سبعين يوماً دون أن يوقعهم شيء، إلى أن أرسل الخليفة هارون الرشيد يزيد بن يزيد الشيباني والياً لأرمينية ومعه جنود من الجزيرة ونعورها، الذي تمكن بدوره من إيقاف الخزر وإعادة الهدوء للمنطقة.^(٢)

وكانت مدن الثغور لدى دفاعها عن أرمينية من مخيمات الخزر ترد عن أراضيها وصولاً لبلد الخزري إلى داخل المدن الإسلامية في الوقت نفسه.

كما لا شك فيه أنه كان لهذه الحروب آثار اجتماعية واقتصادية على المناطق القريبة من أرمينية كبلاد الشام والجزيرة والثغور الإسلامية، اجتماعياً تعبرت البنية السكانية للسكان الأصليين في المدن من خلال هروب أعداد من القبائل العربية باتجاه أرمينية للاستقرار، أما اقتصادياً فيلاحظ بأن

- بختوي. تاريخ البختوي، ج ٢ ص ٣٧١، الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٧ ص ٦٤٩، بن الأثير انكسار في التاريخ، ج ٥، ص ٥٧١، ابن أعظم: الفتوح، ج ٤ ص ٣٩٤-٣٩٥، دغلوب: تاريخ يهود الخزر، ص ٢٤٥، السيد: أرمينية في التاريخ العربي، ص ١٠٦.

^٢ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٢٧٠، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ١٦٣، دغلوب: يهود الخزر، ص ٢٥٠-٢٥١.

الآثار الاقتصادية كانت إيجابية وسلبية في الوقت نفسه، إيجابية من خلال التبادل التجاري الذي كان يحدث بين بلاد الشام والجزيرة أرمينية والإمبراطورية البيزنطية، وسلبية لأن المناطق القريبة من أرمينية وتحديدًا الجزيرة الفراتية ومدن النعمور قد أنحكت من تكاليف الجحود من تأمين لباسهم وطعامهم وسكنهم .

وبما لا شك بأن اتصالاً حصارياً وثقافياً حدث بين هذه الطرفين، مما أدى إلى التأثير بالعبادات والتقاليد الاجتماعية السائدة بينهما، وهذا بدوره أسهم في إغناء الإرث الحضاري لكلا الطرفين.

خاتمة.

من خلال البحث في موضوع أعمال الثاغرة والرباط بين العرب المسلمين والبيزنطيين في العصر العباسي الأول، يتبين للدارس أنّ هذه الملتقى سنة من تاريخ العرب المسلمين كانت من أهم وأغنى الحقب الزمنية على الصعيد الخارجي للدولة العباسية، فقد رسمت خطأ معياراً لسياسة المسلمين الأوائل في الوصول إلى معقل الأباطرة البيزنطيين و إلى قلب عاصمتهم القسطنطينية.

فالحدود المتصلة بين هاتين القوتين كانت ميداناً للنشاط الحربي، الذي اتسم في هذا العصر بأنه كان محدوداً لكنه متصلاً ، فهذا النشاط كان بالدرجة الأولى عبارة عن غارات العرض منها إظهار القوة وتخويف العدو والردّ على ما يقوم به من نشاط مماثل، ومن خلال القراءة المتأنية والبطرة العلمية الشاملة لهذا البحث يتبين أنّ طموح العباسيين لم يكن في الوصول إلى القسطنطينية! ما عدا حملة واحدة وبتيمة قام بها هارون بتكليف من والده المهدي ولكنه لم يصل إلى هذا الهدف.

ومن الممكن القول: بأن السبب في ذلك يعود إلى أمور عدة، يمكن إجمالها بالآتي:

إن أيّ وصول إلى القسطنطينية يجب أن يطلق من بلاد الشام ، و يجب أن تكون بلاد الشام قاعدة مركزية لهذا الهجوم ، وبما أن العباسيين نقلوا عاصمتهم إلى بغداد، وكانوا على عداء مع أهل الشام نتيجة لولائهم لبني أمية، وبما أن هذه القاعدة لم تكن مأمونة الجانب، فقد ابتعد العباسيون عن بلاد الشام، بالإضافة إلى عدم اهتمام بني العباس بإنشاء أسطول بحري قوي وفتح القسطنطينية لا يمكن أن يتم بدون أسطول .

كما أن أملاك العباسيين الكثيرة كانت تستلزم جهداً كبيراً للسيطرة عليها وتأمين حدودها، فكان على العباسيين المحافظة على ما بأيديهم خاصة وأنهم فقدوا الكثير من ممتلكاتهم بالإضافة إلى شعاعهم في إخماد الثورات والتمردات والإضطرابات الداخلية التي شعلت العباسيين لوقت طويل.

فالعباسيون اعتمدوا على سياسة دفاعية في علاقاتهم مع البيزنطيين من خلال إيجاد مراكز دفاعية وحصون وقلاع ومدن ثغرية ، لكن هذه المدن الثغرية تحولت مع الزمن إلى إقليم خاص له اعتماده السياسي والعسكري والاقتصادي الخاص ، وهذا التحول أسهم في مستقبل الأيام، ومع تزايد هجمات الأرمس ومن الحروب الصليبية، ليصبح مقراً لدولة أرمينيا الصغرى.

فالساسة الدفاعية هي ما اتسمت به سياسة العباسيين في هذه المدة ولم يبادروا بأية حملات هجومية ، وكل المحطات التي قام بها العباسيون جاءت ردات فعل على تحركات بيزنطية على الحدود البرية الإسلامية.

فمن خلال دراسة هذه الحقبة عام يشي بأن مناطق الحدود الإسلامية البيزنطية كانت مختلفة في تكوينها وخصائصها عن بقية أراضي كل من الدولة الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية الواقعة خلفها وغير المعرضة للخطر مثلها .

وبما لا شك فيه أن العمل الدؤوب للمسلمين، لتأمين سكان المناطق القاطنين فيها أو بالقرب منها، كان يحظى باهتمام المسؤولين في الدولة العباسية، ولهذا كان هدف هذه الغزوات والعداات الإسلامية في زمن العباسيين الأوائل هو تدمير القواعد البيزنطية على الحدود المتاخمة للعرب المسلمين، وإقامة أرض حياد بين الأراضي الإسلامية والبيزنطية، هذا في الإطار العام لهذه الأعمال

العسكرية، أما في الإطار الخاص، فإن المتابع لأسلوب المؤرخين الأوائل بخصوص هذه الأعمال العسكرية سيحد أن للمؤرخين كانوا في كثير من الأوقات يضعون اسم قائد الصائفة إلى جانب أسماء قادة الحج، ولهذا طبعاً دلالة ومعزى، فالحملات العسكرية الإسلامية كان لها إلى حد ما دور ديني، وكانت مهمة بالنسبة للدعاية لأصحاب السلطة في دولة الخلافة، وخاصةً منهم الذين سعيوا إلى تدعيم مركزهم السياسي أمام رعاياهم بقيامهم بعريضة الجهاد الإسلامي.

كما أن مناطق الثغور لم تكن مناطق عسكرية بحتة، بل شكلت مع تطور الزمن مجتمعات سكانية تفاعلت مع غيرها من المناطق، وهذا المجتمع الذي بدأ يتشكل في هذه المدن كان بحاجة لأن يتطور نفسه على جميع الأصعدة، لكي يؤمّن سبل الحياة والمعيشة هنالك، فانتشرت الزراعة بشكل كبير، وتطورت الصناعات والحرف المحلية معتمدة على الموارد الأساسية الموجودة في مدن الثغور، أما على الصعيد التجاري، فقد كانت مدن الثغور محطات تجارية مع المناطق الأخرى، وكانت بمثابة ملتقى الطرق فيما بينها.

كما كان للثغور خاصية أخرى تميزت بها عن غيرها وهي أنها ضمت أجناساً وديارات مختلفة أصبحت مع بعضها البعض، فأثرت العقلية العربية الإسلامية وتفاعلت معها، فمثلاً مناطق الحدود المتأرجحة كانت مناطق تمارح وتسامح، إذ كان الهدف الأكبر الذي يجمع بينهم هو الذود عن حدود الإسلام ضد أعدائهم.

وفي الختام: كان هذا العمل محاولة جادة في البحث عن ماهية الثغور وما خلفته الأعمال العسكرية للمسلمين على الحياة الثغرية والمراقبة خلال المئة عام الأولى من العصر العباسي، وفي

البحث أيضاً في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية في مدن النجف خلال عصر الدولة ،
ويعتبر دور بعض الأقليات كاليانقة في مجريات الأحداث بين الطرفين.
من كنت قد وفقت فذلك العاية وذلك المذهب، وإن لم يكن ذلك فحسبي أني بدلت قصارى
جهدي.

والله ولي التوفيق

الطالبة شيرين سليم حمودي

ملحق (١)

لمحة عن الخلفاء العباسيين الأوائل

١ - أبو العباس السفاح:

هو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، بويغ بالخلافة ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م، وهو أول خليفة عباسي، لقب بالسفاح لكثرة ما سمع من دماء بني أمية، ولكثرة العطايا والمكح التي كان يقدمها، إضافة إلى اعتزازه بهذا اللقب، وعبر دليل على ذلك حملته الشهيرة التي كان يكررها باستمرار وهي: "أنا السفاح المبيع والثائر المبير".

توفي أبو العباس بالأندلس في ذي الحجة ١٣٦ هـ / ٧٥٤ م، وأهم الأحداث التي جرت في عهده، معركة الزاب وهزيمة الخليفة الأموي عبد الله بن علي، وفتح إفريقية على يد محمد بن الأشعث، وثورات العرب التابعين لبني أمية، مثل تيمس أي الورد لقنسرين، وخلق حبيب بن مرة، خلق أهل الجزيرة، خروج الخوارج، وغيرها من الأحداث.^(١)

- الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٧ ص ٤٧٠، ابن طباطبا: المعري في الأدب السلطانية، ص ١٥١-١٥٨
ابن الأثير: الكامل، ج ٥ ص ٤٠٨. ابن الجوزي: المنتظم، ج ٧ ص ٣٠٥. ابن طلكان: وهبات لأعيان، ج ٢ ص ٢١٥. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٩ ص ٧٧، ابن تغري بردي: المعجم الزهري، ج ١ ص ٣٣٣، السبوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٣٠٤، الحلي (أبو الفلاح عبد الحق المعروف بابن المصنف) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، دار المسيرة، ط ١٩٧٩، ج ٢ ص ١٩١، الفقهيني: مآثر لأمانة، ج ١ ص ١٧٠. اسماعيل علي: تاريخ بلاد الشام، ص ٩٣، راسبور: معجم أنساب الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، بتركي محمد حسن بك، حسن أحمد محمود، مصر، مطبعة جامعة قواد الأول، ١٩٥١ م، ج ١ ص ٢.

٢ - أبو جعفر المنصور:

عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس. اختلف المؤرخون حول مولده، فمنهم من يذكر بأنه كان في عام ٨٩٣ هـ. أو ٨٩٤ هـ. أو ٨٩٥ هـ. وتوفي أبو جعفر عام ٩٥٨ هـ ..

بعد أبو جعفر مؤسس الحقيقي لدولة بني العباس، فقد بويغ بالخلافة بعد أخيه السعاج، وحدثت أحداث كثيرة في عهده، كان من أهمها بناء بغداد والخاشمية، ومقتل عمه عبد الله بن علي، وأية مسلم الخراساني، ومقتل محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب، واهتم بالحدود مع البيزنطيين كما سبق و مر في هذا البحث.^(١)

٣ - محمد المهدي: هو أبو الله عبد محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، بويغ بالخلافة في ٩٥٨ هـ./ ٧٧٥ م، وتوفي نحو عام ١٠٦٩ هـ./ ٧٨٥ م.

تميز المهدي بأنه عمل على تنظيم وإنشاء دواوين خاصة لدولته، فقد أنشأ ديوان الأرمه، وطر بالمطام، وبني الرصافة، وسير العزوات الكثيرة نحو البيزنطيين، وظهر أياده للقمع الخراساني، وشحن حملة كبيرة تجاه الزنادقة وعمل بشكل مكثف على القضاء عليهم.^(٢)

- البلاذري. أسباب الأشراف، ج ٣، ص ١٨٢، ابن قتيبة: المعارف، ص ٣٧٧، ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٥، ص ١١٣-١١٤، ابن الجوزي. المتكلم، ج ٧، ص ٣٤٤، ابن طباطبا: المعري في الأدب السلطانية، ص ١٥٩، أبو الفداء. المختصر في أعيان البشر، ج ٢، ص ١٣٥، الأرنؤلي. خلاصة الذهب المسبوك، ص ٦٠، القفشندي. مآثر الأنفة، ج ١، ص ١٧٥، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٣٠٨، رهمت معالم تاريخ المنصور الوسطي، ص ٥٦.

١ - أبو يوسف القاضي الخراج، ص ٤٣، البهوتي: تاريخ البهوتي، ج ٢، ص ٣٩٤، الجهشباري. الورر، وانكتاب، ص ١٤٩-١٦٦، ابن عبد ربه: العقد الفريد، ص ١١٥-١١٦، القفشندي: البدء والتاريخ، ج ٦، ص ٩٩، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٣، ص ٣٩١. ابن طباطبا: المعري في الأدب السلطانية، ص ١٨٠، ومسنن، الدعوي. سير أعلام النبلاء، ج ٧، ص ٤٠٠. القفشندي: مآثر الأنفة، ج ١، ص ١٨٢، ابن الوردي: نعمة المختصر في أعيان البشر، ج ١، ص ٣٠٣.

٤ - المهادي:

هو موسى المهادي بن محمد المهدي بن أبي جعفر، تولى الخلافة ١٦٩هـ / ٧٨٥م، وتوفي في عام ١٧٠هـ / ٧٨٦م.

كان عصره قصيراً، فهو لم يتمكن من القيام بأية إصلاحات في ربه، وكان من أهم الوقائع التي حدثت في زمنه موقعة الفخ.^(١)

٥ - هارون الرشيد:

هو هارون بن محمد المهدي، تسلم عرش الخلافة الإسلامية في عام ١٧٠هـ / ٧٨٦م، استمر حتى وفاته في عام ١٩٣هـ / ٨٠٨م.

كان ربه ملئاً بالأحداث و المنجزات، فقد اهتم بالحدود الإسلامية البيزنطية بشكل كبير، كما سبق و ذكر في هذا البحث، و حدثت في عهده فتى كثيرة في الشام و الجزيرة، و قضى على البرابكة.^(٢)

٦ - الأمين:

محمد بن هارون الرشيد، كان الأمين الخليفة العباسي الوحيد الذي يعود نسب أمه و أبيه إلى بني

^١ - ابن طباطبا: انعمري في الآداب السلطانية، ص ١٨٩-١٩٠-١٩١، ابن قتيبة: للمعتمد، ص ٣٨٠، السمودي. مروج الذهب، ج ٣، ص ١٨٣، ابن الجوزي: المنتظم، ج ٨، ص ٣١٥، الذهبي. سير أعلام النبلاء، ج ٧، ص ٤٤١، ابن عبد ربه: العقد الفريد، ص ١١٩.

^٢ - ابن عثوي تاريخ البعقوي، ج ٢، ص ٤١١، الجهشباري: الورراء و الكتاب، ص ٢٠٨-٢٠٩، ابن طباطبا انعمري في الآداب السلطانية، ص ١٩٣ و ما بعدها. الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٢، ص ٤٣١. القلقشندي صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤١٧-٤١٨، علي اسماعيل: تاريخ بلاد الشام، ص ٧٣-٧٤.

هاشم، يبيع بالخلافة في عام ١٩٣ هـ / ٨٠٩ م، و منذ استلامه الخلافة بدأت المشاكل بينه و بين أخيه المأمون حول السلطة، فقد أراد الأمين خلع المأمون، و استمر هذا الخلاف طيلة خلافة الأمين، وانتهى بمقتل الأمين في عام ١٩٨ هـ / ٨١٣ م.^(١)

٧ - المأمون:

هو عبد الله بن هارون الرشيد، استلم الخلافة بعد مقتل أخيه الأمين في عام ١٩٨ هـ / ٨١٣ م، واستمر حتى عام ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م.

جرت في خلافته أحداث كثيرة، منها ثورات أهل الجزيرة، و ظهور ابن طباطبا في الكوفة، كما بايع المأمون علي الرضا بولاية العهد، إضافة إلى كثير من الأحداث الأخرى.^(٢)

٨ - المعتصم:

هو أبو إسحاق محمد بن الرشيد بن المهدي، تولى الخلافة ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م، وتوفي في عام ٢٢٧ هـ / ٨٤١ م.

- المسمودي: مروج الذهب، ج ٢، ص ٤٢٣. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٣، ص ٣٣٦ و ما بعدها، ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص ٢١٢ و ما بعدها، القلقشندي: مآثر الأنافة، ج ١، ص ٢٠٣. ابن نوري بردي: التحوم الزاهرة، ج ٢، ص ١٥٩ و ما بعدها. ابن عبد ربه: العقد الفريد، ص ١١٨ - ١١٩. السبوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٣٥٢.

^١ ابن عثوي: تاريخ البعثي، ج ٢، ص ٤٤٨. ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص ٢١٦ و ما بعدها. ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك و الأسماء، ج ١٠، ص ٢٥١. أبو الفداء: المختصر في أعيان البشر، ج ٢، ص ٢٤. ابن الوردي: شجرة المختصر، ج ١، ص ٣٢٠. ابن عبد ربه: العقد الفريد، ص ١١٩ - ١٢٠.

كان من أهم ما جرى في خلافته، فتح عمورية، و بناء سامراء، و تدخل العصر التركي بشكل كبير في شؤون الدولة.^(١)

٩- الوراق:

هو أبو جعفر هارون الوراق باقر بن المعتصم بن الرشيد، تسلم الخلافة ٨٢٢٧ هـ / ٨٤١١ م، و توفي في عام ٨٢٣٢ هـ / ٨٤٤٧ م.

في ربه سيطر الأتراك على شؤون الدولة العباسية بشكل كبير، و بوفاته كانت نهاية الخلفاء العباسيين الأقوياء، و بذلك انتهى العصر الذهبي للدولة العباسية التي استمرت ما يقارب قرناً من الزمن، و بدأت مظاهر الضعف و الانحلال تظهر في الدولة العباسية.^(٢)

١ - بن عبد ربه. المعتمد القريب، ص ١٢١-١٢٢، ابن طيات: الفهرست في الآداب السلطانية، ص ٢٢٩ و ما بعدها. ابن الجوزي: المنتظم، ج ١١ ص ٢٥. ابن فلكان: وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٤٨. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٠، ص ٢٩٠. الموسوعة الإسلامية، ص ١٩٣ و ما بعدها.

٢ - ابن قتيبة: للمعارف، ص ٣٩٣. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٠، ص ٣٠٩، علي اسماعيل: تاريخ بلاد الشام، ص ٨٣-٨٤. الموسوعة الإسلامية، ص ١٦٧-١٦٨.

ملحق (٢)

لمحة عن الأباطرة البيزنطيين زمن الخلفاء العباسيين الأوائل :

قسطنطين الخامس ٧٤١-٧٧٥م/١٢٤-١٢٣٨ هـ :

اشتهر باستبداده ولكنه امتار بالشباط العسكري تجاه العرب المسلمين وتجاه البلغار، وحرر انتصارات متتالية على كلا الطرفين، وفي عصره عقد مجلي هيريا الكنسي ٧٥٣م- ١٢٦ هـ . الذي حرم عبادة الأيقونات ، وكان لهذه السياسة الدينية آثار سلبية كثيرة على المجتمع البيزنطي.

ليو الرابع ٧٧٥-٧٨٠م/١٣٨-١٢٤ هـ :

ابن قسطنطين ، سار على خطا سياسة والده الدينية وشس حملات متتالية على الأراضي الإسلامية ومن الخليفة المهدي.

قسطنطين السادس ٧٨٠-٧٩٧م/١٢٤-١٢٨١ هـ :

تسلم عرش الإمبراطورية طملاً فاستلمت والدته إيمرس الحكم بدلاً عنه، وحدثت الكثير من المشكلات في رمها خاصة عضوعها للعرب المسلمين ودفع الجزية لهم، وأخذت السياسة الدينية حيزاً كبيراً في رمها فقد تم عقد مجلس بيقية ٧٨٧م/ ١٢٧١ هـ ، الذي تخطى عن تحريم عبادة الأيقونات ، وتم إعلان ثورة ضدها من قبل الجيش الذي طالب بقسطنطين إمبراطوراً، وبالمعن نوح قسطنطين ولكنه فشل في سياسته فقد عسر أمام العرب والبلغار، وانتهى حكمه بأن سملت أمه عيبه وتسلمت الحكم مفردة.

إبريس ٧٩٧-٨٠٢م / ١٨١-١٨٦ هـ ::

كان زميها خصوع ومسألة للعرب فقد دفعت الجزية لهم ، وتم إحياء الإمبراطورية الكارولنجية في العرب بتتويج شارلمان.

نقفور ٨٠٢-٨١١م / ١٨٦-١٩٦ هـ ::

اشتهر بأنه حاكم قادر على إدارة الشؤون المالية لا العسكرية وتحديدًا مع العرب المسلمين ، فقد عقد معهم أكثر من هدنة كما أنه عقد صلحاً مع شارلمان ، وهرم أمام البلغار في معركة أودت بحياته.

ستوراكبوس ٨١١م / ١٩٦ هـ ::

ابن نقفور لم يستمر إمبراطوراً إلا لبضعة أشهر.

ميخائيل الأول ٨١١-٨١٣م / ١٩٦-١٩٨ هـ .

صهر ستوراكبوس، لم يستطع أن يحمي العاصمة القسطنطينية من هجمات البلغار، كما تدعى الرهبان بشكل كبير في الشؤون الداخلية للإمبراطورية.

ليو الخامس (الأرمني) ٨١٣-٨٢٠م / ١٩٨-٢٠٥ هـ ::

تميز عصره بإحراز انتصار كبير على البلغار وتم عقد صلح معهم مدته حوالي ثلاثين عاماً ، وبدأ في رمة مرحلة جديدة من اصطهاد الرهبان، فقد تم عقد مجلس كنيسة القديسة صوفيا ٨١٥م / ٢٠٠ هـ . الذي قرر العودة إلى تحريم عبادة الأيقونات.

ميخائيل الثاني ٨٢٠-٨٢٩م/٢٠٥-٥٢١٤ : .

حدثت في عصره الكثير من الثورات الداخلية فقد ثار عليه توماس الصقلي، وسقطت جريرة كريت بأيدي العرب المسلمين، كما استولى المسلمون على صقلية .

ثيوفيلوس ٨٢٩-٨٤٢م / ٢١٤-٥٢٢٨ : .

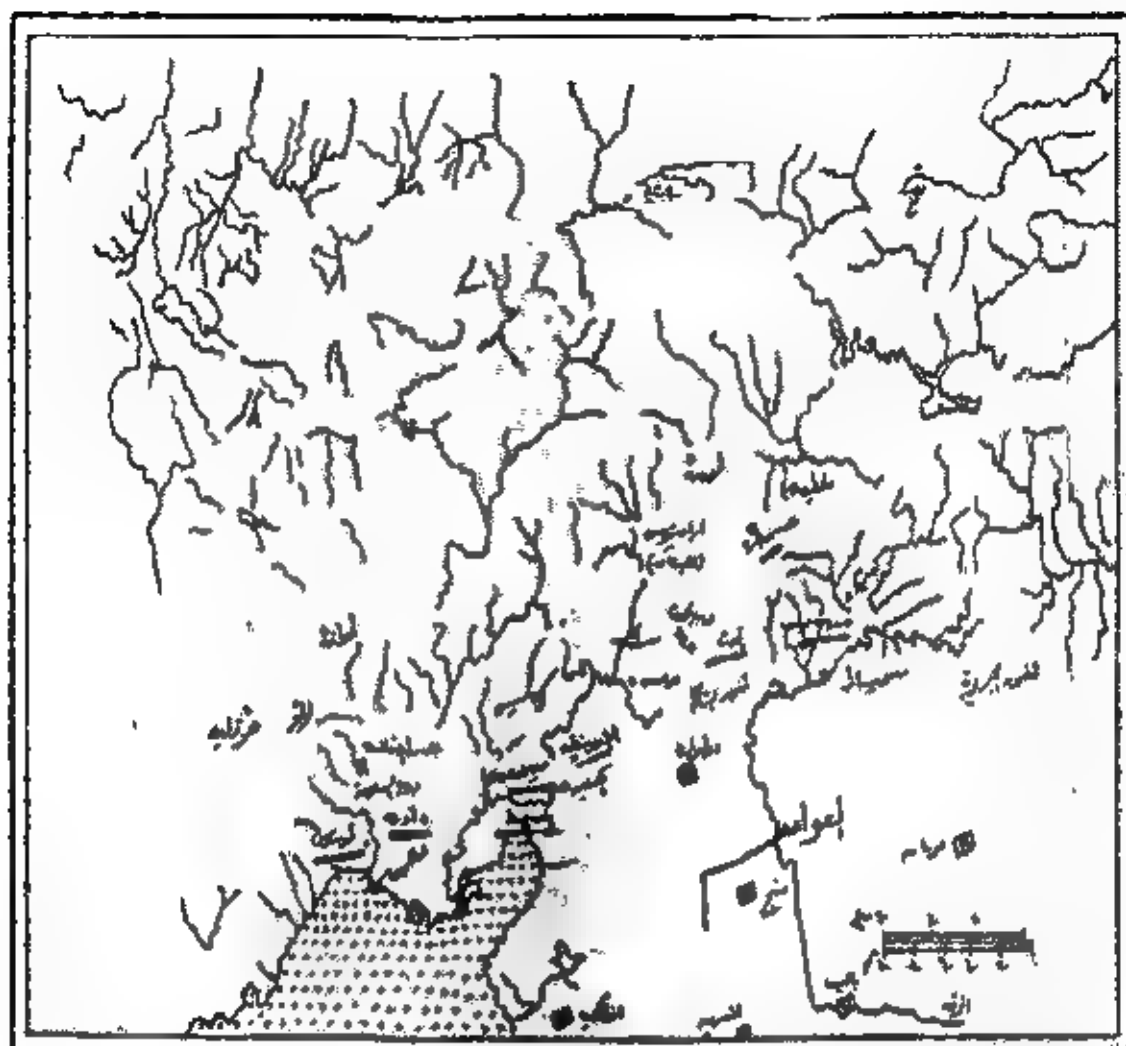
اشتهر بالتعصب الديني وبلغ الاصطهاد الديني أشده، واستولى المسلمون في عصره على عمورية.

ميخائيل الثالث ٨٤٢-٨٦٧م / ٢٢٨-٥٢٥٣ :

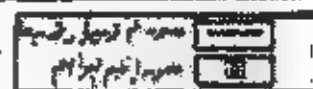
تولى الحكم تحت وصاية والدته ثيودورا والتي أعادت عبادة الصور من جديد، وفي راسها جرى العداء مع المسلمين.^(١)

^١ - لاجم : موسوعة تاريخ العالم ، ج٢ ، ص٤٨٤-٤٨٥-٤٨٦-٤٨٧-٤٨٨ ، يتر: الإمبراطورية البيزنطية،

ص ٤٠٥-٤٠٦ ، العربي: الدولة البيزنطية، ص ٨٩٦-٨٩٧.

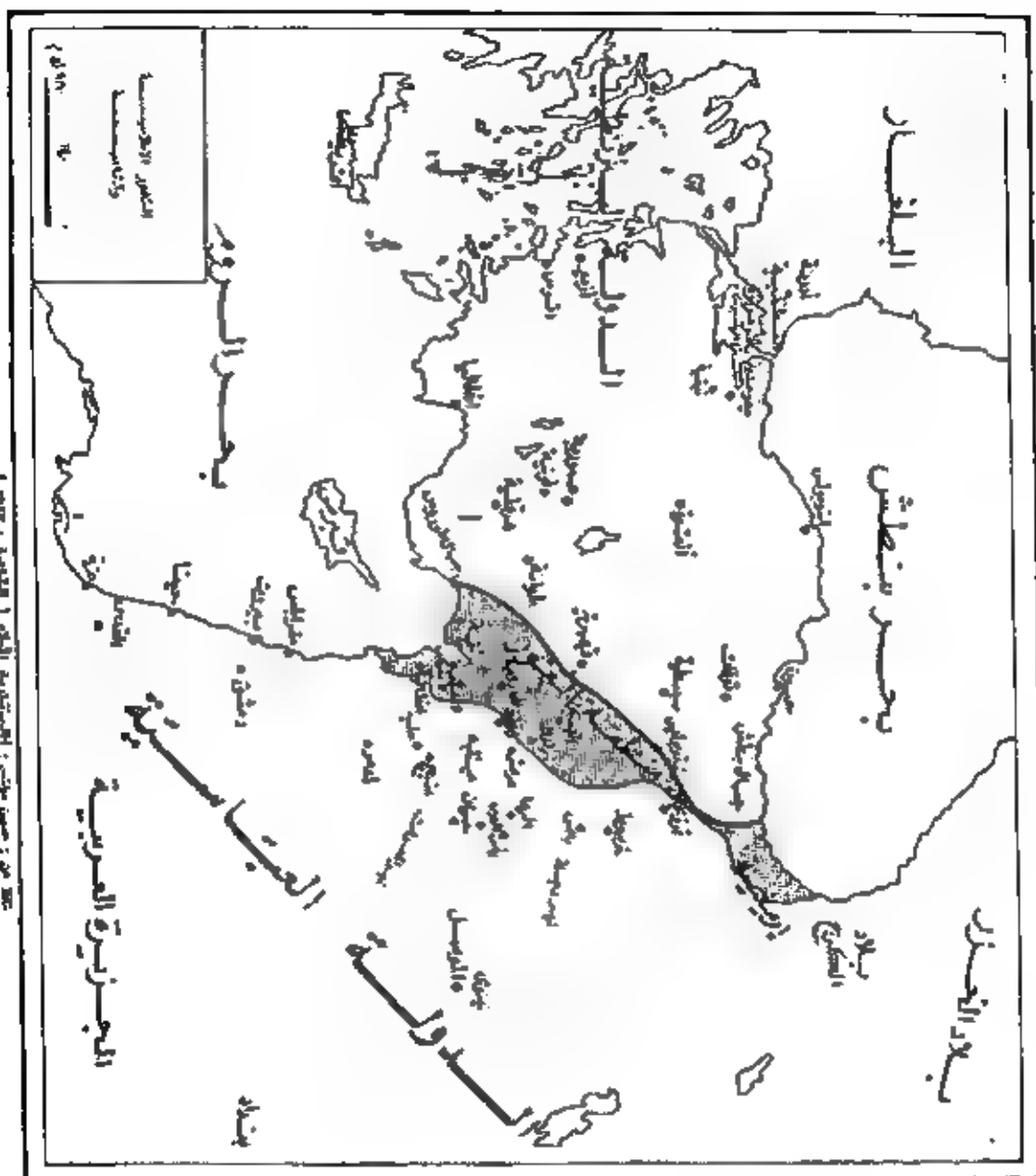


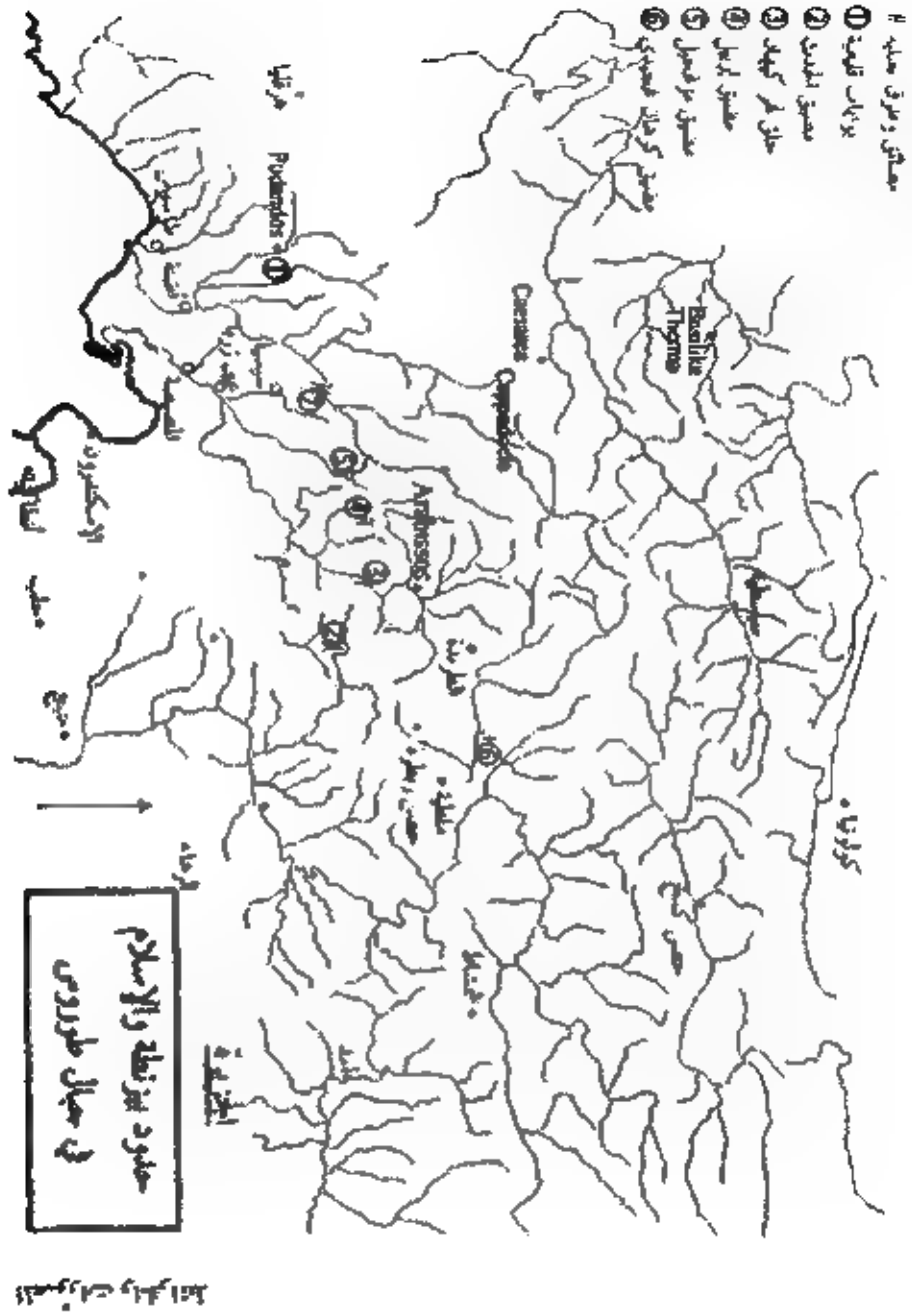
خريطة رقم ١٠٠
خريطة تخطيطية لشبكة الطرق في مجال إنشاء وتوسيع الممرات من الفترة الزمنية
(١٧٠ - ١٨١ / ٧٨٦ - ٧٩٧ م) تخلص



Hild, F, Das Byzantinische Strassensystem in Kappadokien, Wien, 1977.

خريطة رقم 1





كيفية : بيزنطة والفتوحات الإسلامية المبكرة ، ص ٣٤٨



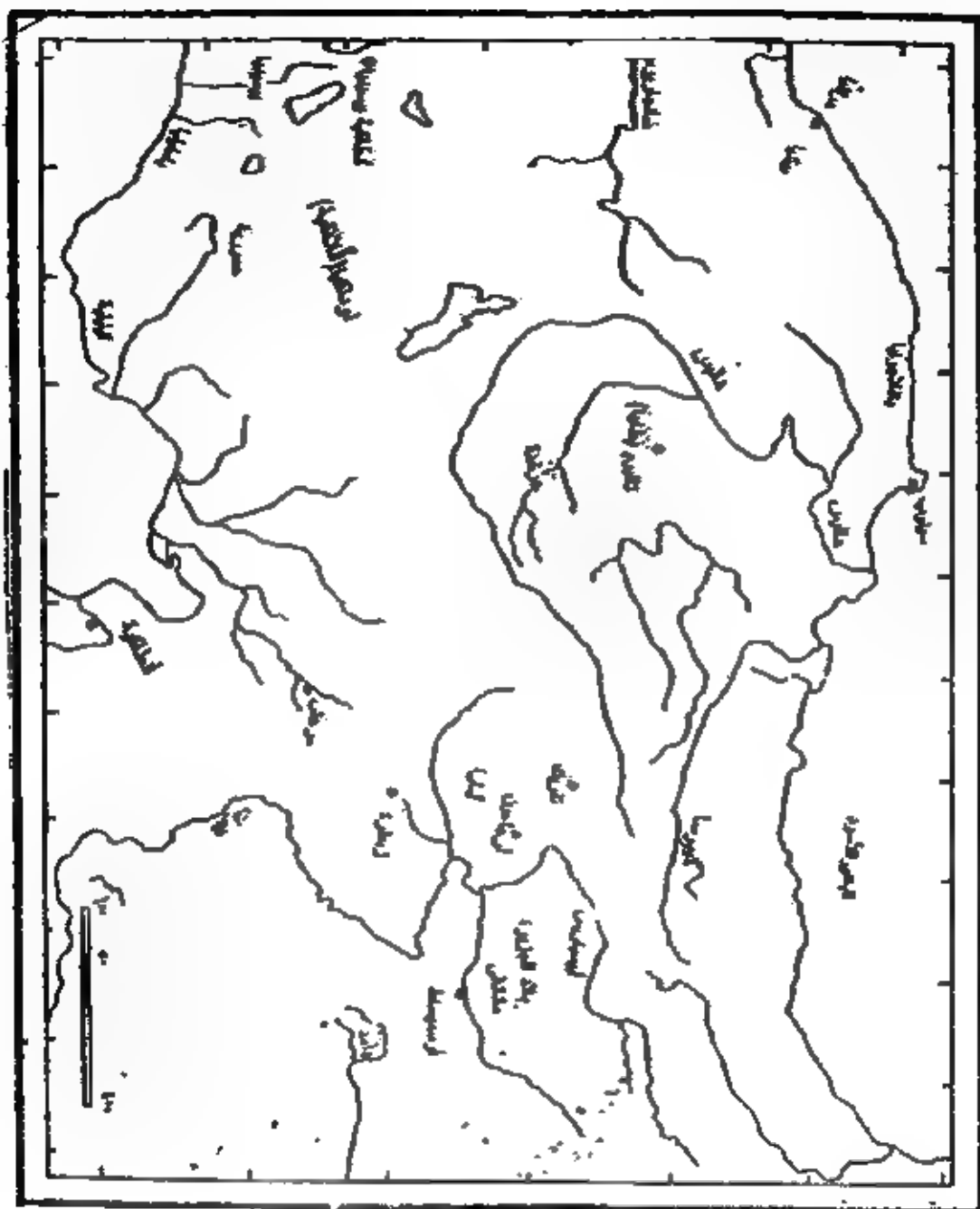
كوفي : بيزطة والفتوحات الإسلامية المبكرة ، ص ٢٢٨



العبادي : تاريخ البحرية الاسلامية . ص ٤٥



ليستونج : بلدان الخلافة الشرقية . ص ١٥٨



البشير: البيلاصية في آسيا الصغرى . ص ٥٠

قائمة للمصادر والمراجع المستخدمة في البحث:

قائمة للمصادر :

القرآن الكريم

الأبشيهي (شهاب الدين أحمد الأبشيهي):

١. المستطرف في كل فن مستطرف، دمشق، دار كرم، د.ت.

ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد ت ٥٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) :

٢. الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر، د.ت.

٣. اللباب في تهذيب الأنساب، القاهرة، مكتبة القدسي، ١٩٣٨ م

الأتليدي (محمد دياب ت ١٦٨٨ م):

٤. إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، بيروت، دار صادر، ١٩٩٠ م.

الأربلي (عبد الرحمن سبط قهنتو الأربلي ت ٥٧١٧ هـ / ١٣١٧ م):

٥. خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، بغداد، مكتبة المثنى، د.ت.

ابن أربعا الزردكاش ت ٥٨٦٧ هـ / ١٤٦٢ م :

٦. الأبيق في المغانق ، تحقيق، احسان هدي، حلب، منشورات معهد ثراث العلمي

العربي، معهد المخطوطات العربية، ١٩٨٥ م.

الأردني (أبو زكريا يزيد بن محمد بن إلياس بن قاسم ت ٥٣٣٤ هـ / ١٩٤٥ م):

٧. تاريخ الموصل، تحقيق: علي حبيبة، القاهرة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٦٧ م.

(صطخري) أبو اسحاق إبراهيم بن محمد ت ٥٣٤٠ هـ / ١٩٥١ م):

٨. مسالك الممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العال الحبيبي، مراجعة محمد شعيق غربال، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٦١ م.

الأصمعي (أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد ت ٥٣٥٦ هـ / ١٩٦٦ م):

٩. مقاتل الطالبين، تحقيق: السيد أحمد صقر، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٤٩ م.

١٠. الأغاني، تصحيح: أحمد الشنقطي، مصر، مطبعة التقدم، د.ت.

١١. الديارات، تحقيق: جليل المعطية، قبرص، دار رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٩١ م.

بيهارد:

١٢. سورة شارلمان، ترجمة: عادل زيتون، دمشق، دار حسان للطباعة والنشر، ١٩٨٩ م.

برصوم (أنغاسطيوس أفرام الأول):

١٣. اللؤلؤ المنشور في تاريخ العلوم والآداب السريانية، قدم له وشره: المطران غريغوريوس يوحنا إبراهيم، دمشق، مطابع ألف باء الأديب، ط ٢، ١٩٨٧ م.

ابن بطريق (سعيد أفتيشيوس) :

١٤. كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق من عهد آدم إلى سبي المحررة الإسلامية ، ويلي تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي، طبع في بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٠٩م.

ابن بطوطة (محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم) :

١٥. تحفة المنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة)، بيروت، دار الكتاب اللبناني، د.ت.

الوزير العقبة (أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي ت ٤٨٧ هـ / ١٠٨٥ م)

١٦. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق، مصطفى السقا، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥١م.

البلاذري (أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) :

١٧. فتوح البلدان، تحقيق، رضوان محمد رضوان ، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م.

١٨. أنساب الأشراف، العباس بن عبد المطلب وبنوه، تحقيق، محمود الفردوس العظم، قراءة، صبحي نديم المارديني، دمشق، دار البقعة العربية، ١٩٩٨م.

البلخي (أبو زيد أحمد بن سهل ت ٣٢٢ هـ / ٩٤٣ م) :

البلد والتاريخ، باريس، ١٩١٦م.

البيضاوي (عبد القاهر بن طاهر ت ١٠٩٣ هـ / ١٧١٤ م) :

١٩. العرق بين الفرق، القاهرة، مطبعة الحلال، ١٩٢٤م .
- ابن تعري يردى (أبو الخامس يوسف الأتابكي ت ٨٨٧٤ هـ / ١٤٦٧م):
٢٠. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، مصر، دار الكتب المصرية، ١٩٥٦م.
- التلمحري (ديوبسيوس):
٢١. تاريخ الزوقيبي المحول، ترجمة من السريانية، الشملس بطرس قاشا، تعليق: بطرس قاشا، جونيه (لبنان)، منشورات المكتبة البولسية، ٢٠٠٦.
- التنوعبي (أبو علي الحسن بن علي ت ٥٣٨٤ هـ /) :
٢٢. المستحاد من فعلات الأجواد، تحقيق، محمد كرد علي، بيروت، دار صادر، ١٩٩١م.
٢٣. جامع التواريخ ، دمشق، مطبعة المفيد، ١٩٣٠م.
- الجهشياري (أبو عبد الله محمد بن عبدوس ت ٥٣٣١ هـ / ١٩٤٣م):
٢٤. الوراء والكتاب ، تحقيق، مصطفى السقا، إبراهيم الإياري، عبد الحميد شلي، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٣٨م.
- ابن الجوري (أبو العرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ت ٥٥٩٧ هـ / ١٢٠٠م) :
٢٥. المتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق، محمد عبد القادر عطا ، مصطفى عبد القادر عطا، مراجعة وتصحيح، نعيم زردور، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م .

- الحموي (ياقوت بن عبد الله الرومي ت ٥٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م)
٢٦. معجم البلدان ، بيروت، دار صادر، د.ت.
٢٧. الخزل والدال بين الدور و الدارات والديرة، تحقيق، يحيى زكريا عبارة، محمد أديب حوران، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩٨ م.
- الحميري (محمد بن عبد المنعم) توفي حوالي (٨٢٠ هـ / ١٤١٧ م) :
٢٨. الروض المطار في غير الأقطار، تحقيق، إحسان عباس، بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة، ١٩٧٥ م.
- الحسيلي (أبو الفلاح عبد الحق المعروف بابن العماد ت ١٠٨٩ هـ / ١٧٠٩ م) :
٢٩. شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، بيروت، دار المسيرة، ط ٢، ١٩٧٩ م.
- ابن حوقل (أبو القاسم بن حوقل النسيبي ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م) :
٣٠. صورة الأرض " بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٧٩ م.
- ابن عمر داؤدة (أبو القاسم عبد الله بن عبد الله ت ٥٢٨٠ هـ / ٩٨٢ م) :
٣١. المسالك والممالك، يليه بيعة من كتاب الخراج وصيغة الكتابة لأبي العرج قدامة بن جعفر الكاتب البعدي، لندن ، مطبعة بريل، ١٨٨٩ م.
- الخطيب البعدي (أبو بكر أحمد بن علي ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م) :
٣٢. تاريخ بغداد ، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت.
- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م) :
٣٣. مقدمة ابن خلدون ، بيروت ، منشورات مؤسسة الأعلمي، ١٩٧١ م.

٣٤. العبروديون المبتدأ والخير في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي

السلطان الأكبر، بيروت، منشورات مؤسسة الأعلمي، ١٩٧١م.

ابن خلكان (أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) :

٣٥. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق، إحسان عباس، بيروت، دار صادر،

١٩٧١م.

ابن خياط (أبو عمر الليثي العصفري ت ٢٤٠ هـ / ٨٥٥ م) :

٣٦. تاريخ خليفة بن خياط. تحقيق أكرم ضياء العمري، بيروت ، مؤسسة الرسالة،

دمشق، دار العلم، ط٢، ١٩٧٧م.

٣٧. الطبقات ، تحقيق، أكرم ضياء العمري، الرياض ، دار طيبة، ١٩٨٢م.

دحلان (أحمد بن زيني)

٣٨. المتونحات الإسلامية، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٥٢م.

أبو دلف (مسعر بن المهلهل الخزرجي)

٣٩. رحلة أبي دلف ، ترجمة وتعليق، بطرس بولعاكوف، أسس خالدوف ، موسكو،

دار النشر للآداب الشرقية، ١٩٦٠.

الديبوري (أبو حيفة أحمد بن داود ت ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م) :

٤٠. الأخبار الطوال، تحقيق، عبد المعص عامر، مراجعة، جمال الدين الشيال ،

القاهرة، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٦٠م

الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) :

٤١. سير أعلام النبلاء، تحقيق، شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٨٥م.
٤٢. العبر في خبر من غير، تحقيق، صلاح الدين السجّد، الكويت، ١٩٦٠م.
٤٣. دول الإسلام، تحقيق: فهم محمد شلتوت ، إبراهيم محمد مصطفى، القاهرة ، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٤م.
- ابن رسته (أبو علي أحمد بن عمر ت ٢٩٠ هـ / ٩٠٣ م):
٤٤. الأعلام النفيسة، لندن، مطبعة بريل، ١٩٨١م.
- الرهاوي المجهول:
٤٥. تاريخ الرهاوي المجهول، عرّبه عن السريانية الأب، البير أبونا، بغداد، مطبعة شعيق، ١٩٨٦.
- السرياني (ميخائيل):
٤٦. تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير، ترجمة: مار غريغوريوس صليباً شمعون، إعداد وتقديم: مار غريغوريوس يوحنا إبراهيم، مطبعة ألف باء الأديب، دمشق، ١٩٩٦.
- ابن سعد (أبو عبد الله محمد البصري ت ٢٣٠ هـ / ٨٤٥ م):
٤٧. الطبقات الكبرى ، بيروت، دار صادر، د.ت.

سيعال (ج.ب):

٤٨. الرها المدينة المباركة، ترجمة: يوسف إبراهيم حبرا، تقلم: غريغوريوس يوحنا

إبراهيم، حلب، دار الرها، ١٩٨٨م.

المسيوطي (جلال الدين عبد الرحمن ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥م):

٤٩. تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار محصة مصر،

١٩٧٥م.

ابن شداد (عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم الأنصاري ٦٨٤ هـ /

١٢٨٥م):

٥٠. الأعلام المخطوطة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق: يحيى زكريا عبارة،

دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩١م.

٥١. شذرات من كتب مفقودة في التاريخ، استخرجها وحققها، إحسان عباس،

بيروت، دار العرب الإسلامي، ١٩٨٨م.

ابن الشحنة (أبو الفضل محمد بن الشحنة):

٥٢. الدر المنصوب في تاريخ مملكة حلب، تقدم عبد الله محمد الدرويش، دار

الكتاب العربي، سورية، عالم التراث، ١٩٨٤م.

الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ت ٥٤٨ هـ / ١١٥٠م):

٥٣. الملل والحل، تحقيق: حسين جمعة، دمشق بيروت، دار رابية، ١٩٩٠م.

الصعدي (صلاح الدين خليل بن أيبك):

٥٤. تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب، تحقيق:

إحسان سعيد خلوصي، وهو حمدان الصمام، دمشق، منشورات وزارة الثقافة،

١٩٩١م.

ابن طباطبا (محمد بن علي بن طباطبا ابن الطقطقي ت ٥٧٠٩ هـ / ١٣٠٩م):

٥٥. المعري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦.

الطبري (محمد بن جرير ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢م):

٥٦. تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر،

ط٣، د.ت.

٥٧. الطرسوسي (عثمان بن عبد الله إبراهيم): سير الثغور من كتاب شذرات من

كتب معقودة، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار العرب الإسلامي، ١٩٨٨م.

ابن طهمور (أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر ت ٥٢٨٠ هـ / ٨٩١م):

٥٨. تاريخ بغداد، طبعة ليهزغ، ١٩٠٨م.

ابن عبد الحق البغدادي (صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ت ٥٧٣٩ هـ / ١٣٣٨م)

٥٩. مرآة الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البحوي، دار

إحياء الكتب العربية، ط١، القاهرة، ١٩٥٤م

- ابن عبد ربه الأندلسي (أبو عمر أحمد بن محمد ت ٥٣٢٨ هـ / ١٩٤٠ م):
٦٠. العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الإياري، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٥ م.
- ابن العديم (كمال الدين عمر بن أبي جرادة ت ٥٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م):
٦١. بعية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، مج ١، دار الفكر، بيروت، د.ت.
٦٢. زبدة الحلب في تاريخ مملكة حلب، تحقيق: سامي الدهان، دمشق، د.ت.
- ابن عذاري (أبو محمد عبد الله بن محمد المراكشي توفي أواخر القرن السابع الهجري/ الخامس عشر الميلادي):
٦٣. البيان للمغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: كولان وليبي بروفيسال، بيروت، دار صادر، ١٩٩٥ م.
- ابن العبري (أبو الفرج جمال الدين غريغوريوس اللطفي ت ٥٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م):
٦٤. تاريخ الزمان، نقله إلى العربية: إسحق أرملة، قدم له: د. جان موريس فييه، بيروت، دار المشرق، ١٩٨٦ م.
٦٥. تاريخ مختصر الدول، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٨٩٠ م.
- أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر ت ٥٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م):
٦٦. تقويم البلدان، باريس، دار الطباعة السلطانية، ١٨٤٠ م.
٦٧. المختصر في أخبار البشر، القاهرة، مكتبة المتنبي، د.ت.

ابن العقيّة الحمّاني (أبو بكر أحمد بن محمد ت ٣٦٦هـ / ٩٧٦م):

٦٨. مختصر كتاب البلدان، ليدن، بريل، ١٣٠٢هـ ..

ابن فضلان (أحمد بن فضلان):

٦٩. رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك والترك والروم و الصقالبة ، تحقيق، شاكر

العبي، الإمارات العربية المتحدة، دار السويدي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م.

ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦هـ / ٨٨٧م):

٧٠. عيون الأخبار، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت.

٧١. المعارف، تحقيق، ثروت عكاشة ، مصر دار المعارف، ١٩٦٩م.

٧٢. الإمامة والسياسة ، مصر، مطبعة الفتوح الأدبية، د.ت.

قدامة بن جعفر (أبو الفرج قدامة البغدادي ت ٣٢٠هـ / ٩٣٢م):

٧٣. كتاب الخراج وصناعة الكتابة (ملحق بكتاب للمالك والممالك لابن خرداذبة)،

بغداد، ١٩٨١م.

القرماني (أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي ت ١٠١٣هـ / ١٦١٠م)

٧٤. أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ، بيروت، عالم الكتاب، د.ت.

القرويني (زكريا بن محمد بن محمود ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م):

٧٥. أثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت، دار صادر، ١٩٦٠م.

قسططين السابع :

٧٦. إدارة الإمبراطورية، عرض وتحليل وتعليق، محمود سعيد عمران ، بيروت، دار

النهضة للطباعة والنشر، ١٩٨٠م.

القشيري الحراني (أبو علي محمد بن سعيد بن عبد الرحمن الحراني ت ٨٣٣٤ هـ / ٩٦٥م) :

٧٧. تاريخ الرقة ومن نزحها من أصحاب رسول الله (ص) والتابعين والعقهاء

والمحدثين، تحقيق، طاهر الغساني، حماة، مطابع الإصلاح، ١٩٥٩م.

القلقيشدي (أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله ت ٨٨٢١ هـ / ١٤١٨م) :

٧٨. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق، علي الخلقاني، بيروت، دار الكتب

العلمية، د.ت.

٧٩. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق، محمد حسين شمس الدين، بيروت، دار

الكتب العلمية، د.ت.

٨٠. مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج ، بيروت، د.ت.

ابن كثير (أبو العلاء اسماعيل بن عمرو ت ٥٧٧٤ هـ / ١٣٧٢م) :

٨١. البداية والنهاية، الإسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث، د.ت.

ابن الكلبي: (أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب ت ٨٢٠٤ هـ / ٨١٢م)

٨٢. جوهرة السبب، رواية محمد بن حبيب، تحقيق، محمود فردوس العظم، فهارس

محمد أديب الجادر، تقديم، سهيل الزكار، دمشق، دار اليقظة، ط٢، ١٩٨٥م.

- الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البحري ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م):
٨٣. الأحكام السلطانية ، القاهرة، ١٩٠٩م.
- المرعشي (الحسين بن محمد ت ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م):
٨٤. غرر السير، تحقيق: سهيل الزكار، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٦.
- المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسن بن علي ت ٣٤٥ هـ / ٩٥٨ م):
٨٥. مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق: محمد عبي الدين عبد الحميد، القاهرة
، مطبعة السعادة، ط٤، ١٩٦٤م.
٨٦. التنبيه والأشراف، تحقيق: عبد الله إسماعيل الصادق، بغداد ، المكتبة العصرية،
١٩٣٨م.
- مسكويه:
٨٧. تجارب الأمم وفيه حوادث السنوات ١٩٨-٢٥١ هـ . (ملحق بكتاب العيون
والخلائق)، بغداد ، مكتبة المتنبي، د.ت.
- المقرئزي (تقي الدين المقرئزي ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م):
٨٨. المقفى الكبير ، تحقيق: محمد البعلاوي، بيروت، دار العرب الإسلامي،
١٩٩١م.
- المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله محمد ت ٣٥٧ هـ / ٩٨٣ م):
٨٩. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق: غاري طليمات، دمشق، وزارة
الثقافة، ١٩٨٠م.

مؤلف مجهول (من القرن الثالث الهجري):

٩٠. أخبار العباس وولده (عن مخطوط فريد من مكتبة أبي حبيبة، بغداد) ،

تحقيق، عبد الحزير الدوري، عبد الجبار المطليبي، بيروت، دار الطليعة، ١٩٧١م.

مؤلف مجهول:

٩١. العيون و الخدائق في أخبار الخلفاء من خلافة الوليد بن عبد الملك، إلى خلافة

المعتصم، بغداد، مكتبة المثنى، د.ت.

السلام:

٩٢. المعرست، ، القاهرة، مطبعة الاستقامة، د.ت

النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٥٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م):

٩٣. نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق، علي محمد البحراوي، القاهرة، الهيئة

المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م.

الواقدي (أبو عبد الله بن عمر):

٩٤. فتوح الشام ، دار الجيل، د.ت.

ابن الوردي (زين الدين عمر) :

٩٥. تمة المختصر في أخبار البشر ، تحقيق، أحمد رفعت البدرائي، بيروت، دار

المعرفة ، ١٩٧٠م.

الهرثمي الشعرائي (أبو سعيد الشعرائي الهرثمي كان حيًّا في سنة ٥٢٣٤ هـ):

٩٦. مختصر في سياسة الحروب، تحقيق، عارف أحمد عبد العبي، دمشق، دار كنان،

١٩٩٥م.

أبو يوسف القاضي (يعقوب بن إبراهيم ت ١١٨٢ هـ - ٢٧٩٨ م):

٩٧. كتاب الخراج، القاهرة، المطبعة السليمانية، ط٢، ١٣٥٢ هـ ..

اليافعي (أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي الهيمي المكي ت

١١٦٨ هـ / ١٣٦٦ م):

٩٨. مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يحتر من حوادث الزمان، وضع حواشيه

خليل المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية منشورات محمد علي بيضون،

١٩٩٧م.

اليقوي (أحمد بن يعقوب بن جعفر المعروف بالواضح ت ١٢٨٤ هـ / ١٨٩٧ م):

٩٩. تاريخ اليقوي، دار صادر، د.ت.

١٠٠. البلدان، العراق، المكتبة المرتضوية، المطبعة الخيدرية، ١٩١٨م.

المعاجم.

أمين (عبد الله):

١. الاشتقاق: القاهرة، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة والنشر، ١٩٥٦.
- أبي (إبراهيم) ، منتصر (عبد الخليم):
٢. المعجم الوسيط ، القاهرة، د.ت، ١٩٩٠م.
- الجوهري (إسماعيل بن حماد):
٣. ناح اللغة و صحاح العربية، تحقيق، أحمد عبد العصور عطار، نشر، حسن شربلي، مصر، دار الكتاب العربي، د.ت.
- الجوهري (عبد الله العلابي):
٤. الصحاح في اللغة والعلوم، إعداد وتصنيف، بدم مرعشلي، أسامة مرعشلي، بيروت، دار الحضارة العربية، ١٩٧٤م.
- الرازي (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر):
٥. مختار الصحاح، حصص، منشورات دار الإرشاد، ١٩٨٩م.
- الزحشري:
٦. أساس البلاغة،
- الغزور أبادي (محمد بن يعقوب ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤م):
٧. القاموس المحيط ، بيروت، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، د.ت.
- ابن منظور (عبد الله العلابي):
٨. لسان العرب، إعداد وتصنيف، يوسف خياط، بدم مرعشلي، بيروت، دار لسان العرب، د.ت.

المراجع العربية للمستخلعة :

١٠ اختيار (سيب) :

١. محمد الأمين بن هارون الرشيد، دمشق، مشورات دار الرواد، ١٩٥٥.

سماعيل علي (أحمد علي) :

٢. تاريخ بلاد الشام، العصر العباسي السياسي، (١٣٢ - ٥٤٦٨ هـ)، دمشق، د.ت.

أمين بك (أحمد) :

٣. هارون الرشيد، القاهرة، د.ت.

٤. أيوب (إبراهيم) : التاريخ العباسي السياسي والحضاري، بيروت، الشركة العالمية

للكتاب، ١٩٨٩م.

يوض (حسين) :

٥. الرسائل السياسية في العصر العباسي الأول، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٩٦م.

بطار (أمية) :

٦. موقف القبائل العربية في بلاد الشام والعراق من الدولة الفاطمية، دمشق، مشورات

وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٨٦م.

٧. تاريخ العصر العباسي، دمشق، مطبعة المدينة، ١٩٩٧م.

الترمذي (عبد السلام) :

٨. أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين، (يشتمل على أحداث التاريخ الإسلامي مع

ترجمة أشهر الأعلام وتعريف بالواقع والبلدان، دار طلام، دمشق، ط٣، ١٩٩٥م.

المختروى (عليه عبد السميع):

٩. النعمور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية في العصور الوسطى، القاهرة، مكتبة
الأبحلو المصرية، ١٩٧٩م.

أبو حبيب (سعدى)

١٠. مروان وأسباب سقوط الدولة الأموية، لبنان، دار لسان العرب، ١٩٧٠م.

حنى (فيليب)، حرجي (اندوار)، جبور (جبرائيل):

١١. تاريخ العرب مطول، ح٢، ط٢، ١٩٥٣م، دار الكشف للنشر والطباعة والتوزيع،
بيروت.

١٢. تاريخ سورية و لبنان و فلسطين، إشراف: جبرائيل جبور، بيروت، اشترك مؤسسة
فريكلي، ١٩٥٩م.

حسن (إبراهيم حسن)

١٣. تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافة والاجتماعي، دار الجيل، بيروت، القاهرة،
مكتبة النهضة المصرية، ط١٥، ٢٠٠١.

حسن (علي):

١٤. التاريخ الإسلامي العام، القاهرة، مكتبة النهضة، ١٩٥٣م.

حلاق (حسن):

١٥. دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٩م.

حمادة (محمد ماهر):

١٦. الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر العباسي الأول (دراسة وخصوص)، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٧٩م.

الحميدي (عبد العزيز بن عبد الله)

١٧. التاريخ الاسلامي موقف وعبر (الأمويون، العباسيون، العثمانيون، والدويلات المستقلة): جدة، دار الدعوة، د.ت.

الحارث (وليم):

١٨. الحضارة العباسية، بيروت، منشورات الجامعة اللبنانية، ١٩٨٤م.

الحضري (محمد بك):

١٩. محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، مصر، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣، ١٣٤٩ هـ ..

أبو خليل (شوقي):

٢٠. هارون الرشيد (أمير الخلفاء وأجل ملوك الدنيا)، دمشق، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٦م.

الدهس (يوسف):

٢١. تاريخ سورية الديني والديوي في أيام الخلفاء إلى نهاية القرن الحادي عشر، مراجعة، مارون رغد، إشراف، نظير عيود، دار نظير، د.ت.

الموري (عبد العزيز):

٢٢. دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، مطبعة السريان، تعهدت طبعه وشره شركة
الربطة للطبع والنشر المحدودة، بغداد، ١٩٤٥م.
دياب (صابر محمد):
٢٣. المسلمون وجهادهم ضد الروم في أرمينيا والتهور الخزوية والشامية خلال القرن الرابع
المجري، القاهرة، مكتبة السلام العالمية، ١٩٨٤م.
ربيع (حسين محمد):
٢٤. دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٣م.
رستم (أسد):
٢٥. الروم في سياستهم وحضارتهم وديهم و ثقافتهم وصلاتهم بالعرب، لبنان، دار
الكشوف ، ١٩٥٥م.
٢٦. رفاعي (أحمد فريد): عصر المأمون، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٢٨م.
الرفاعي (أنور):
٢٧. تاريخ العرب و الإسلام منذ العصور القديمة حتى العهد العثماني، دمشق، دار الفكر،
١٩٧١.
٢٨. الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية والاجتماعية
والاقتصادية، دمشق، دار الفكر، ١٩٧٣م.
رفعت (محمد)، حسونة (محمد أحمد):
٢٩. معالم تاريخ العصور الوسطى، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩٣٥.

الرحيلي (ودية):

٣٠. آثار الحرب في الفقه الإسلامي، القاهرة، د.ت.

الزركلي (خير الدين):

٣١. الأعلام ، بيروت، دار العلم، ط٤، ١٩٧٩م.

ركار (سهيل):

٣٢. التاريخ العباسي والأندلسي السياسي والحضاري، دمشق، المطبعة الجديدة، ١٩٨١-

١٩٨٢م.

٣٣. تاريخ العرب والإسلام (مد ما قبل الإسلام وحتى القرن السابع للهجرة)، دمشق،

مطبعة خالد بن الوليد، ١٩٨١م.

٣٤. مائة أوائل من تراثنا ، دمشق، دار إحسان، ط٢، ١٩٨٢م.

ريدان (جرجي):

٣٥. تاريخ التمدن الإسلامي، طبعة جديدة راجعها وعلق عليها: د حسين مؤنس ، القاهرة،

دار الهلال، ١٩٥٨م.

سالم (عبد العزيز):

٣٦. دراسات في تاريخ العرب (العصر العباسي الأول) ، الاسكندرية، ١٩٧٧م

سخي (عصام):

٣٧. العباسيون في سنوات التأسيس، بيروت، المؤسسة العامة للدراسات والنشر، ١٩٩٨م

السرماوي (عبد الفتاح) :

٣٨. الترمعات الاستقلالية في الخلافة العباسية ، القاهرة، دار الكتب الأهلية، ط٤، ١٩٤٥م
سلطان (محمد سامي محمد خير):
٣٩. معاملة الأسرى في الحروب الصليبية (٤٩٠ - ٦٩٠ هـ / ١٠٩٧ - ١٢٩١ م)، بيروت،
٢٠١٠م.
- السيد (أديب):
٤٠. أرمينيا في التاريخ العربي، حلب، للطبعة الحديثة ، ١٩٧٢م.
- شريف (محمد بديع):
٤١. الصراع بين الموالى و العرب وهو بحث في حركة الموالى و نتائجها في الخلافة الشرقية،
دار الكتاب العربي، مصر، ١٩٥٤.
- الشريفي (إبراهيم):
٤٢. التاريخ الإسلامي خلال أربعة عشر قرناً منذ العهد النبوي حتى العصر الحاضر،
القاهرة، ط٢، ١٩٧١.
- شعيان (محمد عبد الحفي محمد):
٤٣. صدر الإسلام والدولة الأموية ٦٠٠-٧٥٠م/١٣٢ هـ ، بيروت، الأهلية للنشر
والتوزيع، ١٩٨٣م.
- شعيرة (محمد عبد الحادي):
٤٤. من تاريخ التحصينات العربية في القرنين الأول والثاني للهجرة (دراسات في الآثار
(إسلامية)، القاهرة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٧٩م.

شلي (أحمد):

٤٥. موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية (التحفة العباسية)، القاهرة، مكتبة النهضة، ط٨، ١٩٨٥م.

الشيخ (محمد مرسي):

٤٦. تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٤م.

صاع (ليلي):

٤٧. منهجية البحث التاريخي، دمشق، منشورات جامعة دمشق، ١٩٩٣م.

ضيف (شوقي):

٤٨. العصر العباسي الأول، القاهرة، ١٩٦٦م.

عادل (سبيح):

٤٩. الإمبراطورية البيزنطية، دمشق، ١٩٦٩م.

عمر (عبد اللطيف):

٥٠. أحكام الأسرى و السبايا في الحروب الإسلامية، بيروت، القاهرة، دار الكتب

الإسلامية، ١٩٨٦م.

العبادي (أحمد مختار):

٥١. في التاريخ العباسي والمعاظمي، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧١م.

العبادي (أحمد مختار)، سالم (السيد عبد العزيز):

٥٢. تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، دار النهضة، بيروت، ١٩٨١م.

عبد الحميد (رأفت):

٥٣. الإميراطورية البيزنطية العقيدة والسياسة، القاهرة، دار قباء للنشر والطباعة، ٢٠٠٠م

العبد العبي (عبد الرحمن محمد):

٥٤. أرمسية وعلاقاتها السياسية بكل من البيزنطيين والمسلمين، ٦٥٣ - ١٠٦٤ م / ٣٣ -

٥٤٥٧ هـ، الكويت، سلسلة الرسائل الجامعية، ١٩٨٩م.

عبد الله (وديع فتحي):

٥٥. العلاقات السياسية بين بيزطة والشرق الأدنى الإسلامي، (٧٤١ - ٨٢٠ م / ١٢٤ -

٨٢٠ هـ)، تقديم: جوريف نسيم يوسف، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية،

١٩٩٠م.

٥٦. عثمان (فتحي):

الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، القاهرة، دار الكتاب

العربي، د.ت.

العربي (السيد الباز):

٥٧. الدولة البيزنطية، ٣٢٣-١٠٨١م، بيروت، دار النهضة، ١٩٨٢م.

العش (يوسف):

٥٨. تاريخ عصر الخلافة العباسية، بيروت، دمشق، دار الفكر، ١٩٩٦م.

عمران (محمود سعيد):

٥٩. معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية (مدخل لدراسة التاريخ السياسي والحربي)، القاهرة، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠م.

العزیز (حسن قاسم العزیز):

٦٠. البايكية (انتعاش الشعب الأذربيجاني ضد الخلافة العباسية، بغداد، مكتبة النهضة، بيروت، دار الفارابي، ١٩٦٦م.

عواد (محمد حسن):

٦١. محرر الرقيق سليمان بن عبد الملك، القاهرة، مؤسسة دار الشعب، ١٩٧٦م.

فاروق (عمر):

٦٢. العباسيون الأوائل، (٩٧-١٧٠ هـ / ٧١٦-٧٨٦م)، بيروت، دار الإرشاد، ح ١٩٧٠، ج ١، ج ٢، ١٩٧٣م.

غيم (سمت):

٦٣. الإمبراطورية البيزنطية وكرت الإسلامية، الإسكندرية، دار المعارف، د.ت.

فرج (وسام عبد العزيز) يوسف (جوريف نسيم) :

٦٤. العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادي، الإسكندرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١م.

فرح (نعيم):

٦٥. تاريخ بئرسة، منذ القرن الرابع حتى القرن الثامن للميلاد، دمشق، مطبعة طربس، ١٩٧٧-١٩٧٨م.

فرحان (عبد الكريم):

٦٦. أسرى الحرب عبر التاريخ، بيروت، دار الطليعة، ١٩٧٩م.

فروخ (عمر):

٦٧. تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، بيروت، دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٧٩م.
العباض (عبد الله):

٦٨. تاريخ البرامكة، مطبعة الرشيد، بغداد، ١٩٤٨م.

كرد علي (محمد):

٦٩. الإدارة الإسلامية في عز العرب، القاهرة، مطبعة مصر، ١٩٣٤م.

٧٠. خطط الشام، دمشق، المطبعة الحديثة، ١٩٢٥م.

الكردى (إبراهيم سليمان):

٧١. نظام الوزارة في العصر العباسي، مصر، ١٩٨٩م.

كحالة (عمر رضا):

٧٢. معجم قبائل العرب والحديثة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٧م.

٧٣. دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية، دمشق، للطبعة التعاونية، ١٩٧٣م.

٧٤. ماجد (عبد المنعم): العصر العباسي الأول (القرن الذهبي في تاريخ الخلفاء العباسيين التاريخ السياسي)، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٣، ١٩٨٤م.
٧٥. المحاسني (زكي):
٧٦. شعر الحرب في أدب العرب (في العصرين الأموي والعباسي إلى عهد سيف الدولة)، مصر، دار المعارف، ط٢، ١٩٧٠م.
- مجموعة من الباحثين:
٧٧. الرقة درة العرات، تقدم : محمد نجيب السيد أحمد، مراجعة: د. سهيل الزكار، الرقة، ١٩٩٢م.
- المدور (جميل نخلة):
٧٨. تاريخ العراق في عصر العباسيين (المسعى حصاره الإسلام في دار الإسلام)، القاهرة، دار المعرفة، ٢٠٠٣م.
- مصطفى (شاكر):
٧٩. التاريخ العباسي، دمشق، مطبعة الجامعة السورية ، ١٩٥٧م.
- مطران (خليل):
٨٠. مرآة الأيام في ملخص التاريخ العام ، بيروت، دار مارون عبود، مؤسسة خليفة للطباعة والمطبع، (عاشق):
٨١. دولة بني عقيل في الموصل من ٢٨٠ - ٤٨٩ هـ ، بغداد، مطبعة شفيق، ١٩٦٨م.

مناح (هاشم صالح):

٨٢. روائع من الأدب العربي (العصر الجاهلي، الإسلامي، الأموي، العباسي، بيروت، دار
الوسام، دار ومكتبة الهلال، ١٩٩١م.

أبو النصر (عمر):

٨٣. هارون الرشيد، بيروت، المكتبة الأهلية، ١٩٣٤.

هدارة (محمد مصطفى):

٨٤. المأمون الخليفة العالم، مصر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م.

هدي (إحسان):

٨٥. الجيش العربي في عصر الفتوحات، دمشق، ١٩٧٣م.

الوكيل (محمد السيد):

٨٦. العصر الذهبي للدولة العباسية، دمشق، دار القلم، بيروت، الدار الشامية، ١٩٩٨م.

اليوسف (عبد القادر أحمد):

٨٧. العصور الوسطى الأوربية (٤٧٦ - ١٥٠٠)، بيروت، للمكتبة المصرية، ١٩٦٧م.

المراجع السريانية و الأرمنية للعربية:

حبشاشيان (مانوئيل):

١. علاقات الكنيسة بالدولة الأرمنية في حقبة الهيمنة العربية من الاحتجاج العربي الأول حتى الفترة العباسية المبكرة، ترجمة: الدكتور ألكسندر الحبشاشيان، حلب، مطبعة مطرانية الأرمن الأرثوذكس، ط٢، ٢٠٠٥م.

عائشة تريان (الكسندر):

٢. ديوان النقوش العربية في أرمينيا (دراسة تاريخية لعوية باليوغرافية)، ترجمة، شوكت يوسف، دمشق، دار سلام للترجمة والنشر، ١٩٩٣م.

دير غويهنوتيان (آرام) :

٣. الإمارات العربية في أرمينيا القبرادونية، ترجمة: ألكسندر كشيشيان، حلب، ٢٠٠٣م.

لبيساكا (ببا ييعو):

٤. ثقافة السريان في القرون الوسطى، ترجمة: خلف الجراد، دار الحصاد للنشر، دمشق، ١٩٩٠م.

مجموعة من الباحثين:

٥. صرب النقود العربية في أرمينيا وتداولها داخل وخارج الإمبراطورية العربية، ترجمة، الكسندر كشيشيان، حلب، الجمعية الخيرية العمومية الأرمنية، ١٩٩٧م.

المراجع المعربة:

أومان:

١. الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة، مصطفى طه بدر، مصر، مطبعة الاعتماد، د.ت.

بروكلمان (كارل):

٢. تاريخ الشعوب الإسلامية العرب والإمبراطورية العربية، ترجمة: سيبه أمين فارس، مطبعة

الجيلكي، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٤٩م.

بيتر (بورمان):

٣. الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة: حسين مؤنس، محمود يوسف رايد، القاهرة، مطبعة لجنة

التأليف و الترجمة والنشر، ١٩٥٠م.

ترتون (أ.س):

٤. أهل الذمة في الإسلام، مصر، مطبعة الاعتماد، ١٩٤٩م.

جب (هاملتون):

٥. دراسات في حضارة الإسلام، تحرير: ستانوردشو، وليم بولك، ترجمة: إحسان عباس،

محمد يوسف نجم، محمود رايد، بيروت، دار العلم للملايين، بالاشتراك مع مؤسسة

فركلين للطباعة والنشر، نيويورك، ١٩٦٤م.

جلوب (جون):

٦. إمبراطورية العرب، تر: عيوي حماد، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت.

دلوب (د.م.):

٧. تاريخ يهود الخزر، ترجمة: د. سهيل الزكاري، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٧م.

دوس (كريستوفر):

٨. تكوين أوروبا ، ترجمة، محمد مصطفى زيادة ، سعيد عبد العناح عاشور، القاهرة،

مؤسسة سجل الحرب، ١٩٦٧م.

رسيما (ستيف):

٩. الحضارة البيزنطية، ترجمة ،عبد العزيز توفيق حاويد، القاهرة، الهيئة المصرية العامة

للكتاب، ط٢، ٢٠٠٢م.

رامباور:

١٠. معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة: ركي محمد

حسن بك، حسن أحمد محمود، مصر، مطبعة جامعة فؤاد الأول، ١٩٥١م.

س.أ.ن:

١١. الإدارة العربية ، ترجمة: إبراهيم أحمد عدوي، القاهرة، ١٩٥٨م.

سيديو(ل.أ.):

١٢. تاريخ العرب العام، إمبراطورية العرب، حضارتهم و مدارسهم الفلسفية

والعلمية والأدبية، ترجمة: عادل رعيتر ، القاهرة، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٢،

١٩٦٩م.

ساليغان (ريتشارد):

١٣. وريثة الإمبراطورية الرومانية (العرب الجرمانى ، العالم الإسلامى ، الدولة البيزنطية) ، ترجمة ، جوريف نسيم يوسف، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٥م.
- شبيب (جان كلود) :
١٤. تاريخ بيزنطة، ترجمة: جورج زيباتي، دار الكتب الجديد للتحفة، لبنان، ٢٠٠٨م.
- علي (سيد أمير) :
١٥. مختصر تاريخ العرب ترجمة، عفيف البعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦١م.
- فاريهف:
١٦. العرب والروم، ترجمة، محمد عبد الحادي شعيرة، مراجعة، فؤاد حسين علي، دار الفكر العربي، د.ت.
- ففيه (جان موريس):
١٧. أحوال النصارى في خلافة بني العباس ، ترجمة، حسني زينه، بيروت، دار المشرق، ١٩٩٠م.
- كامس (كلود):

١٨. تاريخ العرب والشعوب والإسلامية، منذ ظهور الإسلام حتى بداية
 «ميراث طووية العثمانية، ترجمة: د. بدر الدين القاسم، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت،
 ط٢، ١٩٧٧م.
- كبي (ولتر):
 ١٩. بيزطة والفتوحات الإسلامية المبكرة ، ترجمة ، نقولا زيادة، سورية، دار
 قدمس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠٠٣م.
- لأنجر (وليام):
 ٢٠. موسوعة تاريخ العالم، ترجمة: محمد مصطفى زيادة، مكتبة النهضة المصرية،
 القاهرة، نشر هذا الكتاب بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، ١٩٥٩م.
٢١.
 لستريج (غني):
 ٢٢. بلدان الخلافة الشرقية يتناول صفة العراق والحزيرة و إيران و أقاليم آسية
 الوسطى منذ الفتح حتى أيام تیمور، ترجمة: بشير فرنسيس، كوركيس عواد، بغداد،
 مطبعة الرابطة، ١٩٥٤م.
٢٣. بغداد في عهد الخلافة العباسية، بغداد، المطبعة العربية: ١٩٣٦.
- لوبون (غوستاف):
 ٢٤. حضارة العرب، ترجمة: عادل رعيث، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية،
 ١٩٤٥م.

لومبارد (موريس):

٢٥. الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة عبد

الرحمن حميدي، دمشق، دار الفكر، ١٩٧٩م.

أندريه ميكيل :

٢٦. جغرافية دار الإسلام البشرية، حتى منتصف القرن الحادي عشر، الجغرافية

العربية وتصورها العالم الأرض وممالك الأغراب ، ترجمة: إبراهيم خوري، دمشق،

مشورات وزارة الثقافة، ١٩٨٥م.

هارتمان (ل.م)، باراكلاف:

٢٧. الدولة الإمبراطورية في العصور الوسطى، ترجمة وتعليق: جويرف سيم

يوسف، دار المعارف، مصر، ١٩٦٦.

هوبكه (زيمريد):

٢٨. شمس العرب تنسطع على العرب (أثر الحصار العربية في أوروبا)، نقله عن

الألمانية: فاروق يعضون، كمال دسوقي، راجعه: مارون عيسى الخوري ، بيروت،

مشورات المكتب التجاري، ط٣، ١٩٧٩م.

الموسوعات والدوريات المستعملة

أحمد (علي) :

١. أعمال الرباط والثاغرة في التاريخ العربي الإسلامي، مجلة دراسات تاريخية، العدد: ٧٣-

٧٤، دمشق، جامعة دمشق، ٢٠٠١م.

برو ينليسي (سوزان) :

٢. الموسوعة العربية ، المجلد الخامس، الجمهورية العربية السورية، منشورات الموسوعة

العربية، ٢٠٠٢م.

البشير (هاني عبد الهادي):

٣. البياضة في آسيا الصغرى، (مجلة المؤرخ المصري)، العدد ٢٤، القاهرة، منشورات كلية

الآداب، د.ت.

جونس (ديتري):

٤. الفكر اليوناني والثقافة العربية، تأليف: ، ترجمة: د. نقولا زيادة، عرض: عادل زيتون،

مجلة العربي، العدد ٥٤٩، الكويت، وزارة الإعلام، ٢٠٠٤م.

العبد الغني (عبد الرحمن محمد)

٥. الحدود البيزنطية الإسلامية وتنظيماتها الثغرية، حوليات كلية الآداب، الحولية (١١)،

الرسالة الحادية والسبعون، جامعة الكويت، ١٩٩٠، الكويت تصدر عن مجلس النشر

العلمي

مجموعة من المؤلفين :

٦. دائرة المعارف الإسلامية، يصدرها بالعربية، أحمد الشنتاوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس، حافظ جلال، القاهرة، وزارة المعارف، د.ت.

مجموعة من المؤلفين :

٧. الموسوعة العربية العالمية، الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط١٩٩٩، ٢م.

٨. المورد: مجلة تراثية فصلية ، مج١٢، العدد الرابع، ١٩٨٣.

المصادر والمراجع والمقالات الأجنبية:

- Brookes.E.W,Arabic lists of the Byzantine Themes, .١
Journal of Hellenic Studies,1902.
- Bury .B.J,Ahistory of the Eastern Roman .٢
Empire,London,1912.
- Canard.M,Histoire de la Pynastie des Hamadanides de .٣
Jazira at de Syrie,Paris,1953.
- Ditions. E,Travaux Et Memoirers,Paris,1970. .٤
- Finlay.G,Byzantine Empire,Oxford,1877. .٥
- Ghevond,Histoire des guerres et des conquetes des .٦
Arabes en Armenie ,paris,1856.
- Hild,Das Bysantinis che strassenystem in .٧
Kappadokien,Win,1977
- Laurent, ,Armenie .٨
enter Byzance et Islam depuis la Conuete Arabe
jusqu en 886,Paris, 1919.
- Lorenzo Padilla, ElRibat, institucion espiritually militar, .٩
2008.

- Martinez Salvador Carmen, Elribat En . . .
 Elmediterraneo occidente Al-Andlus . Dos,
 Ejemplos De Religio Sidad, 1993.
- Mavrogrdato John, Digenes Akrits, Oxford, 1963. . . .
- Rekaya, Theophobe, Mise au Point sur Theophobe, . . .
 1974
- Toumanoff, Armenie and Georgia, Cambridge . . .
 Medieval History, 1966.